المرويات التي جمعها الدارسون السوريون

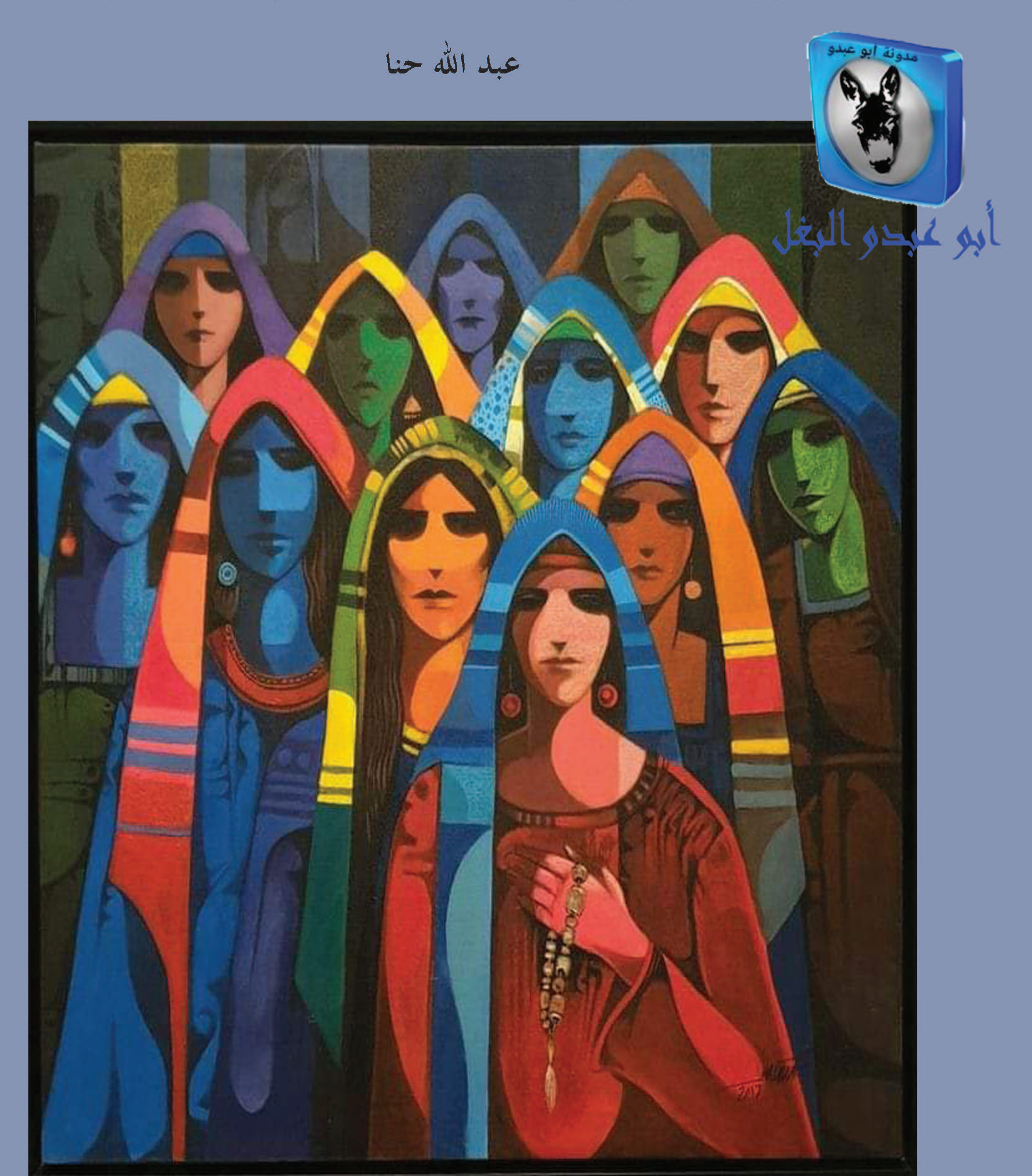
في معهد 16 تشرين الثاني للثقافة العمالية والإعداد النقابي

من شرائح متنوعة من المجتمع السوري

في أعوام 1986 – 1987 – 1988

من إعداد مدرّس الحركة النقابية والعمالية العربية في المعهد بدمشق

عبد الله حنا



المرويات التي جمعها الدارسون السوريون

في معهد 16 تشرين الثاني للثقافة العمالية والإعداد النقابي

من شرائح متنوعة من المجتمع السوري

في أعوام 1986 – 1987 – 1988

من إعداد مدرّس الحركة النقابية والعمالية العربية في المعهد بدمشق

عبد الله حنا

ZMO 2017



Kirchweg 33, D-14129 Berlin
Telefon: 030-80307-0
Fax: 030-80307-210
Internet: www.zmo.de
E-Mail: zmo@zmo.de

Oral Histories from Different Segments of Syrian Society, Collected by Students at the November 16 Institute for Workers' Culture and Trade Union Development between 1986 and 1988

initiated, compiled and commented upon by the former teacher at the institute,

Dr. Abdallah Hanna

For comments and questions please contact: sigrid1939@hotmail.com

المحتويات

Introduction

Ulrike Freitag

This collection of oral accounts constitutes an important document of Syrian history. People from many walks of life and different regions in Syria were interviewed by students at the Trade Union Institute between 1986 and 1988. These interviews provide important insights into different aspects of Syrian history. They document practices and crafts spanning around a century from the late Ottoman period until the 1980s, involving four generations and political regimes from the Ottoman Empire through the mandate period, the turbulent first years of independence, and, since 1963, the rule of the Ba'th party. Interviewees comment on their professions, on daily life, and on social and economic change. The relations as well as the differences between urban and rural life emerge clearly from these interviews. A specific focus of the interviews was associational and specifically trade union development and practice.

The project was conceived by Dr. Abdallah Hanna, a former teacher of Arab trade union and workers' movements at the institute. He is one of the most eminent Syrian historians of the second half of the twentieth century and the only one who has consistently examined modern Syrian history from a Marxist perspective.[1] Dr. Hanna has not only authored the first histories of the Syrian working class and of the country's peasants, he has also written about popular movements in the history of the Syrian national struggle that, for a long time, had been interpreted as an elite movement by urban notables.[2] Coming himself from Dayr Atiyya, a small town at the foot of the Qalamoun mountains whose history he has documented in a major study, rather than from the educated elites of Damascus and Aleppo, may have strongly influenced his perspective and interests.[3] This was further developed during his education at the universities of Damascus and Leipzig, then part of the German Democratic Republic. The officially socialist orientation of the Syrian Ba'thist regime did not impede its profound distrust of Marxism, and hence Dr. Hanna had to pursue his historical interests outside academia, meanwhile participating and documenting the development of the Syrian Marxist movement.[4] For the student of Syrian history, this was a blessing in disguise, as it allowed him to pursue this project, as well as to devote more time to historical writing than might otherwise have been possible.

In the project, Dr. Hanna trained future trade union activists and, at the same time, passed on his own interests and methodology to aspiring leaders. This is expressed not only in the questionnaire that he developed, but also in his close attention to local specificities and traditions. These include respect for the interviewees' language, which he was at pains to document and transmit as unaltered as possible. In light of the loss of many of the local crafts and the tools and techniques associated with them, he took the trouble of documenting and explaining a large number of local expressions. Some of this work was undertaken under difficult circumstances in the midst of Syria's bloody war since 2011. Thus, also the more recent memories of younger interviewees must now be considered indispensable repositories of history, given the widespread death, destruction, and dislocation of the Syrian people.

[1] For an introduction to these works until 1990, see Ulrike Freitag, Geschichtsschreibung in Syrien 1920-1990. Zwischen Wissenschaft und Ideologie, Hamburg 1991, 355-363.
[2] 'Abdallah Hanna, al-Haraka al-'ummaliyya fi Suriyya wa-Lubnan (1900-1945), Damascus 1973; al-Qadiyya al-zira'iyya wa-l-haraka al-fallahiyya fi Suriyya wa-Lubnan (1820-1920), Beirut 1975; Harakat al-'amma al-dimashqiyya fi 'l-qarnayn al-thamin wa-l-tasi' 'ashar, Beirut 1985; al-'Ammiyya wa-l-intifadat al-fallahiyya (1850-1918), Damascus 1990. For the West, Albert Hourani's concept of the politics of notables was adopted by Philip S. Khoury, Syria and the French Mandate. The Politics of Arab Nationalism, 1920-1945, Princeton, London 1987, although he made wide use of Hanna's scholarship. The revisionist reading of Syrian nationalism by James Gelvin (Divided Loyalties. Nationalism and Mass Politics in Syria at the Close of Empire. Berkeley, Los Angeles, London 1998) ignores Hanna's pioneering work.
[3] 'Abdallah Hanna, Dayr 'Atiyya. Al-Tarikh wa-l-'Umran, Damascus 2002.
[4] 'Abdallah Hanna, al-Haraka al-shuyu'iyya al-suriyya, Damascus 2008.

المقدمة[1]

لقاءات الدارسين بِمَنْ اختاروهم من المتحدثين

أسس الاتحاد العام لنقابات العمال في سورية في سبعينيات القرن العشرين معهداً نقابياً تحوّل اسمه فيما بعد إلى اسم "معهد 16 تشرين الثاني للثقافة العمالية والاتحاد النقابي".

تألف طلاب المعهد (ويُطلق عليهم اسم الدارسين) من النقابيين القادمين من مختلف المحافظات، وجميعهم يعملون في القطاع العام. وقد تراوحت مؤهلاتهم العلمية من حامل الشهادة المتوسطة (الصف التاسع) إلى حامل شهادة الدراسة الثانوية (بكالوريا)، مع عدد لا بأس به من خريجي المعاهد المتوسطة المهنية.

وكانت الدورة التدريسية تستمر تسعة أشهر، يتقاضى الدارس أجرته من المؤسسة أو المعمل الذي أوفده. وكان نصف الدارسين من دمشق تنقلهم سيارة تابعة للاتحاد من مناطقهم إلى المعهد وتعيدهم بعد انتهاء الدوام. أما الدارسون القادمون من المحافظات فكانوا يبيتون في بناية أشبه بالفندق تابعة للمعهد وطعامهم في مطعمه، وعلى حسابه. و يموّل هذا المعهد الاتحاد العام للنقابات. وكان لكاتب هذه الأسطر نصيب لتدريس مادة الحركة العمالية العربية في المعهد النقابي بمعدل حصتين في الأسبوع.

بعد إسهامي الأساسي في تأليف مجلدات المسالة الزراعية والحركات الفلاحية، الذي تولى إصداره الاتحاد العام للفلاحين، رغب الاتحاد العام لنقابات العمال بتأليف كتاب عن تاريخ الحركة النقابية والعمالية، وكلفني بهذه المهمة. وكان من جملة الخطوات التي بدأت بها إنشاء استمارة مؤلفة من عدد من الأسئلة تدور حول الحرف والصناعة، ونشوء الحركة العمالية، وأوضاع الريف والمدينة بعامة.

هذه الاستمارة بأسئلتها (وهي منشورة في فقرة لا حقة) وزّعتُها على طلاب المعهد النقابي، وقُمْتُ بشرح هذه الأسئلة وتوضيحها بصورة مفصّلة، وتعليم طلاب المعهد على طريقة وكيفية أخذ التاريخ من أفواه من يلتقون بهم، فيما يُعرف بالتاريخ المروي أو الشفوي. وبيّنت للطلاب النقابيين والطالبات النقابيات (المصطلح على تسميتهم باسم دارس أو دارسة في المعهد النقابي) أن علامة مادة الحركة العمالية العربية مرتبطة بالإجابة على هذه الأسئلة، التي ستُطْرَح على النقابيين أو أي شخص يختاره الطالب ويكون مؤهلاً وقادراً على الإجابة.

تحمّس معظم الدارسين لإنجاز المهمة في مناطقهم، نظراً للعلاقة الودودة، التي توطدت عُراها بيني وبين معظم الدارسين. وكان عليهم اختيار الشخص الذي يجدون فيه القدرة للإجابة على اسئلة الاستمارة أو بعضها، أو ما يبتدع الدارس من أسئلة.

---

[1] **توضيح**: قام حسام الحسون مشكورا بتصحيح الأخطاء الإملائية والالكترونية ، وما يتعلق بهفوات التنضيد . كما قدّم عددا من الملاحظات أخذنا بالصائب منها ، وسنشير إليها في نهاية الحاشية بجملة : وضع ح ح.

ولكن مشروع كتابة تاريخ الحركة النقابية والعمالية توقف لأسباب متعلقة بالنظام الشمولي السائد وسير القيادة النقابية في ركاب النظام ورغبتها في الاقتصار على الكتابة عن منجزات النظام، كما تريده لتبيض صفحتها أمام رأس النظام. وكان من الطبيعي أن أرفض هذا النهج فتوقف المشروع وفي الوقت نفسه جرى إبعادي عن التدريس في المعهد النقابي.

ما جمعته من استمارات أو بالأصح مرويات جمعها الدارسون في المعهد خلال ثلاث سنوات، احتفظت بها في منزلي بدمشق، منتظراً الفرصة لنشرها بعد تدقيقها. وفي ربيع 2015، أتيت بما جمعه الطلاب وما سأسميه: "أوراق نقابية" للعمل على إعدادها للنشر.

الاستمارة التي استند إليها الدارسون لإجراء اللقاءات وجمع المعلومات

وهي من إنشاء معدُّ هذا المؤلَف، وقام بتدريبهم على استخدامها، وهي كالآتي:

– الاتحاد العام لنقابات العمال في القطر العربي السوري.

– معهد 16 تشرين الثاني للثقافة العمالية والإعداد النقابي.

الرجوع إلى الينابيع هو أحد الركائز الأساسية للتاريخ. والاتحاد العام لنقابات العمال، الذي يعتزم كتابة تاريخ الحركة العمالية في القطر العربي السوري، رأى أنه من الضروري العودة إلى صانعي التاريخ من العمال والنقابيين القدامى والاستعانة بما يختزنون في ذاكرتهم من تجارب وبما يملكون من وثائق لتكون مصدراً من مصادر كتابة تاريخ الحركة العمالية.

والأسئلة الآتية هي مرشد للعمل للحصول على مصادر تاريخ الحركة النقابية والعمالية وخلفيتها الاقتصادية والاجتماعية والفكرية والسياسية. وهذا لا ينفي الاقتصار على هذه الأسئلة والإجابة عليها. فبإمكان النقابي أو العامل مُعِدّ اللقاء، إضافة أسئلة أخرى ونقل الإجابة عليها بمطلق الحرية.

- اسم النقابي وكنيته، مكان وتاريخ الولادة، مكان الإقامة الحالية، مكان أخذ الحديث وزمانه باليوم والشهر، هاتفه إن وجد، مهنته والنقابة التي انتسب إليها الخ...
- عمل الجَدْ ومهنته، وما سمعه المتحدث (أو النقابي) عن جَدِّه وأقرانه مما له علاقة بالأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية أيام الجد، أي في أواخر القرن التاسع عشر ومستهل القرن العشرين.
- عمل والد النقابي (أو المتحدث) ومهنته، مع تفاصيل في كل ما يتعلق بمهنة والده ووضعه الاقتصادي والاجتماعي وكيفية تربيته لأولاده ومهنة كل منهم.
- أسئلة ثقافية لمن يحسن القراءة:

أ- ما الكتب والروايات التي قرأها أو سمع بها في مطلع شبابه؟

ب- ما الجرائد والمجلات التي كان يطلع عليها أو سمع بها؟

ج- ما الكتب و الروايات التي قرأها في المرحلة الثانية من عمره؟

د- ما الجرائد والمجلات التي كان يطلع عليها أو سمع بها؟

هـ- ما الأحزاب والتجمعات السياسية التي سمع بها في مقتبل عمره وماذا كان رأيه أو رأي محيطه بها في ذلك الحين؟

و- ما المهنة أو المهن التي تعلمها في مطلع عمره، مع التفصيل إن أمكن، ثم على أي مهنة استقر؟

- تفاصيل عن عمله ومهنته:

أ- المواد الأولية، كيفية الحصول عليها، يرجى ذكر أرقام إن أمكن.

ب- معالجة المواد الأولية وتحويلها إلى مواد مُصَنَعة ودور العنصر البشري في ذلك، والعلاقة بين المنتجين، طبيعتها، ظروفها. يرجى معرفة الأجور لمختلف الفئات بالأرقام. ساعات العمل. العُطَلْ. ظروف العمل وكل ما له علاقة بذلك.

ج- تسويق (تصريف) الإنتاج. هل تم مباشرة أم بالوساطة وكيف؟ أين ذهبت الأرباح يرجى معرفة ثمن البضائع بالأرقام.

د- أرباح التاجر أو المتعهد الذي تعامل معه النقابي أو مع مؤسسته.

هـ- هل وجد خلاف بين المعلم والصانع ؟ أو بين المعلمين أو بين العامل ورب العمل؟ أو بين أرباب العمل الصغار والكبار، تفاصيل عن الصراع الاجتماعي أن وجد مع الأمثلة وإذا لم يوجد، ما الوسائل المتبعة للوفاق بين الأعلى و الأدنى.

- كيف كان الوضع بالحي أو الحارة أو القرية التي قطنها النقابي (أو المتحدث)؟ السكان، حياتهم، علاقاتهم مع بعض الخ... ماذا كان يعرف عن الريف ومشكلاته قبل الوحدة عام 1958؟ وكيف كانت العلاقة بين المدينة والريف؟ التنظيمات الحرفية التي عاشها، أو ماذا سمع عنها من المتقدمين في السن أيام شيخ الكار؟

- متى انضم إلى النقابة أو الجمعية؟ لماذا؟ تفاصيل عن تأسيس النقابة، الاجتماعات، الاشتراكات، المصاريف، دور النقابة، مع من وقفت؟ مدى استمراريتها، عدد الأعضاء ومدى ارتباطهم بالنقابة أو الجمعية، ممن تألفت قيادة النقابة (معلمين، صناع، أرباب عمل، مثقفين الخ...).

- أسماء أعضاء النقابة الذين يتذكرهم، وتفاصيل عن أعمالهم، ثقافتهم، أوضاعهم، وإذا أمكن عناوين إقامة الأحياء منهم.

- ماذا يعرف عن النقابات الأخرى في المدينة؟ وعن اتحاد النقابات في المدينة؟ ثم الاتحاد العام؟

- أين تركز العمل النقابي قبل الوحدة (1958) في المؤسسات الحرفية الصغيرة، المتوسطة، الكبيرة، ولماذا؟ هل وجدت تيارات داخل النقابات، ما هي؟ هل وجد خلاف داخل النقابة أو النقابات؟ وهل كان ذا طابع شخصي؟ أم مبدئي؟ (وطني، طبقي، سياسي)؟
- هل وجد وعي طبقي داخل النقابة؟ ما درجته؟ وأي الأفكار أو المفاهيم كان غالباً؟ الحرفي؟ البرجوازي؟ الاشتراكي؟ الخ... وضع الأجور، ماذا كان يقدم رب العمل للعمال؟ (هدايا، عيدية، للبعض أو للجميع، محاولة شق العمال الخ...).
- هل أثرت المشاعر العائلية والقبلية العشائرية والطائفية في العمل النقابي؟ وكيف كانت تجري الانتخابات؟ (سرية؟ علنية؟) أم بالتعيين لاختيار القيادات؟ الخ...
- فكرة عن العمل النقابي أيام الانتداب الفرنسي (قبل 1945) والحكم الوطني (الإقطاعي–البرجوازي) (1943–1958) والوحدة (1958-1961) والانفصال (1961 – 1963). مع الاهتمام وتوجيه الأنظار –إذا أمكن– إلى العلاقة بين النضاليين الوطني القومي والاجتماعي الطبقي.
- ما هي التشريعات التي تذكرها، والصادرة عن الحكومة، المتعلقة بالعمل أو النقابات؟ وقبل القوانين، ما هي الأعراف السائدة في العلاقة بين أرباب العمل والعمال أو في العمل النقابي؟
- هل وُجِدَ نظام للجمعية أو للنقابة مكتوب؟ أم حسْب العرف؟ أين يمكن أن نحصل على نسخة من النظام؟ مع تفاصيل عن الأعراف السائدة في قيادة النقابات.
- كيف يعيش النقابي أو العامل حالياً؟ وهل لديه ملاحظات أو إجابات أخرى يريد قولها؟

كيفية تحويل المرويات التي جمعها الدارسون إلى النصوص الواردة في المؤَلَف

للرواية الشفوية ميّزتان:

- توضيح وقائع مكتوبة يكتنفها الغموض عمداً أو سهواً، وكشفْ وقائع مطموسة.
- أو إماطة اللثام عن أحداث مجهولة لم يتطرق لها التاريخ المكتوب لأسباب كثيرة.

ومن هذا المنطلق، قُمْتُ بتكليف الدارسين في المعهد النقابي بجمع الأحداث من أفواه صانعيها أو نقلاً عنهم. ولي تجربة طويلة في العزف على إيقاعات التاريخين المروي والمكتوب، وإنشاء نصوص تتناغم مع هذين

التاريخين بُغية الوصول إلى تأريخ يصل إلى الوقائع، أو يلامس جوانبها المعقدة. ومن خلال التجربة وصلت إلى منهج معيّن لنقل الكلام المروي إلى نصّ مكتوب.[2]

لم يكن من السهل اتباع هذا المنهج فيما يتعلق بالمعلومات التي جمعها الدارسون وقدموها لي بخطوط أيديهم. فهنا تعترضنا الإشكالات الآتية:

- تنوّع مستويات الدارسين الفكرية ومدى تمكّنِهم من نقل ما سمعوه من المتحدث سواء بنقل حرفي أو بالتلخيص.
- استخدام الدارس لجمل من الاستمارة أو ما سمعه او نقله عنّي أثناء إلقاء المحاضرات. وغالبا ما قمْتُ بحذف هذا الكلام، الذي لا يعبّر عمّا تفوّه به المتحدث.
- كثيراً ما نقل الدارس أفكاره، أو ما يعتقده صحيحاً، وكأنه كلام المتحدث. وهنا استعنت بالحواشي إما في نقل كلام الدارس إلى متن الحاشية، أو الإشارة في الحاشية إلى أن هذا الكلام من وضع الدارس موضحا مدى مطابقته لواقع الأحداث.
- قام بعض الدارسين، وهم قِلّة، بنقل ما تردده وسائل إعلام النظام، إمّا تملقاً أو عن حسن نيّة، في وقت كانت الأفكار الشمولية هي المهيمنة وسيِّدَةُ الموقف. ولم يكن أمام كثيرين إلا سلوك طريق التزلف للوصول إلى منصب ما. هذا مع التأكيد أن أكثرية الدارسين كانت تنقل ما سَمِعَتْهُ بنيّة صادقة، وهي مخلصة لسلوكها وتصرفاتها.
- إضافة النقط والفواصل، التي غالباً لم يهتم بها الدارس، إلى النص. وكثيراً ما قمت بالتصحيح النحوي، أو إضافة كلمة أو أكثر على الجملة عندما تكون غامضة أو العكس، حذف بعض الكلمات، التي تشوّش المعنى.
- جرى، في الحواشي، توضيح كلمات ومصطلحات قديمة واردة في النص يجهلها الجيل الحالي. واحياناً وضعنا "كلمة غير مفهومة" بدلاً من الكلمة أو المصطلح الوارد في نصّ الدارس، مشيرين في الحاشية إلى الكلمة المستخدمة من المتحدث.
- رمينا إلى إبقاء النصوص كما كتبها الدارسون، كي تكون مصدراً لكاتبي التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والفكري والسياسي لسورية القرن العشرين.

[2] غالباً ما دوّنت (كتبت) على دفتري، أثناء اللقاءات الميدانية، ما تحدث به المتكلم بلغته العامية وتعابيره، ثمّ أقوم فيما بعد بنقل محتواها إلى اللغة الفصحى أو العامية المفصّحة. وكثيرا ما نقلت اللغة العامية للمتحدث كما هي، ووضعتها ضمن قوسين للحفاظ على التعابير العامية المتداولة بين الناس، وهي آيلة إلى الزوال، وبعضها قد اختفى. وبتوضيح أكثر كانت لغة نصوص المرويات هي لغة مزيج بين اللهجات العامية التي كنت انقلها عن المتحدث واللغة المفصّحة، التي استخدمتها كي يبقى النص قريباً من روحية كلام المتحدث. وبمعنى آخر فإن لغة النص هي في معظمها لغتي المتحركة تحت سقف محتوى كلام المتحدث وما أراد البوح به. كما حرصت حرصاً شديداً على استخدام كلمات المتحدث، وأحيانا تعابيره، أثناء الصياغة. وهكذا كان التأريخ، الذي قمت به في عدد من المؤلفات، حصيلة مصادر مكتوبة أو معارف جمعتها خلال عمري الطويل في البحث والدراسات الميدانية، وما نقلته عن المتحدث.

- أحياناً تداخل النص المقدم من الدارس بين لغته ولغة المتحدث. وكثيراً ما نقل الدارس قول المتحدث بلغته مع الحفاظ على محتوى أقوال المتحدث. ولم أتدخل إلا في حالة عدم وضوح الجملة فقمت بتقويمها أو توضيح المقصود في الحاشية.

وقصارى القول بقيت النصوص بلغة كاتبيها، وهي تعكس المستوى اللغوي للدارسين. وتراوحت بين اللغة الفصحى، أو شبه الفصحى، واللغة العامية المفصّحة، مروراً باللهجات المحلية.

أهم المواضيع، التي تناولتها أوراق الدارسين

تُلقي الأوراق الأضواء على جوانب من تاريخ سورية الاقتصادي والاجتماعي والسياسي من أواخر القرن التاسع عشر إلى أواخر القرن العشرين، بما فيها الخلفيات التاريخية للمأساة الدامية في سورية بعد اندلا ع التحركات الشعبية في آذار 2011 وانزلاقها بعد عدة أشهر إلى العسكرة، وما أعقبها من تدخلات إقليمية ودولية.

وتُقدّم أوراق الدارسين صوراً متنوعة للمجتمعات السورية في القرن العشرين، أي من أواخر العهد العثماني وفترة الانتداب الفرنسي (1920 – 1943) إلى فجر الاستقلال وما تلاه من عهود حتى عهد نظام الأسد.

عملياً، الصُوَر التي قدمها الدارسون نقلاً عن محدثيهم قد اختفى بعضها من حياة المجتمع، والبعض الاخر في طريقه إلى الزوال، ولا يزال بعضها متألقاً أو باهتاً. ومن هنا تنبع أهمية هذه الأوراق في حفظ جوانب من حياة المجتمعات السورية نادراً ما تناولها الباحثون، وبخاصة في التفاصيل التي غاصت فيها الدراسات، التي لا يستطيع باحث ميداني عابر سبيل (أو غريب) ملاحظتها. وستكون هذه الأوراق مادة خصبة للمؤرخين والسوسيولوجيين الراغبين في دراسة سورية في القرن العشرين.

ومع أن مواضيع كثيرة تتداخل في كل دراسة، نتيجة تتبع حياة جد المتحدث وأبيه وحياته وحياة أولاده. أي أننا أمام حياة أربعة أجيال. وكل فرد من هذه الأجيال تنقّل في مهن متعددة واختزن خبرات غنية واحياناً من مناطق متعددة. أي أن كل ورقة بحثية من هؤلاء الدارسين النقابيين تضمّنت مواضيع عدة، ليس بسبب تتبع حياة أربعة أجيال فقط، بل لأن المتَحدِث، الذي نقل عنه الدارس تنقّل في عدد من الأماكن وعمل في مِهن متعددة.

وتسهيلاً للقارئ قمنا بتصنيف الدراسات في أربعة مجموعات هي:

1) الأماكن والبلدان، حيث جرى تركيز عدد من الدارسين على قرية أو بلدة أو حي في مدينة أو منطقة ريفية. وضمن دراسة هذه الأماكن نلاحظ تنوّع المواضيع، التي نقلها الدارس عن محدثه في المكان أو البلدة المبحوثة. وعلى سبيل المثال تندرج القضايا التالية: الفئات الاجتماعية. الهجرة إلى بلدان النفط

وتأثيرها. الهجرة من الريف إلى المدينة وعمل المهاجرين. وتستوقفنا هجرة العلويين وتمركزهم في حي النزهة، الذي دخل في صدام مع متطرفي المنتفضين في حمص. الأدوات المستخدمة للحراثة. تاريخ ملكية الأرض وهجوم الإقطاعيين. والطريف أن أحد الدارسين زار لعدة مرات مضافة الشيخ محمد الأشمر في حي الميدان الى الجنوب من دمشق. وكان يختزن المعلومات في ذاكرته وفي بيته يسجلها على الورق.

2) الأرياف والمسألة الزراعية ومظالم الإقطاع، إضافة إلى قصص (سوالف) رواها المتحدثون تعكس الأجواء الشعبية ونفسية سكان الأرياف.

3) المهن والمعامل والعمل النقابي، واحتوى المواضيع التالية:

- مهنة النسيج اليدوي وفروعها وتفاصيل عن النول، الذي انقرض.
- التدرج في المهنة من أجير إلى صانع فمعلم وتاجر أحياناً.
- حرفة نَسْجِ شعر الماعز لبيت الشعر للبدو سواء في بادية الشام أو لتصديرها إلى السعودية. وتتحدث إحدى الأوراق عن انقراض هذه الحرفة ومراكزها الأساسية في تدمر وحماة ويبرود.
- حرفة صنع الفخار المنتشرة في كثير من الأماكن، ويُسمى صاحبها الفواخيري.
- دراسات عن المهن التالية: الأحذية، اللبابيد (صنع ما يشبه السجاد من الصوف المستهلك)، البيطرة (حدوة الخيول والبغال)، غزل القطن والصوف اليدوي بواسطة النساء وطرق بيعه، الحِدادة.
- السمن العربي وتجارته في بادية الشام.
- حالة بعض معامل القطاع العام.
- عدة دراسات شيّقة لعماد الدين نعمة من إدلب تناولت حياة الصناعية ومعلمو الحرف والعمال في إدلب، مع علاقتهم مع الحركة النقابية والسلطة البعثية.
- الدارس سليمان مخول يجري عدة دراسات أهمها لقاء مع قائدين نقابيين يميني ويساري نشطاً في فترة صعود الحركة النقابية في خمسينيات القرن العشرين.

4) العمال والنقابات، وتحتوي المواضيع الآتية:

- السكك الحديدية في حلب.
- عامل تبغ ثمّ عامل في السكك الحديدية مع معلومات غنية عن مدينة حلب وريفها من إعداد الدارسة حاملة البكالوريا هيفاء برشة.
- حياة قائد نقابي يُتْقِن اللغة الفرنسية من درعا.
- من أجير في مطعم في حلب (هاجر من الريف) إلى قيادي نقابي بسبب انتمائه لحزب البعث والتسلق إلى قمة العمل النقابي في سورية، والعودة إلى البطالة المقنّعة المأجورة ترضية له، مُخَلِّفا 13 ولداً.
- من مهنة تركيب البلاط في حمص إلى قائد نقابي يساري.

- محمد الجاجة من حمص عامل نِجَارة ميكانيك قرأ رواية الأم لغوركي وعلى أثرها انتسب الى الحزب الشيوعي. وبعد مدة ألقى خطبة في احتفالات أول أيار في دمشق عام 1954.
- النشاط النقابي في مهنتي النسيج اليدوي والنسيج الآلي في حلب.
- حياة عامل في دباغة الجلود، ثمّ في معمل البلّور في دمشق. وهي دراسة غنية تتضمن تفاصيل عن مهنة الدباغة ومعمل البلور الحديث والعمل النقابي في دمشق، أعدتها إحدى الدارسات التي دعت جارها العامل المتقدم في السن إلى بيتها واستغرق اللقاء من الصباح إلى المساء. وهذا العامل المتقدم في السن يعمل في دكان صغير (كشك) ليسد الرمق.
- وقّاد أفران في معمل الإسمنت في حلب يتحدث عن حياته. ودراسة أخرى عن صناعة الإسمنت في حلب.
- نجّار بيتون من دير الزور يقدّم وصفاً شيّقاً لدير الزور وريفها.
- عرض أحد النقابيين للقوانين المتعلقة بالنقابات والإشادة بالنظام.
- عرض لصناعة النسيج الآلي ونقابته في حلب.

المخطوط بين يدَيْ "مركز الشرق الحديث" في برلين و"المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات" في الدوحة:

في ليلة ليلاء من شتاء 1990 أصدرت "القيادة النقابية البيروقراطية" قراراً بمنعي من التدريس في المعهد النقابي، لأسباب كثيرة لا مجال لذكرها هنا. والواقع أن القرار كان أشبه ب "الطرد"، قامت به "القيادة النقابية" وهي جزء ملحق بالنظام الشمولي للدولة الأمنية، التي أحكمت سيطرتها على مفاصل حياة المجتمع. ولم يكن همّ تلك "القيادة" إلا استرضاء الأجهزة الأمنية والبقاء في المنصب، وما يقدّمه من امتيازات ومكاسب. ولعل من أحد أسباب "طردي" من التدريس في المعهد النقابي هو مشروع المرويات، التي تحمّس كثير من الدارسين للقيام بها. ولهذا لم أتمكن مع الأسف من المتابعة في جمع المرويات بواسطة الدارسين في المعهد النقابي.

ما جَمَعْتُهُ من استمارات، أو مرويات، أو لقاءات الدارسين أنجزها طلاب المعهد خلال ثلاث سنوات، احتفظت بها في منزلي بدمشق، منتظراً الفرصة لنشرها بعد تدقيقها. وفي ربيع 2015، أتيت بما يمكن أن أسميه "أوراق نقابية" للعمل على إعدادها للنشر. وأنا مقيم في مدينة مينستر الألمانية إقامة مؤقتة، منتظراً الفرج في العودة إلى وطن مزّقته الحروب. تَحدّثتُ عن هذه الأوراق مع البروفيسورة أولريكا فرايتاج (Ulrike Freitag) فأعربت عن أهمية هذه الأوراق وضرورة الحفاظ عليها، وأبدت اهتماماً بنشرها إلكترونياً على حساب مركز الشرق الحديث (Zentrum Moderner Orient) في برلين. كاتب هذه الأسطر الذي جاوز الثمانين حولاً وهو قلق على مصير هذه

الأوراق والخوف من تلفها أو ضياعها بعد رحيله، أبدى ترحيباً بنشر هذه الأوراق الكترونياً، فهي ستكون في حِرْز أمين في مكتبة مركز الشرق الحديث في برلين.

وهكذا أرسلت الأوراق في البريد إلى البروفيسورة أولريكا، التي قام مركزها بتصويرها خوفاً من الضياع. ولا بدّ من الإشارة إلى جهود المنضدة ريمة الصالح في التَمَكّنْ من قراءة كثير من صفحات الأوراق المكتوبة بخطوط رديئة. وبعد أن وصلتني النسخة الإلكترونية قمت بمراجعتها على الأصل وتدقيقها وإعدادها للنشر.

لا يسعني هنا إلا شكر مديرة مركز الشرق الحديث في برلين البروفسورة أولريكا فرايتاج لمبادرتها الكريمة بدفع مبلغ مالي من ميزانية المركز لتنضيد هذه الأواق النقابية، أو بالأصح المرويات التي جمعها الدارسون. ولا بدّ لي من شكر الدكتورة كاترينا لانكي، التي كانت مهتمة أيضا بالحفاظ على هذا الكنز الثمين وتشجيعي على جلبه من دمشق إلى ألمانيا.

وإن أنسى، لا أنسى الأيادي البيضاء للصديقة العزيزة أولريكا فرايتاج مديرة مركز الشرق الحديث التي كان لها اليد الطولى لحفظ هذه الأوراق في مكتبة مركز الشرق كي يستفيد منها الراغبون في معرفة جوانب من حياة المجتمعات السورية في القرن العشرين.

بعد أن اطمأن قلبي على مصير مرويات الدارسين وقد أصبحت في حرز أمين، قمت بخطوتين جديدتين:

- وضعت للأوراق عدداً من المقدمات السياسية والفكرية المتعلقة بوضع سورية والحركة النقابية فيها، مما يساعد على إلقاء الأضواء في المواضيع التي تطرق إليه الدارسون.
- أرفقت بالأوراق عدداً كبيراً من الملاحق من إعدادي، كي تكون زاداً فكرياً للباحثين في تاريخ سورية الاقتصادي والاجتماعي والفكري والسياسي.

وهذا يعني أنّ مؤلفاً جديداً أنجزته في إقامتي المؤقتة في ألمانيا مستنداً إلى ما أملكه من معارف ووثائق. ولهذا عقدت العزم على إرسال المخطوط الجديد، وهو بعنوان "صُوَر من مجتمعات سورية القرن العشرين"، إلى المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات في الدوحة.

هذا المركز دعاني ثلاث مرات للمشاركة في ندوات عُقدت في كل من بيروت وعمان وتونس. وفي ندوة تونس أقام المركز العربي معرضاً للكتب التي أصدرها. تصفحت إصدارات المركز وكنت مندهشاً مما أرى وأقرأ من عناوين الكتب، وكأن العالم العربي يعيش أزهى عصوره الفكرية. ولا غرو في ذلك فعصور الانحطاط في تاريخنا العربي أنجبت كثيراً من عمالقة الفكر.

أرسلت المخطوط إلى المركز العربي وأنا على شبه يقين بأنه لن ينشره. وإذا بي أُفاجأ بموقف مدير المركز الدكتور عزمي بشارة بإصدار توجيهاته بإرسال المخطوط إلى دائرة التحرير تمهيداً لنشره دون المرور كالعادة على لجنة القراءة، التي يستغرق زمن إجابتها سلباً أو إيجاباً ردحاً من الزمن. وكانت مبادرة الدكتور عزمي لفتة يُشكر عليها.

واعترف كمتقدم في السن، لم يخض لُجَجَ بحار النشر الإلكتروني، ولم يعتد عليه، أني أشعر بمتعة أكبر مع النشر الورقي الذي اعتاد عليه، لاسيما إن صدر عن مؤسسة لها وزنها في عالمنا العربي المضطرب الذي لا يعرف أهله زمن الخلاص.

أوراق الدارسين

أولاً– الأماكن والبلدات

1- من مظاهر الحياة في السلمية

مُجري اللقاء: الدارس محمد رسلان حمزة.

المتحدث: علي سيفو من مواليد عام 1926 في السلمية.

قال المتحدث:

ختمت قراءة المصحف وحفظته عند عدة شيوخ وهم: الشيخ عبد السلام عارفة، الشيخ شهبا الحموي، الشيخ هابيل المير، الشيخ علي الزهرة.

كنا نأخذ للشيخ رغيف خبز كل يوم، ويُعلمنا قراءة المصحف الشريف وحفظه، أو نأخذ له قضامة.[3] وأحياناً كان يوصينا على كماج (وهي عبارة عن خبز لين طري يخبز في التنور على شكل كعك رمضان). وإذا ختمنا المصحف تقام لنا حفلة الختام حيث نركب على الحمار ويغنون لنا.

مات والدي وأنا صغير فتعهدني أخي. عملت منذ الصغر بالأجرة عند الآخرين، حيث عملت أولاً بالأعمال الزراعية (فلاحة– سقاية– وسواهما). ثم عملت بضمان الأرض حيث يؤجرنا الملاك أرضه ويعطينا

[3] القضامة أو القضامي حِمّص يُبل ثمّ يحمّص حتى يجف فيقضم . والقضامة تؤكل من عامة الشعب ويحبها الأطفال وتُقدم في المناسبات ،كما تكون صحنا من الصحون المرافقة للمشروبات الكحولية .

البذار، ونعمل نحن في الأرض ونعطيه ثلثي المحصول. كنا نبيع الخضار والبصل والقطن إلى السمسار في المنطقة، واسمه مصطفى حيدر، ثم تركت هذه الأعمال واتجهت إلى أعمال الفَعالة في البناء والحفريات.

وقد ذهبت في الخمسينات إلى لبنان، حيث عملت في حفر الآبار عند أحد الخواجات، وكان يعطينا أجرة حفر المتر من 4-8 ل.س واليومية كانت حوالي 16 ل.س. وقتها كان شوال الحنطة يباع بخمسة عشر ل.س ويزن حوالي 125 كغ.

كان لدينا في المنطقة ثلاثة أمراء: سليمان المير، وابن اخته مصطفى تامر، وعمه المصطفى مرزة. وأذكر حادثة وقعت تسمى "حادثة التركي" وهي قبيلة بدوية كانت تربع في أراضي المنطقة. فهدّت[4] بعض أغنامها في زرع أحد أبناء المنطقة، فلما عنّفهم أحد الرعيان اعتدوا عليه بالضرب. ففزع له [5] أبناء المنطقة وخرج من المنطقة حوالي 6 آلاف رجل، يحملون خمسة آلاف بندقية ومسدس. فخرج عليهم الأمير مصطفى تامر ووقف بوجه أهل المنطقة ووضع مسدسه في رأسه وقال لهم: إذا أطلقتم رصاصة، فستكون الثانية في راسي، وتعهد أنه سيحل المشكلة بنفسه، ويرد للشخص المعتدى عليه كرامته. فرجع جميع أهالي السلمية بما فيهم أقرباء المعتدى عليه، وحلّ الأمير المشكلة كما وعد.

في البداية كانت المنطقة مملوءة بكروم العنب والتين، ثم قطعت أشجارها، وزرع مكانها البصل والقطن. وكان في المنطقة تجار متخصصون في القطن، منهم محمد سلام القطريب.

كُنّا أحيانا ننقل الخضار والعنب والبصل والجبس إلى حماة أو حمص في العربات التي تجرّها الخيول، حيث كنا نذهب في أربع إلى خمس عربات، وكنا ننزل في حماة في سوق الحاضر، وننام في خان الورار. في عام 1940 غمر المنطقة سيل كبير مات فيه أناس، أذكر منهم طفلاً صغيراً ودمر الطوفان بيوتاً ومزارعاً وكروماً ولم يُعوّض على أصحابها بشيء.

لم تكن خدمة العلم إلزامية على دوري.

في شبابي كان في المنطقة عدد من الأحزاب السياسية أذكر منها: الحزب الشيوعي، القومي السوري، والاشتراكي العربي. وأذكر من أعضاء الحزب الاشتراكي العربي الدكتور سامي الجندي، ولا يزال حياً يرزق.

في عام 1951 قامت في المنطقة مظاهرة من أجل غلاء المعيشة، وأذكر من الهتافات التي كان يطلقها الناس "جوعانين ورطل الحنطة بتمانين"، "العملة صارت كرتون". ومع ذلك نشتري بالقرش المقدوح أوقيه قضامة. وكان الشلن نصف قرش وكان الفرنك الأبيض.

---

[4] تعني دخلت الأغنام الحقل دون موافقة صاحبه ورعت الزرع وأتلفت ما يسر لها.

[5] أي هبّ لمساعدته والاقتصاص من المعتدين.

تزوجت أول الأمر من جميلة ابنة عمي، ولم تكن هناك شروطاً معينة للزواج. وبقيت عندي خمس سنوات لم يعش لها أولاد فماتت غمّا بسبب ذلك. ثم خطبت لي أمي رئيفة، وهي من بنات جيراننا، وكلّفني الزواج منها حوالي 300 ل.س، من ثياب وخاتم وفرشة وحلل العرس. كانت حفلة العرس عبارة عن اجتماع الأهل والجيران والخُلان. وكانت تقام الدبكة على نغم الأرغول أو القصبة أو الزمر. وكان هناك لا يزال هدية النقطة، حيث يدفع كل من الأقارب والجيران ما يستطيع دفعه من مبلغ للعروس تشتري به ما تريد. قد تنزل العروس عند الأقارب أو الجيران إذا كانت من قرية أو من منطقة بعيدة، حيث تنام عند أصحاب العزيمة ليلة واحدة للاستراحة، وتظل الناس تقوم بفرحة العرس حتى الصباح، حيث تُنقل العروس إلى بيت العرس وتقوم الزفة.

تعمل العروس فور وصولها بعد استراحة يوم أو يومين مع حماتها في البيت وما يتطلبه من أعمال. تجتمع نساء الحي صباحا في التنور للخبز.

لم يكن في المنطقة سوى فوتوغراف (مصور) عند الأمير مرزا، حيث كان يجتمع عنده كبار الناس للاستماع إلى حديث يوسف تاج.

2- وضع قرية الروضة – بانياس

إعداد الدارسة: صباح حبيب/ رئاسة الأعمال الفنية والمساحة والتحسين العقاري/ محافظة طرطوس/ منطقة بانياس.[6]

الموضوع عن ناحية الروضة كقرية وليست كناحية، لأن ناحية الروضة ينضم إليها أكثر من قرية (ضهر صفرا، الجنينة الحارة، المقعبرية، حيبو، الحريشة، مزرعة الأفندي (الفيحاء) حاليا ضهر مرقبة، الخراب الشمالي، والجنوبي وقرقفتي، وكرميا، عين الفرنج) كل هذه القرى تابعة إلى ناحية الروضة والتي يقدر عدد سكانها عشرة آلاف نسمة وقريتي في الإحصاء الأخير كانت حوالي 1800 نسمة.

ناحية الروضة:

اسمها القديم بزاق، سمّوها الروضة حديثاً، كان أفضل لو سموها جبل الزيتون، لأنه اسم على مسمى. ليس المهم في اسمها، المهم في موقعها، تاريخها، حياتها الاقتصادية، وظروف المعيشة فيها، ومنعكسات هذه الظروف على السكان وطبيعة معيشتهم والتأثير المباشر على السير الجاري لهذه القرية خلال المرحلة الحديثة.

تقع في منتصف الطريق بين طرطوس وبانياس على ارتفاع 300 م عن سطح البحر على مسافة 3 كم عن البحر. منذ 275 سنة وهي صحبة معه، وتناجيه، وتبث له أشجانها من الصباح إلى المساء، ولها ذكريات معه، منها

[6] العنوانَ الذي وضعته الدارسة هو: محافظة طرطوس/ بانياس: الهجرة من الريف إلى المدينة ومن القرية السكنية إلى المزرعة وإلى خارج الوطن.

الجميلة ومنها الحزينة. أعطاها أحياناً وأخذ منها أحياناً. عشقها بزرقته وجماله وصوت أمواجه وهي تنكسر على صخوره المجاورة. كان لها طريقاً إلى العالم الجديد، وأطعمها من خيراته. أخذ منها شبابا ابتلعهم في أعماقه، وضرب مواسمها برياحه الهوجاء المحمّلة برذاذ الملح الحارق. كل هذا لم يمنع من استمرار الصداقة والتحالف لهذه المدة الطويلة من التاريخ.

ويعود تاريخ هذه القرية إلى 275 عام في موقعها الحالي، إذ تغير مكانها ثلاث مرات، حيث تكون مكانها الحالي. أصول العائلات من أربع مناطق: عائلة بشارة من الغاب من السقيلبية، وعائلة سمعان وبيت حداد من لبنان، وعائلة حبيب من ماردين على الحدود التركية، وعائلة صهيوني من جبل صهيون بالقرب من اللاذقية. ولكل عائلة ظروف خاصة جعلتها تهاجر من موطنها الأصلي إلى القرية. وعائلة بيت السقا جاءت من دمشق.

بالنسبة لقريتي الروضة (بزاقة) قديماً كل شعبها طائفة موحدة، الروم الارثوذوكس الشرقية، وبُنيت فيها كنيسة مار جرجس بناها رجل لبناني اسمه جورج فيتالي، تزوج من بنات هذه القرية وتوفي قبل أن تنتهي، فوضع شريط أسود مرصوف بالحجارة حزنا عليه (البناء الثاني): أُوقِفَ هذا الأيقونسطاس[7] عام 1927، وعمر الكنيسة 1860 ميلادية.

ومنذ العهد القديم وحتى الآن مصدر معيشة القرية على الزراعة من البقوليات والزيتون الموسم الأساسي. هناك أشجار زيتون عمرها من قبل السيد المسيح بـ 150 سنة من عهد الامبراطورية الرومانية يسمى الزيتون الميري أو الزيتون العماري. ولهذا الزيتون قصة غريبة اليوم، حيث تعود ملكية الأرض لناس والزيتون لناس آخرين، والطرف الأول مالك الأرض، ليس له حصة في موسم الزيتون، وبقرار من المحكمة والمشكلة معلّقة حتى اليوم.

الظروف المعيشية في عهد الاحتلال التركي متدنية بشكل عظيم، حيث كان نظام الجندية[8] وعشر الموسم[9] والاضطهاد الخ... دفع هذا الفقر إلى الهجرة الخارجية وبالتحديد عام 1881. وكانت الهجرة الأولى حيث هاجر حوالي 140 شخص في الفترة ما بين 1910-1911. أما الهجرة الثانية (والهجرتان لم يَعُدْ أحد منهما إلى القرية حتى اليوم) فكانت وجهتها الرئيسة هي الأرجنتين – البرازيل – كوبا. الهجرة الثالثة كانت عام 1952-1961، وكانت باتجاه الأرض الجديدة (فنزويلا)، وفي هذه المرة عاد حوالي 60 % من الذين هاجروا في هذه الفترة، وتحسنت الأوضاع المادية بشكل ملموس وخاصة بعد عام 1960، حيث قام أهل القرية بتشييد الأبنية الحديثة من الاسمنت المسلح. وتقدم التعليم تقدماً ملموساً وبنيت أول مدرسة ابتدائية وإعدادية في عام 1953. ومن سخرية القدر أن

---

[7] الأيقونة صورة قديس . ومجموع الأيقونات المجاورة لبعضها على الحائط الذي يفصل هيكل الكنيسة عن قاعة المصلين يُسمى إيقونسطاس .

[8] سوق الشباب كجنود إلى ساحات حروب الدولة العثمانية.

[9] الضريبة المفروضة على المحاصيل ومقدارها عُشر المحصول.

من فتح هذه المدرسة جرى على يد الإقطاعي في القرية، ولقد كان يختلف هذا عن الآخرين بحبه لقريته ولأبناء طائفته وبحبه للتطور، وهذا ما كان يعطيه صفات مقبولة عن غيره.

والهجرة الحديثة إلى الخليج مثل الكويت وابو ظبي والسعودية، وهم قليلون ويعدون على الأصابع في حوالي الستينات والسبعينات، وعادوا إلى القرية وبنوا محلات تجارية (نصف فرن آلي) مثلا، ومطاعم وكافيتريا على الطراز الحديث ومنشرة وغيرها، وكلها طوّرت في عملية بناء حضارة وفتح سوق عمل في هذه القرية. أما الآن لا توجد هجرة، لا خارجية ولا داخلية، والسبب يعود إلى تطور الزراعة ودخول الآلة والمكننة الزراعية، ووجود الجمعيات التعاونية، والصيدليات الزراعية، والمهندسين الزراعيين، وإشرافهم على الزراعة وقرب القرية من مدينة طرطوس، ولمنطقة بانياس، وكون المحطة الحرارية وشركة مصفاة بانياس والاسمنت والطرق والعقارات والمالية والمؤسسات كلها في محافظة طرطوس. لا تبعد قريتي عن طرطوس سوى ثلث ساعة منها وربع ساعة إلى بانياس، والسيارات من قريتي إلى طرطوس ليست مؤمنة، بالرغم أن بعض العائلات قادرة وتملك سيارات نقل، ولا تنقل الركاب من القرية إلى المدينة، وإنما ننتقل إلى بانياس وطرطوس عن طريق الخط عام، ونحن ننتقل بالسيارات الزراعية حتى الآن.

والمواطن في هذه القرية يعشق الأرض حتى العبادة، ولا يبيع شبر منها مهما كانت الظروف، ولو كان طبيباً أو مهندساً أو مدرساً أو موظفاً، يعمل بالأرض حتى بعد دوامه الرسمي وبالعطل الرسمية.

لهذا نشأت هجرة محلية من القرية كمسقفات، وانتقلت (تحولت) القرية تقريباً إلى مزرعة القرية، حيث كل مواطن بنى بيتاً أو قصراً جميلاً ضمن مزرعته، وأصبحت الزراعة هي المورد الأساسي للحياة، وذلك كون المياه متوفرة بغزارة والأرض معطاءة جداً، ونتيجة تطور العلم وكثرة المتخرجين من المهندسين الزراعيين أصبح لدينا أكثر من 200 بيت بلاستيكي.

والخضار التي تزرع الآن هي الخيار والبندورة والفاصولياء والفليفلة والباذنجان والكوسا وفستق العبيد والبطيخ الأحمر والأصفر. وبالنسبة للزراعة الشتوية القمح والشعير والعدس والحمص والفول، وكل هذه البقول والحبوب تُزرع بين أشجار الزيتون، وليس في الأراضي السهلية المخصصة فقط للخضار.

وكثير من الموظفين والمدرسين يملكون أراضي ويعملون في الجهتين الزراعية والوظيفية (إدارية، إنتاجية، اقتصادية، خدمية) وغيرها.

بالنسبة لقرية الروضة كناحية، الآن، يوجد لديها مدرسة ابتدائية وإعدادية وثانوية، والتعليم جيد جداً، والمؤسسات الموجودة هي: مجلس بلدة (كناحية) ودائرة نفوس ومؤسسة مياه وكهرباء ومخفر شرطة ومؤسسة استهلاكية، وبالنسبة لمشروع التنظيمي لا يزال في بدايته يُنفذ بالتدريج حسب ميزانية البلدية.

الشعب يحب بعضه البعض، يجمعه الفرح والحزن، لدينا بعض الموظفين من خارج القرية كشرطة مثلاً، ومقسم الهاتف النصف آلي.

وفي موسم الزيتون تبدأ الهجرة الموسمية من مناطق مختلفة، للعمل في ناحية الروضة، ويوجد لدينا أربع معاصر زيتون، ويأتي عمال غرباء يعملون. فأكثرنا يملك زيتوناً والكل يعمل في أرضه لوحده بدون استئجار جهود الآخرين. أما الذين يملكون مساحات واسعة من شجر الزيتون، يستأجرون عمالاً غرباء ويعملون تقريباً ثلاثة لجني أشهر زيتون حسب الموسم.

أما بالنسبة لهؤلاء الذين يهاجرون إلى المحافظات البعيدة، وذلك بغرض العمل وموقعهم من الوظيفة كونها بعيدة عن مسقط راسهم، يعيشون هناك بحكم العمل، وهم أقلية من ضباط وأطباء ومدرسين وتجار، وكثير من الطلبة ذهبوا للدراسة خارج القطر في فرنسا أو ألمانيا أو أمريكا أو الاتحاد السوفييتي.

هكذا كانت الهجرة من البداية إلى النهاية.

3- بلدة مصياف

مُجرية اللقاء الدارسة: نجاح حمامة.

المتحدث: سليم صرصور مواليد 1917 في مصياف.

لبلدة مصياف الجميلة، التي تمتاز بالجبال الخضراء دائما والسهول الخصبة والمياه العذبة، تاريخ عريق تشهد عليه قلعتها، التي تتموضع وسطها شامخة شموخ وخالدة لتشهد عن أيام الصليبيين. ولمعرفة المزيد من تاريخ هذه البلدة التابعة إلى محافظة حماة، يبلغ عدد سكانها أكثر من عشرين الف نسمة.

قمت باللقاء التالي مع أحد المعمرين في هذه البلدة التاريخية، وهو سليم صرصور.

الجد، علي صرصور، متوفي منذ أيام سفر برلك (أيام تركيا).[10]

س: ما هو عملك؟

ج: مختار بلدة مصياف منذ 1959 حتى 1985/5/2.

[10] سفر برلك تعني الحرب العالمية الأولى (1914– 1918) . وبقيت الذاكرة الشعبية في بلاد الشام تروي للأجيال اللاحقة مآسي سفر برلك وما رافقه من قتل وتشريد وجوع .

س: ما هو عملك السابق؟

ج: حجّار لمدة 18 سنة، دخلت السلك العسكري أيام الحكم الفرنسي.

س: ما هو عدد أخوتك؟

ج: لي أخ اسمه علي صرصور، هاجر إلى الأرجنتين من أيام حكم الطغاة الفرنسيين،[11] ولي أخت اسمها أسمى صرصور، توفيت عام 1945.

س: ما هو عدد أولادك؟

ج: عندي 4 بنات و 2 ذكور. الفتيات متزوجات، إحداهن معلمة، الأخرى ممرضة، والأخيرتين ربات منزل. أما الذكور عملهم أحدهم موظف بسلك الشرطة، والآخر سائق سيارة.

س: هل مارست عملا آخر؟

ج: مارست بعض الأعمال. فبعد انتهائي من الجيش مارست مهنة السمانة (بائع) لمدة 43 عام، حيث لم يكن أكثر من 20 سمان في هذه البلدة.

س: ما هي الطرق التي تتعاملون بها مع الزبائن؟

ج: نأتي من المدينة بالسلع ونبيعها لأبناء البلدة والجوار (من القرى).

س: هل يتم ذلك عن طريق النقد؟

ج: بعض الأحيان إن تيسر، وإن لم يتيسر كنا نستخدم أسلوب المقايضة، وقد يكون بعض المنتجات الزراعية، وإذا لم يتوفر، المنتجات الحيوانية. علما بأن العلاقة مع الزبون كانت مشوبة بشيء من البراءة والصدق والمودة. وكانت المقايضة في أغلب الأحيان هي البديلة للعملات الغير متوفرة، حيث نأخذها بدورنا ونشحنها إلى الممول في المدينة.

س: هل تذكر كيف كانت العلاقة ما بين ابناء بلدة مصياف والأتراك؟

ج: في عهد الأتراك، حسبما قيل لي، لم تكن لدينا ملكية كما هو معروف الآن، علما بأن المساحات كانت شاسعة أكبر من طاقة الفلاحين الموجودين، لذلك تمكّن الآغوات أن يحصلوا على ملكيات كبيرة للأرض باعتبار أن الفلاحين غير قادرين على استثمارها، واستمرت هذه الأمور هكذا حتى الانتداب الفرنسي،

[11] المتحدث خدم كما ذكر في الجيش الفرنسي المحتل لسورية. وهو هنا يصف الفرنسيين بالطغاة. فكيف يوفّق بين ماضيه وكلامه 1988؟

حيث وزعت الأراضي إلى 72 ربع امتلكهم ثلاثة عناصر هم: آل القصاب، (مصطفى القصاب)، علي فارس الحمصي، يوسف العمر. هؤلاء أصبحوا أوصياء على الأرض، يتصرفون بالأماكن العامة. لذلك الأرض هي ملك لكل فلاح في البلد. لكن واقع الحال، آلت التركة لهم باستثناء بعض الملكيات الخاصة حتى جاء الإصلاح الزراعي عام 1958 واستولى على القسم الأكبر.

س: هل هؤلاء المالكين استثمروا الأرض بشكل جيد؟

ج: عندنا أصبحت أراضي بور أو مراعي للقطيع.

س: بالمناسبة، هل كانت البلدة تربي بعض المواشي؟

ج: اعتمدت اعتماداً كلياً على الماعز والغنم والبقر، وخاصة الماعز لأن البيئة جبلية، ولقد كانت تأخذ منهم "التحصل دار".[12]

س: هل كان لدى الفلاح طموحات؟

ج: أعرف أن العهد التركي جعل الفلاح بليداً، وكان يكتفي بتأمين شيء ما من البرغل والسمن والزيت وبعض من الحطب، وهذا ما كان يجعله شاكراً ممتناً وليس لديه طموح آخر.

س: هل أستطيع أن أفهم أن عهد الانتداب فتح بعض الآفاق الجديدة؟

ج: لا شك أن طبيعة الحكم الفرنسي مختلف اختلافاً جذرياً عن طبيعة الحكم العثماني السيء.

س: كيف تفسر ذلك؟

ج: لا شك أن مساوئ الحكم الفرنسي كانت كبيرة، مع ذلك نقول أن أول المدارس في هذه البلدة (الابتدائية) كانت مع دخول الاحتلال الفرنسي.

س: هل هذا صحيح؟

ج: لست من دعاة الحكم الفرنسي، ولكن كثيراً ما كنت أشاهد كيف كان يلاحقون الأطفال ويفرضوا عليهم دخول المدارس وكثيراً ما يعاقب الآباء حيث يهربون أبناءهم.

س: والمرأة؟

---

[12] التحصلدار من حصل حصولا ومحصولا . والمحصول ما يأخذه الحاكم على تحصيل الدين المترتب للدولة على رعيتها . وحصّل الدين جمعه. والتحصلدار هو جابي ضريبة الدولة .

ج: تبعاً للأعراف الاجتماعية، فإن تعليم المرأة كان منكراً، لذا كثيراً ما كان يتجاهل الآباء تسجيل ولاداتهم إذا كانت أنثى.

س: كم عدد سكان البلدة؟

ج: الآن يربو عن عشرين ألفاً، تزيد نسبة النساء على نسبة الذكور قليلاً.

س: هل هذه الزيادة طبيعية؟

ج: لا.

س: هل هناك زيادة غير طبيعية؟

ج: نعم، في السنوات الخمس، وتحديداً منذ عام 1975، حصلت هجرة المدينة إلى الريف، وبكثافة، نظراً لتوفر بعض المرافق العامة من مدارس وكهرباء وأغلبهم من أجل التعليم، كل ذلك ساعد على تزايد عدد السكان.

س: هل عرفت البلدة الإسفلت؟

ج: في عهد الانتداب الفرنسي، بالإضافة إلى إيجاد المدارس، أدخلت بعض التحسينات على الطرق وذلك برصف الشوارع الرئيسية بالحجارة، وبعض الشوارع الفرعية زائد البلدة، نستطيع مشاهدة ذلك حتى تاريخه. أما الاسفلت فكان دخوله على وجه التقريب عام 1970.

س: هل تعاني المدينة دوماً من أزمة المياه؟

ج: مصياف التي تقوم على بحر ماء تعاني من أزمة خانقة، ولقد أشرنا إلى التزايد السكاني، مما يؤدي إلى نقص في توفير المياه. ومياهها قسم منها ينابيع، والقسم الآخر آبار ارتوازية، كما نذكر أن الكهرباء دخلت المدينة أثناء الحكم الفرنسي.

س: هل نفهم أن المدينة منذ الاستقلال حتى عام 1958 تمارس الفلاحة؟

ج: نعم، باستثناء بعض التجار القلة، فمعظم الناس تمارس الفلاحة، حتى الأولاد كانوا يمارسون الزراعة.

س: هل الأرض صالحة للزراعة؟

ج: الأرض حجرية قاحلة، لذلك كان الفلاح يكتفي بالحد الأدنى، لذلك الصورة الغالبة هو الفقر.

س: كيف كان يتم الزواج؟

ج: كما يتم الآن، مقدم ومؤخر، لكن كثيراً ما يفتقدوا النقود أو العملة فيحصل البديل عن طريق المقايضة أو إعطاء تسجيل قطعة أرض أو قسم من البيت.

س: هل أنت راض عما يحصل الآن بالنسبة للمهور؟

ج: يا بنتي، الآن موجود مبالغة. بذخ. والذي هو ردة على الفقر ليس بصحيح، كما كان مرضا فهو الآن مرضا.

س: هل حل قانون الإصلاح الزراعي مشاكل الفلاحين؟

ج: لم يكن الإصلاح له دور فعال بهذه البلدة، حيث كانت الملكية محصورة بثلاثة كما ذكرنا سابقاً. وكذلك الأراضي لا تكفي لعدد الفلاحين.

وعند ذلك أحسست بأن المختار قد بان عليه التعب، لعلني زدت عليه بالأسئلة أو أعدته إلى أيام قاسية، لذلك شكرته شكراً جزيلاً وتمنيت له التوفيق والصحة، مودعةً إياه.

4- لمحة عن قرية بسيريت/محافظة حماة

مُجري اللقاء: الدارس مصطفى المحمد.

المتحدث: عباس غريب.

كتب الدارس نقلاً عن المتحدث:

اسمي عباس الغريب، عمري 75 سنة، من مواليد حمص، مقيم في قرية بسيريت التابعة لمحافظة حماة. كان جدي يعمل في محافظة حمص، وعدد أولاده واحد، أي والدي، وعمله عامل بالمدينة. توفي في "سفر برلك" وكان عمري 5 سنوات وأختي في السابعة. ضاق صدري لقلة حيلة أهلي وفقرهم، فهربت إلى قرى مدينة حماة، واستوطنت في إحداها، وهي قرية بسيريت، التي تقع جنوب المدينة بعشر كيلومترات. وبدأت أرعى الغنم لإحدى العائلات وأنام في الاصطبل فوق التبن وآكل عندهم. وعندما كبرت وصار عمري 10 سنوات، بدأت أتعلم الفلاحة على الفدان، وانتقلت إلى عائلة أخرى وصرت أفلح على الفدان لديهم مقابل أكلي، وبعدها أصبحت أملك بعض المواشي نتيجة أتعابي وأجري.

عندما صرت في العشرين، أخذت قطعة أرض من عند أحد إقطاعيي القرية (باسم بستاني)، لأنه يوجد في القرية أربعة إقطاعيين وهم: منذر البرازي، فوزي البرازي، وجيه البرازي، علي المعطي، ولديهم ملكيات كبيرة. ويوجد لبعض الفلاحين ملكيات متوسطة ولبعضهم الآخر ملكيات صغيرة، والبعض الآخر لا يملك شيئاً ويعملون

بشكل يومي عند الإقطاعيين وعند الفلاحين الذين يملكون الأراضي، وقسم منهم أخذ قطعة أرض من عند أحد الإقطاعيين وأخذ يعمل بشكل بستاني، أي الحصة. كان يشرف على البساتنية بالإضافة للإقطاعي الوقاف، وهو زلمة الإقطاعي. وكان البستاني يعمل طوال الموسم ويأخذ منه 10 %، وبعدها ارتفعت حصّة البستاني إلى 25 %. وبالإضافة لعمله كبستاني كان يعمل بشكل سخرة لدى الإقطاعي. وبشكل عام، يوجد لدى الفلاحين بعض المواشي يرعى بها راعي بدوي استوطن بالقرية، ويأخذ أجر شهري على كل راس من الماشية.

ومن لم يجد عملاً من الفلاحين الفقراء هاجر إلى قرى أخرى وخاصة الغاب، لكي يستفيد من أراضي الإصلاح الزراعي، لأنه لم يطبق في قريتنا الإصلاح الزراعي. ومنهم من هاجر إلى المدينة واشتغل بمهن متعددة وبوظائف مختلفة واستوطنوا بمدينة حماة. وحالياً توجد هجرة معاكسة من المدينة إلى القرية. أما بالنسبة للهجرة إلى دول الخليج فلم تحدث سوى أنه في الآونة الأخيرة أصبح بعض المعلمين، وهم من أبناء الفلاحين الفقراء، يذهبون إلى السعودية عن طريق الإعارة. ومن توفيرهم اشتروا بعض قطع الأرض من الإقطاعيين، وبذلك أصبحت تنتقل الأرض تدريجياً من الإقطاعيين إلى الفلاحين، بالإضافة إلى الوظائف التي يمارسها أبناء الفلاحين في مدينة حماة وغيرها من المدن.

دخلت المدرسة الابتدائية إلى القرية حوالي عام 1950، وقبلها كانت في القبة يدرس فيها الشيخ. والإعدادية عام 1972 والثانوية عام 1977. ووصلت الكهرباء عام 1976 وكذلك وصل طريق الزفت عام 1972. كانت تشرب القرية من الآبار قديما، ولكن أصبحت الآن تشرب من خط ري مدينة حماة.

أما من ناحية المهر قديماً كان يتراوح بين 2000– 5000 ل.س، يأخذ والد الفتاة قسماً منه. أما الآن فيتراوح بين 10000–15000 ليرة، ولا يأخذ الأهل شيئاً، بل تشتري به الفتاة الذهب والثياب.

5- الحياة في قرية الصومعة نقلا عن فلاح بسيط/محافظة طرطوس

مُجرية اللقاء: وسامة عمران.

المتحدث: صالح محمد ميكائيل.

أنا اسمي صالح محمد ميكائيل، من مواليد 1913 في قرية الصومعة وأقيم فيها ولم أغادرها مطلقا. عشت حياة صعبة مع العصملي/العثماني. كانوا يجبروننا على العمل سخرة ويصادرون المواسم والحيوانات، ويجرجرون شباب هذه القرية على الخدمة العسكرية في اليمن وفي سفر برلك. ومنهم والدي وعدد من شباب هذه القرية. ولم يكن يحتمل (يُؤمل) رجوع من يذهب. كنا نضطر للاختفاء نهاراً خارج البيوت خوفاً من رجال الدرك لمصادرة الشباب وسوقهم إلى الجندية.

بالنسبة لجدي، فكان فلاحاً بسيطاً. بالإضافة إلى عدد من رؤوس الماعز التي ترعى في الأحراش، لم يكن هناك مصدر للدخل سوى هذه الماشية وزراعة الشعير والذرة. وقد توفي عام 1882، وسار أولاده على نفس طريقته في المعيشة التي كانت تعتبر من أقسى الظروف، حيث فقد الأمن وانتشرت اللصوصية والوحوش الضارية. وكنا نقوم بالعسس (أي الحراسة الليلية) بشكل دوري، ولم يرزق أعمامي بأولاد، بينما رزق والدي بولدين، هما أنا وأخي حسن، الذي سافر إلى المهجر في الأرجنتين (ولاية التوكومان) وتزوج هناك ورزق بولدين هما محمد وكامل. وقد توفي الثاني وتوفي أخي عن عمر يقارب من 75 سنة، وتركني صغيراً لم يتجاوز عمري الـ 13 سنة. كان يرسل لي الرسائل وبعض المال، حيث يساعدني على الحياة الصعبة وتربية أولادي حيث تزوجت عندما كان عمري 33 سنة، حيث قام بتربيتي أحد أعمامي (مصطفى) والذي كان يعاملني بقسوة شديدة بسبب زوجته التي لم ترزق بأولاد. فكانت تصب حقدها عليّ خاصة وقت تبعث إحدى بنات أختها التي دللتها وسخرت كل إمكاناتها لها.

كان عملي يقتصر على الزراعة البعلية والمحاصيل الحقلية، شعير وذرة، من أجل الخبز، ومساحات الأرض ضيقة وجبلية وعرة. وعندما رزقت بأولادي ازدادت قسوة الحياة، ولم يكن هناك مردود يكفي لشراء الخبز لهم، على الرغم من أن الملكية في هذه القرية خاصة بأهل قريتنا، لم يدخل الإقطاع قريتنا إطلاقاً، مع أنه هناك قرى مملوكة من قبل الإقطاعيين مثل بيت بشور في صافيتا، وبيت الحامد في قرية رأس الخشوفة، وبيت العباس في قرية الطليعي، ولكن قريتنا كانت ملكيتها خاصة، ولم نعرف حكم الإقطاع، واستمرت الحياة قاسية حتى دخلت زراعة شجرة الزيتون إلى المنطقة، حيث بدأت الحياة تتحسن شيئاً فشيئاً ولكن ليس بالمستوى المطلوب، لأن هذه الشجرة تعطي سنة وتحرم سنة أخرى، كما أنه يجب انتظارها ما لا يقل عن سبع سنوات حتى تبدأ بالعطاء بشكل مقبول. إضافة إلى أن الملكية في القرية صغيرة وضعيفة بالرغم من تفاوتها بين مالك وآخر، حيث تتراوح بين 3–50 دونم. والمواشي كانت تربى للاستفادة منها في الحراثة والنقل والحليب وغيره. وتجمع القرية كان بصورة عامة من الفلاحين الذين يمتهنون الرعي بعد فراغهم من الأعمال التي في الأرض، وتبلغ نسبة الفلاحين الفقراء في قريتنا على أيامنا أكثر من 90% والمتوسط 8% بينما الأغنياء لا يتجاوز عددهم 2 %. ولا يوجد من العاطلين إلا بعض رجال الدين الذين يستغلون أوقاتهم في العبادة وتعليم الناس أمور دينهم وتلاوة القرآن في الكتاتيب.

ونسينا أن نذكر الاستعمار الفرنسي الذي جاء عام 1920 بعد العثمانيين، ولكنهم لم يستطيعوا التوغل في جبالنا لمناعتها وصعوبتها، وقام الشيخ صالح العلي بالحرب ضدهم. كان يتصل برجل آخر في جبل الزاوية، اسمه ابراهيم هنانو، وكانوا ينقلون الأسلحة والذخائر على الحمير والبغال. وكان الفرنسيون يخافون الشيخ صالح كثيراً، وطلبوا منه أن يجعلوه ملكاً على جبل العلويين. فقال لهم: أنا أدافع عن دمشق قبل اللاذقية. ولم يستطيعوا أن يغيروا رأيه. وقد خاض ضدهم عدة معارك، وقتل منهم عدد كبير، على الرغم من بساطة أسلحة الثوار، ويكفي

أن نذكر معركة وادي ورور ووادي جهنم حيث أبيدت حملة فرنسية كاملة واستولى الثوار على الأسلحة التي كانت معهم.[13]

كان الشيخ صالح يختفي عندنا أحياناً، وإذا شعر أنهم يبحثون عنه يترك القرية سراً. وبقيت الحياة على نفس الوضع دون تطور يذكر حتى عهد الاستقلال، فكان تطوراً بسيطاً، حيث يجبروننا على العمل في فتح الطرق وتسمى "الكروسة"، بين صافيتا والدريكيش. ومنذ عام 1958، أي سنة قيام الوحدة العربية بين سورية ومصر، طلبوا منا أن ننتخب ما سمي أعضاء الاتحاد، وجرى ذلك في مدرسة بيت الشيخ مرهج، وقالوا أن رئيسنا جمال عبد الناصر.

وكانت أول مرة تدخل فيها المدرسة إلى قريتنا عام 1930، ولكن ألغيت بسبب الواسطة والنواب القدماء، ونقلت إلى قرية مجاورة حيث أعيدت عام 1955. وكانت مبنية من الحجر والخشب والطين وأصبحت إعدادية عام 1976. وانتشر التعليم بشكل هائل بين أبناء القرية واتجهوا إلى التطوع في الجيش وذهب قسم منهم إلى العمل في لبنان في ظروف قاسية وذليلة. ولكن حالياً معظم أهل القرية يعملون في الوظائف المختلفة وقسم منهم بالجيش، وهناك عدد لا بأس به في دول مختلفة، سواء عربية كانت أو أجنبية، يكملون دراساتهم. وقد زادت قيمة الأرض في الوقت الحاضر، وأصبح إنتاج الفلاح على الرغم من ضيق المساحة يعود عليه بمردود كبير، حيث أصبح الآن سعر تنكة الزيت 625 ل.س، بينما كانت في الماضي لا يتجاوز سعرها 25 ل.س. ولكن قيمة الليرة الشرائية تضاعفت عن الماضي، والتطور الذي حدث في هذه القرية فوق التصور، حيث توفرت لها كل الخدمات التي يحلم بها الإنسان، سواء المياه (1975) والكهرباء (1977)، أو الطريق المعبدة أو الهاتف عام 1976، أو المدرسة حيث لم يعد هناك تفكير بالهجرة إلى المدينة، بل يتجه التفكير إلى الهجرة المعاكسة.

ونسينا أن نذكر أن المياه كانت قليلة جداً، حيث كانت تشرب القرية من ثلاث ينابيع شحيحة في الصيف، حيث تضطر المرأة أن تنتظر دورها أكثر من 10 ساعات للحصول على مياه الشرب. فقام الأهالي بحفر الآبار أمام بيوتهم، للتغلب على هذه المشكلة، حتى تم جر المياه من نبع مغارة الشماميس إلى القرية مع عدد كبير من القرى تتجاوز المائة قرية.

الحياة الاجتماعية في هذه القرية بسيطة وغير معقدة، والفتاة دخلت المدرسة منذ وقت مبكر، ونرى الآن الفتاة الموظفة والمعلمة والمهندسة والطبيبة، ودرجة الثقافة بين أبناء القرية تكاد تكون 100%. وعادات الزواج تتم ببساطة، حيث يتعرف الشاب على الفتاة عن طريق بعض اللقاءات العائلية، ويختار كل منهما الآخر، وتتم الخطبة عن طريق اللقاء بين الأهل دون إكراه ودون مهر، إلا ما يتفق عليه العروسان لتجهيز بيت الزوجية الجديد. ويمكن القول، أنه منذ الماضي لم يكن هناك إكراه للفتاة على الزواج إلا في حالات نادرة جداً.

---

[13] علينا أن نأخذ هذه المعلومات لمعرفة كيف كان يفكّر الناس البسطاء وكيف تصل الأخبار مبالغاً فيها، وأحياناً لا أساس لها من الصحة.

س: حدثنا كيف استطعت تربية اولادك حتى أصبحوا في المستوى العالي؟

ج: "لقد تعذبت كثيراً، وكنت أعمل بالإضافة لعملي الأصلي في الأرض وتربية دودة الحرير، التي كانت من نوع رديء، حيث كان يأكل الورق حتى يقارب النهاية، ثم يموت. كنت أعمل في البناء، بناء البيوت على الطريقة القديمة وبسعر بسيط جداً، حتى أجد العمل، وعدة مرات جاء ولدي يطلب مني ثمن دفتر، فأقول له لا يوجد معي ثمن دفتر سيكارة، علما أن ثمن الدفتر كان نصف فرنك. ولكن الأولاد كانوا مجتهدين، ولم اكن اتمنى حرمانهم من التعليم، وجعت وتعذبت كثيراً حتى رأيتهم الآن متعلمين والحمد الله على السراء والضراء".

س: ماذا كنتم تلبسون من ثياب؟

ج: كنا نرتدي الشروال الأسود، وقمصان أحياناً صوفية نغزلها وننسجها بأيدينا، وعباءة وحذاء من الجلد، وقد نسير حفاة أحياناً.

6- الفئات الاجتماعية في الدار الكبيرة وتوابعها على النهر العاصي[14]

الموقع الجغرافي:

المنطقة تقع على النهر العاصي، وتبعد عن المدينة حوالي 10 كم إلى الشمال الغربي، وهي امتداد لمنطقة غرب طريق حماة حتى نهر العاصي غرباً، ويفصلها النهر عن منطقة الوعر المعروفة بالمحافظة، والقرية قريبة من معمل السكر ومحالج القطن.

الأهمية الزراعية:

حوالي 70 % من الأراضي تُزرع سقيا و الباقي أراضي بعلية، ويركز الأهالي على زراعة الشمندر السكري والقطن والخضراوات والحبوب.

المالكون:

تعود أراضي القرية في ملكيتها إلى العائلات البرجوازية الإقطاعية التي كانت قبل الثورة، تملكها وحتى الآن وهم آل الموصلي، آل الجندلي، آل الأتاسي، والحسيني وغيرهم.

الفئات الاجتماعية:

[14] وَجَدّتُ بين الأوراق النقابية هذه الدراسة المفتقدة الى بقية الصفحات وغاب اسم معدها.

- الفلاحون ذوي الملكيات الكبيرة وهم رجالات الإقطاع سابقاً.
- الفلاحون المتوسطون الذين حصلوا على الأرض نتيجة إجراءات العائلات الإقطاعية حتى يمنعوا عمليات التوزيع بين الفلاحين كلهم.
- الفلاحون الصغار والأجراء، وهم يملكون عدة أمتار، بينما الأجراء لا يملكون شبرا من الأرض، وقد تحولوا بفعل الظروف الحياتية الصعبة إلى عمال عاديين في المدينة ويبيعون قوة عملهم لمن يشتريها.

وتشمل تلك التقسيمات الاجتماعية قرية الدوير، وقرية تيرمعلة القريبتين لظروفهم الواحدة وملكيتها لنفس العائلات تقريبا، ويشملهم قانون التوزيع برأيِ للأسباب الآتية:

- تغلغل العائلات الإقطاعية المذكورة في مناصب قيادية لا بأس بها في المحافظة، مما أعطى العملية نوعا من الإهمال والغموض.
- تعاون أذناب الإقطاعيين (الفلاحين الكبار والمتوسطين)، باعتبارهم وجهاء ومخاتير في القرى وتزويد الدوائر المختصة بمعلومات خاطئة عن المساحات – وعن الذين لا يملكون شيئا.
- تسجيل الأراضي بأسماء خيالية أو لأطفال من أسرهم حتى تبقى الأرض لهم ويتخلصون من مساحة الحد الأعلى للملكية حسب قانون الإصلاح الزراعي، ولا يشملهم الإصلاح الزراعي.
- عدم اكتمال الوعي أو انعدامه لدى الطبقات الفلاحية الفقيرة، حيث سيطر عليهم اليأس واعتقدوا بأن حظهم هكذا من السماء. كما لعب تأثير أقربائهم من الوجهاء في القرية في تخديرهم ووعدهم بالمن والسلوى وبأنهم لن يحتاجوا أحدا. واقتنعوا بتلك الحلول وعاشوا في ظلام لا همّ لهم سوى التناسل ومشاكل الحياة.

التطورات الحالية:

نتيجة التطور الاجتماعي والاقتصادي ووصل القرية بشبكة طرق وكهرباء، وبناء مدرسة وما رافقتها من نتائج، أصبح الوضع كالآتي:

نتيجة التناقض في الملكيات، ونمو وعي الفقراء تحت ضغط الحاجة، ونمو عوامل أخرى، دفع بهم للعمل في المدينة مع أبنائهم في شتى المجالات، وبظروف عمل سيئة وأغلبهم في القطاع الخاص ولدى مؤسسات الجيش، والشركات المؤقتة. فبدأت الطبقة العاملة بتلك القاعدة العمالية البسيطة التي لا هم لها سوى مجاراة الفلاحين الكبار وجمع قوت العيش.

هذا الواقع دفع أبناء الفقراء للجد والسعي من أجل الوظيفة لتساعدهم على الاستقرار المادي مع أبناء الفلاحين الصغار أيضا، فتخلصوا شيئا فشيئا من الأرض وخرجوا ليقطنوا في بيوت في أطراف القرية ويستقلوا

ضمن عائلاتهم. وبذلك سكن العمال في أطراف القرية بعيدين عن أهلهم وبيوتهم الأصلية التي لم تعد تلائم متطلبات الحياة.

هذا التوجه من قبل الفقراء نحو الراحة والوظيفة ونتيجة قلة الأجراء. (باقي النص غير موجود)

7- بلدة التل وتأثيرات الهجرة للعمل في بلدان النفط

إعداد الدارس: حافظ الأبرش في عام 1988

تشكل منطقة التل جزءاً من منطقة القلمون. هنا الأراضي ضيقة جداً بحيث لا توجد أراضي صالحة للزراعة إلا القليل، على شكل وديان ضيقة، فيها بعض الأشجار التي يبست في سني الجفاف العديدة بعد أن تكسرت. وفي هذه المنطقة لا يملك الفلاح في أحسن الأحوال أكثر من ثلاث دونمات من الأرض، تحتاج إلى الماء القليل في أكثر المواسم.

هذه الأراضي القليلة والتي لا تعطي شيئاً من الدخل تقريباً، لأن تكاليف الزراعة فيها كبيرة، وتكاد تكون أكثر من قيمة المحصول المجني، لذلك اتجه الناس إلى العمل اليدوي المهني، فتعلموا الحرف الجيدة، كالنحت والبناء والطينة، فأصبح قسم منهم يعمل بنحت الأحجار السوداء التي توضع على جوانب الطريق لتشكيل الأرصفة، وقسم آخر يعمل بنحت الأحجار البيضاء التي تزين العمارات الفخمة والمآذن الموجودة في كل بلد وتشهد على فن النحت لدى سكان منطقة التل. ولكن كان الطموح كبيرا والأجر قليلا، لا يتناسب مع هذا الطموح.

كانت طموحات أبناء المنطقة، في تحسين أحوالهم وتأمين مستقبلهم من منزل جيد، وعمل ثابت يدر مردودا ودخلا جيدا، وفكر في حاله وعمله الشاق وعدم تحسين أحواله، إذا بقي يعمل ضمن هذه الطبيعة وهذا الوضع. فأخذ قرارا بالهجرة إلى بلد آخر سمع عنه القليل وخبر أن النفط تدفق في أراضيه. سافر بعضهم إلى دول الخليج العربي وبعضهم إلى ليبيا في أوائل الخمسينات، وكان عليهم أن يتلاءموا مع الطبيعة الجديدة القاسية والمختلفة عن بلدهم، من حيث الأطباع والمعاملة والحرارة. ولكن كانوا يتحملون كل شيء، من أجل لقمة عيش هنيئة، آملين أن تتحسن أحوالهم المادية والاجتماعية.

وبالفعل كدوا وتعبوا، ولكن دون أن يدخروا ما يلزمهم لتحقيق طموحاتهم. فقد بقوا سنين طويلة في غربتهم، بعيدين عن أهلهم وبلدهم وحياتهم الطبيعية، وقد حدثت عدة حوادث مؤلمة ومؤثرة في النفس، منها أنه عندما عاد أحدهم في أواخر الستينات إلى بلده بعد عشرين عاماً من الغربة والبعد، دون أن يراه أطفاله الذين تركهم وهم صغار لا يعرفون ملامحه وتجاعيد وجهه الملفوح بالشمس هدّه التعب، بعد عشرين عاماً دق باب بيته وكله أمل أنه سيستقبل استقبالاً جميلاً، ولكن ما لبث أن فتح الباب وخاطبه شاب في الثانية والعشرين من عمره، نعم ماذا تريد، فاندهش أبو أحمد وقال: هذا بيتي وأنا صاحبه، فحاول الولد أن ينفر في وجهه وشتمه، لولا أن أمه سارعت

وقالت من ورائه: أهلا أبو أحمد تفضل، وقالت لابنها هذا والدك يا بني، لقد عاد من سفره بعد عشرين سنة تذكرنا بعدها. واندهش الولد من أبيه، كيف يغيب كل هذه المدة ولا يراه أبداً، فهل القلب مثل الحجر الذي ينحته، وقال له: أه يا أبي ما أقسى قلبك.

ولكن فتحت أبواب الجنان بعد حرب تشرين التحريرية، فزاد سعر النفط وكثرت المشاريع والأعمال والطلب على اليد العاملة، وبدأ تجار المؤسسات تطلب أصحاب الحرف والمهن التي تعمل بالبناء. وكان الطريق ممهداً أمام أهل منطقة التل، لأن بهم آباء وأجداد سبقوهم وشقوا الطريق أمامهم، وبدأت الهجرة الواسعة والكبيرة إلى بلاد النفط وأراضي الثروة، وكان العمل كثيرا والمال وفيرا، فعملوا واجتهدوا في مختلف المجالات من نحت وبناء وطينة وبلاط ودهان. فلا تعيقهم مهنة من المهن، وإذا لم يعرفوا مهنة يحتاجون إليها، تعلموها بسرعة وعملوا بها. فأصبح بعضهم مقاولاً وبعضهم صاحب مؤسسة، لأنه حصل على جنسية خليجية نتيجة لمكوثه الطويل أو ولادته هناك، على ارض النفط. فساعد قويهم ضعيفهم، وشدوا أزر بعضهم.

وكان يعود بعض الشباب منهم في الصيف لبلدهم ليصطافوا ويروا أهلهم، راكبين أجمل السيارات الحديثة، "يشفّطون" بها، ويزعجون الناس والأطفال، ناسين أيامهم الماضية، يزمرون كثيراً ويسرفون دون حساب، حتى يظهروا بمظهر لائق وجميل أمام أبناء بلدهم، ويفعلون أي شيء حتى يلتفت الناس إليهم. لقد وجدوا المال الكثير الذي بدأوا بصرفه بعد أن كانوا محرومين منه (جملة غير واضحة) ومنهم من تزوج ثانية وثالثة الخ... من مجالات التبذير واللهو. تلك الحالة، وهذا الوضع، لفت أنظار زملائهم الذين يدرسون في المدارس والجامعات، فينظرون إلى حالهم ومستقبلهم ويشعرون بالمفارقات ويقارنون بين حالهم وحال هؤلاء الذين اغتنوا بسرعة وبزمن قصير، وقال لي أحدهم: ماذا سأعمل بعد تخرجي من الجامعة، هل سأعمل موظفاً براتب شهري ضئيل!؟ لا! سأسافر! وأترك الجامعة والدراسة التي لا تولد إلا الفقر والإرهاق. وبالفعل ترك أكثر الشباب دراستهم وسافروا إلى هناك حيث الثراء والغنى، إلى حيث السيارات الفخمة والغنى السريع. غير أنهم سيندمون، لأن معظمهم لا يملك مهنة يعمل بها، وعملوا أعمالاً في مجالات كثيرة ومتعددة، ومع كل ذلك أتوا في الصيف يركبون سيارة جميلة ولكن جيوبهم غير مليئة كما كان زملاءهم من قبل، فكانوا يصرفون ما معهم ثم يعودوا ليجددوا الشوط، ظانين أن الكنز لا ينضب والعمل الميسر لا ينتهي. فمنهم من سافروا واجتهدوا ووفروا ثروة كبيرة ونجح في تحقيق آماله وطموحاته، فعمر بيتاً فخماً من الحجر المنحوت ذي الألوان العديدة والطوابق المرتفعة والفرش الغالي الثمن والديكورات المأخوذة عن مخططات أجنبية، وكان بعضهم يرسل أمواله تباعاً إلى أهله وذويه ليشتروا له العقارات والبساتين في الغوطة والفنادق والمزارع، وإلى غير ذلك من الأملاك، هذه الفئة اغتنت وكبرت ثروتها وحققت طموحها وكانت المنافسة على أشدها بين أبناء البلد، من يشتري أكثر ومن يملك أكثر ليتباهى ويتفاخر بأمواله وثروته.

وأما القسم الثاني وأكثرهم الطلاب الذين تركوا مدارسهم وجامعاتهم وسافروا إلى الخليج تغرهم المظاهر اللماعة ويشدهم المال والجاه، الذين ظنوا أنهم سيحصلون عليه. فقد تعبوا كثيراً وتنعّموا، وقلّدهم زملاؤهم

بإسرافهم وتبذيرهم فخسروا أنفسهم وأموالهم. هذه الفئة عادت بعد عشر سنوات أو أكثر يجمعون مبلغا من المال ضئيل تحت ضغط أهلهم وأسرهم، واشترى بعضهم سيارة عامة وبدأ يتعب ويشقى ليحصل على لقمة عيشه. منهم من صرف هذا المبلغ وأصبح عاطلاً عن العمل، بذلك خسر الدنيا والآخرة، ومنهم من بقي إلى الآن ينازع في الحياة وتنازعه الغربة.

وهناك مشكلة في نفس المغترب، وهي عندما عاد إلى بلده، اعتبر العمل في بلده معيباً، بعد أن كان في بلاد الكنوز، فخجل أن يعمل، أي أمام زملائه الذين يتباهى أمامهم بأمواله وسيارته، ولكن الحاجة إلى لقمة العيش جعلته يكابر على نفسه ويعمل مجبراً على العمل، فما أفادته غربة السنين ولا أيام السفر.[15]

8- الفئات الاجتماعية في محافظة درعا

كتبها الدارس: يوسف برمو.

محافظة درعا إحدى محافظات القطر العربي السوري التي يغلب عليها الطابع الزراعي قديماً وحديثاً، لم تدخلها الزراعة إلا في الآونة الأخيرة، وتتواجد فيها الفئات الاجتماعية الآتية:

الفلاحون:

وتقسم هذه الفئة إلى ثلاثة أقسام:

- فلاحون يملكون الأراضي الكثيرة ولا يعملون فيها بأيديهم، وهؤلاء عددهم قليل، يستغلون الآخرين (المرابعين) الذين كانوا في نهاية العام صفر اليدين نتيجة استغلال الإقطاعيين لهم.
- فلاحون يملكون ويعملون بأيديهم وهؤلاء يشكلون الغالبية من الفلاحين حيث يعملون في أرضهم بمساعدة عائلاتهم ولا يستغلون جهد الآخرين.
- فلاحون لا يملكون الأرض، وهؤلاء يستأجرون قسما من أراضي الملاكين الكبار أو يعملون بالأرض التي تركها اصحابها وهاجروا إلى المدينة أو خارج القطر، وتكون إما بالأجر النقدي أو على قسم من المحصول.

إلا أنهم عموماً بأشكالهم الثلاثة على الغالب عملهم غير مربح، نظراً لاعتماد القسم الأكبر من الأراضي الزراعية على الأمطار الموسمية، والقسم الآخر المروي عن طريق مشروع اليرموك يخضع للضرائب من قبل الدولة.

وقد لجأ بعض الفلاحين في الآونة الأخيرة إلى حفر الآبار الارتوازية على نفقتهم الخاصة ورُكّبت عليها محركات الديزل لإرواء أراضيهم، وقد أعطت هذه التجربة ثمارا ناجحة. وقد لوحظ في الآونة الأخيرة بين هؤلاء

---

[15] تتشابه ظواهر الهجرة إلى بلدان النفط مثيلاتها في قرى القلمون. وقد فصّلنا ذلك في كتابنا : "دير عطية التاريخ والعمران".

الفلاحين على اختلاف مستوياتهم الهجرة من الريف إلى المدينة ومن الريف إلى خارج القطر، للعمل في الدول النفطية ذات الأجور المرتفعة نسبياً إذا ما قورنت بدخولهم، وبالتالي تبقى الأرض دون رعاية.

كما أن قسماً آخر من الفلاحين آثر ترك الأرض، وتحول إلى عامل في معامل القطاع العام للدولة مفضلا الراتب (الدخل الثابت) على إنتاج الأراضي الغير مأمونة العواقب.

العمال:

- عمال زراعيون: كانوا هم الغالبية بين العمال في درعا، إلا أن عددهم أخذ بالتناقص التدريجي نتيجة الهجرة إلى الخارج والعمل في دول الخليج.
- عمال مؤقتون: هؤلاء يشكلون نسبة لابأس بها، يعملون في الأعمال العرضية، وقد ازداد عددهم وبان للعيان، وخاصة في مؤسسات الدولة للخدمات التي غالبا ما يكون عملها موسمي (الإسكان العسكري، شركة جبل قاسيون، شركة الطرق (رودكو)، شركة السدود (ساريكو). إضافة إلى الأعمال العرضية الأخرى والتي تحتاج إلى جهد عضلي (أي البناء وصب الباتون).
- عمال دائمون: وهؤلاء نسبتهم قليلة إلى حد ما إذا ما قورنت بالنسب السابقة، يعملون في القطاع العام الصناعي الذي دخل حديثا إلى المحافظة مثل شركة الكونسروة الحديثة ومعمل أحذية درعا ومعمل معكرونة اليرموك. وهؤلاء دخلوا الصناعة وهم غير مؤهلين فنياً وإنتاجياً، لذلك فهم في البداية كانوا عالة على هذا القطاع، حيث العامل يتأقلم مع الجو الصناعي ولكن على حساب هذه الصناعات، حيث الهدر في المواد الأولية وتخريب بعض الآلات المقصود وغير المقصود، وحيث الهروب من العمل بعد الدخول إلى المعمل حتى ولو عن طريق السياج الخارجي للمعمل، كونهم أتوا من مصادر غير مؤهلة تاريخيا للعمل في الصناعة، حيث عمله الأساسي إما في التهريب أو الحفر في باطن التربة على الآثار القديمة، أو في الرعي والزراعة. إلا أنهم أصبحوا الآن مؤهلين وقادرين على العطاء، وأثبتوا القدرة على العطاء، وإنتاجهم مربح للدولة بالرغم من نقص في الخدمات الاجتماعية التي تقدم لهم (وسائل النقل، الخدمات الصحية، الحوافز الإنتاجية، السكن العمالي).
- عمال غير مقيدين بمهمة ويعملون بالأعمال المحظورة: حيث يعملون بالتهريب من الحدود المجاورة، سواء من الأردن أو من لبنان، وهؤلاء يشكلون ظاهرة خطيرة على المنتجات الوطنية. وآخرون يعملون في التنقيب عن الآثار القديمة في باطن الأرض دون علم الدولة، ويبيعون ما يجدونه في السوق السوداء لتجار الآثار، الذين هم بدورهم يهربون الآثار إلى لبنان وتركيا، وهؤلاء يشكلون ظاهرة خطيرة جدا على حضارة وتاريخ الأمة.

وبعد اكتشاف البترول وحدوث النهضة المعمارية في دول الخليج العربي وليبيا، بدأت اليد العاملة الفنية وغير الفنية وحتى بعض الفلاحين بالهجرة إليها للعمل، حيث الأجور المرتفعة، متناسين أنهم يعملون بأمرهم وتحت ظل أناس بداوة متخلفين عن الحضارة وبعيدين كل البعد عن ظاهرة التقدم، لكنهم يملكون النقود يهبونها لهم نتيجة الجهود العضلية والجسمية المرهقة وعلى حساب كرامتهم التي يسلبها البدو المتحضر. هؤلاء كانوا يعودون وجيوبهم متخمة بالنقود وبالدولارات البدوية المستغلين لجهود أبناء البلدان المتحضرة والفقيرة، فيشيدون الأبنية الفخمة، وبالتالي يأتون إلى حياة جديدة لم يكونوا قد تعودوا عليها أيام فقرهم، وبالتالي فهم ملزمون بالتمشي مع النمط الجديد حيث هم، تتبدل البنى الاجتماعية لهم. كما أن هذه النقود تُعَوّد أصحابها البطالة الجزئية، حيث يذهبون ويعملون لمدة محددة ثم يعودون ويقعدون بدون عمل، كما أنهم يساهمون في غلاء أسعار الأراضي الزراعية وأراضي البناء ويساهمون في التضخم النقدي في البلد. حتى أنها وصلت إلى التغلغل في النواحي الاجتماعية للحياة مثل غلاء المهور بالنسبة للعرسان، وأدخلوا بعض العادات في الخطوبة التي لم تكن معروفة سابقا والتي أرهقت كاهل الآخرين من غير المهاجرين.

المثقفون والمستخدمون:

هؤلاء يشكلون فئة لابأس بها من الناس، إلا أنه في الآونة الأخيرة بدأ يتغيّر سلوك بعضهم ويتخذ طرقا شرعية وغير شرعية وخاصة: المعلمون والموظفون والمستخدمون منهم من أجل ترك العمل الوظيفي عن طريق الاستيداع أو الهروب للذهاب إلى دول الخليج العربي للعمل هناك للحصول على الدولار البدوي من جيوب الأميين الخليجيين، وشتان ما بين المستويين. لكن هؤلاء الناس ملزمين من أجل تحسين أوضاعهم المعيشية.

9- قرية البلها على اطرف البادية وشظف العيش فيها والهجرة إلى مدينة حمص

مُجري اللقاء الدارس: خضر سعيد الخضر

المتحدث: ابراهيم خضر السعيد من مواليد 1908، ويسكن قرية البلها – ناحية الرقامة شرقي حمص.

قرية البلها من أرض "الجفتليك"[16] مساحتها الإجمالية ما يعادل 36 فدان والفدان يساوي 320 دونم والدونم 1000 متر.

قال: كان جدنا الأكبر، عباس الكشي يسكن منطقة الوعر، وهي من حمص وتغريب. وكل منطقة ذات حجارة سوداء يقال لها وعر، أي لكثرة وعورة الطرق فيها، وكان إقطاعيون يحكمون المنطقة، فهرب كثير من

---

[16] سيرد شرحها بعد قليل من قبل المتحدث على لسان جده. كما أننا أشرنا في أحد الملاحق إلى أرض الجفتلك في مجرى الحديث عن أملاك الدولة.

الشباب ليلا وكان جدي معهم، وسكنوا في قرية شمال حمص يقال لها الزيبق. وكان هناك إقطاعي يدعى "كاخي"، كان كل إنسان يملك قوة رجال وقوة مال وله نفوذ في الدولة يقال له إقطاعي أو آغا أو بيك. اشترى جدنا الكبير قطعة أرض وبدأ يعمل بها مع أولاده الخمسة خضر- يوسف- صالح- محمد- ابراهيم. وكان لعباس أخ أكبر منه سكن منطقة العقير، ثم هربوا كذلك إلى منطقة يبرود، وهناك استوطنوا المنطقة. وإلى الآن يقال لهم بيت الكشكية. كانوا قديماً لا يسجلون أبناءهم في السجل المدني من أجل أن لا يأخذوهم إلى العسكرية أو السخرة. وكان من أساليب الإقطاعي، إذا أراد شيئاً ولم ينفذ، يهددهم بالفساد عليهم وعلى أولادهم لتسجيلهم في دفاتر النفوس.[17]

أحد الأساليب: أخذوا والدي إلى سفر برلك وإلى الآن لم يعد. وعندما صار سفر برلك، صاروا يلمّوا الحبوب والخيول والزلم من القرى ويرسلوها إلى المعركة وإلى السخرة.

كان ريحان آغا يأتي إلى مختار القرية (شيخ القرية) ويقول له: نريد أن تلم لنا ما في القرية من خيول، شباب، حبوب، مصاري. فإذا لم ينفذ مختار القرية، يأتي به إلى منتصف القرية ويجمع القرية نساءً وأطفالاً ورجالاً ويجعله يتمرغ على الأرض ويصب عليه الماء حتى يصير كله وحل. ولا يكتفي بذلك، ينتف من شعر شواربه شعرة شعرة وكذلك يوبخه إلى أن ينفذ.

إذا جاء شرطي (دركي) إلى القرية وكأنه جاء رئيس دولة، فيأتي إلى المختار ويأخذ من أتاوات وبراطيل وحبوب وليرات ذهب (عصملي).

العملات المتداولة قديماً:

- تركي/برغوث
- مجيدي/تشرك/ليرة ذهب/قرش
- يشلك (نحاس)
- تشرك برغوث (فضة)
- ليرة عصملي (ذهب) أو المجيدي

كان المختار يوزع حصته المقررة من الأتاوة أو الضرائب على أهل القرية وكانت الدولة تفرض كل سنة أتاوة أو خمس المحصول للدولة ولا يهم إذا كانت سنة قحط (محان) أو سنة خير، المهم أن تأخذ حبوب من المزارع.

---

[17] شرعت الدولة العثمانية في النصف الثاني من القرن العشرين بفتح دفاتر النفوس لتسجيل رعاياها، وكثير من هؤلاء لم يسجّل اسمه هربا من السوق إلى التجنيد أو تهربا من دفع الضريبة أو السوق إلى السخرة وسواها . وغير المسجّل في دفاتر النفوس يعتبر مكتوما

كان السلطان عبد الحميد قد أصدر قرار "فرمان" بأن من يسكن منطقة الجفتليك يُعفى من العسكرية ويتملك قطعة أرض بدون ثمن، لأن المنطقة كانت مليئة بالأعراب والبدو ولا يقدر عليهم أحد. فسارع الكثير ومنهم جدنا الأكبر إلى منطقة الجفتليك هرباً من ظلم كاخي أفندي، وحفظا على أولاده من أن يذهبوا إلى العسكرية أو السخرة، ورغبة في تملك قطعة أرض ملك له ولأولاده. فاستوطنوا المنطقة، رغم أن منطقة الجفتليك تقريباً تشبه الجو الصحراوي، صيفاً حارة، وشتاءً باردة، والأرض صخرية تماماً في معظم الأحيان، والأحيان الأخرى بيضاء تسمى الحوارة. وبعد تملكنا الأرض بدأت الدولة ترسل مندوبين عنها إلى القرى من أجل تحصيل قيمة الأرض.

اسمع هذه السالفة:

جاء مأمور الطابو إلى القرية ولا يعرفه أحد وقال لهم: أريد أن أشتري قطعة ارض منكم فكم يساوي الدونم أو الفدان، قال له أحدهم: يساوي مائة ليرة ذهب، فسجل عنده هذا الكلام واعتبره قانوناً، مع أنه لو سأل مختار القرية لقال له أنه لا يساوي خمسة ليرات، وقسطوا علينا المبلغ إلى سنة ميلادية.

سالفة أخرى في مناطق مجاورة:

أخذوا أكبر قرية في المنطقة (أبو حكفة) وأوسط قرية "مخيلة" وأصغر قرية "بلها" وقدروا سعر الفدان بـ 60 ليرة ذهب.

كانوا قديماً يستعملون القنطار لكيل الحب وهو 300 كيلوغرام ويستعملون الشنبل وكذلك المسوة وهي تسع وعشرين كيلو أو ثمانية عشر كيلو.

كان جداية الزراعة في نهاية الموسم، أي عندما ينتهون من لم الحب، فيبدؤون بالزرع ويزرعون الأرض، فيذهب الفلاح ومعه الصمد إلى الأرض، ويكون البذار بزرع الحب، فيأتي الفلاح بعده ويتم بهذه الحال مدة لا تقل عن شهرين بالفلاحة، وبعدها يجهزوا مونة الشتوية من المأكولات كالبرغل والطحين والكشك والشنكليش والدبس وكلها تقريباً من الإنتاج المحلي.

ثم كانوا يعيشون في بيوت من اللبن والحجارة تعمر بطريقة حديثة بحيث يكون الجدار سميك لسماكة متر تقريباً ليمنع البرد في الشتاء والحر في الصيف، لأنه لا يوجد مدافئ مازوت ولا غيره سوى مادة تجمع من روث الحيوانات يقال لها "جلة" تستعمل للطهي والتدفئة. وكانوا يعملون في زاوية من زوايا البيت مدخنة تستعمل للتدفئة، وكان يسقف البيت بالخشب والقصب ثم يرد عليه التراب، وبعدها يسيع بمادة ترابية مجبولة بمادة التبن حتى يتماسك مع بعضه البعض ويكون مادة عازلة للماء تقريباً. وهذا التسييع يكرر كل عام مرة في بداية الشتاء، ثم تحور الجدران من الداخل بمادة اسمها حوارة وهي مادة بيضاء تشبه الكلس ذات رائحة طيبة تجعل الغرفة بيضاء، و إذا رشت بالماء تعطي رائحة عطرة، وعندما ينتهون من هذه العمليات والأشغال يكون قد جاء موسم الحصاد،

وعادةً يبدأ الموسم من بداية شهر نيسان، ويستمر حوالي ثلاثة أشهر أو أربعة، وبعدها يرجدون الزرع ويدرسونه ثم يأتي التوزيع.

ويأتي مندوبان من الحكومة ويأخذان خمس المحصول.

تأتي الديّانة الذين يدينون بالفائدة في سنين المحل، ويأخذون حصتهم ويرسلون قسماً إلى الطاحون من أجل الطحين.

ويأتي الدرك الذين في المنطقة ويأخذون حصتهم. ولمختار القرية حصة. وللمونة حصة. ثم يحتفظوا بحصة لبذار الأرض. وفي المحصلة لا يجدون شيئاً من الحب غير التبن الذي يخزنونه طعاماً للدواب.

كان فاعل الحصاد بمجيدي وكان يشتغل من "الفجر إلى النجر" ومن "الطلعة إلى الغيبة". وكان إذا وصفوا عاملا يكون يفطر ترويقة ويتغدى يتعصرن على حساب المعزب أي صاحب الأرض، وإذا فاعل شغل امرأته لا تذهب امرأته إلى الحصاد إلا عند حلول الغداء لأنهم يظلون بالقرية من أجل تعبئة الماء، لأن القرية يوجد فيها جب ماء وعليه سقّا ومعه جمل يسحب عليه الماء وله وقت معين في رفع الماء من الجب وغالباً ما يكون للمختار أو للإنسان المتنفذ بالقرية أو المتعامل مع السلطة مثل الآغوات، وكانوا يدفعون له ما تنسيه الضريبة مقابل هذا العمل إما حب أو مال أو أي شيء آخر.

رحلت أهل القرية لمدة سنتين من القرية هربا من دفع خمس المحصول لأنه عندما تأتي سنة محال[18] تأتي الدولة فتأخذ حصتها، ولا يبقى شيء عند الفلاح. وعندما يأتي وقت زراعة الأرض يستلفون من عند الأغنياء والإقطاعي إن وجد، أو المرابي إلى السنة القادمة، وعندما تأتي السنة القادمة، فإذا كانت سنة خير، وفا الموسم بعضه، وإذا كانت سنة محان، كانت المصيبة عظيمة وزاد الطين بلة.

وعندما هربوا من القرية هجمت العربان على القرية ونهبتها، نهبت خشب السطح والقصب، وهدوا الحيطان من أجل أن لا يرجع عليها أحد. والذي أخذ معه من أصحاب البيوت شيئاً أو استطاع أن يرجع ويأخذ خشب بيته يكون أخو أخته.

كانت الأعراب تغير على المزروعات وتأكل الزرع، ولا يقدر أي مزارع أن يحكي معهم، وكل سنة على هذه الحال.

أصدرت الدولة فرمان إذا لم يرجع أهالي القرية إلى قريتهم ولم يزرعوا، ستسلم القرية إلى آخرين، فرجع أهل القرية غصبا عنهم وإلا ستؤخذ منهم الأراضي التي دفعوا ثمنها من عرق جبينهم.

---

[18] محان تعني سنة محل، أي سنة مجدبة قليلة الأمطار والمحاصيل محدودة فيها.

أنواع الحصاد:

- حصاد الكايل: من الساعة 5 صباحا إلى 5 مساء.
- حصاد النداوي: لا يحصدون إلا إذا كان فيه ندى ومن الساعة الثانية عشر ليلا تقريباً حتى الساعة التاسعة صباحا في أغلب الأحيان.
- عندما لا يوجد ندى يسمى قياس (أي الزرع يابس لا يحصد وإذا حُصد فإن السبل بتقرف، وكانوا يحصدون جلوسا (جلسة القرفصاء).
- الأمان: أن يأخذ الرجل خطين بجانب بعضهما.
- ثلاث خطوط: أي أن يأخذ ثلاثة خطوط أي أنه قبضاي وشغيل.
- خطاط: وغالباً ما تكون للأطفال من عمر 6 سنوات حتى 13.

آلات الحراثة القديمة: المحراث و يتكون من:

- العمد: قبضة خشبية تبلغ إلى زنار الرجل من أجل مسكها وقيادة العمد.
- الوصل: خشبة بطول 2 متر تصل بين نهاية القبضة والنير، يثبت برباط جلدي مصنوع من جلد الحيوان ويسمى الشرع.
- النير: خشبة تصل بين الدابتين على الرقبة بحيث تكون المسافة متساوية وتكون خشبة الوصل بمنتصف النير.
- السكة: وهي من الفولاذ تكون بمثابة مثلث حاد الزاوية من الأمام وتركب عليها في النهاية أي نهاية القبضة والخشبة الواصلة بين القبضة والنير.
- المساس: خشبة بطول المتر لتنظيف السكة من الأتربة التي تعلق عليها من الفلاحة.
- حبل طويل: يصل إلى الدابتين لتوجيههما يمينا أو يساراً.

آلات وأدوات الرجاد:

- كانوا يرجدون على الجمال (البعران، ج بعير). يكون على ظهر الجمل شبكة وحواجة ويمدون الشبكة إلى الأرض يميناً ويساراً ويوضع المحصول على الشبكة بشكل كداديس أو أغمار (ج غمر) فوق بعضهم البعض يمنة ويسرة، ثم يلمون الشبكة ويحزمونها على البعير ويأخذونها إلى مكان نظيف يسمى بيدر.
- كان الرجل الذي يأتي مع الجمل يسمى (الراجود).

- العرباة: عبارة عن صندوق خشبي مستطيل الشكل وله أربع عجلات وميزان خشبي وعريش يوضع في وسطه يجرها حيوانان بغال أو أحصنة أو حمير، والعجلات محاطة بطوق من الحديد لحماية الخشب من التآكل والتفكك.
- الميزان: عبارة عن خشبة طولها مترين في طرفيها كفتان وهما خشبتان بطول 80 سم ومهمة الميزان شد العربة بواسطة الدواب حيث يعلق بكل كفة جنزير ومن الطرف الثاني يعلق هذان الجنزيران في كدانة توضع في رقبة الحيوان.

آلات الدِراسْ:

- الحيلين (الحيلان): عبارة عن خشبتين تسمى سلالات وبينهما محورين من الخشب مركب عليها صاجات لها ضروس ومسننات مستديرة من الفولاذ لطحن الحنطة والشعير بواسطة الحيوان وإذا لا يوجد تشد بواسطة الإنسان.
- المرج: عبارة عن خشبة مسطحة بطول 1.5 سم إلى 2 متر بعرض متر واحد تسحب خلف الحيلين مباشرة أو بواسطة حيوان وفي أسفلها فجوات توضع فيها حجارة صغيرة من أجل تنعيم العداس.
- الشحير: عبارة عن أربع خشبات كل اثنتين موصلتين مع بعضهما وبينهما مسافة لا تقل عن مترين وتوضع عليهم من الأعلى عارضة تصل بينهما وتصف على العارضة إلى الأرض أعواد بحيث تشكل ساتر من الهواء حتى لا يصل إلى التبن فيطير.
- الميداة: عبارة عن خشبة رفيعة في نهايتها كف يشبه الأصابع من الحديد أو الخشب، تستخدم لتحريك الزرع.
- الغربال: إطار مستدير الشكل وفي وسطه خيوط رفيعة من جلد الحيوان يستخدم لتنظيف الحبوب من البحص كما يوجد الصانون/المسرد بنفس المواصفات ولكن بفتحات أوسع حسب حجم البحص.
- المغمارة: عبارة عن قطعتين من الخشب موصولات بشكل زاوية لجدل الزرع وتشكيل غمار جاهزة للتحميل "رجاد".
- الشبالة: أكبر من المغمارة مخصصة لتحميل غمار الزرع إلى العربة.

اسمع هذه السالفة التي حصلت معي:

كنا نفلح أنا وأخي الأكبر مني في الأرض وفي منتصف الليل تقريباً. وكان أخي الكبير عمره 10 سنوات وعمري ثمانية سنوات. وعندما كنا نفلح سمعنا صوت عنين مثل عنين الجمل، فلم نعبأ لهذا الصوت وفكّرنا أن هذا الصوت صوت جني حسب ما يُحكى لنا من العجائز، وأن السكة المصنوعة من الفولاذ تكون رسن الجنّي. وبعد قليل عندما ذهب أخي الكبير إلى آخر السهم خفت من هذا الصوت، فلم أجد ملجأ غير شوال الحب،

فدخلت في شوال الحب من الخوف فظل الصوت أسمعه! بالمناسبة الضبع يظل حواليك حتى يعرف الصوت، هل هو صوت ذكر أم أنثى، وإذا أردت أن تطرده اشعل النار أو سيجارة أو لا تحكي أبدا، وعندما بدأ يطلع الضوء انسحب الضبع ونحن نفكره جنّي. وبعد ذلك عندما شاهدنا ضبع بالنهار، وسمعنا صوته تذكرنا هذه الحادثة.

كانت المنطقة مليئة بقطّاع الطرق فمن يمشي ويسافر ليلا يكون أخو أخته ![19]

كانت المنطقة أيضا مليئة بالوحوش وكان يوجد مغر (ج مغارة) أو مضبعة يلجأ إليها الوحوش. كانوا يسافرون ليلا ويكون سفرهم جماعي أي كل خمس زلم أو ست زلم يسافرون مع بعضهم البعض.

كان السفر مشياً على الأقدام من القرية إلى المدينة، وعندما تكون المسافة حوالي 40 أو 50 كم فهذا حتما سيسافر ليلاً، وإذا لم يوجد أحد يسافر معه فيضطر إلى السفر لوحده.

اسمع هذه السالفة:

عند الظهر جهزت لي والدتي أربع علب لبن لأخذهم إلى المدينة، وعند الساعة التاسعة ليلاً لم أجد رفيقا إلى حمص فاضطررت إلى السفر وحدي إلى المدينة مشياً على الأقدام. بدأ السفر ليلاً وكان هناك أمامي خربتان[20] ويوجد فيها ثعالب وضباع. فتوكلت على الله ومشيت. فلما اقتربت من الخربة الأولى جَفِلَتْ الحمارة لأنها شاهدت ضباع وثعالب، الحمار يجفل من الوحوش، فخافت الوحوش ومشت باتجاه الخربة، ولم أخف لأني في مرحلة الوَلْدَنة، فدخلت إلى باب الخربة وجمعت قليل من الحشيش لتأكل الحمارة، فسمعت صوت ضبع فخفت وتابعت سيري! غرّبت باتجاه الخربة الثانية فشاهدت زدل ضبع وكان قلبي مقطوع من الخربة الأولى، فلا أدري ماذا أفعل، فلم أجد غير الحجارة، وصرت أضع في خرجي الحجارة، والزدل يسير معي ولكن على مسافة مني. وفي هذه الأثناء بدأ النهار يطلع فاختفى الضبع، ولم أصل إلى المدينة إلا وشعر رأسي بدأ بالوقوف دليلا على الخوف. والسير في الليل ضروري فيجب أن يكون بائع اللبن أو الحليب عند شروق الشمس في المدينة حيث تتواجد التجارة في هذا الوقت، وإلا سترجع إلى حيث أتيت ومعك اللبن والحليب ولا تبيع شيئاً، فهذا الذي يجبر الإنسان على السفر ليلاً.

كان هناك عملية تربيع، أي أن إنسان عنده طرش يذهب بهم في الربيع إلى منطقة الوعر حيث ينبت حشيش الربيع وهو علف جيد للأغنام، ويتركهم عند جماعة لرعيهم مقابل أجرة معينة، مدة شهر أو شهرين حسب وجود المرعى.

---

[19] تعني هنا شجاعا كأخته. وفي الأرياف كثيرا ما يتفاخرون بشجاعة الأخت. وفي بلدتنا دير عطية كان يُطلق على الشجاع: "أخو شمّة". وشمّة اسم امرأة كانت مشهورة بقوتها وجرأتها.

[20] مفردها خربة والجمع أخربة وخِرب . وهي مكان فيه أحجار كثيرة أصلها جدران من الحجر تهدمت بفعل الطبيعة. والخِرب عكس العمار.

كان التعليم عند الخطيب أي الشيخ، يعلمهم أصول القراءة وتحفيظ القرآن الكريم مقابل معيشته.

في أثناء حكم الرئيس جمال عبد الناصر جاءت سنين قحط، فأخذ الناس في القرية بالذهاب إلى لبنان للعمل هناك، وإلى المدينة ويشتغلون عتالة بالكريك وحفر بالقظمة وخدم بالبيوت للنساء. فشعر الفلاح بالفرق بين الفلاحة والعمل في المدينة. وخلال الذهاب إلى بيروت يرجع الإنسان ومعه مبلغ قليل. فشعر بالفرق وبدأ أكثر الشباب و الختيارية بالذهاب إلى المدينة وفي المدينة كانوا يستأجرون غرفا ويأتي بأكثر عدد من أهله بحيث يعمل وشعروا بالفرق كذلك وبدأوا يشترون أراضي زراعية يعمرون فيها غرفة...غرفة إلى أن بدأوا يتناسون القرية.

خذ مثال أولادي: الابن الأوسط تطوع بالشرطة و ذهب إلى الرقة. الابن الأصغر توظف في المدينة و سكن فيها. الابن الأكبر ظل في القرية ولكنه لا يعتمد على الزراعة وإنما على التجارة، تجارة الدواب والغنم.

10- عامل في شركة الكهرباء ولقطات من أوضاع حماة

مُجري اللقاء الدارس: اسماعيل الشّعار.

المتحدث: ياسين قنطقجي من مواليد 1923 حماة. وتاريخ اللقاء في 17-4-1986.

الجد: جزماتي "صانع أحذية" وتوفي صانع أحذية. وعندما سأله الدارس عن عمره أجاب: "سبحان العليم".

عدد أولاده:

- ابراهيم، جزماتي وتوفيَ جزماتي.
- عبد الله، في بادئ الأمر جزماتي، ومن ثم صار جبّان عند العرب.[21]
- محمد خير قنطقجي (وهو والد المتحدث) تولد 1872، توفيَ وعمره 96 سنة. في بادئ الأمر عمل مثل ابراهيم وعبدالله "جزماتي"، وبعدها مُتَعَيِّش، ومن ثمّ عمل بالجبن "جبّان". شكل "نقابة عمال الجبن" بحماة 1942 وكان رئيسا لها، واستلم رئيس اتحاد عمال حماة "المهني" لمدة تسع سنوات.

أولاد أب المتحدث ياسين:

- محمد سعيد، جبّان ثم حلّاق.
- إبراهيم، جبّان ثم نجار موبيليا ولم يزل.

---

[21] المقصود بالعرب البدو من رعاة الأغنام أو الجمال.

- عبد الجبار، سياسي، بدأ معلماً بمدرسة العشائر[22] بالمعرة، ثم عُيّن مديراً للتموين، وبعدها رئيس مكتب الحبوب، ثم محافظاً لإدلب، ثم مدير عام السكك الحديدية، ثم محافظاً لطرطوس، ثم أميناً لفرع حماة، وحالياً نائب وزير الإدارة المحلية.
- ياسين قنطقجي (وهو المتحدث).

س: ما هي الحرف التي عملت بها منذ الطفولة وحتى هذا التاريخ؟[23]

ج: "أول عمل قمت به كنت طفلا وعمري 10 سنوات، كنت دبّاح سلور".[24]

س: أين؟

ج: "بالغاب".

س: عند مين؟

ج: "عند الكول".

س: مين الكول؟ شو يعني؟

ج: الملتزم.

س: ما فهمت!؟

ج: يعني الضمّين للغاب بكامله، وهي شركة بذاك الوقت ضمنوا بـ 3 ملايين ل.س وكانوا من جميع المحافظات".

س: وبعدها؟

ج: "عَمِلتُ أجيراً بالأحذية عام 1944، ثمّ فتحت دكاناً كمعلم لمدة سنة. وبعدها عملت جبّان مع أخوتي بالربيع والشتاء وبالصيف أعمل بالأحذية".

س: ماذا كان أجْرُك عندما كنت أجير أحذية؟

ج: "فرنكين باليوم، ووقت كنت معلم لا أعرف المربح والرأسمال، كنت أصرف".

---

[22] مدارس من أواخر العهد العثماني تهتم بتعليم أبناء البدو من العشائر.

[23] هنا استخدم الدارس أسئلة الاستمارة، ودوّن أجوبة المتحدث.

[24] السلّور هو السمك المعروف في مستنقع الغاب وكانت الدولة منذ أيام العثمانيين تطرحه تلزيما في المزاد.

س: ماذا كان أجرك عندما عملت جبّان؟

ج: "ولا أي شيء ببلاش. كنت باكل وبشرب من (أو على حساب) إخوتي. و بشهر ستة عام 1946 دخلت شركة الكهرباء".

س: متى دخلت الكهرباء إلى حماة؟

ج: "عام 1936 كانت شركة فرنسية مساهمة من الأهالي 40 % ومن الفرنسيين 60 %. قامت بمشروع انتهى عام 1939 لحمص و حماة. ودخلت عامل واستمريت عامل 3 سنوات".

س: ماذا كان أجرك؟

ج: "باليوم 3 ورقات وربع. بالشهر 97.50. وبعدها استلمت رئيس ورشة وكان أجري 120 ل.س لمدة 6 أعوام. وبعدها رئيس ورشات باللغة الفرنسية يعني "chef control" وأجري 180 ل.س، وبعدها رئيس أعمال وكان أجري 350 ل.س".

س: ماذا كان أجر الفاعل الحر؟

ج: "أجره 3 فرنكات. ونحن كنا محسودين لأنه كنا موظفين، وبعدها استلمت مساعد فني، واستلمت رئيس محطة معمل حديد حماة ومعمل اسمنت ولم أزل".

س: كيف كانت العلاقة بين العمال ورب العمل؟

ج: "زفت. مرة ذهبت لدار المعلم عبد الكافي المبيض متفرسن[25] وهو حمصي ساكن بحماة، عنده بنت اسمها رجاء. قلت لها: يا رجاء ارضي علينا وقولي لوالدك بركي يعطينا شي فرنك زيادة باليوم. ثاني يوم كان غضبان وخصم علينا كل يوم 25 ق.س، أي ربع ليرة، وصار أجرنا الشهري 90 ل.س".

س: لماذا؟

ج: "فقط لأني طالبت بزيادة أجر لي ولرفاقي، وكنا 5 عمال فقط".

س: ما هو عدد عمال المؤسسة كلها بحماة وقتذاك ؟

ج: "كنا 17 بمعلمها ومحاسبها والجابي والمؤشر والكشّيف. وأضيف إلى ذلك يا ابني بأن العلاقة كانت صعبة".

س: الأسباب ؟

[25] الأصح متفرنس، أي يحمل الثقافة الفرنسي، أو سائرا في ركاب الحكام الفرنسيين.

ج: "ممنوع شرب السيكارة. إذا رجل العامل انقطعت (أصيبت) كان يقطع عنه أجرة كل يوم عطلة ذلك العامل، وكان عدد ساعات العمل 12 ساعة، وكان الشغل رص، جد[26]، كنا نشحط العدة بعربة حديد ولساعات طويلة تبلغ ما بين حماة والرستن".

س: كنتم رضين؟

ج: "آه، كنا لا نقدر نحكي لأنه المحترم عبد الكافي بيطردنا".

س: كيف كانت العلاقة بين العمال أنفسهم؟

ج: "أحسن من الآن بكتير، كنا نحب بعضنا، يلّي يتجوز نتبرع له، ويلي يضيع راتبه نلملم له غيره، ويلي يذهب عسكري نلم له إعانة".

س: متى تأممت الشركة ؟

ج: "كانت شركة واحدة لحمص وحماة، أممتها بلدية حمص وحماة وأصبحت مؤسسة عام 1951. هنا رجعت الأجرة 12 راتب لمدة 12 شهر والراتبين الزيادة اللي كنا نقبضهم قبل التأميم نسخوهم علينا، لأننا كنا نقبض 14 راتب عن 12 شهر من الأول للسادس سبع رواتب ومن السادس لل 12 سبع رواتب، يعني كل خمسة أشهر والسادس راتبين. وقبلها كان أجرنا كل 15 يوم. هذا الكلام من الـ 1946 و1947 و1948 الخ... وبعام 1953 أصبحنا نقبض كل شهر بشهره. وعندما استلم حافظ الأسد اشتكينا له وأصدر فرمان وأعطونا فيه مردود فعلي عن المدة السابقة تعويض، وقسموا راتبي الزيادة السابقات على السنة كلها وحصلنا على حقنا الذي ضاع".

س: هل حاولتم في البداية تشكيل نقابة؟

ج: "حاولنا مرة. قلت لوالدي محمد خير، وكان رئيس اتحاد، بدنا نشكل نقابة لعمال الكهرباء بحماة وخلال 24 ساعة".

س: الوقت قصير!؟

ج: "إذا علم عبد الكافي بيطردنا. جمعت الهويات، وتمت الموافقة من اتحاد عمال دمشق على تشكيل النقابة وكان (طه بالي) رئيسا للنقابة، وأنا عضو فيها. واستلم بعد طه (محي الدين النجار) لمدة سنتين وبعده (محمد البخاري) لمدة 3 سنوات. لكن أمين السر وعدنان الحبال تقاتلوا مع المسؤولين بالشركة لحل النقابة

[26] الشغل رصْ من مرصوص أي متلاحق دون توقف أو استراحة.

لكن أنا دريت، حملت دَرِبْ طريقي وذهبت إلى المخفر وقلت للشرطة: بده يصير محذور، بدي أقتل 3 أو 4 وموّتهم!".

س: الشرطي سأله: لماذا؟

ج: "قال له: لأننا عملنا نقابة وبدهم يحلوها". قال لي (الضمير يعود إلى الدارس): "ما طلعت من المخفر حتى أخذْتُ الشرطة معي. أجبروا المشرفين والمسؤولين عن الكهرباء للرجوع إلى حمص ومنعوهم من حل النقابة وما حدا يسترجي أي شخص يحلها".

س: أتمنى أن تكلمني لحظات عن والدك محمد خير طالما كان رئيس اتحاد. وماذا تتذكر؟

ج: "كان يمر بسوق الطويل ويشتري كيلو خبز. كان الخبز أرغفته بتنباع بالعدد. كل خمسة أرغفة كيلو، يزين الكيلو يطلع 5 أرغفة و نصف، يخالف المخبز وأحيانا يسكره، ويقول: حرام الشعب بده يعيش. وكان يمنع الجبّانة، باعتبار أنه كان رئيسهم، من الخروج للبرية لصنع الجبن حتى الشعب يشبع (القشطة واللبن والحليب). ومرة بيوم من الأيام سرحوا عاملين لأنهم بيحكوا باسم النقابة وهم من الكهرباء. طلبنا من الاتحاد يرجّعهم وعندما والدي محمد خير عجز، ذهب للمحافظ وقال له: هذه الدفاتر وهذه المفاتيح، وغداً في إضراب بحماة لست مسؤولاً عنه. سأله المحافظ لماذا؟ أجابه: سرّحوا عاملين من عمال الكهرباء. عندها اتصل المحافظ بعبد الكافي مبيض رئيس الأعمال وقال له: بَدّكْ ترجّع العاملين بالصرماية[27] ومعك ساعتين وإلاّ بلقي عليك القبض وبحطك بالسجن، وفعلا عبد الكافي رجّعهم".

س: بعد والدك محمد خير، من استلم الاتحاد؟

ج: "صلاح زنزول، واختلس 40 الف ليرة. وبعده أمين كردوس، واختلس 25 ألف. وبعده محمد مراد آغا واختلس 35 الف ليرة".[28]

س: كنتم تتعطلوا عن العمل طالما العلاقة صعبة بينكم وبين صاحب العمل؟ "مرة أوقفونا عن العمل عام 1948. قالوا شغل ما عنّا، بتريدوا تاخدوا تعويض عن كل سنة راتب شهر وبتتسرحوا؟ طبعاً رفضنا وقسمونا مجموعتين نشتغل 15 يوم ونعطل 15 يوم".

س: كم هو عدد البيوت المنارة بالكهرباء عندما تأسست الشركة؟

---

[27] الصرماية الخفْ المنعّلْ , وهي الحذاء. وكثيراً ما استخدمت النساء الصرماية اثناء شجارهنّ. وتعني هنا: رغماً عنك، وإلا استخدمت معك القوة، وأضعفها ضربك بالصرماية.

[28] ولكننا نميل إلى تصديقها مع الأخذ بعين الاعتبار أنّ المبالغ مبالغ بها هذه الاختلاسات من رؤساء نقابات عمال حماة، لا نعلم مدى صحتها؟ والأمر بحاجة إلى دراسة لا نملكها.

ج: "كان بحماة 14 ساعة trevaze [29] لأصحاب الطواحين والحدادين وطورنجي واحد،[30] وعدد البيوت المنارة بالعدادات العادية (110 فولت) 1100 عداد و 3 خزانات، 1 رئيسي و 2 فرعيات".

س: حالياً، كم هو عدد عمال المؤسسة بحماة وعدد البيوت المنارة والخزانات؟

ج: "2800 عامل وموظف، ويوجد عندنا 280 خزان وعدد البيوت المنارة كتير كتير، ونسيانها، بتذكر وأقول لك بعد ما أحصيها".

س: تعلمت بالمدرسة ؟

ج: لا.

س: السبب ؟

ج: "لأن أذني كان فيها آ آه".

س: شو؟

ج: "يا ابني يا أبو نايف، شو ما عم تفهم علّي؟ كانت عم تجري (كلمة غير مقرؤة)، وكان المعلم طمّاع، ووالدي كان فراري مهزوم من العسكرية، كان رديف كولنجي؛ radif colongi. أولاد الأغنياء ياخذوا له تين عنب بطه بيض، أما أنا ماذا آخد له؟ والدي مهزوم، وبالحال لا يوجد شي، طردني".

س: كيف كان المهر مثلما تذكر؟

ج: "أنا تزوجت أغلى واحد بين أخوتي بـ 3 آلاف ليرة، ومثلها أخدنا أختها بألف ليرة، وقبلها كان النقد بالقرش التركي، وأغلى نقد 500 ق.تركي، وكان كله من ألبسة وفرش وزينة، وكان من أصله المؤخر وبمثابة الثلث بالنسبة للمقدم يعني إذا كان 3000 المهر 2000 مقدم و1000 مؤخر".

س: أولاد من كانوا يتعلموا بالمدارس؟

ج: "أولاد البيك والإقطاعيين".

س: من هم كانوا بحماة؟

---

[29] يقصد عداد التيار الكهربائي ثلاثي الطور (Three-phase electric power). (من وضع ح ح).

[30] طورنجي: من الفرنسية tournage أي مهنة خراطة الحديد. (من وضع ح ح).

ج: أولاد فريد بك، أولاد نجيب آغا، وأولاد البرازي، والعلواني، وأولادهم يطلعوا بشهادات ويدرسوهم بالخارج. كان المكنّس بالشوارع ما بيطلع عنده دكتور والآذن ما بيطلع عنده مهندس، وكان الشعّار ما بيطلع ابنه معلم، كان الإقطاعيون آكلين البيضة وقشرتها. والحمد الله الآن الله فرجها على الجميع يا ابني اسماعيل".

س: متى تزفّت أول طريق بحماة؟

ج: "كان عمري 7 سنوات وكان الطريق الجديد فقط للبلدية وكانت الطرقات آنذاك بلاط أزرق حجر مرصوف. وعام 1947 نشطت حركة الزفت وزفّتوا عدة شوارع وكل مالها تطورت".

س: ماء الشرب، هل كانت متوفرة ؟

ج: كنا نشرب من العاصي، لكن بعام 1948 ألغوا السواقي ومددوا مياه الفيجة، وكانت إجباري، وخصوصاً كانوا ما يطوّبوا الأرض (البيت) حتى يشتري صاحب الأرض فيجة من البلدية".

11- موضوع اجتماعي اقتصادي عن حي النزهة بمدينة حمص

تقديم الدارس: ناصر علي محمد من سكان مدينة حمص، حي النزهة.

"الشركة العامة لمشاريع المياه بحمص".

كُتب بتاريخ 18- 2- 1988.[31]

هذا الحي هو من الأحياء الشعبية الحديثة في مدينة حمص. فمنذ حوالي أربعين عام بدأ العمار في هذا الحي، والذين بدأوا العمار فيه هم الفلاحون المهاجرون من الريف إلى المدينة، فهو كان عبارة عن أرض زراعية. فالفلاح عندما يصل إلى المدينة لا يستطيع أن يسكن في وسط المدينة أو أحياء المدينة الأصلية لعدة أسباب:

السبب الأول: أهل المدينة الأصليون لا يريدون أن يُسَكّنوا الفلاحين معهم لأنهم فلاحون، والفلاح في نظرهم إنسان أقل منهم، فهم يعتارون من الفلاح، والفلاح عانى كثيراً من أبناء المدينة في ذلك الحين.

---

[31] تركنا العنوان كما كتبه الدارس. وبقيت لغته كما هي. وهذا الموضوع هام لمن يدرس الأحداث الجارية منذ آذار 2011 وتتبع خلفياتها الاجتماعية. والتحركات الشعبية، التي يسميها بعضهم " ثورة " اندلعت في آذار 2011 من درعا مطالبة بالحرية والكرامة، وسرعان ما عمّت معظم انحاء البلاد. هذه التحركات الشعبية لها خلفيات طبقية غُيّبت وحلّ محلها صراع مذهبي مع انزلاق التحركات نحو العسكرة واصطراع "الدولار النفطي الخليجي الإيراني" على الأرض السورية.

وحيُّ النزهة من الأحياء العلوية في حمص التي دخل أهله في مواجهات مع الأحياء الحمصية السنية. ونحن نأسف لاضطرارنا إلى هذا التوضيح الأعرج، الذي أصبح في هذه السنين العجاف هو المهيمن.

فعلى سبيل المثال روى لي أحدهم هذه القصة القصيرة التي حصلت معه بالذات فقال لي: " ي أحد الأيام، وبالضبط في سنة 1928، كنت ذاهب إلى السوق لكي أشتري بعض الحاجات للمنزل، وكنت أرتدي لباسنا المعروف، عكال وحطة وشروال، وأنا ماشي بالسوق وإذا بشاب من وراء ظهري يشد عن رأسي الحطة والعكال، والتجار يضحكون على هذا المشهد، وأنا لا أستطيع أن أفعل شيئا إطلاقاً خوفاً من أن أُضرَب.

لذلك كان الفلاح عندما يأتي إلى المدينة، يسكن في أطراف المدينة مع بقية الفلاحين الذين سبقوه. وكان حي النزهة في أطراف المدينة. وبدأ الفلاح المهاجر من الريف عندما يصل إلى حمص يتجه مباشرة ليسأل عن مسكن للإيجار في هذا الحي. وعرف هذا الحي آنذاك بحي الفلاحين، هذا اللقب أطلقه أهل مدينة حمص. وبدأ الحي يمتلئ بالسكان المهاجرين حتى أصبح حياً كبيراً ومزدحماً بالسكان.

وهنا نعود إلى الفلاح الذي ترك قريته وأرضه وعائلته وجاء إلى المدينة من الظلم والجوع، فظلم الإقطاعي الذي كان يستغله ويحرمه من أبسط حقوقه، جاء إلى المدينة على أمل أن يجد لقمة العيش ويتخلص من ظلم الإقطاعي والجوع والقحط الذي عانى منه كثيراً.

ولكن الفلاحين صدموا عندما وصلوا إلى المدينة، فهي مزدحمة بالسكان ومليئة بالإقطاعيين! فالقرية يوجد فيها إقطاعي واحد، بينما المدينة فيها عدد كبير من الإقطاعيين. ومدينة حمص في ذلك الحين كانت ملك لبعض العائلات المعروفة مثل عائلة الأتاسي، السباعي، الرفاعي، مردم بك الخ... وراح الفلاح يعاني من مشكلة السكن في البداية ومشكلة العمل، فالفلاح ماذا بإمكانه أن يعمل، فهو يفهم في الأرض ولكنه لا يفهم في المعامل. فبدأ يعمل عامل حفريات عادي، ثم عامل مهني، والبعض منهم دخل الشركات والمعامل من خلال أصدقائه. كل هذه الأمور اصطدم فيها الفلاح القادم من القرية في البداية. ومن ثم بدأ يعاني من مشكلة أخرى غير السكن والعمل، بدأ يعاني مشكلة الحياة مع جيرانه داخل الحي الذي يسكنه، فهم كلهم فلاحون ولكنهم مختلفون بالعادات والتقاليد.

فالفلاح الشرقي له عاداته وتقاليده والفلاح الغربي كذلك، وكذلك فلاحو الشمال والجنوب. وهذه الاختلافات أثرت في البداية بشكل كبير وملحوظ، وكان أكثر المعانين من هذه العادات والتقاليد هم الأبناء من ذكور وإناث، فمثلا ابن الفلاح الشرقي لا يأخذ بنت الفلاح الغربي، والفلاح الشرقي لا يمكن أن يعطي بنته لابن الفلاح الغربي، والفلاح الشرقي متعصب لشرقيته بشكل كبير، والفلاح الغربي لا يعطي بنته إلى الشرقيين بحجة أنهم صعبين لا يحترمون المرأة، وهم يعتبرونها مثل الخادمة الخ... وهذه الخلافات جعلت الأبناء يعيشون مشكلة كبيرة، فهم يسكنون في حي واحد ضمن مدينة وليس قرية. وهنا بدأت المشكلة تكبر بينهم وحصل شبه انقسام في الحي، فالشرقيون بدأوا يتجمعون في مكان معين من الحي والغربيون في مكان آخر من الحي.

ولكن معاملة أهل المدينة للفلاح الشرقي والغربي بشكل سيء، ومعاناتهم، ووعي الأبناء، والغربة، وعدة عوامل أخرى، جعلتهم ينسون الأمور التي اختلفوا عليها، ويتجمعون ويساعدون بعضهم البعض، وهكذا بدأت المعاملة الإيجابية فيما بينهم. واستمرت هجرة الفلاحين من قراهم إلى المدينة وإلى هذا الحي بالذات، إلا أنه في الفترة الأخيرة بدأت هجرة شباب الفلاحين إلى المدينة وتطوعهم بالقوات المسلحة، وشيئاً فشيئاً بدأ هذا الحي يمتلئ بالفلاحين العسكر المتطوعين في الجيش من ضباط وصف ضباط وأفراد، حتى تميز هذا الحي بميزة خاصة، ألا وهي أن سكانه أكثرهم "عسكر". فالفلاحون المهاجرون من زمن بعيد يعملون عمال فنيين وعاديين في الشركات والقطاعات العامة وقليل منهم في القطاعات الخاصة والمهن الحرة.

أما أبناء هؤلاء الفلاحين فأكثرهم عسكر، والباقي منهم تعلموا وتعينوا في الجهات العامة والخاصة. وبدأ هذا الحي بالازدهار والنمو بعد السبعينات حتى أصبح في الوقت الحاضر أجمل الأحياء الشعبية المتقدمة بمدينة حمص، فهو مليء بالأطباء والمهندسين والجامعيين والفكر العلمي الهادف. وتميز هذا الحي بتطور المرأة، فالمرأة فيه تعمل وتتعلم وتقف إلى جانب الرجل بكل ما تستطيع، بينما في الأحياء الأخرى المرأة غير متعلمة وغير متحررة ولا يمكن ان تتعلم أكثر من الابتدائية.

ويبقى أن نذكر بأن هناك في الوقت الحاضر مشكلة يعاني منها أبناء هذا الحي الشعبي، ألا وهي الغلاء الفاحش. فهم أكثرهم يتقاضون رواتبهم من الدولة، وهذا يعني أنهم أصحاب دخل محدود، وهذا الدخل أقل من حاجتهم، لذلك فهم يعانون من هذه المشكلة، وبدأوا يفكرون بالعودة إلى القرية لأن القرية أقل كلفة وأوفر من المدينة، ويستطيع الإنسان أن يعمل في الجهة العامة وأن يعمل في أرضه في آن واحد، وهذا يجعله يحسن من وضعه الاجتماعي.

والعودة إلى القرية فكرة إيجابية مائة بالمائة لأن فائدتها تعود إلى الفلاح والدولة، فالأرض التي أهملها الفلاح كل هذه السنين الطويلة سوف تعود لتعطي من جديد، وهذه الفكرة الصحيحة الإيجابية لقت كل تأييد من كل الشباب المتعلمين الذين يقدرون عطاء الأرض للمواطن والوطن، ولقد بدأ عدد لابأس به بتنفيذ فكرة العودة.

وهنا أعود لكي أذكر بأن هذا الحي الشعبي الضخم بحاجة إلى بعض المرافق العامة الضرورية للحياة. فمثلاً حي كبير يبلغ عدد سكانه حوالي 500.000 أي (خمس مائة ألف) نسمة، يعني نصف مليون، ولا يوجد فيه حديقة للأطفال أو ملعب يلعب به الطفل بدلاً من الشارع، أو مجمعات حكومية، أو صالات بيع مثلاً، أو مؤسسات استهلاكية. هذا الأمر ضروري ويجب أن يؤخذ بعين الاعتبار لكي يزدهر ويلبي حاجات المواطن بشكل كامل ومريح.

12- الميدان بين الماضي والحاضر

تحت هذا العنوان كتب الدارس صلاح الدين نوناتي (من مواليد الميدان 1959، وهو عامل في المؤسسة العامة الاستهلاكية / الإدارة العامة / محاسبة. والده من مواليد 1926 موظف متقاعد) ما سمعه في مضافة الشيخ محمد الأشمر، ننقله كما كتبه:

يعتبر حي الميدان بمدينة دمشق من أقدم أحياء العاصمة، ويعتز سكانه الأصليون الذين ولدوا ونشأوا به بأنهم ميادنة. اعتزازهم هذا ينبع من عقيدة ترسخت بنفوسهم وتوارثوها بالفطرة عن آبائهم وأجدادهم، وسبب هذا الاعتزاز هو عقيدتهم الراسخة بأن لأهالي حي الميدان "المجاهد" دور كبير وشأن عظيم بحصول سوريا على استقلالها عندما كانت ترزح تحت وطأة الفرنسيين. فهم الثوار، وهم من ساعد الثوار وقدم لهم السلاح والمال، ومنهم خرج المجاهد الشيخ محمد الأشمر.

من خلال جلساتي مع أناس متقدمين بالعمر أو الجلوس بالمضافة وسماعي لقصص الماضي الغابر، خرجت بهذا الموضوع الذي اعتمدت فيه على هذه الأحاديث العامة والتي ليست محصورة بشخص معين. يعتبر حي الميدان من الناحية الجغرافية من أقرب الأحياء إلى حوران، وكان لهذا التقارب دوراً اقتصادياً كبيراً، فتطورت علاقات العمل والعلاقات الإنتاجية بين أهالي حوران الفقراء (الفلاحين) وبين بعض زعماء الحي (الإقطاعيين) الذين يملكون ثروة جيدة.

حوران، كما هو معروف، تعتبر مصدر لمادة الحبوب في أيام الموسم الجيد. لذا نرى حي الميدان هو المستثمر والموزع لهذه المادة.

ومن خلال الأحاديث المتوارثة عن الآباء والأجداد، أنه أيام الاحتلال الفرنسي وقبله كانت بعض العائلات الغنية صاحبة النفوذ بالميدان تملك أراضي شاسعة المساحة في حوران. هذه الفئة الإقطاعية تقطن بالمدينة، وتستخدم الفلاحين لزراعة هذه الأراضي مقابل جزء من المحصول يسد رمق عيشهم. وكانت فئة ثانية لا تملك الأراضي ولكنها تملك المال والثروة، وكانت هذه الفئة البرجوازية تعتمد على المالكين الصغار، الذين يملكون أراض صغيرة، ولكنهم لا يملكون المال، ويتم الاتفاق بينهم على أن يكون البرجوازي الميداني هو الممول للزراعة، وأما الفلاح الحوراني الفقير المالك للأرض هو العامل مقابل أن يتم بيع المحصول للبرجوازي الميداني، بعد أن يسد المبلغ الذي اقترضه من البرجوازي. إن كان الموسم خيراً ووفيراً، اشترى البرجوازي الميداني (الممول) المحصول كله وبالسعر الذي يحدده هو، لأن أهالي الميدان يعتبرون أنفسهم من أصحاب التقى والورع وإنهم لم يتعاملوا بالربا والفائدة على المبالغ التي يقرضونها للمزارعين. لكن بطريقة تحديد سعر المحصول بالسعر الذي يريدونه يحصلون على أرباح خيالية. وإذا كان الموسم سيئاً ولا يستطيع الفلاح الحوراني الوفاء بالدين، فإنه يعمد إلى تكرار عملية الدين والاقتراض مرة ثانية وثالثة، إلى أن تثقل كاهله الديون، فما يصبح باليد حيلة الوفاء تحت ضغط مطالبة البرجوازي

الميداني الممول إلا بسداد الديون. عند ذلك يضطر لبيعة الأرض التي يعمل بها. فينتقل بدوره إلى فلاح (مسخر) سيئ فقَدَ أرضه، وبالتالي يزداد نفوذ الممول الميداني وينضم لفئة الإقطاعيين. فتزداد التناحرات والمضاربات وتتعدد أساليب النفوذ والهيمنة.

تحدث أحد الجالسين بالمضافة –وتقريباً يناهز السبعين من عمره– بالآتي:

رجل يدعى الآغا سكر (متوفي)، ويعتبر هذا الآغا من أكبر الإقطاعيين والأغنياء آنذاك (في عهد الفرنسيين) بالميدان، وله رجاله الخاصة به. ذات يوم عقد العزم على شراء مساحة من الأراضي في حوران فرفض الفلاح بيعها له، وتعامل الفلاح مع تاجر آخر واستقرض منه الليرات الذهبية بغية الإعاشة بها، ريثما يجني المحصول ويردها له ويبيعه المحصول. فانزعج الآغا من الفلاح والتاجر الذي أقرضه المال، فما كان منه إلا أن اتفق مع الفلاحين المجاورين لهذا الفلاح على تدمير ذلك الفلاح بشتى الوسائل، مثل حرق المحصول وقطع المياه والسرقة والنهب الخ... ولم يكن يكتفي بذلك وانتظر حلول الموسم وشراء المحصول، واتفق أيضا مع كبار الإقطاعيين من أمثاله لوضع سعر رخيص جداً لهذا المحصول بحيث لا يستطيع الفلاح الوفاء بالدين، مما اضطره بالنهاية إلى أن عرض أرضه على التاجر الذي أقرضه المال لبيعها. إلا أن الآغا سكر لم يطيب له هذا الأمر، فدفع له سعراً أعلى مما دفعه التاجر وحصل على الأرض.

ورغم كل هذه الأمور والعلاقات الإقطاعية، إلا أن أهالي الميدان كانوا ينظرون إلى الآغا نظرة ثورية، فهو يحارب الفرنسيين ويعاديهم. فكلمته بالحي آنذاك لا تصبح اثنتان، حتى أنه هو الذي كان يعين المختار أو ينحيه، لحكم علاقته المتينة مع الحكومة. كما أنه كان يعمد إلى إطعام بعض الجماعات الفقيرة ويقدم لهم المساعدة بغرض شرائهم. كما أنه كان يستحوذ على أنصاره من خلال الدين باعتبار أهالي الميدان متعصبون جدا، مع العلم بأنه حين خلوته مع أعوانه لا يمتنعون عن ممارسة المحرمات وقضاء الشهوات، إلى أن فضح أمره الشيخ محمد الأشمر، فخلقت النزعة بين أهالي الميدان الفوقاني بزعامة الأشمر والميدان التحتاني بزعامة الآغا سكر. فالأشمر يحارب الفرنسيين، والآغا كذلك، وإنما بشكل آخر، محاربة خارجية إذاعية ظاهرية، وإنما كانت تربطه معهم علاقات الود والسيطرة والنفوذ. هذا من ناحية علاقات الإنتاج.

أما من ناحية العلاقات الاجتماعية بين أهالي حي الميدان وطيدة بسيطة، فحسب أقوال المسنين بالعمر، لا يمكن لإنسان غير قاطن بالحي أن يتردد على هذا الحي بغير غرض. كان أهالي الميدان متكاتفين متعاضدين متآخين إلى أبعد الحدود. فالمضافات كانت قائمة والسهرات والزيارات، إنما على الطريقة الميدانية. فالزوجة للبيت متى تزوجت، لا يجوز أن تخرج منه إلا إلى الباب الصغير، فكانوا يقولون (من الباب للباب) أي من باب الدار إلى الباب الصغير أي المقبرة. كما كان أيام زمان علائم الإقدام ربما الخوف، فكان عندما يمر زعيم الحي أو الآغا لا يمكن لإنسان أن يظل جالسا أو يسبقه بالسير إلا أن ينقطع عن الأنظار. ولعبت الآغوات دوراً كبيراً بالانتخابات البرلمانية، فلا يجوز لإنسان أن يصبح عضواً في البرلمان أو له سلطة بالدولة إلا بعد حصوله على موافقة الآغا. وكل

ذلك بثمنه، إما زواج أو مال أو ما شابه ذلك. حتى الزواج كان يتم عن طريق مباركة الآغا لهذا الزواج، وكانت مباركته وموافقته مطلوبة قبل أهل الفتاة.

لقد لعب الدين دوراً كبيراً في الحياة الاجتماعية لأهل الميدان، فبلغت درجة تمسكهم بالدين إلى درجة أنه لا يجرؤ أي إنسان من غير أهالي الميدان أن يزوج (كلمة غير مقروءة) الشباب الميادنة فكان المثل يطلق عليه (خد منهم ولا تعطيهم) لأنه لم تكن أي فتاة من غير الميدان أن تتأقلم معهم بينما يرغبون بتزويج (كلمة غير مقروءة) الميدان ويرضون مصاهرته ويقال عنهم أصحاب الجود والكرم أصحاب الدين والشرف. الشاب الميداني يتباه ويفتخر بأنه من أهالي الميدان ومن جماعة الشيخ حسن، الأب الروحي لأهالي الميدان آنذاك. إن مظاهر التمسك بالدين ظاهرة الوضوح عند أهل الميدان آنذاك. فما أجمل يوم عودة أحد الناس من الحج، فتقام الأفراح والليالي السامرة والأناشيد. يوم العيد تقام الولائم وتنحر الخراف وتتم الزيارات الخاصة بالعيد، ولكل أبناء الحارة منها لحارة أخرى إلى أن تشمل كافة الحي، فالآغا والزعيم بالمقدمة وخلفه كافة رجاله يزورون الحارة الثانية ويستقبلهم الآغا والزعيم الآخر وهكذا. كما أن مظهر النساء الميدانيات يوحي بذلك التعصب الديني، فيقولون "الميداني، التحتاني أطول من الفوقاني" ويقصدون بذلك أن اللباس الداخلي يبلغ من الطول أكثر من الملاية الأم.

كل ما سبق يعود لأكثر من مائة عام إلى الوراء. أما الآن تغير الواقع وذهبت الآغوات والزعامات وتبعثر أهالي الحي في كل المدينة، وانطلق أهالي الحي إلى الحياة. وربما أكثر من اللازم، وسبب ذلك الكبت والضغط الذي كان يمارس على النساء أعطى الآن مفعوله العكسي، فالكثيرات من نساء الميدان تحررن من سلوكهن الذي كان مفروضاً عليهن وانجرفن وراء التيارات الحالية، ومنهن من بقيت على حالها وسارت خطوات بطيئة جداً نحو الحياة الحالية.

كما نجد بعض الجماعات الناشئة التي ورثت المال عن آبائها وأجدادها أنشأوا العمارات الحديثة بدلاً من دورهم السابقة (العربية)، وحافظوا على حق الجار، ومنهم من فرقتهم شوارع التنظيم والاستملاك الحكومي.

نجد الموضوع السابق لا يمت بأي صلة للحركة العمالية والنقابية في الميدان، وإنما هو ظاهرة اجتماعية وإن كان فيه بعض النواحي لعلاقات الفلاحين بالإقطاع آنذاك.

تمت موافقة الدكتور عبد الله حنا على كتابة هذا الموضوع الذي استوفيته نتيجة عدة زيارات لمضافة الأشمر بالميدان. وإن كنت لا أكتب أثناء جلوسي في المضافة لأنني لو كتبت أمام المتحدثين، لما خرجت سالماً من المضافة، فيحسبون لذلك ألف حساب. كنت أعمد إلى حفظ ذلك وتدوينه بالدار. إن جميع من تكلموا يقال لهم أبو مهند وأبو صطيف، حجي، خالي، معلمي، لا أعرف سوى أسمائهم هذه. كانوا يتكلمون بحماس شديد، والظاهر أنهم من الميدان التحتاني والفوقاني ولم يختلفوا!

إلى الرفيق الدكتور: كنت أود أن أكتب موضوعاً عن الدباغات وهذه المهنة مع العلم أنني كنت أعمل محاسب لدى أحد الورشات الخاصة. وعندما طلبت منه المعلومات الواردة بالنشرة فما كان منه إلا أن طردني من العمل واستغنى عن عملي، فحرمت من 300 ليرة شهرياً فمن يعوض لي ذلك يا دكتور؟[32]

13- سيرة أبي هاني في ميناء اللاذقية

الدارس: صلاح حسن أمهان من اللاذقية يكتب ما جمعه عن سيرة أبو هاني، الآتي:

أبو هاني:

اسمه: مصطفى قدسي. من مواليد اللاذقية حوالي 1880. وتوفي في الستينات أو في أواخر الخمسينات. في بداية حياته كان هو رجلاً بسيطاً، يسافر على ظهر المراكب الشراعية بصفة بحار. ومع مرور الزمن اشترى مركباً شراعياً وبدأ يصارع أمواج البحر ومخاطره. في ذلك الوقت كان مرفأ اللاذقية عبارة عن خليج ترسو به المراكب الشراعية. وبعد الحرب العالمية الثانية أصبح أبو هاني يملك حوالي 3-4 مراكب. وكان أبو هاني يُعَدُّ من الشخصيات الكبيرة المعدودة في اللاذقية، ويُحسب له ألف حساب، وله الهيبة والكلمة المسموعة من قبل الآخرين، وكذلك له نفوذ وسلطة كبيرين.

المراكب التي أتى بها من الخارج، كان يتمّ تفريغها على "فلايك صغيرة لا تتجاوز حمولتها نصف طن، هذا كان في البداية. ومن خلال ممارسته للعمل خطرت له فكرة إنشاء "مواعين" كبيرة، وهذه المواعين كانت تُصنع من الخشب، ولذلك سميت بالمواعين الخشبية. وحسب ما رواه بعض العمال الذين عملوا عنده، بأن حمولة هذه المواعين في بداية الأمر كانت حوالي 5–10 طناً، ومنهم قال بحدود 40 طن.

وهناك أشخاص شاركوا أبو هاني وهم يعلمون بمقدرته وهذا ما شجعه على البدء في صناعة المواعين. لذلك أتى ببعض المعلمين المشهورين بمد السفن وصناعة المواعين من جزيرة إرواد، وأقدم على جلب الخشب من غابات اللاذقية، ومن هؤلاء المعلمين لمد السفن (صناعة السفن) هم حسن شاخ ومن بيت البعلوان.

وحققت التجربة النجاح الكامل، وأصبح عنده حوالي 40 ماعونة، وكذلك لديه بحدود 10 "النشات" . وهذه اللنشات عملُها سحب وقطر المواعين المحملة بالبضائع لإيصالها إلى الرصيف حيث يتمّ تفريغها. هذه التجربة التي راودته وقام بتنفيذها أدرّت عليه الأرباح الهائلة والتي لا يتصورها العقل. ومن خلال الأرباح والأموال التي يجنيها بدأ بالتوسع بهذا العمل الذي يقوم به على أكتاف العمال الذين يعملون لديه. وأصبح من أصحاب الأموال الكبيرة وأصبح لا يعرف إلا باسم أبو هاني لكثرة شهرته وسمي المرفأ باسمه. وكان المرفأ عبارة عن خليج صغير (البحيرة)

[32] بعد مرور هذا الزمن الطويل لا يسعني إلا القول: "العوض على الله".

لأن البحارة الأجانب عندما يأتون فيقولون هم على ظهر السفينة: نحن نريد (بور هاني)، أي يريدون مرفأ أبو هاني بمعنى آخر أي لا يريدون تفريغ الباخرة إلا عن طريق أبو هاني.

وحسب المتحدثين من العمال،[33] كانت الليرة السورية في ذلك الوقت لها قيمة. كان العامل يشرب فنجان القهوة بقرش، أما الآن فنجان القهوة أربع ليرات. وأضاف العامل بأن قديماً كان يعيش حياة جيدة لأن كل شيء متوفر ورخيص أما الآن كل شيء غالي.

عامل آخر قال بأن أبو هاني كان يستغلّ العمال بطريقة وخطة ذكية، لأنه يُحصّل من وراء العامل مئات الآلاف من الليرات وهذا يدل على استغلال الطبقة العاملة.

وقال عامل آخر: عندما يقول ريس الماعونة (غيّمت يا شباب) يقصد أن أبو هاني قد حضر. ويكون بالنسبة لجميع العمال الشيء المرعب، وهنا نجد العمال يعملون بأقصى ما عندهم من قوة حتى يرضى الريس أبو هاني، لأنه إذا غضب يكون قسم ظهر العمال.

وكذلك أيضاً عندما يأتي العامل متأخراً، فيقول لأحد العمال أو لريس الماعونة: خذ منه الفانوس وأرجعه (لأن العمال يأتون مبكرين قبل طلوع الفجر ويحملون بأيديهم الفانوس).

وقال عامل بأن العمال يمدحونه (ظاهرياً) أما داخلياً فكانوا يذمونه. وقيل أيضاً بأن أبو هاني يساعد الفقراء من الناحية المادية ويريد أن يعمل أي عمل خيري لوجه الله. وقيل أيضا بأنه لا يُضيّع حق أي عامل حتى ولو اشتغل عنده نصف يوم.

روى عامل قديم وهو من مواليد الثلاثينات وأصله من جزيرة إرواد ولكنه مقيم بمدينة اللاذقية من تاريخ وعيه للدنيا، اشتغل بالمرفأ وكان عمره بحدود خمسة عشر عاماً. قال بأن بعض المواعين التي يمتلكها أبو هاني هي آخر مواعين صنعها أبو هاني، وأطلق عليها أسماء بسبب سعتها للبضاعة، فذكر مثلا: ماعونة حمولتها 100 طن أسمها (البور). وماعونة حمولتها 80 طن اسمها (أبو الجاموس). أما بقية المواعين التي بحوزة ابو هاني لا تقل حمولتها عن 15 طن – 20 طن. وهنا نجد عمل البحار يختلف حسب نوعية العمل، أي كل نوع عمل يعمل به عامل يطلق عليه اسم معين ومن هنا نجد صفات أو تدرج للعمال والمعلمين، وهي على الشكل الآتي:

- بشكل عام، العمال: الذين يعملون على ظهر البواخر يسمون بعمال التنضيد، أي عمال الشحن والتفريغ على البواخر (الصادر والوارد).
- رئيس الباخرة: وهو المسؤول الأول عن سير العمل على ظهر الباخرة ويتلقى التعليمات الواردة من قبطان السفينة وينفذها.

---

[33] مع الدارس النقابي جامع المعلومات.

- عامل (كومنضة): وهو المسؤول الثاني عن العنبر المشرف عليه وهو الذي يعطي التعليمات للعمال ضمن العنبر وللعمال ضمن الماعونة، وكذلك يعطي الإشارات لعامل الونش (الرافعة) بالرفع أو النزول للبضاعة التي يحملها الونش. أما الإشارات التي يعطيها للونيش هي بيرة (ارفع) ماتيه (انزل)، ستوب (وقوف)، وارده (انتباه).
- عامل الونش (الونيش): وهو عامل يعمل على أوناش الباخرة (الرافعات) ويتلقى الإشارات من الكومنضة حسب التأشيرات التي يتلقاها عن طريق اصبع اليد أو بكامل اليد.
- عمال عنابر الباخرة: إذا كانت البضاعة واردة فيعملون على (تصبينها) أو تستيفها حسب نوعية البضاعة. منه تكون عبارة عن صناديق شاي أو كرتون صغير، لذلك يطلبون من ريس الباخرة بأن يعطيهم شباك لوضع البضاعة ضمن هذه الشباك، وتسمى هذه "الشكة"، وإذا كانت البضاعة إما صناديق كبيرة أو شوالات يطلبون من ريس الباخرة بإحضار صبابين (حبال) وطول الحبل من 5-6 أمتار، ولكن إذا كانت البضاعة معدنية أو من نوع الصفائح يطلبون الصبابين الحديدية (أسلاك حديدية أو فولاذية).
- عمال التجرين (عمال المواعين): وهم المسؤولين عن تستيف البضاعة ضمن ماعونة بالحالتين (الصادر والوارد). في حالة البضاعة الواردة فتستف بالماعونة عندما تكون بجانب الباخرة، أما في حالة البضاعة الصادرة فتستف بالماعونة عندما نكون بجانب الرصيف.
- عمال الأرصفة: وهم عمال الشحن والتفريغ للمواعين. وكانت تفرغ الماعونة على الأيدي والأكتاف، وتوضع البضاعة بـ(الطنابر)، ومن ثم تتحول إلى مستودعات، وكذلك العكس.
- عمال المستودعات (العتالة): وهم مسؤولون عن تستيف البضاعة في المستودع أي تفريغ الطنابر وبنفس الوقت تحميل الطنابر (العكس بالعكس).

ومن خلال تدرج العمال حسب نوع العمل نجد الصعوبة في العمل، وخاصة عمال الطنابر وعمال المواعين، لأنهم معرضين للإصابات في أي وقت، وتكون الإصابة بنتيجة خطأ في الشكة أو التصبين فيحدث إما بانقطاع الحبل أو بانتزاع الشكة فتنزل البضاعة فوق العنبر على العمال. وإذا كانت البضاعة فوق الماعونة فتنزل فوق عمال الماعونة. وتكون الإصابة إما الكسر أو العجز الدائم أو الموت. وعندما يسمع أبو هاني بهذه الحوادث، فيعطي أهل المصاب مساعدات مادية.

أما صعوبات العمل عند تفريغ الماعونة على الرصيف تكون أقل خطورة، لأن تحميل الماعونة وهي بجانب الباخرة تستغرق وقتاً طويلاً يوم أو أكثر، ولكن تفريغها على الرصيف تكون لساعات معدودة بسبب كثرة اليد العاملة والعتالة.

- عامل اللنش: وهو مسؤول عن قطر وسحب الماعونة حسب الاتجاه إما للتصدير (من الرصيف إلى الباخرة) أو الاستيراد (من الباخرة إلى الرصيف).

وفي الخمسينات وُجد في مدينة اللاذقية بقرب المرفأ أشخاص يتعاملون مع البواخر الأجنبية ويطلق عليهم وكلاء البواخر، أي المسؤولون بالمسؤولية التامة بتموين الباخرة من المواد والحاجيات الاستهلاكية، وكذلك مسؤولين عن تأخير البواخر في كلا الحالتين (الشحن والتفريغ). وكذلك هم وسطاء ما بين الشركة التي ترسل هذه البواخر وشركة المرفأ، التي كانت بإدارة المهندس نور الدين كحالة، فتحاسب شركة المرفأ الوكلاء ومن ثم يأتي أبو هاني ويحاسب الشركة. وحسب أقوال بعض العمال بأنه كان يضع أمواله في شوال ويحمله على ظهره ومن ثم يحاسب العمال.

أما علاقته مع السلطة فكانت جيدة ويحسب له ألف حساب، عندما يقول كلمة يجب أن تنفذ وخاصة أيام الانتخابات لأن عندما تجري الانتخابات فيقوم أبو هاني بدعم المرشحين التابعين له وبنفس الوقت هو أيضا تابعا لهم.

مثلاً، عندما يكون المرشحون: أسعد هارون، وفايز الياس، ونديم شومان، وهم يشكلون الحزب الوطني، كان يدعمهم الإقطاعي عبد القادر شريتح وهو زعيم البلد. وكذلك يدعمهم أبو هاني لأنه يمدهم بالمال في ظرف الانتخابات، أي يشتري الأصوات لهم، لذلك قيل هذا المثل (هات الهوية وخذ المية).[34] ومن جراء هذا العمل الذي يقوم به أبو هاني لأن له هدف، هو أنه يريد أن يكون الأول والأخير ولا يريد أي شخص آخر أن ينافسه في المرفأ، كذلك فهؤلاء المرشحون يدعمونه كي يضمن المرفأ، أي بمعنى أن كل واحد له مصلحة مع الآخر، لأنه كانت هناك قائمة ثانية: د. وهيب غانم، و د. أمين رويحة، ومحمد شواف، وهم يشكلون قائمة حزب الشعب. وكان يدعمهم الشيخ يوسف ياسين، وهو وزير في السعودية وله أخ اسمه الحاج قاسم ياسين، وعن طريق حاج قاسم يتم الدعم.[35]

وفي عام 1951 أتت الشركة اليوغوسلافية لإنشاء المرفأ، لذلك وضع خالد العظم حجر الأساس والتزمت الشركة بإنشاء المرفأ. كان مدير المرفأ في ذلك الحين المهندس نور الدين كحالة، وسمي له رصيف بالمرفأ وهو "رصيف كحالة". وبعد فترة من الزمن أصبح بين أبو هاني ونور الدين كحالة خلافات، ونتيجة هذه الخلافات

[34] حسب الإشاعات المنتشرة آنذاك، فإن جماعة أبو هاني كانوا يدفعون أثناء المعركة الانتخابية لمجلس النواب (البرلمان) لكل شخص له حق الانتخاب مئة ليرة سورية ويعطيهم هويته كضمانة بأنه سينتخب القائمة المدعومة من أبو هاني. وأرى أن المبلغ مبالغ فيه لأن الليرة السورية آنذاك لها قيمة شرائية كبيرة.

[35] الشيخ يوسف ياسين: أصله من جبلة، وكان له نفوذ في القصر الملكي السعودي. والمتداول بين الألسن أنّ يوسف ياسين كان يأخذ الصبايا إلى السعودية مقابل مبلغ من المال لأهل الفتاة! والحاج قاسم ياسين كان ملاكاً إقطاعياً في ريف جبلة. وقد أجريت دراسة ميدانية عام 1984 مع عدد من الفلاحين العاملين كمرابعين في أرض الحاج قاسم ياسين ونشرتها في كتاب الفلاحين الذي أبادته السلطة بعد نشره.

أخذ نور الدين يسعى إلى تأميم المرفأ، ونفذت عملية تأميم المرفأ عام 1954. وبعد التأميم، لا يعرف إذا أعطته الدولة قيمة المواعين واللنشات أو ما يملكه أو لم تعطيه شيئاً، وهذا الأمر لا أحد يعرف عنه شيئاً. وبقي أبو هاني يحيا حياته بشكل عادي، ويقال أنه مات حسرة على الأملاك التي ذهبت منه.

وبدأت حياة العمال بعد التأميم بطريقة جديدة، الحصص، أي تشكل فرق عمالية، وهي تتألف من سبع فرق، وهي أيضاً مقسومة إلى قسمين:

1- فرق مسؤولة عن الشحن والتفريغ للبواخر وهي: الفرقة الأولى والثانية والثالثة.
2- فرق مسؤولة عن تجرين المواعين وهي: الفرقة الخامسة والسادسة والسابعة.

أي أن الفرق الأربعة مسؤولة عن شحن وتفريغ البواخر. أما الفرق الثلاثة فهي مسؤولة عن تجرين المواعين (أي تعبئتها وتفريغها) . هذه الطريقة (الحصص أو الحصة) دامت حتى صدور المرسوم التشريعي رقم 12 عام 1967 وتحولوا العمال من الحصة إلى الراتب الشهري. وكانت أجور العمال (عمال الحصة) كل أسبوع وعلى الإنتاج.

أما حديثاً فيتم تمويل المرفأ عن طريق الدولة. وفي ظل الحركة التصحيحية قامت مديرية المرفأ بفكرة توسيع المرفأ، والتزمت بإنشاء مشروع شركة توسيع المرفأ.

14- مواعين أبو هاني وميناء اللاذقية

الدارس: أمين خشوف، كتب دراستين (اسماهما ورقتين)، الأولى تحت عنوان "لمحة عن ميناء اللاذقية". والثانية تحت عنوان "لقاء مع عامل في ميناء اللاذقية".

جاء في الورقة الأولى:

من هو أبو هاني؟

إنه مصطفى حسن قدسي من مواليد اللاذقية 1876. ولد من عائلة تعمل في مجال البحر. وكان والده يملك مراكب شراعية وينقل على متنها البضائع إلى الدول المجاورة . كان المرفأ يومذاك يوجد فيه رصيفان فقط: رصيف شمالي ورصيف جنوبي. وكانت ملكية المرفأ تعود لعدة عائلات وكان التنافس سائداً فيما بينها، حيث الرشاوى وتضارب المصالح هي التي كانت سائدة فيما بينهم. وعمد أبو هاني إلى القضاء على منافسيه من العائلات التي تعمل في المرفأ أمثال بيت القلاب وأقرب الناس إليه، وحاول خلق الشقاق فيما بينهم ومضاربتهم مع بعضهم البعض في سبيل مصالحه، وفي سبيل الوصول إلى زعامة المرفأ. وهكذا اشترى منهم (الماعونة تلو الأخرى) إضافة إلى اللنشات، حتى أصبح المالك الوحيد في المرفأ. وبهذه الوسيلة استطاع أبو هاني أن يُكدّس فائضاً كبيراً من رأس المال.

وحول الانتخابات في بداية الخمسينات قام أبو هاني بوضع "بالات المال"[36] في ساحات اللاذقية وأصبح يشتري أصوات الموطنين، كل اسم بمئة ليرة سورية، حتى أصبح مثالاً في اللاذقية (هات الهوية وخد المية). والقصد من شراء الأصوات إنجاح أسعد هارون كي يصبح عضوا في البرلمان، ووضعه بالقوة كأسلوب وبالترغيب كأسلوب آخر.

وبالختام يمكن القول بأن أبو هاني كان رب المرفأ والسلطة فيه والحاكم الآمر الناهي في كل شيء.

الورقة الثانية للدارس:

حول علاقة أبي هاني بالعمال أجرينا[37] اللقاء التالي مع أحد العاملين الذين عملوا فترة وجود أبو هاني في المرفأ قبل التأميم.

من أعماق الخمسينات نبحث لنعيد إلى الأذهان صورة العامل وعلاقته برب العمل. وقد التقينا العامل محمد عدنان هبرة من مواليد اللاذقية 1913، وأخذنا منه بعض المعلومات التي تخدم موضوعنا بتاريخ 1989/5/12، وسألناه الآتي:

س: ماهي مهنتك ؟ عامل عتّال.

س: متى عملت عند أبي هاني؟

ج: عملت عنده في فترة الخمسينات، وفي ذلك الوقت لم يكن مسموحاً للمواعين بالدخول إلى المرفأ لعدم وجود رصيف فيه، فكانت المواعين تقف بعيدا عن الشاطئ مسافة ثلاثين متراً، وكنا نقوم بحمل البضائع على ظهورنا ونمشي بها مسافة خمسين متراً. وإذا تأخر أحدنا بالحضور إلى العمل كان أبو هاني يقول بأعلى صوته: خذوا الفانوس من (أخُ الشْلِكّة)[38] وأعيدوه إلى البيت[39]

س: كيف كان نظام العمل والأجرة؟

---

[36] البالات حزمة من المنسوجات محكمة اللف والربط ، وأصلها إيطالية . والمقصود بها الأكياس، وقد جرت مبالغات كثيرة حول "هات الهوية وخذ الميّة"، أي أن صوت الناخب بمئة ليرة، وكان لها قيمتها الشرائية الهائلة في ذلك الزمن. وأسعد هارون المرشح، الذي دعمه أبو هاني. وكان أسعد هارون من زعيم الكتلة الوطنية في اللاذقية، وينتمي إلى عائلة معروفة صاحبة أملاك إقطاعية. وقد أجريت عام 1984 دراسة ميدانية في القرة المملوكة من أسعد هارون وعائلته ونشرت ما رواه الفلاح المحاصص عن طريقة الاستثمار الإقطاعي لأسعد هارون في كتابي عن الفلاحين الذي أبادته السلطة بعد طباعته.

[37] أي الدارس أمين خشوف.

[38] كلمة بذيئة تُستخدم للسب والشتم من أناس غير مهذبين.

[39] كان العمل يبدأ الساعة الرابعة صباحا والظلام لا يزال مخيّماً. ولذا كان على العامل أن يحمل فانوساً كي يرى طريقه في العتمة.

ج: كان العمل يبدأ من الرابعة صباحاً وحتى الثانية ظهراً. وكانت الأجور تتراوح بين ليرتين وأربع ليرات كحد أقصى. كما أننا كنا نعمل في العطل والأعياد مجبرين خوفا من مجموعة الأزلام التي كانت تحيط بأبي هاني، مثل عبدو قدسي وبعض الرجال من آل زيدان، وأبي حسين، وأبي سعود.

س: من أين كان يستمد أبو هاني سلطته؟

ج: لقد كان يمتلك خمس وعشرين ماعوناً، وست لنشات، ولم يكن أحد يملك الجرأة على الاصطدام والاختلاف معه خوفاً من قطع الرزق. فكان العامل مضطراً لتحمّل أي شيء في سبيل لقمة العيش.

س: هل كان أبو هاني يتبع طريقة واحدة في التعامل مع العمال؟

ج: لقد كان يميز بين العمال من ناحية المعاملة والأجرة. فالفئة التي كانت تناصره وتمثل يده اليمنى هي التي كانت تحوز على المعاملة الفضلى.

س: هل كان يشارك العمال في مناسبات الأعياد والمرض وغيرها؟

ج: في الأعياد كان يوزع على العمال عيديات حوالي خمساً وعشرين ليرة للعامل. أما المرض والكسر وحوادث العمل على حساب العامل.

س: هل كان يوجد قانون يحمي حقوق العامل؟

ج: في تلك الأثناء لم يكن هناك قانون يحمي العامل. فالقانون هو صوت رب العمل. وإذا ظلم العامل فلا أحد يسمع شكواه، لأن الحكومة آنذاك كانت من مناصري الأقوياء.

س: صِفْ لنا كيفية العمل في المرفأ في تلك الفترة؟

ج: لم تكن البواخر الكبيرة موجودة في تلك الفترة بل كان هناك مجموعة مراكب صغيرة يطلق عليها "كياك" مفردها "كيك" تحمل البحص وغيرها. ولم يكن هناك وجود للرافعات الأوتوماتيكية، بل كان يتعاون عدة عمال عن طريق الحبال لإخراج البضائع وتحميلها في مواعين أبي هاني. وكانت المراكب عادة تأتي من تركيا ومصر وغيرها من البلدان القريبة محملة بالبحص الخفيف الأبيض والبحص الإيطالي وغيرها من البضائع. وكنا نعمل دون راحة باستثناء نصف ساعة لتناول الطعام، ومن كان يحاول سرقة بعض الوقت للراحة وكُشِفَ أمره من قبل أزلام أبي هاني فإن الإهانة والضرب وربما الطرد هو عقابه.

س: هل كان للعمال ترتيبات حسب العمل ؟

ج: نعم وُجِدَ شاويش، ثم باش عامل أي مراقب، ثم عامل عتال.

س: كيف كان الأجر، مقطوعاً أم حسب الإنتاج؟

ج: لقد كانت الأجرة مقطوعة، فالعامل منذ الرابعة صباحاً وحتى الثانية ظهراً يعمل دون راحة، لذلك كان الإنتاج غزيراً وغير متناسب مع الأجرة. وكنا نأخذها أسبوعية. أما المحاسب فإنه من أقربائه الذين يحظون برضاه لأنهم أداته للضغط على العمال.

س: هل كان أبو هاني محبوباً من قبل العمال؟

ج: هناك من يحبه على الرغم من كونه ظالماً عليهم وهناك من لا يحبه.

س: سمعنا بقصة تتعلق بانتخاب جرى في عهده وتحت إشرافه، ما رأيك؟

ج: نعم، جمعنا أبو هاني في المرفأ، وعدّ أصواتنا على مبدأ "أعط الهوية وخذ مية". وعلى ما أذكر أحضر معه شوالين (كيسين) من الأوراق النقدية ذات المئة أنفقها كلها في سبيل الحصول على أصواتنا. وكانت الغاية من ذلك على ما أذكر، وما يقال: بأن ابنته تزوجت خطيفة من شاب فقير فرفض أبو هاني هذا الزواج في البدء، ولكنه رضيَ بالأمر الواقع، وحاول أن يظهر صهره ويرفع من مكانته بأن يجعل له كرسيا في البرلمان، ولذلك اشترى أصواتنا.[40]

15- حالة ملكية الأراضي الأراضي في مشتى عازار

الدارسة: عائدة غالي ومحدثها من مشتى عازار ابن الثمانين حولاً.

عمر المتحدث 86 سنة، ومكان ولادته وإقامته الحالية بمشتى عازار.[41] كان جد المتحدث مزارع في الأرض، يحرث ويزرع ويحصد لكي يؤمن لقمة العيش لأفراد أسرته، وتوفي تقريباً عام 1850. كان له ولدان كانا يعملان في الزراعة، وكذلك والد المتحدث يعمل في الأرض، وهو متوفي منذ عام 1915، كان له ولد واحد يعمل في زراعة الأرض، وكانت ملكية الأرض منذ زمن قديم.

كانت الملكية الصغيرة هي السائدة بشكل أكبر من الملكيات المتوسطة والكبيرة. وكانت بعض الأسر تملك أكثر من أرض، وأسر أخرى لا تملك إلا القليل. لا يوجد مواشي في القرية إلا بأعداد قليلة تملك أي أن كل أسرة تملك بقرة أو بقرتين لسد حاجاتها الضرورية من الحليب واللبن والسمن أي اكتفاء ذاتي عند الأسرة. وكان

---

[40] لا نعلم من هو هذا المرشح المغمور. وفي الورقة الأولى يذكر الدارس أن هدف أبو هاني من الدفع هو إنجاح أسعد هارون الذي لم يكن مغموراً بل وجيها وطنياً معروفاً في اللاذقية.

[41] فات الدارسة ذكر اسم المتحدث، وتاريخ أخذ الحديث، وهو أواخر ثمانينيات القرن العشرين.

الفلاحون الأغنياء يملكون من 70– 100 دنم أرض والفلاحين المتوسطين يملكون من 30-40 دنم أرض أما الفقراء كانت ملكيتهم تتراوح بين 10– 20 دنم أرض.

كانت أغلب الأراضي مملوكة من قبل الإقطاعيين من خارج القرية، يستثمرون الفلاحين عن طريق تشغيلهم في الأرض وأخذ الإنتاج بشكل كامل تقريباً، الفلاح يحرث الأرض ويضع البذار ويقتلع الأعشاب ويحصد المحصول ويأتي الإقطاعي لكي يقاسمه الإنتاج، ثلاثة أرباع الإنتاج للإقطاعي وربع الإنتاج للفلاح هذا إذا كان الإقطاعي راضياً، أما إذا كان الإقطاعي غير راض عن الفلاح فلا يعطيه شيئاً ولا يستطيع أحد محاسبته (هذا الكلام غير صحيح والكاتبة تبالغ وتزاود) وبعد أن يقسم الإقطاعي الإنتاج على البيادر فعلى الفلاح أن يأخذ حصة الإقطاعي من الإنتاج إلى بيت الإقطاعي خارج القرية في قرية أخرى مجاورة وهناك يستخدم الإقطاعي الفلاح ويسخره في أعمال البيت مثل تقطيع الخشب وإشعال النار وأعمال شاقة أخرى. أما بالنسبة لملكية البيوت فكانت للفلاحين والإقطاعيين ليس لهم أي حصة فيها لأنهم كانوا من خارج القرية وكان في القرية زلم الإقطاعي وزلمة الإقطاعي كان يسمى (الشوباصي) أي ناطور لأراضي الإقطاعي، لمراقبة الفلاحين أثناء الزراعة والحصاد ولإعطاء معلومات كافية عن الأرض للإقطاعي وكيفية العمل فيها من قبل الفلاحين.

أما عن الحياة الاجتماعية في القرية فكانت تقوم على البساطة والسذاجة وروح التعاون فيما بينهم، كل أسرة تساعد أسرة أخرى إذا كانت بحاجة إلى مساعدتها ويشاركون بعضهم في الأفراح والأتراح، وكان أهالي القرية يجتمعون ويسهرون مع بعضهم ويلعبون الورق على (غ) وكانت لعبتهم الدسكرون، وكذلك لعبة المنقلة، ويشعلون النار في الشتاء ويحكون الحكايات، ويلعبون حمارة طويلة. وكذلك في الأعياد كانوا يجتمعون الفتيات والفتيان في الليل وينصبون المراجيح لكي يركبوا فيها وينشدون الأغاني الجميلة. وكانوا يلبسون الأحذية الكاوتشوك ويشعلون الزيت الحلو من أجل الإضاءة في الليل. وكانوا يعتمدون في غذائهم على القمح الذي يصنعون منه البرغل وكذلك على الأعشاب التي يقتلعونها من الأرض.

وهناك بعض العاطلين عن العمل، ونسبة الفلاحين الفقراء كانت 90% تقريباً من الموجودين بالقرية ولا يملكون قطعة أرض واحدة لأنفسهم وإنما يعملون في أرض الإقطاعي وتحت رحمته. أما الفلاحين المتوسطين والأغنياء فكانت نسبتهم قليلة، وكانوا يعملون في أرضهم الخاصة بالإضافة إلى عملهم بأرض الإقطاعي. وبعد عام 1958 صدر قانون الإصلاح الزراعي فوزعت الأراضي على الفلاحين وتطورت الحياة الاجتماعية وأصبح الفلاح يأخذ حصة كبيرة من الإنتاج أي ثلاثة أرباع الإنتاج وربع الإنتاج إلى الإقطاعي. وصار قسم من الأهالي الذين يملكون أرضا يذهبون إلى المدينة للعمل في وظائف الدولة وأصبحت أحوالهم المادية جيدة. وأن المهاجرين قديماً يفكرون بالعودة إلى القرية لأن أغلبهم يملك بيتاً وقطعة أرض صغيرة وهذا يجعلهم يفكرون بالعودة إلى القرية. ولا يوجد هجرة إلى بلدان النفط.

وتطورت الحياة كثيراً، ودخلت المدرسة الابتدائية إلى القرية عام 1950، وأصبح جميع الأهالي يسجلون أولادهم فيها لكي يتعلمون القراءة والكتابة، وكذلك بنيت المدرسة الإعدادية عام 1971، وكان المدرسون بعضهم من القرية، وبعضهم الآخر من القرى المجاورة أو من المدينة. وكانت المدرسة تستوعب أعداد كبيرة من الطلاب وكذلك من القرى المجاورة الذين لا يملكون مدرسة إعدادية. أما المدرسة الثانوية، فلا يوجد في القرية ثانوية، وإنما يدرس الطلاب الذين يتخرجون من الإعدادية في مدرسة ثانوية في قرية مجاورة تستوعب طلاب القرى التي تجاورها ويتخرجون ويدرسون في الجامعات والمعاهد.

وتطورت الحياة أكثر فأكثر ووصلت الكهرباء إلى القرية عام 1978. أما بالنسبة لطريق الزفت فكان منذ عام 1965. وأصبحت القرية تشرب الماء من الآبار الارتوازية مع القرى المجاورة.

16- اللجاة كما وصفها الدارس صخر سلام

اللجاة هضبة صخرية تتجاوز مساحتها /900/ كم مربع، ورد ذكرها كثيراً في كتب التاريخ، فهي غنية بآثارها وباللقى الثمينة من كنوز وتماثيل فخارية وأحجار منقوشة.

يتبع قسمها الشمالي والغربي لمحافظة درعا وقسمها الشرقي والجنوبي لمحافظة السويداء. ينوف عدد سكانها على الألفين نسمة، وهم من البدو الرحل الذين ما لبثوا أن أخذوا يستقرون، وتتوزع العشائر فيها حسب الآتي:

في القسم الشمالي (ناحية المسمية وما حولها) :

- عشيرة الغصيّن.
- عشيرة الذقنان ومختارها (نصار الذقنان) في شمال شرق المسمية.
- عشيرة القطاعنة في جنوب المسمية والقبة.
- عشيرة الصوابرة في غرب المسمية وتقطن قرية شعارة وكريم الشمالي.
- عشيرة الظهرات وتقطن كريم الجنوبي وأيب.

في القسم الغربي منها:

- عشيرة اللذوق وتقطن غرب (جمرة) شرق قرية خبب.
- عشيرة الرماح غرب الزباير – الزبيرة.
- عشيرة العوران في قرية مامر وشرق وأطراف إزرع ومحجة وجدل.

في القسم الشرقي منها:

- عشيرة السيالة في منطقة غرب خلخلة.
- عشيرة العميرات.

في القسم الأوسط والجنوبي:

- عشيرة الشرعة وتقطن في وسط اللجاة وأطرافها الجنوبية (الشومرة) شمال قرية وان بين أطراف المسمية في الشرايع. إذ أن عشيرة الشرعة وللخلافات التي تحدث بين أفخاذ العشيرة منقسمة منها يسكن الشرائع ومشح وسط اللجاة وقسم جنوبها.

هذا وطبيعة اللجاة طبيعة صخرية تماماً تفتقر للطرقات المعبدة والمياه ولكل شروط الحياة، وتكثر فيها الوحوش والضباع والحيوانات والطيور البرية المتوحشة. ووواسطة النقل الرئيسية للسكان هي الدواب من حمير وجمال وغيرها. والمياه يحصلون عليها بحفر آبار بطرق بدائية في أماكن منخفضة لتسيل وتتجمع فيها مياه الأمطار التي لا تكفيهم غالباً إلا شهر نيسان أو أيار عندها هم أمام أحد أمرين:

1- الرحيل غرباً إلى سهول حوران لقضاء فترة الصيف والخريف.
2- جلب المياه على ظهور الجمال والحمير من إحدى المناطق المأهولة القريبة في الأطراف الشمالية يجلبون المياه من المسمية ومن الأطراف الشرقية من خلخلة والأطراف الجنوبية من (داما).

معظم سكان اللجاة مكتومين[42] وأميين ويعانون من جهل مطبق. وسيلة العيش الوحيدة هي تربية الماعز والأغنام، حيث يوجد في اللجاة أكثر من ثلاثين ألف رأس من الماعز والغنم.

المناطق الأثرية فيها:

- خرائب القبة وشعارة وكريم شمالاً.
- خرائب بران وهمان في الشمالي الشرقي.
- خرائب ديروان و ريشة الذرق.
- رسم المروان وخمارة علوش في الوسط.
- منارات الظهر والربيشي والشريف ومكيفتة ، وهي على الرصيف الروماني الممتد من شرق المسمية وحتى السويداء ويقال (حقيقة تاريخية) أن هذا الرصيف قامت برصفه ومده الدولة العثمانية ويمتد من استنبول حتى مكة، ويمر هذا الطريق التاريخي من اللجاة ويقطعها من الوسط.

---

[42] عندما شرعت الدولة العثمانية في عهد الإصلاحات باستخدام سجلات النفوس ، تمنّعت أكثرية الناس عن التسجيل لأسباب متعددة . والذي لم يسجّل اسمه اعتبر مكتوما من الكتمان .

تكثر النزاعات بين تلك العشائر وخاصة النزاعات المسلحة وتسفر النزاعات عن قتلى وجرحى وتتفشى عادة الأخذ بالثأر ومختلف العادات البدوية المعروفة. إلا أن عامل الزمن يلعب دوراً إيجابياً في حياة هؤلاء البدو، حيث يجعل أولادهم يشعرون بعدم انسجام هذه العادات مع الحياة المعاصرة. ورغم ذلك يقع على الدولة مهمة تحسين ظروف حياة البداوة بمد الطرقات إلى أماكن استقرارهم والمياه ونشر التعليم وإلى ما هنالك من إجراءات مساهمة في تغيير الحياة إلى الأفضل.

17- تل شنان: الأرض العطشى على أطراف البادية والهجرة إلى المدينة حمص

الدارس: محمد خضور المولود سنة 1961 في قرية تلشنان التابعة لمحافظة حمص (تبعد عن المدينة شرقاً ثلاثون كم تقريباً) ومقيم حالياً في مدينة حمص.

كتب ما سمعه من أحد سكان قرية تلشنان، وهو شيخ يناهز الثمانين من العمر، الآتي:

إن جدّ المتحدث الشيخ المسن كان يعمل فلاحاً صغيراً في القرية المذكورة توفي 1948 عن عمر يناهز 70 عاماً. أنجب سبعة أولاد ذكور وابنتين والكل على قيد الحياة. الكبير منهم مقيم حالياً في مدينة حمص عاجز عن العمل، والثاني بقي في القرية مع والدته العجوز وأخواته، تجاوز الـ 60 عاماً من العمر يزرع الأرض قمحاً وشعيراً ويراقب هطول المطر. أما والد الشيخ المسن يعمل حالياً في شركة مصفاة حمص عاملاً، والرابع منهم كان مدرساً في أهلية التعليم في مدينة حمص والآن متقاعد، والخامس في المخابرات العسكرية في مدينة الحسكة، والسادس موظف في الأمن الجنائي في مدينة حمص، والسابع يعمل محامياً في حمص.

ويستمر الدارس في نقل كلام ابن الجد كالآتي: والدي بعده على قيد الحياة، لم ينجب من الأولاد غيري، لا إناث ولا ذكور، نعيش مع بعض مع والدتي في مدينة حمص ونسكن بيتا ندفع أجره الشهري 500 ل.س. حصلت على الشهادة الإعدادية في مدرسة تلشنان، وانتسبت إلى معهد السماد الآزوتي في مدينة حمص ودرست به سنتين وبقيت به موظفاً عاملاً.

ويعود للحديث عن لسان ذلك الشيخ الذي حدثني عن تاريخ ملكية الأرض والتملك في القرية كالآتي:

كانت أرض القرية جفتلك عائدة إلى أملاك الدولة[43] يستعملها القسم الأكبر الذين لديهم إمكانيات العمل من حراثة وغيرها مما يتعلق بالعمل الزراعي. وفي عام 1945 –تقريباً– طرحت الدولة على المواطنين الذين

[43] جرى شرحها في الملحق الجفتلك.

يستخدمون الأرض أن يشتروها ويكون دفع الحق[44] تقسيطاً على مراحل. وعلى هذا الشكل تم البيع. ولكن مع الأسف، إلى هذا التاريخ لم تسدد الأرض حقها كونها أرض محرومة من مياه الري حتى مياه الشرب، وحظها من المطر ضعيف جداً. ولم يكن يوجد هناك ملكيات كبيرة مثل مشاريع أو متاجر أو غرس قطعاً، سوى الفلاحة والزراعة وهي محدودة من قمح وشعير فقط وتربية مواشي ضمن إمكانياتهم المحدودة. لكل مواطن في القرية قدر معين من المواشي والأرض التي هي مراعي للجميع للمواطن المالك والغير مالك، كما أنه يحق للمواطن الغير مالك للأرض أن يبني بيتاً له هو ولأفراد عائلته مثله مثل أي مواطن مالك، ورعاة المواشي هم أصحاب المواشي والعاطلون عن العمل من سكان القرية أو من عرب البادية يسرحون في الماشية بأجر متفق عليه ولا ملكية لفلاح غني ومتوسط ولا فقير.

كما حدثني الشيخ أنه كان الفقير الذي لا يملك أرضاً يعمل عند صاحب الملك أجيراً سنة كاملة بأجر متفق عليه ويقبض أجره بنهاية السنة. وفي شهر الحصاد يتعاونون العاطلون عن العمل الذين لا يملكون الأرض مع المالكين ويحصدون الزرع ويأخذونه على البيادر ويعملون يداً بيد حتى يخرجون حصيلته ويقبضون أجورهم حسب الاتفاق.

البنية الاجتماعية في القرية حول فلاحين فقراء ومتوسطين وأغنياء وأوضاعهم في التاريخ الذي حدثني عنه الشيخ العجوز. فالأغنياء منهم قليلون جداً ولا يقال عنهم أغنياء، وأما الفلاحين المتوسطين منهم والفقراء هم النسبة الأكبر في القرية، وكان بينهم وبين الفقراء الذين لا يملكون ارضاً تقارباً كبيراً حول الحياة وظروفها .أما بعد 1958 بدأت الهجرة من القرية إلى المدينة على أثر جفاف المياه وقلة الأمطار واختفاء المزروعات وإنشاء الشركات والمعامل والمؤسسات والمشاريع في مدن القطر العربي السوري اضطرت الناس إلى الهجرة وتوزعت في بعض المدن في القطر تعمل في تلك الشركات والمعامل.

وكان عدد سكان القرية ما قبل عام 1958 يتجاوز 3000 نسمة. والآن بقي فيها ما يقارب 400 نفس يزرعون الأرض، فإن أخصبت عاشوا وعاشت مواشيهم، وإن أمحلت باعوا المواشي وعاشوا بثمنها وتمتد لهم يد المعونة من ذويهم المهاجرين. وبالنسبة للذين هاجروا إلى المدينة حصل عندهم تطور مادي واجتماعي وثقافي نتيجة عملهم وجهدهم والظروف السائدة، وصار وضعهم الاجتماعي أفضل من السابق بكثير. ولم يكن هناك أي تفكير حالياً بالهجرة المعكوسة إلى القرية. إن ارتباط المهاجرين بالقرية وثيقة بالمناسبات فقط، لم يكن عندنا أي تفكير بالهجرة إلى بلدان النفط ولم يكن لها عندنا أي أثر ولا اهتمام حيث يتوفر لنا العمل في قطرنا السوري.

حدثني الشيخ العجوز عن دخول المدرسة الابتدائية إلى قريتنا المذكورة تلشنان في عام 1924. أما المدرسة الإعدادية دخلت القرية في عام 1973 ولم تدخلها مدرسة ثانوية.

[44] ثمن الأرض. وفي العامية الحق تعني الثمن.

وصلت الكهرباء وطريق الزفت إلى القرية في عام 1975.

تشرب القرية من بئر سطحي لا يكفي نصف حاجتهم، وتبقى مشاكلهم قائمة مع بعضهم حول مياه الشرب. وفي عام 1965 حفرت الدولة بئراً في القرية ولم ينجح ولم يحفر غيره حتى الآن.

المهر قديماً وحديثاً يتفاوت قدره مع التفاوت الطبقي غير محدود، بحسب أطماع أهل العروس وقناعتهم. منهم من كان سابقاً يدفع مهر البنت 1000 ل.س، منها 500 ل.س إلى أهل العروس، والنصف الباقي عائد لها تشتري به حاجاتها، ومنهم من كان يدفع مهر العروس 2000 ل.س، وكلهم إلى أهل العروس، وهي محرومة منه حسب الشروط.

أما المهر حالياً يتعلق بالطرفين، العروس والعريس، حسب إمكانيات العريس. منهم من يشتري غرفة نوم ومجوهرات وغيرها بقدر 30.000 ل. س ومنهم من يتزوج بمهر قدره 10.000 ل.س بالاستغناء عن مراسيم الزواج حسب الاتفاق بين الطرفين.

18- "سالفة مُسنْ" حول تاريخ ملكية الأرض في أشرفية صحنايا

مُجري اللقاء الدارس: ريدان سلامة.

المتحدث: الشيخ أحمد ابو خليف وعمره 105 سنوات في أشرفية صحنايا.

وفيما يلي ما "سَوْلَفَ " به المسن إلى الدارس:

ذهب إلى أمريكا سنة 1907 وعمل هناك فلاح بقطع الذرة الصفراء وعاد سنة 1914.

عمل والد المتحدث كفلاح. ويقول لنا أن والده ذهب للخدمة العسكرية إلى اكيد (ونظن جزيرة تكريت اليونانية، التي ثارت على العثمانيين) هو وبعض الرجال في القرية، له خمسة أولاد (3 ذكور و2 إناث).

سألناه عن تاريخ تملك الأرض في هذه القرية، فأجاب: إن هذه القرية قديمة جداً، وقد سمع من والده أن هذه القرية كان يوجد فيها عائلات أصحاب ملكية، ولا يعرف تاريخ تملك هذه العائلات، ومنها عائلة غبيرة وشاكر وسنان، وإنها جميعها انقرضت في هذه القرية. وقد سمع أيضاً أن العائلات الموجودة حالياً بعضها أتى من لبنان (الحميدية)، وبعضها جاء من فلسطين. ويقول عنهم أيضاً أنهم أتوا خمسة أخوة إلى البلدة، اسم والدهم حسون، ووالدتهم أليفة، كما يقال، وكل ولد منهم شكل عائلة كبيرة. ولقبت كل عائلة على اسم كل واحد منهم، مثل: سلامة، وخليف، ورفاعة، وطريف، وبدران. وعلى هذا الأساس تكونت هذه العائلات بالقرية التي ما زالت حتى الآن. ويوجد أيضاً عائلات أخرى أتت بعد تلك العائلات، مثل عائلة الحاج علي، وحناوي، والحلبي، وورود، وعبيد، وشلفين، وغيرها.

بالنسبة للملكيات يقول لنا أن الأمير عبد القادر الجزائري عندما أتى إلى الشام أيام العثمانيين حصل على ملكية كبيرة في دمشق قدرت بقيمة عشرين قرية ومن بينها أشرفية صحنايا، حسب ما سمعه. واشترى من القرية نصف فدان من عند بيت شاكر، ونصف فدان من عند بيت غبيرة، وأيضاً نصف فدان من عند بيت سنان، وأخذ عشرة فدادين اغتصاباً بالقوة. إن سعر الفدان بذلك يقدر بخمسين ليرة ذهبية عصملية. ويقول إن الأمير ورّث أربعة عشر ولد بالقرية، بقي منهم عبدالله باشا ابن العبدة. ورّث المذكور الأمير عبدو ومحمد علي والأمير صلاح، وهم كانوا الإقطاعيين في القرية، كانوا هم الحكام والقضاة في القرية، حتى إذا دخل أحد أرضهم ضربوه، وأنهم قتلوا اثنان ظلماً في القرية حتى الموت لأنهم قاموا بسقاية أرضهم من المياه المخصصة للسقاية من نبع اسمه شداقة آنذاك. كانوا يسيطرون على المياه، وهناك حادثة حصلت بأن أحد البدو كان يرعى الماشية في أرضهم، وعندما علموا بذلك أخذوا رجال القرية وذهبوا يقاتلون البدو شرق القرية، وأدى ذلك إلى مقتل فرد من البدو. وقد توفي بالصدفة رجل مسن بالقرية في اليوم التالي، ولكي لا يدفعوا الفدية قالوا: إن هذا الشخص قُتل أثناء الطوشة، وإن البدو هم الذين قتلوه وبذلك شخص بشخص.

أما بالنسبة لملكية المواشي فكانوا يملكون حوالي سبعين رأس بقرة كانوا يحرثون الأرض عليها. واستمر استبدادهم أيضاً أيام الحكم الفرنسي، ونتيجة المقاومة الشديدة من قبل أهالي القرية للحكم الفرنسي قام الفرنسيون بإرسال حملة إلى القرية وحرقوا القرية بكاملها وحتى محاصيلها الزراعية وقالوا للناس: كل واحد لازم يسلم للفرنسيين بارودة أو خمسين ليرة ذهبية يكون عليه الأمان. ونتيجة الظلم هجر أهالي القرية، وتُركت البيوت خالية من السكان. الرجال ذهبوا إلى دير علي، والنساء والأطفال لجأوا إلى الخنادق غرب البلد، وكان معهم بعض الرجال لتأمين الأكل والشرب لهم، واستمر ذلك خمسة عشر يوماً، وهذا ما حدث سنة 1925 أيام الثورة.

كان الفرنسيين يأخذون من كل زلمي (رجل) 350 ليرات حورنية، وعلى كل قيراط فلاحة 500 ليرات حورنية. وقاموا أيضاً بجمع الذهب عن طريق بيع الملابس للناس. ويقول لنا إن الاستعمار الفرنسي قام بترحيل أهالي القرية مرتين من بيوتهم. وفي سنة 1938 كلفت لجنة من قبل الدولة من أجل المساحة لتحديد ملكية كل شخص على حِده، إلا أنه نتيجة عدم الوعي ونتيجة الفقر أيضا لم يتمكن الفلاحون من أخذ المساحة المحددة لهم، وبسبب غلاء حجر المساحة آنذاك بحيث كان سعر الحجر 500 ليرة، صار كل اثني عشر شخص يشتركون بقطعة أرض ويمسحونها بأسمائهم من أجل توفير أحجار المساحة التي كانت بذلك الوقت عبئاً عليهم، والغني بذلك الوقت مسح ما يريد، حيث أن إسماعيل المالكي قام بمسح الجبال القريبة لأرضه، يعني كل خمسين شخص من الفلاحين يملكون قطعة أرض، إلا أن المذكور لوحده كان يملك قدر الخمسين شخص، وبسند ورقم واحد دون شركاء معه بالمحضر والسند. أعطيت السندات للفلاحين 1939 مسجل عليها أرض أميري من وقف السلطان سليمان.

وفي سنة 1940 باع الأمير عبدو من المليكة إلى فؤاد حمزة بيك الذي أتى إلى القرية بسنة 1940 مقدار خمس فدادين، وباع إلى إسماعيل المالكي الذي أتى أبوه من الشام وسكن بالقرية مقدار ثلاثة فدادين، وباع إلى خليل

بيك أبو أحمد فدانين، وأعطى أيضاً إلى عبد الوهاب آلوسي فدان لأن المذكور يعمل سيّاف تحت يدهم. الملكيات المتوسطة لا تتجاوز 10% والباقي فقراء يعملون عند أصحاب الحوانيت (الحقول) أي الملكيات الكبيرة. القرية كانت تقسم إلى 24 فدان، 11 فدان بأيدي الحوانيت، أي أصحاب الملكيات الكبية نسبياً، و13 فدان بأيدي أهالي القرية.

أما مياه الري كانت موزعة على 12 يوم، أصحاب الحوانيت[45] لهم 7 أيام، وباقي الأهالي لهم كل واحد ساعة أو ساعتين حسب ما يملك. كان الفلاح يعمل عند أصحاب الحوانيت طوال السنة بأجرة زهيدة، أي كيس قمح و35 ليرة سورية، حتى الحلاق آنذاك كان بالسنة يأخذ أجرته (مُدّين قمح) إذا كان يأتي إلى صاحب البيت.

بالنسبة للتعليم كان في غرفة واحدة بناها أهالي القرية، يتم التعليم فيها من الصف الأول حتى الخامس. وكانت أجرة الأستاذ أيضا مُدْ قمح على كل طالب. وإذا كان يريد أن يتابع تعليمه كان يذهب من القرية إلى المدينة مسافة 15 كم مشياً على الأقدام لعدم قدرته على دفع أجرة المركوب. ونتيجة الفقر والجفاف اضطر بعض الفلاحين لبيع أرضهم إلى أصحاب الحوانيت الكبيرة بسعر زهيد، حيث كان سعر القصبة آنذاك 15 قرش حتى أجرة الشخص كانت طوال اليوم بفرنك. ونتيجة إقبال عدد كبير من الفلاحين لبيع أراضيهم قال لهم فؤاد بيك حمزة: إذا أنتم بعتم أراضيكم كلها أنا مع مين بدي أسكن، فرفض شراء أي قطعة.

وقام المذكور فؤاد بيك حمزة ببناء أول مدرسة ابتدائية في القرية سنة 1947 على نفقته الخاصة دون إشراك أهل القرية بذلك، وحتى لم يقبل إلا دفع أجرة العمال الذين قاموا بحفر الأساس لهذه المدرسة تبرعاً دون أي مقابل. وكان يريد أن يصب أرض نهر الري من النبع إلى القرية بالإسمنت المسلح والمسافة بين رأس النبع والقرية هي 4 كم إلا أن المنية سبقته. وبعد وفاته قامت زوجته بتوكيل أشخاص من القرية على الرزق وذهبت إلى لبنان، إلا أن الوكلاء "أكلوا البيض والتقشيرة".[46]

التطورات الجارية بعد 1958:

أهالي القرية كانوا كلهم فلاحين. وبعد ذلك لجأوا إلى العمل في المعامل القريبة من القرية، حيث كانت أجرة العامل بذلك الوقت 250 ل.س، ومنهم من يعمل بالمدينة موظفا ووضعهم الاجتماعي دون الوسط. لا يوجد هناك هجرة بل أنها معدومة نهائياً.

---

[45] الحانوت مساحة من الأرض المروية يملكها: تاجر موظف كبير متنفذ، ويُشغل الفلاحين فيها. والتعبير مستخدم على نطاق واسع في الغوطة. استولى على كل شيء ولم يترك لصاحب الحق درهما.

[46] استولى على كل شيء ولم يترك لصاحب الحق درهما.

الإصلاح الزراعي: بالنسبة إلى أصحاب الملكيات الكبيرة وزعوا أرضهم (تهرباً من الاستيلاء عليها من قبل الإصلاح الزراعي) على أقربائهم، وحتى على بعض الفلاحين بالقرية بموجب سند، وبعد ذلك استردوها منهم.

كما ذكرنا، إن المدرسة الابتدائية التي بناها فؤاد حمزة هي أول مدرسة، وما زالت حتى الآن، والطلاب يتلقون تعليمهم فيها. وفي سنة 1970 شيدت مدرسة ابتدائية أخرى من قبل الدولة، والإعدادية كانت مشتركة بين الأشرفية وصحنايا.

وصلت الكهرباء إلى القرية بشكل رئيسي أواخر عام 1960. أما مياه الشرب، سابقاً كانت الناس تشرب من نبع شداقة نفسه، النبع الذي يسقون منه الأراضي. وبعد ذلك وفي عام 1963 تم حفر بئر ارتوازي بعمق 200 م، وذلك عن طريق خبير روسي الذي حدد مكان البئر. وفعلاً إن مياه هذا البئر تعادل مياه عين الفيجة إذا ما قلنا أكثر طيباً منها، ولكن للأسف لم يعد يكفي القرية بسبب كثر السكان.

وصل طريق الزفت أي الطريق العام إلى القرية عام 1955.

المهر سابقاً كان مطلوب من أهل العريس أن يقدموا سجادتين تبريزي وصندوق خشب من أجل وضع الملابس به وثلاث مجيديات ذهبية على أن تصبح من حق الزوجة في حال الطلاق. وأهل العروس لا يأخذون أي شيء سوى أن يضمنوا حق بنتهم بذلك الأثاث. أما الآن المهر أن يقوم العريس بمد سجادتين وخزانة خشبية، أي غرفة نوم كاملة، ويقدم ذهب بالخطبة بمقدار 10.000 ل.س. وبعد الزواج يجب أن يقدم أيضا 10.000 ل.س ذهب هذا ما يسمونه المقدم، والمؤخر يُكتب حسب الاتفاق غالبا بين 10.000 و15.000 ل.س، وأهل العروس أيضاً يتكلفون كثيراً، ومنهم من يقدم ذهب وهدايا، المهم المهر يعود للعروسين وأبو العروسة لا يأخذ شيئاً له.

19- لقطات هامة من تاريخ امتان

مُجرية اللقاء الدارسة: جمانة البني.

المتحدث: سلمان بن حمود عماد من أهالي قرية امتان إلى الجنوب من السويداء، وعمره أثناء اللقاء به عام 1988 65 سنة.

كتبت الدارسة مازجة بين ما رواه المتحدث سلمان ومعرفتها العميقة بقريتها إمتان:

كان جدي من المستوطنين الأوائل الذين سكنوا القرية، حيث بدأ النزوح من جبل لبنان إلى جبل العرب عام 1850، وازدادت الهجرة بشكل ملحوظ بعد المذابح الدامية التي شهدها لبنان عام 1860. وعلى ما أعتقد أن قريتنا امتان دخلها المهاجرون بعد عام 1870 تقريباً. كانت الأسرة الحاكمة هي المالكة التي يرجع لها الحل والربط في كل الأمور.

كان يوجد في بداية النزوح والاستقرار آل حمدان. لم يجر توزيع الأرض على دورها نتيجة لقلة السكان في مناطق التجمع ورغبة من الأسرة الحاكمة أن تبقى مسيطرة على كل شيء، بعدها استولى على زعامة الجبل آل الأطرش أو الأسرة الطرشانية، واتبعت سياسة جديدة حيث وزعت الأراضي على أفرادها ووزعتهم في مناطق الجبل، فكان كل شخص من هذه الأسرة يقدم على قرية يسكنها ويسمى الأمير أو الشيخ ويتبع ملكية القرية به بكل ما فيها من أراض وعقارات وخراب. وفي أثناء قدوم الأسر المهاجرة من لبنان إلى قرى الجبل عمد الأمير أو الشيخ إلى تقسيم الأراضي إلى وحدات تسمى كل وحدة أرض "فدان" تبلغ مساحتها 200 دونم ليوزعها على الأسر القادمة المهاجرة مقابل رسم مقداره ليرة ذهب لكل وحدة، حيث أن هذا الرسم في وقته كان قاسياً جداً أو كانت هناك أسراً قادرة على العمل وعاجزة عن دفع ذلك الرسم في وقته. ومنهم من يدفع رسم أكثر من وحدة لكن كانت ملكية الأسر تتراوح بين وحدة إلى ثلاث وحدات حسب مقدرتهم على الدفع، فكان هذا التقسيم الأول للأرض. وعندما تكاثرت الناس وتوسعت باستصلاح الأراضي بشكل نهائي قسمت القرية إلى أربعة أقسام رئيسية كل قسم يساوي 56 فدان وربع وأصبح المجموع 225 فدان. يملك الشيخ ربع الأرض بكاملها أي 56.25 فدان (الأمير مصطفى الأطرش).

الملكية لم تكن ثابتة، بحيث يستطيع المالك الذي وزع عليه الشيخ قطعة أرض أن يحمي ملكيتها رغم أنه دفع ثمنها، حيث أن الشيخ يستطيع في أي وقت أراد، إذا غضب منه، أن يأمره بمغادرة القرية ونزع ملكيته دون أي تعويض، فكانت المحافظة على ملكيته تتطلب منه الولاء التام للشيخ. هذا بالنسبة للملاكين الصغار، وكما أسلفنا الذكر هناك كثير من الأسر كانت تملك قوة العمل ولا تملك القدرة على دفع الملكية مما يضطرها العمل في أرض الشيخ هي ونسائها و أولادها على مدار السنة مقابل ربع الإنتاج، وسمي هؤلاء بالمرابعين، حيث بلغ عددهم 56 مرابع. وإذا حدث لأحد المرابعين أن مرض أو تعطل عن العمل، يعمل الشيخ على تعيين بديل عنه ويعطيه أجره ويخصمه من أجرة المرابع في البيدر.

وخلال الدورة التي كانت مدتها ثلاث سنوات، تعمل الأسر التي اشترت قطعة أرض على تجويدها واستصلاحها، ويأمر الأمير بحل القسمة وعودة الملكية للشيوخ، حيث يعطي الفلاحين أرضاً جديدة لاستصلاحها وينتقي خير الأراضي المستصلحة. هذا الوضع كان قبل الحرب العامية والثانية. أما بعد الانتفاضة الفلاحية التي سميت بالعامية (1885) طرأ تغيير جوهري على الملكية التي تم بموجبها انتزاع نصف الربع الذي يملكه الشيخ، وصار يملك 28 فدان من أصل 56 فدان ما قبل العامية، كما لم يعد باستطاعته حل القسمة متى أراد حيث توضحت الملكية بشكل كامل، فكان سقف الملكية للفلاحين الصغار آنذاك 3 فدادين يستطيع الفلاح أن يتصرف بها بيعاً أو شراءً حسب الأعراف النافذة في ذلك الوقت، حيث كانت الحجة هي وثيقة البيع أو الشراء تكتب بديباجة تفيد معناها موثقة بشهود المال فكانت ملزمة وقانونا سارية المفعول. تمت القسمة الثانية عام 1951 فكانت القسمة الأولى بعد العامية حيث ألغيت القسمة على أساس الدورة الزراعية وتم تجميع الأراضي وتقسيمها

إلى أربعة أقسام سمي كل قسم ربع، وكل ربع يعادل 56 فدان وربع. روعي من خلاله النفوذ العائلي لتفاوت جودة الأرض بين ربع وآخر وبين الربع نفسه.

وفي عام 1958 تم الإصلاح الزراعي، حيث اقتطع من أرض الشيخ (الأمير علي بن مصطفى الأطرش) 13 فداناً أخرى من الأرض البعيدة التي هو اختارها ووزعوها على بعض الأسر التي كانت لا تملك أرضاً، أي أن الإصلاح الزراعي خَيَّره بالأراضي التي يريد الاستغناء عنها وطبيعي أنه بقي متمسكاً بأجود الأراضي، إذ نستطيع القول أن الأمير وحده يملك حصة الأسد في القرية.

الملكيات بشكل عام صغيرة، وبعضها القليل متوسط. مثلاً جدي كما أسلفت، من المستوطنين الأوائل الذين سكنوا القرية، اشترى من الشيخ آنذاك ثلاث فدادين وزِّعوا بعد وفاته على أولاده حيث لم يبق لي الآن غير أرض نصف فدان وربما كنت أوفر حظاً من غيري.

يبلغ عدد سكان القرية حوالي ستة آلاف نسمة، المقيم منهم في القرية يزيد قليلاً عن الثلاثة آلاف، وما تبقى منهم من هاجر إلى المدينة ليؤمن مورد عيشه. تركزت الهجرة بشكل كبير إلى العاصمة دمشق، حيث أن نسبة كبيرة من أبناء القرية متوزعين في أحيائها. بدأت الهجرة تقريباً في سنة 1953 إلى الأمريكيتين، وتصاعدت في سنوات الجفاف والقحط من عام 1957–1960، لأن قريتنا زراعية وتعتمد على مياه الأمطار ولا مصدر غيره.

وفي فترة السبعينات فتح باب الهجرة إلى الخليج، حيث استقطبت دول الخليج بعض الشباب الغير مثقف، أي عمال عاديين وعمال مهنة، ولكن بأعداد قليلة إذا ما قيست بالهجرة التي حدثت في قرى أخرى. نتيجة لهذه الهجرة وتقلص كميات الأمطار ومعدلاتها السنوية انعكس ذلك بشكل سلبي على القرية، مما أدى إلى تدني مستوى المعيشة وانخفاض الثروة الحيوانية وازدياد حالة الفقر. لكن هذا التردي على المستوى الاقتصادي والمعيشي لم يكن ما يماثله على المستوى الفكري والسياسي، حيث اتسمت قريتنا بوعي سياسي متميز أكسبتها عبر تاريخها وما قدمته من تضحيات نظرة احترام وتقدير من أهالي المنطقة، حيث كانت في زمن الثورة السورية الكبرى – وباعتبارها قرية حدودية تقع على الحدود الشمالية لدولة شرق الأردن– همزة وصل بين الثوار الذين استوطنوا الصحراء لينطلقوا منها لمقاومة الاستعمار الفرنسي البغيض، ودفعت ضريبة الدم حيث سقط منها في مقارعة الاستعمار الفرنسي أثناء الثورة السورية الكبرى عام 1925 ما يزيد عن 125 قتيل رغم عدد سكانها المتواضع آنذاك. وكان عدد من رجالات القرية من الشخصيات المعتمد عليها في الثورة وقيادتها، استمر هذا الوعي السياسي والوطني حتى بعد الاستقلال حيث لا نجد حزباً سياسياً تقدمياً إلا وله أتباع ومؤيدين في قريتنا حيث كانت وما زالت مرتعاً خصباً لكل الأفكار السياسية الوطنية والتقدمية قبل الاستقلال وبعده وحتى الآن.

وهذا بدوره حافظ على سوية معينة من الوعي السياسي والاجتماعي نلمسه من قلة الهجرة إلى بلاد الخليج في السبعينات وحتى الآن، الهجرة التي أوقعت بشركها كثيراً من الشباب بحثاً وراء الثراء السريع وجمع المال حيث

يوجد ما يشجع ذلك من انتشار العلاقات الرأسمالية وتفرز الأنماط الاستهلاكية، والأخطر من ذلك أن شباباً كثيرة قد تركت المدرسة مهاجرة إلى بلاد النفط حاملة معها أحلامها بجمع المال وتحقيق الثروة، أما في قريتنا فلا ننكر أن ذهب الخليج قد جذب عدداً من شبابنا لكنه قليل إذا ما قيس بالقرى الأخرى المجاورة، بالرغم من سوء الحالة الاقتصادية وانخفاض مستوى المعيشة. هذا بدوره حافظ على الطراز القديم في بناء القرية مع تحسين جديد بحدود 40 % تقريباً قام به الشباب المتعلم والمرتبط بوظيفة ما في القرية أو حولها وأغلبهم من المعلمين والمدرسين حيث أنهم قد سحبوا قروضا على رواتبهم وحاولوا تعديل مسكنهم، وقسم آخر من الذين سافروا إلى دول النفط حيث عادوا وتركزت مشاريعهم في إيجاد مسكن من الطراز الحديث مع الإشارة إلى أن ليس كل الذين هاجروا حققوا أحلامهم، فكثير من الشباب قد عاد مضطرا وآماله وأحلامه محبطة، لأننا كما نعرف أن نتيجة لأزمة النفط عمدت دول الخليج إلى تقليص العمالة لديها، وكما يقول المثل الشعبي: "إيد من ورا وإيد من قدام".[47] مما شكل الآن عدداً من الشباب العاطل عن العمل.

أما الذين هاجروا إلى الأمريكيتين منهم من حالفه الحظ، ميسور الحال، يعلّم أولاده في الجامعات، والعودة إلى الوطن تراوده، حيث نقل لنا هذا عن طريق قسم بسيط منهم عاد واستقر، لكن الذين عادوا كانوا قلائل لا يتجاوزون أصابع اليد الواحدة، أي لم يكن هناك هجرة معاكسة. و قسم منهم قاسى العذاب والحرمان لا يملك أجرة الطريق للعودة إلى الوطن الأم.

أما المهاجرون إلى العاصمة دمشق – وأغلبهم قصدوها كما قلنا من قبل في أوائل السبعينات نتيجة تتالي سني القحط– فقد أصبح أغلبهم متقاعدين أو على أبواب التقاعد، وهؤلاء كلهم يفكرون بالعودة من جديد إلى القرية بدون استثناء، ومنهم من عاد فعلاً. لكن الكل عازمون على العودة إلى القرية.

العلاقات في قريتنا بشكل عام منفتحة، لا يوجد إرث للتعصب الاعمى والتقاليد البالية والمفاهيم الضيقة حيث أن المرأة منذ القديم عندنا تساعد الرجل يدها بيده كما يقال، تساعده في كل أعماله في الزراعة، لكن تبقى تابعة له لأنها لم تختص بنصيب معين لجهدها، أي اقتصادياً تابعة للرجل، ولكن الذي خفف من حدة التبعية ولطَّفها هي أن المرأة لها مكانة معينة عندنا أي في علاقاتنا الاجتماعية، فهي منذ القديم وكما يقال في المثل الشعبي هي "أخت الرجال"، تشاركهم في الرأي، وتقوم مقام زوجها إذا كان غائباً، فتستقبل الزوار ويأخذوا واجبهم كما لو كان زوجها حاضراً، فتستقبلهم في المكان المخصص لاستقبال الزائرين ويسمى "المضافة" وهي تعتبر بمثابة المدرسة الاجتماعية عندنا حيث تتبادل الناس بها أحاديث مختلفة ويتشارون بأمور عدة حسب الاهتمامات المختلفة من خلال المعاناة والآمال.

[47] "إيد من ورا وإيد من قدام": تعبير يقصد به عودة الشخص خاوي الوفاض (بلا نتيجة) رغم الجهود التي قام بها.(من وضع ح ح).

أما بالنسبة للمهر في القرية، فكان يساير حالة اليسر أو الحاجة ويواكب مستوى المعيشة، مر أحياناً بمرحلة المقايضة قديماً اتخذ الشكل النقدي واستقر عليه منذ زمن طويل، لكنه ارتفع ارتفاعاً ملحوظاً بفترة السبعينات وأوائل الثمانينات، وكان سبب ارتفاعه بهذه الفترة أن كثيراً من الشباب المسافر إلى دول النفط قد عاد وترافق هذا مع عودة بعض المهاجرين من أصقاع مختلفة من الأمريكيتين وغيرها. مع الإشارة إلى أن هذا الوضع ليس في بلدتنا فحسب بل أن بلدتنا أقل الناس تأثيراً بذلك حيث أن هؤلاء المهاجرين وأغلبهم من الشباب الفاشل دراسياً يحاول أن يعوض هذا بسيارة يركبها ومهراً غالياً يدفعه لفتاة اختارها خطيبة له معوضاً بذلك النقص الذي يشعر به مما أدى إلى ارتفاع المهور بشكل لا يطاق أصبح فوق قدرة الكثيرين من الشباب العازب الذي يريد الزواج، مما استدعى منهم الوقوف ضد هذه الظاهرة التي تفسد أخلاقيات المجتمع، وتُحوِّل المرأة إلى مجرد سلعة وتجردها من القيم التي اكتسبتها منذ القديم. وكان عصب هذه الحملة الشباب المثقف، وحملة المبادئ، مما دفع رجال الدين عندنا بالمحافظة وبتحريض من الشباب إلى تحديد المهر بـ 5000 ليرة معجل و5000 ليرة مؤجل و5000 ذهب، ورموا الحرم الديني على كل من يخرق هذا التحديد. والحرم الديني عندنا قاس اجتماعياً لا يجرؤ أحد على خرقه، فالذي يرمى الحرم عليه لا يشرب من شربه ولا يؤكل من أكله ولا تشرب قهوته ولا يحضر فرحه ولا أحزانه الخ... ومن طبيعي أن لا يستطيع أي إنسان أن يعيش في العزلة التي تطاله إذا خرق ذلك، ولكن نستطيع القول أن بعض الناس ولكنهم قلائل يأخذون مهراً أعلى مما هو محدد لكنهم لا يستطيعون المجاهرة في ذلك حيث أن الاتفاق يكون على المهر المحدد (العلني) أما بالفعل فيكون المهر أعلى من ذلك، ويذهب إلى أهل الفتاة قسم منه يعود معها حاجيات وأغراض تؤمنها منه والقسم الآخر يبقى مع الأهل.

بعد أن تحدثنا عن أمور عدة بقريتنا نستطيع أن نوجز بشكل عام على بعض الأمور التي نرى أنها تساعد في تكون التصور الصائب لقريتنا. حيث أن المدرسة الابتدائية قد دخلت القرية في أواخر الثلاثينات من هذا القرن، أما الكهرباء والمدرسة الإعدادية فقد دخلت في أوائل السبعينات، رافق هذا تعبيد شوارع القرية بالزفت.

ومع دخول الكهرباء دخلت مقتنيات جديدة مثل التلفزيون والبراد والمكواة. كما أن الآلات الزراعية قد دخلت بالتدرج منذ منتصف الستينات، حيث أول ما دخلت الجرارات، وأول ما دخلت الحصادة في أوائل الثمانينات، لكن مستعملي الحصادة قلائل فالأغلب يحصد بالطريقة التقليدية (أي بيديه)، لأن الحصادة لا يلائمها إلا الأرض "المعزّلة" (المنظّفة) من الأحجار. وغالبية الفلاحين أرضهم غير معزّلة بحيث لا تستطيع الحصادة أن تحصد بها نتيجة لسوء الحالة الاقتصادية وتوالي سنين الجفاف الذي قد يمنع أو لا يشجع بدفع مصاريف أو أموال بدون أن تعطي نتائج مرضية للفلاح.

يوجد في قريتنا مستوصف فتح حديثاً، كما أصبح لها بلدية مستقلة، والإقبال على التعليم عندنا مرضي جداً من كلا الجنسين، إذ أن كل الأسر تقريباً ترسل أبناءها إلى المدرسة دون تفريق، حيث يوجد عندنا في الإعدادية حوالي 300 طالب وطالبة، حيث أن الطالبات تشكل من أصل هذا العدد 48% تقريباً.

20- قرية الدِّمينة الشرقية/ محافظة حمص

مقدم الموضوع الدارس: الياس رزوق/ اتحاد عمال محافظة حمص/ نقابة الكهرباء. موظف في الشركة العامة لأعمال الكهرباء والاتصالات بحمص[48]

أصل تسمية قرية الدمينة الشرقية ولمحة تاريخية:

الدمينة هي اسم مصغر من الدِّمْنة. والدمنة هي آثار الدار، والشرقية تحديد للجهة الواقعة فيها نظراً لوجود الدمينة الغربية. ويعتبر أهالي القرية الحاليين من أصل سكان قرية حسيا والحسينية. وقد بدأت الهجرة إلى قرية الدمينة الشرقية في منتصف القرن التاسع عشر بدوافع اقتصادية وسياسية، ومن القهر والضيم من الأغا عبد المجيد سويدان. وقد وجد في القرية بعض الحفر تحت سطح الأرض حيث وجد فيها بعض الأدوات الفخارية التي استخدمها الإنسان قديماً في حياته العامة. وتعتبر هذه الحفر كملجأ للإنسان قديماً. كذلك وجدت بعض المقابر وأحجار منحوتة تستخدم في بناء خاص وحجارة لعصر الزيتون وبعض الآبار القديمة.

الوضع الطبيعي والإداري:

تقع القرية في وسط سهل "حتي" في القسم الشمالي لسهل البقاع على ارتفاع 650 م من سطح البحر. يتخلل سهول القرية بعض الأودية الجافة التي تشكلت بفعل الأمطار، أما الأراضي فهي ملك للسكان (لأهل القرية) أي لا يوجد فيها إقطاع ابداً. والقرية من الناحية الإدارية تابعة لمنطقة القصير التي تبعد عنها مسافة 12 كم إلى الجنوب والقرية تبعد عن مدينة حمص مسافة 20 كم.

التطور العمراني:

يعتبر السكن ضرورة أساسية للإنسان منذ القديم، لذا يلجأ الإنسان إلى المنزل بعد القيام بالعمل الزراعي أو الوظيفي أو المهني لينال قسطاً من الراحة بعد عناء العمل. والنمط السكني في القرية قديماً هو عبارة عن بعض الغرف المنتشرة بجوار بعضها البعض يتكون من الطين والحجارة والسقف مصنوع من الخشب والقصب. وهناك بعض الغرف تكون للحيوانات والدواجن بالقرب من غرف السكن. والحي القديم في القرية يقع بالوسط فيما يتجه التطور العمراني حالياً نحو الجنوب الشرقي ويدخل في البناء الجديد التخطيط الهندسي العلمي ويستخدم الإسمنت والحديد في تكوين البيت حالياً مع توفر حديقة للمنزل. أما المرافق العامة في القرية يوجد بئر ماء عليه محرك كهربائي يضخ الماء للقرية ضمن شبكة أنابيب لا تغطي القرية بشكل كامل. وهذا المشروع لايزال مستثمر حتى الآن. إلى جانب الماء هناك شبكة الكهرباء تشمل كل الأحياء السكنية مما أدى إلى إدخال بعض الأدوات

---

[48] تركنا العنوان الذي اختاره الدارس دون تغيير.

الكهربائية غلى المنزل (براد– تلفزيون– مسجلة الخ...) أما بالنسبة للخدمات التعليمية في القرية فهناك ثلاثة مدارس: الأولى ابتدائية مؤلفة من اثنا عشر شعبة والبناء حكومي حديث، وأما المدرسة الثانية والثالثة هي المدرسة الإعدادية والثانوية مشتركة في البناء والإدارة وتقع في الجهة الجنوبية الشرقية من القرية، مؤلفة من مبنى ذات طابقين يوجد فيها عدد لابأس من الطلاب والطالبات وعدد من المدرسين والمدرسات.

السكان والحياة الاقتصادية:

يبلغ عدد سكان القرية حوالي 3500 نسمة، ويقوم معظم السكان بالأعمال الزراعية البعلية، وتشارك المرأة في هذه الأعمال إلى جانب الرجل. وتكون الأعمال في حراثة الأرض وزراعة القمح والشعير والحصاد. وأما في الوقت الحاضر فقد اتجه الفلاح إلى زراعة الأشجار من أهمها اللوز والعنب والزيتون، والمساحات المزروعة باللوز بقدر نصف المساحة الإجمالية للقرية. ويعاني اللوز من بعض الأمراض التي تصيب المحصول، وأحياناً من الصقيع وانخفاض الحرارة في شهر نيسان، كل هذا قد يؤدي إلى ضرب المحصول بشكل كلي أو نسبي فينعكس على حياة المزارع وانخفاض مستوى المعيشة في القرية. ومعظم الزراعة في القرية تعتمد على مياه الأمطار، وتقع القرية خارج خط الأمطار نظراً لقلة الأمطار السنوية. وأهم المشكلات التي تعاني منها القرية في المجال الزراعي هي مكافحة أمراض اللوز الكثيرة إلى جانب شدة الرياح في المنطقة التي تحتاج إلى زراعة أشجار تكون مصدات للرياح وتحمي المزروعات في الجهة الغربية من القرية. إلى جانب هذا تعاني القرية من قلة المياه وعدم توفر دراسة للمياه الجوفية في المنطقة. وذلك لتحديد منسوب الماء البطني وإلزام المواطن بحفر الآبار الارتوازية على عمق هذا المنسوب لما لهذه الناحية من أهمية في توفير المياه وخاصة للزراعة المروية في القرية. كل هذه الأسباب أدت إلى أن بعض الناس تركوا أعمال الزراعة وهاجروا إلى المدينة لأجل التوظيف والأعمال الأخرى والقسم الآخر إلى التوظيف في المدينة وبقاؤهم في القرية حيث يتجمع الموظفون في الصباح الباكر على الطريق العام في أعداد كبيرة جداً بانتظار سيارات النقل للوصول إلى أعمالهم في المدينة، وهكذا حالهم في كل يوم حتى انتهاء الخدمة. أما بالنسبة للمقيمين في المدينة إما أن يتزوج من المدينة أو من القرية حسب أوضاعه. أما أولاد المهاجرين إلى المدينة فيتزوجون من المدينة.

تربية الحيوانات:

إن تربية الحيوان بالقرية تتجه نحو الانخفاض إذا ما قيست مع الماضي. وأهم الحيوانات التي تربى في القرية هي الأغنام ويبلغ عددها 1000 رأس، والماعز نحو 200 رأس، والغرض من هذه الحيوانات هو الحصول على ألبانها وأصوافها. وتُربى الأبقار بأعداد قليلة لعدم توفر الزراعة المروية والغذائية لها والإشراف الطبي. وتقوم في القرية تربية الدواجن لتوفر الشروط المناسبة لها.

الصناعات:

أهم الصناعات في القرية هي صناعة السجاد اليدوي بعد بناء الوحدة الإرشادية في عام 1978 التي تضم 30 عاملة، وتقدر كميات الإنتاج بـ 800 متر مربع سنوياً، وهي من الأصناف الجيدة نوع 500-600، ويتم تصريف الكميات المصنعة عن طريق الوحدة الإرشادية ومديرية الشؤون الاجتماعية والعمل بحمص نقداً وبالتقسيط. ويوجد في القرية معمل لتصنيع العنب ينتج العرق والنبيذ والويسكي. وتشتهر القرية قديماً بصناعة الدبس من العنب. وهناك ثلاثة معاصر قديمة تعمل في تصنيع العنب بطرق بدائية، وحالياً متوقفة لعدم توفر مادة العنب وعدم توفر عاملات تستطيع العمل في هذه المعاصر واتجاه المزارع نحو زراعة شجر اللوز وبمساحات كبيرة.

المواصلات:

الطرق داخل القرية نصفها معبد والنصف الثاني ترابي لعدم توفر بلدية تقوم بمهمة تسوية وفرش الطرقات بالأسفلت. أما الطرقات التي تربط القرية مع مدينة حمص فهي من الدرجة الثانية إلى جانب بعض الطرق الترابية، أما أهم وسائل النقل فهي السيارات والجرارات الزراعية.

التجارة:

التجارة في القرية محدودة جداً تقوم على تبادل السلع الاستهلاكية الضرورية مع المحلات التجارية المتوفرة بالقرية ومع مستودع الجمعية التعاونية الفلاحية. أما العلاقات التجارية مع المدينة تكون على نفس الصعيد المحلي إلى جانب بعض المحاصيل الزراعية في القرية إلى المدينة وشراء المواد الاستهلاكية والمنزلية الضرورية.

21- الحياة في قرية "المعمورة" من الزراعة البسيطة وتربية دودة الحرير إلى "التَنَعّم" بسيارات الدولة والهجرة إلى لبنان وزراعة التفاحيات

مُجري اللقاء الدارس: صلاح أحمد حبقة من دريكيش.

المتحدث: أحمد محمد خليل. عمره 60 عاماً حين تاريخ اللقاء به. ولد في المعمورة التابعة لمنطقة الدريكيش/ ناحية دوير رسلان، وتقع إلى الشرق من منطقة الدريكيش بحوالي 13 كم.

كتب: الجد عمله مزارع، وهو متوفي، وله ولدان: حمدان خليل، وهو يعمل كمزارع؛ ومحمد خليل، مزارع أيضاً.

إن ملكية الأرض الزراعية تعود لأهالي القرية منذ أكثر من مئة عام ولا أعرفها إلا كذلك. كان والدي يعمل في الزراعة كفلاح صغير في ملكيته الخاصة. إن الملكيات الزراعية في القرية هي من النوع الصغير تتراوح بين 50 دونم وواحد دونم للمالك الواحد.

تبلغ مساحة هذه القرية حوالي 5000 دونم وعدد سكانها لا يتجاوز 1300 نسمة.

كانت تربية المواشي بحجوم صغيرة تتراوح بين 3-5 نعجات للبيت الواحد، يتم رعيها بواسطة أهل القرية أنفسهم بالتناوب، ومن لا يرعى يدفع أجراً، وهم قلة.

دخلت المدرسة الابتدائية القرية منذ عام 1923 بفضل جهود المناضل الشيخ صالح العلي في عهد الانتداب الفرنسي، وهي المدرسة الابتدائية الوحيدة على مستوى ريف منطقة الدريكيش.

كانت القرية تعيش على موارد الهجرة إلى لبنان، وقسم منهم التحق بوظائف الدولة من عسكريين وموظفين هرباً من الفقر. كان المهاجرون إلى لبنان يقضون هناك حوالي تسعة أشهر كل عام للعمل ويعملون على تربية وتعليم أولادهم حيث يمكن القول أن القرية منذ عام 1970 لا يوجد فيها أمي واحد ممن تتراوح أعمارهم بين 1-10 سنوات.

كانت المحاصيل الزراعية هي الحنطة والشعير والذرة كمحاصيل استهلاكية (غير معدة للبيع). تعتمد في إنتاجها للبيع على تربية دودة الحرير وتشارك المرأة الرجل في العمل في الزراعة والحقول وتربية دودة الحرير الخ... وقد دخلت المرأة ميدان المدارس والتعليم مثل الرجل حيث يمكن أن نلاحظ أن 52 % من طلاب الثانوية هم من الإناث، ويتم التعليم بشكل مختلط منذ أكثر من 45 عاماً.

بعد عام 1975 حصل تغيّر جذري في القرية حيث حُرم السكان من مورد الرزق الوحيد: لبنان،[49] فالتجأ السكان إلى العمل في حقولهم وإلى الحرف الصغيرة داخل سوريا (نجار باطون، خياط، عتّال الخ...). كما تغيّرت نوعية الزراعات. فقد تم استصلاح الأراضي وتحويلها إلى أراضي مغروسة بالتفاحيات، وكان ذلك بمساعدة الدولة حيث مدّت الفلاحين بين عامي 1975 – 1983 بحوالي 3 مليون ل.س حيث بلغ عدد الأشجار المثمرة المنتجة حاليا 20.000 غرسة، وهناك أكثر من 50.000 غرسة صغيرة، وهناك تطور ملحوظ في هذا الاتجاه. وازداد دخل القرية من أرضها، فبعد أن كان لا يتجاوز 20.000 ل.س عام 1975 أصبح من التفاحيات فقط 1.000.000 مليون ل. س سُلمت بفواتير رسمية إلى الدولة، وبيع بأكثر من 50.000 ليرة للقطاع الخاص (مهرب).

هذه الزيادة في الدخل تعود إلى ترك العمل في لبنان بسبب الحرب، وعودة المواطنين إلى أراضيهم حيث عملوا على استغلالها. يقوم عمل المواطنين الآن بشكل مزدوج. فقسم كبير منهم يعمل لدى الدولة حيث يبلغ دخل القرية من الدولة (رواتب موظفين) ما يزيد عن 150.000 ل.س شهرياً، وهؤلاء الموظفين نفسهم يعملون بالزراعة.

دخلت الثانوية إلى القرية عام 1977، والإعدادي عام 1970، ودخلتها الكهرباء عام 1982.

---

[49] وذلك بسبب الحرب الأهلية في لبنان من 1975 إلى1990.

دخلها طريق الزفت منذ عام 1965. يوجد في القرية: فرن واحد، 23 سمان، تاجر صغير، محل نوفوتيه، مركز توزيع غاز، خياط واحد، حلاق واحد، سيارات عامة وميكروباص واحد، سيارات صغيرة ومتوسطة 10 سيارات، سيارات خاصة لا يوجد، لكن هناك سيارات تعود للدولة تزيد عن 20 سيارة مع الموظفين.[50]

تشرب القرية بواسطة الينابيع الكثيرة فيها. وحفر فيها حوالي 30 بئر صغير لا يكفي سوى منزل صاحبه للشرب ولإرواء حوالي دونم واحد بقرب المنزل.

تعتبر القرية مركزاً حضرياً لتجمع سكاني يزيد عدد سكانه عن 7000 سبعة آلاف نسمة يحيطون بالقرية من جهاتها الأربعة.

هناك توقّع بأن أراضيها الزراعية البسيطة سوف تكون خلال أعوام قليلة من المناطق المصدّرة للتفاحيات بشكل أساسي، ويتوقع أن يزيد دخلها من التفاح قبل عام 1990 عن خمسة ملايين ليرة سورية.

حصل انحسار تدريجي لتربية دودة الحرير لكن ليس لذلك أثر اقتصادي على أهل القرية.

لا يوجد مهر في القرية منذ أكثر من عشرين عاماً.

الحياة الاجتماعية ريفية مختلطة لم تدخلها بعد حياة المدينة بشكلها مطلق. لكن الحضارة قد دخلتها من أوسع أبوابها فاختلطت مع العادات والتقاليد الريفية، ويمكن أن أقول أنها قد خلقت مجتمعاً متكاملاً متعاوناً يعيش الحضارة وفق متطلباته.

22- الواقع المعاشي لأهالي دير بعلبة/شرقي حمص

مُجري اللقاء الدارس: مرشد كنعان. كتبها بتاريخ 1985/5/1.

المتحدث: دياب كنعان. العمر67 سنة. مكان الولادة دير بعلبة. الإقامة الحالية دير بعلبة.

تاريخ اللقاء في 1985/5/1.

عَمِلَ جد المتحدث مزارعاً،[51] وتوفي تقريباً عام 1938. خلّف ثمانية ذكور وأربع بنات عملوا في الزراعة.

[50] هذه إحدى ظواهر تكوّن "بورجوازية بيروقراطية" تستخدم سيارات الدولة مع بنزينها وإصلاحها، وتتنعم بها معتبرة غياها ملكية خاصة. هذه الظاهرة الصغيرة لها أبعاد وعواقب لا مجال للحديث عنها هنا.

[51] الأفضل أن يقول عنه فلاحاً.

عَمِلَ والد المتحدث مزارعاً، وهو متوفي منذ عام 1956. عدد أولاده فقط أربعة ،كلهم ذكور، وجميعاً يعملون بالزراعة.

قال المتحدث:

في أواخر الحكم العثماني (أيام التَجَمّع)، [52] وأوائل الانتداب الفرنسي كانت الأراضي مشاعاً، أي ليست لأحد. كان أهل القرية جميعاً يقومون في أيام الزرع بزراعة الأرض كاملة محددين فيما بينهم نوعية المادة المزروعة في كل منطقة، فكانت أراضي دير بعلبة الشرقية تسمى "الرباع"، وإلى الشرق حوالي أربعة كيلومترات كانت تسمى "المتعارضات"، وفي الجهة الشمالية تسمى "الطايل". كان المزارعون يتفقون فيما بينهم بزراعة "الرباع" مثلاً بالشعير، و"الطايل" بالحنطة، وغيرها بالجلبان أو العدس، وهكذا.

كان المزارعون يقومون بحراثة تلك الأراضي بالمحراث اليدوي الذي تجره البغال أو الثيران، ومن ثمّ يقومون برش البذار باليد، بينما كان غيرهم يقوم بحراثة الأرض ثانية بعد نثر البذار بعد ذلك، أي بعد أن تستغرق مدة العملية ما يقارب الثلاثة أشهر من تشرين الأول ولغاية نهاية كانون الأول.

يعود الفلاحون بعدها لترميم بيوتهم استعداداً للشتاء، حيث يقومون بنثر الرمل على الأسطحة واستعمال مدحلة صغيرة لتُثْبِت الرمل بالطين على السطح. وعند قدوم الربيع يقومون بأخذ حيواناتهم إلى الأراضي غير مزروعة للرعي من الأعشاب التي تنبت في تلك الأراضي، وخاصة على ضفاف نهر العاصي في منطقة "السعن" شرقاً. وفي نهاية الربيع يقوم الفلاحون بتحضير البيادر ويهيّئون لها الأمكنة المستوية ويستعدّون للحصاد. وعند موسم الحصاد كان أهل القرية جميعاً يذهبون لحصاد كل منطقة حتى تنتهي، ويقوم المختار بتنظيم العمل ونقل المحاصيل على عربات من أربع عجلات إلى البيادر. كان كل منهم يأخذ شيئاً من المحصول فيقوم بدرسه وتذريته من الغبار والقش. وكان قسم من المحصول يُدفع كضريبة للدولة.[53]

ولم يكن المحصول يغطي إلا جزءاً من النفقات والمصاريف، ولهذا كان الفلاح يستدين من التجار في المدينة حمص لشراء ثيابه وعدة الزراعة، بالإضافة إلى غذائه من تمر وزيت وغير ذلك.

وفي عام 1936 نشرت دولة الانتداب إعلاناً لتسجيل الأراضي بأسماء الفلاحين، فمنهم من أقدم على تسجيل الدونمات من الأراضي باسمه، ومنهم من تمنّع عن دفع الضرائب على الأراضي فدفع رشوة للمختار خشية تسجيل أرض على اسمه، [54] وبذلك توزعت الأراضي بشكل غير عادل، فأصبح من يملك مئات الدونمات، وصار

[52] المقصود الحرب العالمية الأولى 1914-1918.

[53] وهي ضريبة العشر.

[54] ويعود السبب إلى خوف تاريخي دفين من أن تسجيل الأرض يؤدي إلى سوق صاحبها إلى العسكرية أواخر العهد العثماني، إضافة إلى رسوم التسجيل ودفعه ضريبة الأرض.

من لا يملك شيئاً. أصبح المالكون هم المتحكمون بالأراضي، وصار يقال فلان مزارع وفلان بطّال، وقام البطّالون بالعمل لدى المزارعين في مواسم الحصاد والزراعة فنشأت بذلك الأحقاد من غير المالكين على مالكي الأراضي، وحدثت عدة إشكالات وتعدّيات حيث قام بعضهم بحرق محصول بعض المزارعين.

أما عن ملكية المواشي فكانت على شكلين: الأول هو وجود من يمتلك عدداً لابأس به من المواشي حيث يقوم بتربيتها والإتجار بها، والشكل الثاني هو أن كلّ مزارع ملك عددا محدودا من المواشي اختاروا لها راعٍ براتب سنوي، يجمع المواشي صباحاً ويعود بها مساءً إلى بيوت أصحابها. وكان الرعاة لا يملكون أرضاً، وهم من العاطلين عن العمل. هذا مع الإشارة إلى أنّ عدداً كبيراً من العاطلين عمل في المطاحن ومعمل السكر. ومع توسّع دوائر الدولة ومنشآتها عمل الكثيرون فيها.

أما مساحة ملكية الأرض فأقلها خمسين دونم، وأعلاها ألف دونم. ثمّ أخذت هذه المساحة بالتقلّص بسبب التوريث وكثرة الأولاد.

كانت البيوت في ذلك العصر تبنى من الطين وتسقف بالأخشاب، وهي ملك للفلاح، حيث كان الفلاح لا يملك سوى بيت واحد له ولمؤونته، وأحياناً له ولمؤونته وحيواناته.

جرت الهجرة في السابق إلى مدينة حمص حيث كانت الزراعة بسيطة وبدائية ولا تكاد تكفي المزارع. فهاجر قسم من السكان إلى المدينة وعملوا بالتجارة هناك. أما في الوقت الحاضر فتكاد لا توجد هجرة إلى المدينة.

دخلت المدرسة الابتدائية دير بعلبة عام 1947، وكان التعليم مقتصراً على الذكور فقط الذين ينهون تعليمهم في الصف الخامس. وعام 1975 افتُتحت مدرسة إعدادية، تبعتها المدرسة الثانوية عام 1982. وصلت الكهرباء لبيوت القرية القريبة من الطريق العام، وخط الكهرباء عام 1971. ولم تعّم الإنارة الكهربائية جميع البيوت إلا في عام 1984.

وصل طريق الزفت الواصل بين حمص–السلمية ماراً بدير بعلبة عام 1956، واقتصر على هذا الطريق حتى عام 1984، حيث قامت الدولة بتزفيت بعض الشوارع الرئيسية دون أي تخطيط، وقد قام أهالي القرية بتنفيذ مجارير على نفقتهم الخاصة بعد ذلك مما أدى إلى تخريب الطرق المزفتة، ولا تزال دير بعلبة، حتى الآن، تشكو من عدم تزفيت الشوارع.

كانت دير بعلبة تستسقي مياه الشرب من الآبار ذات المياه السطحية، التي تلوّثت مع التقدم ثمّ جفّت، وحصلت أزمة عطش. ولهذا قام الناس بحفر آبار ارتوازية بعمق ما يقارب المائتي متر وتركيب مضخات كهربائية صغيرة للحصول على مياه الشرب.

أما عن المهر، فمنذ القديم كان ما يعادل المئة ليرة يشتري بها والد الزوجة ذهبا لابنته، ومنهم من يأخذ قسماً من المهر، ومنهم من يعطي المهر كله لابنته. أما في الوقت الحاضر فالمهر يُعطى للابنة على شكل ذهب أو حلي وهو ما يعادل العشرين ألف ليرة سورية.

تعتبر دير بعلبة في الوقت الحاضر من الأحياء الكبيرة في حمص، وفيها كثافة سكانية لابأس بها، حيث يبلغ عدد سكان الحي ما يقارب الثلاثين ألف مواطن، جميعهم محرومون من كافة الخدمات فلا شوارع ولا أرصفة ولا مياه ولا تنظيف.

أُحدث في الحي مستوصف على مستوى ضيق، ويقوم هذا المستوصف بفحص ومعاينة من يأتي إليه مريضا، كما يقوم بتوزيع الأدوية مجاناً. لكن الأمر الذي يحدث هو أن المستوصف لا يقوم بما يتوجب عليه، فهو يبيع بعض الأدوية، ويوزع بعضها الآخر، ويتعامل مع الناس معاملة تدعو إلى الاشمئزاز.

المثير للنقمة أن بلدية حمص خصصت مكبّاً لجميع نفايات المحافظة في الجهة الشمالية الغربية من البلدة، وهي لا تبعد عن البيوت أكثر من خمسمائة متر. وهذا المكب يقع في أغنى منطقة زراعية خصبة وبين بساتين الخضار والفاكهة على ضفة قناة الري التي تروي المزروعات. سبب هذا المكب الأوبئة، وتكاثر الذباب، والكلاب الشاردة التي سبق وهاجمت القرية عدة مرات، وفي إحدى الهجمات أكلت طفلاً صغيراً. وقد قدّم الأهالي عدة اعتراضات للبلدية والحزب،[55] ولم يرد عليهم أحد.

وزاد الطين بلة أن شركة إنشاء الطرق وضعت مجبلاً للزفت على طريق حمص–حماة بجانب البساتين، مما أدى إلى أضرار بالغة لأصحاب الأراضي التي تنتشر فيها ضبابة كثيفة من الغبار تغطي أوراق المزروعات فلا تنمو بصورة جيدة، وقد اعترض أهالي الأراضي المجاورة عدة مرات على ذلك دون جدوى.

أما عن ري الأراضي من قناة الري، فإن الوقت المحدد والكمية المصرّفة من القناة تكاد لا تكفي ثلث الأراضي التي يدفع عنها المزارع سنوياً ضريبة ري، فيضطر المزارع لرشوة مأمور الري الموجود في المنطقة وشراء ساعات من الماء، علماً أنه يدفع ضريبة ري أرضه بكاملها. وتعود هذه الأموال التي يجنيها المأمور بطريقة غير مشروعة إلى جيبه وجيوب رؤسائه. وقد اشتكى المزارعون من ذلك عدة مرات فتبين أن المسؤولين لهم ضلع بالعملية.

وعن تسويق المنتوجات الزراعية من خضار وفواكه، فإن المزارع يقوم بنقلها إلى سوق الهال وتسليمها إلى تاجر السوق الذي ينال على بيعها كومسيون ما يقارب10% ليقوم ببيعها لتاجر الجملة أو المفرق. ولا يكاد يصل للمزارع من ثمنها وأجور نقلها ونفقات بقائها عند تاجر السوق سوى الربع، مما يؤدي إلى زيادة في جشع التجار، وعدم

[55] يقصد حزب البعث العربي الاشتراكي الحاكم.

إقبال المزارع على عملية الزراعة. إضافة إلى أن المزروعات الأخرى كالقطن والشوندر التي يسلمها المزارع حكما للدولة، فيلقى صعوبات كبيرة في الحصول على الموافقة على استلامها، وبالتالي الحصول على ثمنها مقتطعين منها ما يحلو لهم.[56]

أما عن جمعيات تربية وتسمين الحيوانات، فإن الدولة تعطي كميات محددة من الأعلاف للمندوبين عن الفلاحين، ويقوم هؤلاء المندوبون بتسجيل أعداد وهمية على أسماء الفلاحين لاستلام الأعلاف باسمهم حيث يقومون ببيعها بعيداً عن القرية في السوق السوداء وبأسعار مضاعفة، وحتى قبل استلامها حيث يبيعون بالرخص للتجار ويأخذون نصيبهم منها دون استلام ودون تسليم للمزارعين ومن هؤلاء: جمعية أعلاف البقر الحلوب رئيسها قاسم حليمة ، جمعية أعلاف التسمين رئيسها راتب النجيب، جمعية أعلاف الأغنام رئيساها برهان الشامي ومروان الطالب.

23- "المشرفة" والإقطاع

مُجري اللقاء الدارس: مرشد كنعان بتاريخ 1985/5/1.

المتحدثان: ابراهيم خليل، مواليد 1928، من الجابرية؛ وعبد الكريم كنعان، مواليد ،1933 دير بعلبة.

نقل عنهما:

كان يملك أراضي المشرفة المجاورة شرقاً لدير بعلبة أحد أفراد عائلة الدروبي حتى عام 1850. ويُقال أن والدة جورج ثابت (وهو بيك من أصل لبناني والدته من بيت البرازي) حضرت إلى حمص، ومقهى الروضة بالذات، وبطريق الصدفة التقت بصاحب أراضي المشرفة، ولعبت الورق على امتلاك أراضي المشرفة في حال ربحها، وتسليم 30 فدان من الأراضي على ضفاف النيل، حيث يقال أن أصلها مصرية وتزوجت في لبنان. وكانت المشرفة في ذلك الوقت لا تتجاوز 17 عائلة مجتمعة مع "الجابرية" و"بادو".

كسبت الرهان، وامتلكت أراضي المشرفة في ذلك العام، وسلمت هذه الأراضي لولدها جورج ثابت. غير أن ثابت كان همه الوحيد تربية الخيل الأصيلة، حيث كان قد أحدث مربطاً للخيل مساحته 250 دونماً، وكان يملك أعدادا كبيرة من رؤوس الخيل، وكان يستعمل لسياستها خمسون رجلاً، وتقدر أجور الواحد في ذلك الوقت بـ 35 قرشاً في اليوم.

---

[56] ظاهرة الفساد هذه، وما أورده المتحدث ونقله الدارس في أكثر من مثال، تشير بوضوح إلى انتشار الفساد في أوساط الفئات الحاكمة واستفحال أمره، وهذا في رأينا من الأسباب التي أدت إلى اندلا ع التحركات الشعبية الاحتجاجية في آذار 2011، قبل أن تنزلق بعد مدة إلى العسكرة، حيث دخلت عوامل كثيرة لا مجال لبحثها هنا.

كان أحد رجاله فريد مرهج (أصله من حماة وأخيه ناظم مرهج). يقال بأن فريد مرهج قد ضمن الأراضي بفلاحيها مقابل ألف ليرة كل يوم يقدمها لجورج ثابت. قبل جورج ذلك، فقام فريد بتشجيع الفلاحين على حفر الآبار وري الأراضي والمزروعات، فعمل قسم منهم بنصيحته مما شجع باقي الفلاحين على ذلك.

كان فريد يقرض الفلاحين قيمة تكاليف حفر البئر وتأمين اللازم لهم مقابل رد قيمة هذا القرض أضعاف مضاعفة وبأقساط، زائد حصة له من الإنتاج، زائد ما يترتب على الفلاح من أصل الألف ليرة لجورج ثابت يومياً.

كما يقال أن جورج قد سكب نقوداً باسمه على شكل طوابع من أجل السيطرة الكاملة على جميع جهود الفلاحين. وكان الفلاحون يتعاملون بها في المشرفة وبادو والجابرية وأحد تجار حمص واسمه جورج ولا تصرف هذه النقود إلا في هذه المنطقة فقط عن طريق هذا التاجر[57]

24- لقطات من حياة قرية طفس (درعا)

مجري اللقاء الدارس: عبد الكريم محمد كيوان.

المتحدث: يوسف المحمود كيوان من مواليد 1904 في طفس، ومقيم فيها. وجرى أخذ الحديث في طفس بتاريخ 1985/4/10.

نقل الدارس عن المتحدث الآتي:

تدل آثار البناء التي لا تزال قائمة حتى زمننا هذا أن القرية كانت في الأصل تقطن من قبل الروم. أما بالنسبة لتاريخ حياة السكان المقيمين حالياً في القرية، فيعود لعام 1838، أي منذ 146 عام، بدليل أن القرية في عام 1837 مر عليها رجال قطنوا فيها وعاشوا بها وماتوا. فأول رجل سكن القرية في طفس هو المرحوم ساري العوض الزعبي، وآنذاك لم يكن أي أثر للأرض ومكانتها من الناحية الاقتصادية.

الجد: كان الجد يمارس الزراعة البدائية بواسطة الحيوانات، منذ أن تمكن من القيام بالعمل الزراعي، توفي عام 1880، ولهذا الجد ثلاث أولاد كلهم مزارعون يعملون بالزراعة.

والد المتحدث: كان يعمل بالزراعة البسيطة وتربية الحيوانات مثل البقر الذي كان يستخدمه في فلاحة الأرض والاستفادة من حليبه، كما يرعى الأغنام والماعز والجمال، ويستخدم الجمال في نقل المحصول من الأرض إلى القرية. وهذه الحيوانات قسم منها ورثها عن والده وقسم منها اشتراها لضرورتها. وقد توفي والد المتحدث عام 1944 وله ثلاث أولاد وبنت واحدة اثنان منهما يعملان بالزراعة والآخر موظف لدى مديرية الخدمات الفنية بدرعا.

---

[57] خصصنا في كتاب تاريخ الفلاحين حيّزاً واسعاً لتاريخ المشرفة ونضال فلاحيها ضد الإقطاع، واعتمدنا على الوثائق المكتوبة إضافة إلى زيارتين ميدانيتين للمشرفة.

إن تاريخ الملكية للأرض في قرية طفس يرجع إلى عام 1885 وكانت الملكيات الصغيرة هي السائدة. وتوجد في القرية ملكيات صغيرة وملكيات متوسطة وملكيات كبيرة وعددها قليل، والملكيات السائدة هي ملكيات متوسطة. أما بالنسبة لملكيات المواشي فهي إما إرث أو شراء حسب الحاجة لها.

الاستثمار: يستثمر كل فلاح أرضه حيث يقوم بفلاحتها وزرعها وحصدها دون تدخل وسيط . وفي الملكيات الكبيرة يستأجر الفلاح اليد العاملة مقابل جزء من المحصول في نهاية الموسم .

الأتاوات: لا توجد إتاوات مطلقاً، وإنما كان هنالك في عهد الاستعمار التركي جباة يأخذون حصتهم من المحصول، وهو ضريبة العشر، التي استمرت بعد الأتراك في عهد الاستعمار الفرنسي وما بعده.

ملك البيت لصاحبه لأنه لا يوجد في القرية إقطاعيين كبار وملاكين للأراضي. والغالبية السائدة في القرية هي العشائر، حيث كل عشيرة ملتحمة لوحدها ولها رجل يقودها يكون أكبرهم سنا ومعرفة وتُحَلْ المشاكل عن طريقه. وهناك عدة عشائر في القرية، أي حوالي تسعة، وكل عشيرة ملتزمة مع أفراد أسرتها. وتوجد أقليات عشائرية جاءت حديثا وسكنت القرية. وكافة سكان القرية يعتنقون الدين الإسلامي.

الفلاحون الأغنياء يشكلون نسبة 2% من سكان القرية، وكمية الملكية من الأراضي تتراوح من 800 إلى 1000 دونم، وهي إرث عن طريق الآباء، بينما الملكية المتوسطة للأرض هي السائدة حيث تتراوح ملكيتنا بين 60 إلى 80 دونم.

إن نسبة الفلاحين متوسطي الدخل بالنسبة لعدد السكان تساوي 35%، بينما تقدر نسبة من لا يملكون أراضي حوالي 65% من مجموع السكان. وإن حالة الفلاحين الفقراء والمتوسطين متردية، وخاصة في عهد الاستعمار التركي والفرنسي، وفي أوائل العهد الوطني أي عام1943–1958، حيث كان الفقراء يعملون لدى الفلاحين الأغنياء بأجور سنوية يأخذونها في نهاية الموسم، وبنسبة قليلة جداً إذا ما قيست بالعمل والإنتاج.

أما في العهد الوطني بدأت أحوال الفلاحين تتحسن، وبخاصة في عهد الوحدة بين مصر وسوريا وانتهاء في عهد حكم حزب البعث العربي الاشتراكي. أخذت الحكومات في ذلك العهد تنظر بشؤون الفلاحين، حيث صدر قانون الإصلاح الزراعي ووزعت الملكيات الكبيرة على الفلاحين، بحيث حصل كل فلاح على ثمانية دونمات أرض يفلحها ويستثمرها لوحده. ومدّت الدولة الفلاحين بالقروض الزراعية والبذار والأسمدة وبالإرشادات الزراعية عن طريق المرشدين الزراعيين والمهندسين.

أن النسبة الكبيرة والتي تشكل 90% من عدد السكان يقيمون في القرية، ويمارسون أعمالهم الزراعية والوظيفية في القرية أو المدينة (درعا) ، والمصدر الأساسي لمعيشتهم هي الزراعة، وهي العامل الأساسي لكل فرد في القرية. ودخلت الزراعة المروية إلى القرية في عهد الوحدة بين مصر وسوريا، حيث جُرّتْ المياه بواسطة الأقنية السطحية

من عدة أماكن مثل وادي اليرموك وبحيرة مزيريب ونبع الأشعري ونبع عين البصل، وروت حوالي 60% من أراضي القرية من الجهة الغربية وقسماً من الجهة الجنوبية وقسماً من الجهة الشمالية.

الهجرة: إن نسبة الهجرة حوالي 2%، وهي تتبع الوظيفة المرتبطة بالعمل في دمشق ومحافظات القطر الداخلية. وإن وضع الموظفين الاجتماعي جيد لأن أجرتهم تكون حسب مركز عملهم. إن ارتباط المهاجرين بالقرية قوي جداً والسبب يعود لوجود أهله وأقربائه وأصدقائه.

الهجرة إلى بلدان النفط تقدر في القرية نحو 8% من مجموع السكان، وخاصة إلى دولة السعودية ودول الخليج العربي، حيث يذهب الفرد لمدة ستة أشهر إلى السنة ثم يعود ثانية بعد أن يكوّن رأس مال يستخدمه في المشاريع الزراعية والتجارية. ولا يوجد أي آثار سلبية قوية بالنسبة للهجرة، وإنما أخذت في الآونة الأخيرة نسبة قليلة من الشباب تترك المدرسة وتذهب إلى دول النفط لجمع الأموال بسرعة.

دخلت المدرسة الابتدائية إلى قرية طفس عام 1930، وكانت مؤلفة من خمسة صفوف، ويدرس التلميذ فيها حتى نهاية المرحلة الابتدائية ثم يذهب إلى المدينة (درعا) ويكمل المرحلة الإعدادية والثانوية. وكانت نسبة تعليم الإناث تشكل حوالي 2%.

وفي عام 1968 دخلت المدرسة الإعدادية، حيث كانت نسبة الطلاب كبيرة. وفي عام 1970 دخلت المدرسة الثانوية، وكانت 18 شعبة. وارتفعت نسبة تعليم الإناث في المرحلتين الإعدادية والثانوية حيث وصلت إلى 60 %.

وصلت الكهرباء إلى القرية عام 1970. أول طريق عُبِّد في القرية عام 1965.

كانت القرية تشرب في القديم من وادي اليرموك، حيث كان يُنقل الماء بواسطة الحيوانات. وأول بئر حفر كان عام 1935 وأخذت القرية تشرب منه، ثم وزعت مياه الشرب بواسطة أنابيب إلى مناهل، وكان عددها أربعة مناهل. وفي عام 1965 جُرّتْ المياه بواسطة الأنابيب إلى البيوت لأنه أصبح عدد الآبار خمسة، أربعة منهم تضخ المياه إلى المنازل، وواحد احتياط مغلق.

المهر: يقسم المهر إلى طريقتين: قديماً كان المهر بواسطة المقايضة، أي تبادل أخت الزوج مع زوجته دون دفع أي مهر، وكان هناك مهر يدفع عينياً مثل الأرض أو المحاصيل الزراعية، وتأخذ البنت نسبة قليلة من مهرها تشتري به بعض الحاجيات والذهب.

حديثاً يتراوح المهر بين عشرة آلاف إلى خمسة عشر ألف ليرة سورية مقدم، ومؤخر من خمسة عشر إلى عشرين ألف ليرة سورية. تأخذ العروس كامل مهرها، وتؤثث به منزلها مع شراء الذهب، ويقوم العريس بشراء أثاث منزله بحضور العروس وأهلها، وهنا لا يأخذ والد العروس أي شيء من المهر مطلقاً.

ثانياً– الأرياف والمسألة الزراعية:

1- من فلاح أجير إلى عامل في الدولة قرية آفس / إدلب

الدارس: مجهول[58]

المتحدث: عبد الله المصطفى العلي، من مواليد آفس 1930، عامل ميكانيكي في محطة مياه آفس، وعضو نقابة عمال الدولة / البلديات. جرى اللقاء بتاريخ 1989/2/2 في منزله في آفس / ناحية سراقب / إدلب.

والد المتحدث:

فلاح أجير عند الإقطاع أجرته السنوية 150 ليرة سورية نهاية الموسم. كان الشخص حالته سيئة دائماً. كانت المعيشة ضيقة جداً ولم يعرفوا ريحة اللحمة، ويعيشون طوال اليوم على الخبز المصنوع من الذرة والشعير، ويضعون القمح ضمن خبز الشعير والذرة لتحسين قوامه. ولم يعرفوا الغسيل، كل شهرين ثلاثة حتى يتم تغسيل الجسم. ولم تكن هناك أبواب للغرف ولا نوافذ ولا مدافئ فيجتمع من 10-15 شخص في غرفة وترى الدخان والشحوار[59] مليء في الغرفة وترى وجوهنا سوداء. كان الزمن كله ضد هذا الفقير المظلوم، الفلاح والعامل، أما بالنسبة للطعام كان يأكل الأكل الموجود عنده. وأما العائلة فهو مسؤول عنها.

في جواب المتحدث على سؤال الدارس: عملك وبداية حياتك (أجاب):

في بداية عملي حصلنا على فدان، فكنا طول النهار نفلح الأرض ولم نستفد شيئاً، ولم نحصل على مواسم ولا جمع محصول جيد، ولم تعطينا الأرض شيء حتى ولو فترة شهر أو أيام. ونتيجة الظروف القاهرة والصعبة بعنا الأرض والتحقنا مع هذا الإقطاعي أجراء نعمل عنده. ففي خلال الخمسينات اضطررت لأبحث عن العمل عند الاقطاع صاحب الأرض، وأصبحت أعمل طول النهار مقابل 50 ق.س، من الساعة الثانية أواخر الليل حتى آخر النهار، أو بعد غروب الشمس، نذهب حتى نفلح عنده ونحصد الزرع معه، وعندما ينتهي عمل الزراعة والفلاحة، يبعثنا إلى إطعام الدواب وإلى الاصطبلات، وإذا تأخرنا لوقت متأخر، كنا ننام مع الدواب. ومع كل هذا لم يكن هذا المعلم مرتاح ومبسوط، ولم نعرف متى وفي أي وقت ننام. كُنّا ننام على الطين والتراب، ولم يكن هناك إسمنت عندنا غير عند المعلم، ننام على البيادر فوق التبن. كنت تدور الضيعة بيت بيت لا تجد مع واحدنا مصروف أو مقدار 5 أو 10 ليرات مع أي واحد منا.

---

[58] مجهول الهوية، فلم أعثر في الورقتين الباقيتين اللتين كتبهما عن اسمه، كما أن خطّه رديء ومقروء بصعوبة، مع عدم ترابط بين الجمل، ومع ذلك رأيت ما كتبه الدارس فيه بعض الفائدة.

[59] شحوار : شحّر تشحيرا ، شحّره مرّغهبسواد الدخان (عامية)

ولم يكن هناك لا مجلات ولا جرايد [جرائد]، كنا نسمع قصص أبو زيد الهلالي وغيره. لم يكن هناك معرفة حتى لقراءة المكاتيب والرسائل، كان واحد أو اثنين يستطيعون قراءة وفك المكتوب.

لم نعرف أي مهنة أخرى. حفر المعلم بئر ماء لسقي الأرض، كان يضمن في عدة شغلات، أخذ العمال والعتّالة إلى الشغل، وزادت أعباء العمل، فكان النزاع قد اشتد بيني وبين المعلم الذي طلب زيادة على ذلك إطعام الدواب وسقيهم، ولم يزد الأجرة إلا قليلاً. مثلا كانت الاجرة السنوية 120 ل.س فأصبحت 130 ليرة، التي لم تكفيني وعائلتي، هذا خلّاني أتركه[60] بعد محاولات كثيرة وعديدة.

سمعت بوجود مسابقة عمال للدولة عام 1967، فهربت بدون علم المعلم الإقطاعي، وتقدمت إلى المسابقة، وعدت إلى القرية، وعند دخولي البيت، رأيته ينتظرني في البيت حتى يراضيني. وعدت عملت عنده بعد زيادة الأجرة إلى 150 ل.س سنوياً. وبعد شهور قليلة صدرت نتائج المسابقة، ونجحت فيها، وتعيّنت براتب شهري 120 ل.س، حيث تم انتسابي للنقابة وعرفت التنظيم النقابي والدفاع عن الطبقة العاملة.

2- فلاحو حمورية واستغلال أفندية دمشق لهم

مُجري اللقاء الدارس: أحمد حمزة.

المتحدث: سليم عبد ربه، 86 سنة من مواليد حمورية.

كتب الدارس:

كان يعمل جده، حسب ما رواه، عند تاجر في دمشق القديمة، وذهب أيام السفر برلك ولم يعد. وله أخوة عددهم اثنان، وهم عمر وطه، يعملون أُجراء في الأرض عند الإقطاعيين، على طول قرى الغوطة، وحسب عمل المواسم، يعملون عند بيت المالكي وآخرين من الأفندية.[61]

ولا يوجد لأي فلاح من أهل الضيعة أرض ملك له، بل كانوا جميعاً يعملون عند الإقطاع وبأجر قليل جداً. وأحياناً يأكلون مرة في اليوم، وعبارة عن خبز مكسر وما يحصلون عليه من زاد من كرم الإقطاعي. كان الإقطاعي يملك حانوتاً كبيراً وفيه "دايرة" أي ما تسمى اليوم "فيلا".[62] والفلاحون يسكنون بأطراف "الفيلا" المسماة سابقاً "الدايرة"، حيث تكون بطابقين، الأول من تحت مخازن، والأعلى للسكن للأفندي. وبجانب الدايرة يوجد مربط

---

[60] هذا ما دفعني إلى تركه (من وضع ح ح).

[61] الأفندية هم ملاك الأرض من أغنياء دمشق. راجع ما كتبناه في الملحق حول ملكية الأرض.

[62] الحانوت في غوطة دمشق تعني الأرض التي يملكها تجار دمشق وزاوتها في الغوطة. وفي وسط الحانوت، أو الحقل الكبير، تقوم دار يحلّ بها الملاك الدمشقي لدى زيارته لأملاكه في الغوطة. وقد تناولنا ذلك في كتابينا الفلاحون وملاك الأرض. والفلاحون يروون تاريخهم.

خيل، والبوك، أي الاصطبلات للبقر والثيران التي تقوم بالحراثة. والأجراء يقومون بالعمل في النهار (الحراثة) وبالليل مبيتهم مع البقر، لتقديم العلف والماء لها وحمايتها والسهر عليها، حيث لا يوجد في منطقتنا غنم للرعي. وأهل البلد كلهم يعملون في الأرض. وكان الإقطاعيون في البلد هم "الحكومة"، وتُحَطُّ لهم الطاعة.

الأفندية كتار [كُثر] وأهمهم: بيت المالكي، والكيلاني، والدالاتي، والعجلاني، والعابد، والهبل، والقوتلي، والعظم، ومردم بيك. أما الفلاح الغني فهو الذي يمكن أن يبني لنفسه بيتاً، عبارة عن غرفة وعُلِّية لوضع عدة الشغل فيها. أما باقي الفلاحين فلا يملكون أي شيء، يسكنون مع البقر والحمير، ويعيشون من وراء الأفندي، هم وعائلاتهم.

وكان الفلاحون عدة درجات في الشغل، أي عدة مراتب. الأجير يعمل في الأرض والحراثة والري ونظافة الدايرة والنوم مع البقر وتقديم العلف لهم والماء، والحصّاد، وأجرته غالباً ما تكون نقدية وعينية أي 400 ل. سنوية و40 ق. قمح خلال السنة. وكان هناك بعض الإقطاعيين يفاصلوا الفلاحين على الحصة، وقلال [قليلة، يقصد الحصص] جداً، وخاصة عندما يكون الموسم خفيف. وكان الإقطاعيون متفقين على تشغيل البعض وحرمان البعض الآخر من الأجرة.

وكان هناك المرابعون[63] يعملون على الإشراف على الأجراء والتفتيش عليهم وعلى شغلهم، وكان لهم الحق في الطرد وتحديد الأجرة وساعة الشغل والنوم وتحديد العمل، إن كان الري أو الحراثة أو البذار أو الشتل أو الحصاد والتعشيب.

ويوجد شيخ المرابعين، ويقوم بالإشراف على المرابعين عند الإقطاعي، ويقوم بالسهر طول الليل على أمن الحانوت، ويقوم بجولات على الخيل لدور السقي. ويسهر المرابعون على وقت الماء للزراعة ويفتش على الأجراء بالإصطبلات من حيث تقديم العلف والماء للحيوانات.

الفلاحون في الضيعة كلهم فقراء (الشاطر يلي ينام شبعان). وكان أقل من النصف يعمل والآخرون بلا عمل، وإن عملوا، يكون أجرهم قليل جداً لكثرة العاطلين، وغالباً ما يذهبون لمسافات طويلة ويطردهم الوكيل أو المرابع من نصف الطريق أو من [لحظة] وصولهم لمكان العمل.

على زمان فرنسا، وقبل فرنسا، وبعدها، يموت إقطاعي ويرثه أولاده، وكل المآسي تصب علينا. وجاءت الوحدة مع جمال عبد الناصر، وفرحنا كثيراً، وصار تأميم الشركة الخماسية، ولم يصل الإصلاح الزراعي لعندنا،

---

[63] يبدو أنّ إشكالاً جرى أثناء الحديث! فأعوان ملاك الأرض لهم أسماء مذكورة في الملحق الثاني. والمعروف أنّ المرابعين هم فلاحون يعملون بالمحاصصة على الربع.

وهرب بعض الإقطاعيون، وباعوا الأراضي للتجار الشوام. وبعد الانفصال[64] طلع الإصلاح الزراعي، ووزّع الأرض على كثير من الفلاحين، ولكن ظلّت لبعض أولاد الملاك الدايرة، وشقفة (قطعة) أرض جنبها. وصار الشباب يروحوا على دمشق ويتعلموا صنعة، وما عاد حدا بقي بلا شغل، وصار نصف أهل البلد بالشام صنايعية[65] والآخرين في الزراعة. وعمرت الضيع كلها بعد الانفصال.

فتحوا المدرسة في حمورية بعد الكُتّاب الذي كان يعلم فيه الشيخ مدور من دمشق الأبجدية. وتشرب الضيعة من الآبار، في كل بيت بير. والمهر كل سنة أغلى من سنة وكله للعروس.

3- ظهور الإقطاع في قرية الطليعي / منطقة صافيتا

مُجري اللقاء الدارس: سلمان عاصي.

المتحدث: حسن أحمد عبدالرحمن من مواليد 1900 في الطليعي.

كتب الدارس:

كان جد المتحدث فلاحاً بسيطاً في القرية وتوفي عام 1902، والأب كان فلاحاً بسيطاً أيضاً وتوفي عام 1926، وليس له أولاد سوى المتحدث.

كانت الملكية قبل عام 1850 في تصرف أهالي القرية توارثوها عن آبائهم والآباء عن الأجداد ولا نزاع بينهم ولا خلاف حول ملكية الأراضي، إذ أنها كانت تكفي وتسد حاجاتهم الضرورية. وكان بحوزتهم الأبقار والأغنام التي تتطلبها المعيشة آنذاك وحراثة الأرض. ونختصر القول بأن المعيشة مقبولة بذلك الحين. وبعد عام 1860 كان قد ترعرع الإقطاعي في أحضان هذه القرية واشتد ساعده حيث كان والده يتربع على الأموال التي لا حصر لها ولا عد، في ظل المقام الشريف المشاد في القرية لسيدنا الخضر. وتولى أمور هذا المقام الشريف بنفسه وكان يسمى بذلك الحين محمد جابر العباس،[66] إذ تمكن من إنشاء عصابة كبيرة جاء بها من القرى البعيدة التي هاجرت نتيجة

---

[64] الإنفصال (1961– 1963) يعني إنصال سورية عن مصر في قوام الجمهورية العربية المتحدة . وعودة الجمهورية السورية . وحكم البعث بعد 8 آذار 1963 بقي انفصاليا أيضا .

[65] الصنايعية المقصود بها هنا العمال العاملون في الصناعة . والصانع في ترتيب الحرف (الكارات) هو أعلى من الأجير وأوطى من معلم الصنعة و الصنّاع أو الصنايعية هم عماد الحرف اليدوية قبل ظهور الصناعة والمعامل .

[66] في مؤلفنا تاريخ الفلاحين خصصنا فصلاً للطليعي وإقطاعيها. وقد قمنا في أوائل ثمانيات القرن العشرين بدراسة ميدانية للمنطقة. وتعود إشادة مقام الخضر "العلوي" إلى ثلاثينيات القرن التاسع عشر، عندما زار الشيخ إبراهيم النميلي منطقة صافيتا. وكان العلويون يقدمون النذور إلى دير مار جرجس المعروف بدير الخضر وهو في يد الروم الأرثوذكس. لم تُعْجِب الشيخ خليل ذهاب نذور العلويين إلى دير مسيحي. والعبد الصالح الخضر مقدس عند المسيحيين ولدى معظم مذاهب المسلمين، ولذا أقام الشيخ خليل ديراً علوياً للخضر إلى

ظلم الآخرين والتجأوا إلى خدم هذا المقام وتألفت منهم مع الزمن عصابة لا تخاف الله وأغدق عليها العطاء فأصبحت كالخاتم في يده، وتمكّن بواسطتهم من انتزاع 80 % من ملكية القرية، وتشريد أصحابها واستعمال الآخرين عمالاً وأقناناً في هذه الأراضي، فهاجر الكثير من الأهالي إلى لبنان وعملوا في الزراعة وفي الصناعات المحلية وعمال في البناء وغيره.

وفي عام 1936 استطاع الإقطاعي الجديد جابر بن محمد الجابر أن يستولي على كامل القرية بما فيها البيوت والأهالي وكل شيء ملكاً له، ويسانده في ذلك الحاكم الفرنسي آنذاك كما كان يسانده قبل ذلك الحاكم العثماني. وهكذا تساوت أهالي القرية في الظلم. أصبح "الخولي" المتصرف في أمور القرية والمسؤول التنفيذي فيها، ولا يستطيع أحد من الوصول إلى الإقطاعي أو مقابلته. وكان يأتي بعده "الوكيل" وهو الذي يحدد مواعيد الزراعة والحصاد وجني المحاصيل والمحاسبة عنها، وثم يأتي بعده "الخضري" وهو أدنى مرتبة ويسمى الحارس على الأراضي ويسمح للفلاحين بالرعي إما على الطرقات أو في الجبال البعيدة. وكان يفرض الغرامة على المخالفات، وحتى إذا أخطأ أحدهم ينتقم من أهالي القرية ويجبرهم على دفع الغرامة، وأحياناً تكون الغرامة إحدى الحيوانات التي هي سبب في معيشة أصحابها. ثم يأتي بعد ذلك "العسس" وهم خدام المنازل والحراس على الإقطاعي. هؤلاء هم زلم[67] الإقطاع وخدمه والسوط ينال رقاب الفقراء والبؤساء، حتى أصبح هذا الظلم مقترناً بالقتل أحياناً مما دفع 60% من أهالي هذه القرية للهجرة إلى خارج البلاد، وكان أكثرها إلى لبنان وقليل إلى أمريكا.

الإقطاعي تملك الأرض والبيت والناس، وأصبح يفرض عليهم الضرائب. ففي الاعياد يدور العسس في القرية ويجمعون العيدية للإقطاعي من الفقراء وبالقوة، ومن أين لهم؟ ومن أين يأتون بالمال؟

كان إذا تزوج رجل من القرية (إن كان الرجل من داخلها أو خارجها) يدفع المهر للإقطاعي حتى يحصل على عروسته، وكان محدداً آنذاك (2 ليرة عصملية). وكان إذا تشاجر أحد من أهالي القرية مع آخر يطردهم من القرية ويأخذ الدواب وأغراض البيت كلها إذ لا يحق للذي يرحل عن القرية أن يأخذ معه سوى زوجته وأولاده فقط لأن كل موجودات بيوت القرية ملكا للإقطاعي. كان جميع أهالي القرية خدم عنده لقاء الطعام فقط، وكانوا يحصلون على اللباس من لبنان بواسطة أولادهم الذين يعملون هناك ويرسلون قليلاً من المال لذويهم في القرية. واستمر هذا الظلم بأبشع صوره، حتى كان فريداً من نوعه في تلك المناطق، حيث كان على حدود قريتنا إقطاع من صافيتا وإقطاع الدنادشة في تلكلخ حيث كانا يختلفان عن الإقطاع في قريتنا من جهة الظلم الفاحش. كان عندهم رأفة ورحمة أحياناً.

الشرق من الطليعي، وعيّن عليه قيّما محمد جابر العباس. وبفضل أموال الدير تحوّل العباس إلى مالك كبير إقطاعي في الطليعي ومحيطها. وتوارثت ذريته حقوق الإقطاعية وزعامة عشيرة الخياطين حتى مجيء الإصلاح الزراعي عام 1959.

[67] زلم ومفردها زلمة وتعني عند العامة الرجل الشجاع . وهنا تعني مرتزقة الإقطاعي ويده الضاربة لقمع الفلاحين .

وفي عام 1958، عند إعلان الوحدة بين سوريا ومصر، حصل انفراج كبير في صدور الفقراء إذ سمعوا أن الظلم قد اقتربت نهايته. وفعلاً صدر قانون الإصلاح الزراعي، إلا أن هذه القرية لا تعرف الحظ مطلقاً إذ أن الإقطاعي –الذي تمكن والده أن يحصل على رضى الحاكم العثماني والحاكم الفرنسي– استطاع هو أيضاً (المسمى منير جابر العباس بدهائه، فكان في المجلس النيابي في حكومة خالد العظم)، أن يجري اللعبة على القانون، وأقدم على تهريب 240 هكتار من القرية بأسماء غرباء عن المنطقة أيضاً، وهما محمد حسن علي (المدير العام حالياً) وأحمد عيد الخير من اللاذقية، وكانا خادمان للإقطاع في ذلك الحين. ووصلت الأمانة عندهم أنهم حرموا الأهالي من هذه المساحات الكبيرة وسلموها لأولاد الإقطاعي فيما بعد في عام 1980، إذ تنازلوا عنها في الدوائر المختصة. وتم توزيع الأراضي المتبقية المستولى عليها من الإصلاح الزراعي، ولكنها وكانت غير كافية للمعيشة. إذاً أصبح الأهالي مجبرين على العمل. وهكذا وبعد عام 1978 عندما عاد أهالي القرية من لبنان بسبب الأحداث هناك، وجدوا بأن الأرض لا تكفي حاجتهم فأصبحت السبل مفتوحة أمامهم للعمل في المؤسسات العامة والشركات، إذ أن 70% من شباب القرية يعملون في الإنشاءات العسكرية والإسكان العسكري والكبلات والمواصلات، عمال طرقات، و30% عمال زراعيين وموظفين وأكثرهم معلمين. المدارس تأخر وجودها في القرية حتى عام 1960، وكانت ثلاث صفوف، وفي عام 1970 أُحدثت الإعدادية. ويتعلم أبناء القرية في ثانوية صافيتا يومياً.

المعيشة قبل 1958 كانت بدائية في القرية، ولولا لبنان وقرب القرية من القطر اللبناني لما وجدت الحياة فيها، إذ أن أهالي القرية كان عليهم الرحيل الأبدي حيث لا أرض ولا عمل ولا شيء يذكر سوى السخرة اليومية صباحاً ومساءاً من الرعي حتى الحطب حتى المياه وكل هذه الخدمات تقع على كاهل أهالي القرية وبالقوة ولا يجرؤ أحد أن يخالف الأوامر الملقاة عليه. هذا ملخص عن هذه القرية البائسة، ولولا التصحيح وفتح مجالات للعمل لكانت انعدمت الحياة تقريباً فيها.

كانت الهجرة متجهة نحو القطر اللبناني فقط، ولا توجد هجرات إلى بلدان النفط، ولا توجد هجرات إلى أمريكا. وكان لبنان المأوى الحقيقي لأهالي القرية النازحين من الظلم والاستبداد. وضعهم الاجتماعي يقول لا توجد هجرة معاكسة إلا من لبنان بسبب الأحداث، وأصبح ارتباط الأهالي وثيق بها، لأنها أرض الأجداد والآباء يتجمعون فيها.

دخلت المدرسة الابتدائية عام 1960، والإعدادية عام 1970، والثانوية لا تزال في صافيتا كما ذكرت. وصلت الكهرباء إلى القرية عام 1981. ووصل طريق الزفت إلى القرية عام 1969. تشرب أهالي القرية من مياه عين مريزة على نهر الأبرش بواسطة أنابيب ضخ وخزانات منذ عام 1969 أيضاً.

لا يوجد حالياً أي نوع من المهر بسبب قرب القرية من لبنان ومن مدينة صافيتا إذ أن النفوس متحررة، على الرغم من الفقر.

4- الجوابرة الإقطاعيون في "عين سابل" وهجرة الفلاحين للعمل في حلب

مُجري اللقاء الدارس: أحمد دك / معمل الزجاج / حلب.

المتحدث: العامل عبد اللطيف العيسى بن محمد، تولد 1923، من أهالي قرية عين سابل التابعة لمنطقة السفيرة التابعة لمحافظة حلب. وجرى اللقاء في 1988/2/9، الساعة الثالثة بعد الظهر، في منزله الكائن في مدينة حلب/ حي كرم الكردي.

كتب الدارس نقلاً عن المتحدث:

أسرتنا مؤلفة من أحد عشر شخصاً، ست ذكور وخمسة إناث. والدانا على قيد الحياة في ذلك الوقت. لا نملك أي شبر من الأرض، ولا بيت من الوطن العربي، والأرض للإقطاعي البيك، والبيت للإقطاعي نفسه، السيد فاخر الجابري. كلنا عمال عند هذا البيك. من ناحية السكن، كانت العائلة كلها تنام في قبة واحدة من أربعة جدران من تراب، وسقفها أيضاً من تراب. نعمل بالزراعة، شباب وبنات، عند السيد فاخر الجابري الذي يملك خمسة قرى بأكملها.[68]

طريقة العمل: الشباب والبنات يعملون بزراعة القمح والشعير بعلاً، ويحصدونه، ولهم الربع من محصول الموسم بعد حسم التكاليف التي صُرفت من قبل السيد فاخر الجابري على الأرض. ولا يسمح الإقطاعي للمرأة بأن تربي أي نوع من الطيور والحيوانات كالدواجن أو الأغنام للاستفادة من بيضها وحليبها فهذا ممنوع ومرفوض. أما بالنسبة للطعام، لا نعرف سوى البرغل وخبز الشعير.

الأعياد كما هي معروفة عند الإسلام هي عيد الفطر وعيد الأضحى، تكون فيه المعايدة عند فاخر الجابري. يذهب في الصباح جميع الفلاحين يوم العيد، الرجال فقط، إلى مكان إقامة البيك في القرية أمام القصر (القناق)، وتكون المعايدة شفهياً باللسان من الإقطاعي للفلاحين.[69] ويقوم بتوزيع الحلوى وكيله السيد أحمد شعبان بإعطاء كل فلاح قطعة حلوى واحدة (قرص غُرِيْبة) [70]، ومن ثمّ الذهاب إلى مكان العمل لأن العيد قد انتهى، ومدة العيد عنده ما يقارب الساعة ونصف. أما النساء والأولاد محرومين من هذه الحلوى، ولا يعرفون عنها شيئاً سوى القليل من الأولاد، يوزعها عليهم الوكيل –الذي كان أكثر قسوة من الإقطاعي نفسه– لكي يحافظ على مكانه عند الإقطاعي.

---

[68] كانت مساحات واسعة من أراضي ريف حلب موزعة بين آل الجابري وآل المدرس. وقد تناولنا إقطاعياتهم في مؤلفاتنا في تاريخ الفلاحين.

[69] أي لا تجري المصافحة باليد. فالإقطاعي يده مقدسة ولا يجوز أن تلمسها أيدي الفلاحين.

[70] الغُرِيْبة: حلوى شعبية تصنع في الفرن ومكوناتها الرئيسة هي عجينة الطحين والسكر والسمن، وتزين كل قطعة بحبة لوز أو فستق حلبي تغرس وسطها. (من وضع ح ح).

ومن ناحية الزواج عند الفلاحين، فقد كان على الصورة الآتية: الذي يكون عنده بنات وشباب يقوم بمقايضة بينه وبين فلاح آخر بتزويج ابنه من بنت فلاح وإعطاء بنته بدلاً عنه ابنة الفلاح الأول الذي أعطى البنت لابن الفلاح الثاني، وإذا لم يكن عنده بنات يدفع أربع أكياس من الشعير أو الذرة وثلاثة غنمات. سألتُ (أي معدّ الاستمارة): لماذا هذا المهر قليل؟ فأجاب: إن الفقر الأسود والجهل الذي كان سائداً هو الذي فرض ذلك على الخلق أجمعين في تلك المنطقة، ورغبة من الفلاحين في سبيل سترة البنت خوفاً من المشاكل التي كانت موجودة والحرص على العرض. ومن خلال المناقشة سألته: هل حدث هذا الزواج في عائلتك؟ قال: نعم، لأخيه الكبير الذي اسمه جاسم الذي كان يعمل في الزراعة أيضاً عند الإقطاعي البيك نفسه. وأردف، بعد زواج أخيه جاسم انفصل عن الأسرة، وسكن مع زوجته في قُبّة،[71] وأصبح جاسم فلاحا عند البيك يأخذ الربع هو وزوجته التي كانت تعمل معه بالزراعة وجني المحاصيل من أجل الحصول على لقمة العيش. علماً بأنه على زمان فاخر الجابري كانت تسير الأمور بشكل جيد، فيحصلون على لقمة العيش نوعا ما إلى حد مقبول، لأن المعيشة قاسية جداً، لا يوجد سوى البرغل وخبز الشعير أو الذرة. أما بالنسبة للمأكولات فلا يعرفون عنها شيئاً أبداً. ويسمعن بالشاي والقهوة ولا يعرفونهما أبداً.

وبعد جملة أسئلة عن الإخوة الأكبر منه، أجاب: إن أخيه جاسم هو الأكبر ويعمل بالزراعة، والثاني فارس أيضاً يعمل بالزراعة بفترة الأربعينات، ومن ثمّ ذهب إلى المدينة وعمل عاملاً في معمل حلج القطن مع أخوه الأصغر عبدالله، وقد تركوا القرية من شدة الظلم والقسوة التي كانت عند الإقطاعي والوكيل الذي لا يسمح حتى بالملابس الجميلة إذا توفرت عند أحد الفلاحين. ولهذا رحل هو (أي المتحدث) أيضاً من القرية عين سابل والتجأ إلى مدينة حلب، وهناك عمل في معمل (زيتون النيرب) ، وبقي في القرية أخوه عبدالرزاق مع والده، لأن عبد الرزاق أصبح هو الوكيل لهذه القرية بعد وفاة فاخر الجابري واستلام أولاده زمام الأمر، وكان ابنه الأكبر هو مهيب الجابري الذي أوكل إليه مهمة الوكيل.

ونعود إلى العامل عبداللطيف الذي ترك القرية وأتى إلى المدينة من أجل العمل فيها. استأجر بيتاً في حي شعبي بقيمة 10 ل.س، وبقي بدون عمل لمدة ستة أشهر، إلى أن وجد عملاً في معمل النيرب عن طريق امرأة تعمل في ذلك المعمل، وكان صاحب المعمل في ذلك الوقت جلال كوظم.

يقول عبد اللطيف: في الفترة الأولى للعمل كنت عامل عادي بأجرة ثلاث ليرات سورية، وعملت مدة سنة كاملة في مرحلة عامل عادي، وبعدها ترفّعت إلى عامل نشيط، ولكن أجرتي لم تزد أبداً إلا بعد مضي سنتين، فزادت 4 ل.س. فسألته: متى كان ذلك؟ فأجاب: عام 1958، وأصبح عملي الكشف عن البذور التي تأتي إلى

[71] أي بيت طيني مقبب. وكان هذا النموذج سائداً في أرياف سورية الشمالية حتى ستينيات القرن العشرين، وما بعدها.

المعمل في السيارات، وأيضاً مراقبة العمال الذين يعملون بالتفريغ والنقل إلى داخل المعمل. وكان العمل في ذلك الوقت 12 ساعة عملاً متواصلاً وكانت الأجرة تدفع في نهاية الأسبوع.

وسألته: هل كان في المعمل لجنة نقابية؟ وماذا تعرف عنها؟ فأجاب: بصراحة إن اللجنة النقابية التي كانت موجودة مؤلفة عن صاحب المعمل جلال كوظم. النقابيون الموجودين: عبد الحميد عنتابي، وحيد الجابي، وأنور الأقرع، وهو رئيس اللجنة النقابية. كان أنور الأقرع من قبل صاحب المعمل، أما عبد الحميد عنتابي ووحيد الجابي من العمال. وكانت اجتماعات سرية تُعقد في بيوت العمال ضد صاحب العمل. ويقولون أن الوضع سيتغير قريباً جداً، مما يزيد العمال على المتابعة والنضال من أجل تحسين أوضاعهم المعيشية. علماً أن صاحب المعمل له جماعة تنقل له المعلومات عن العمال الذين يقومون ضده ويفصلهم عن العمل أو يتم نقلهم إلى غير معمل.

ومن سوء الحظ أن عبدالحميد ووحيد وجماعتهما قد وصلت الأنباء عنهم إلى السيد جلال، فقام بنقلهم إلى البيرة، ولأنهم كانوا مع العمال في كافة المجالات والمطالبة بشكل جيد من أجل تحسين أحوالهم المعيشية والاجتماعية، لأن حالة العمال في ذلك الوقت كانت حالة يرثى لها من شدة الفقر والقهر والظلم، وكثرة العرض وقلة الطلب.

هل كان بينكم أولاد يعملون؟ فأجاب بالنفي، لأن العمل وقته كان 12 ساعة متواصلة، والأولاد لا يستطيعون العمل في تلك الظروف القاسية، إلى أن جاء قانون التأمينات عام 1959 حدد ساعات العمل بثمانية ساعات، ما ساعد العامل على رؤية أولاده وجلوسه معهم قليلاً.

هل كان موجود أحزاب في ذلك المعمل يقومون بدعم العمال وتوعيتهم؟ فأجاب: يوجد حزب الكتلة الوطنية، وحزب أكرم الحوراني الذي شجع العمال على العمل والمثابرة في سبيل تحقيق بعض المطالب العمالية التي أدت إلى تحسين أوضاعهم الاجتماعية، وتوعية العمال من أجل النضال ضد بعض الشخصيات البرجوازية وهم أصحاب المعامل من أمثال جلال وغيره، وحثّت العمال على وضع أبنائهم في المدارس التي كانت بعيدة عنهم، علماً أن البنات حُرمت من الدراسة لسوء الظروف المعيشية القاسية وخوفاً على العرض. وكانت المدارس بعيدة عن الأحياء التي يتواجد بها العمال. أما حزب الكتلة فكان مؤيداً لصاحب المعمل ولأرباب العمل والأغنياء والتجار الذين يقومون بتوريد المواد الأولية وتسويق المنتجات الجاهزة.

كم كانت مقادير المواد الداخلة إلى المعمل بشكل تقريبي؟ فأجاب: كانت تصل في أغلب الأحيان 300 طن من البذور يقوم بشرائها غالباً لجنة من قبل صاحب المعمل الذي يشكل العناصر التي تقوم بالشراء والنقل إلى المعمل، ومن ثم صرف هذه المنتوجات وتسويقها إلى خارج المعمل داخل وخارج القطر إلى الأقطار المجاورة، مثل الزيتون والصابون والسمن وبعض البذور التي تصاب بالطوبة فيقومون ببيعها إلى مربي الأغنام بشكل أعلاف للحيوانات والماشية.

هل كان يوجد خلاف قوي بين العمال أنفسهم وبين أصاب العمل؟ فأجاب: أنه يوجد خلاف قوي بين العمال أنفسهم في الأحياء بسبب العمل ضمن المعمل لأنهم مقسومين إلى جماعة مع صاحب العمل وأخرى ضد صاحب المعمل لكثرة المظالم الموجودة في ذلك الوقت من ناحية وبين المعلمين والعمال من ناحية أخرى من أجل العمل وقسوة ظروفه.

أما من ناحية الحرف الموجودة في ذلك الوقت كانت على الصورة الآتية: حرفة الحدادة ، وحرفة النجارة ، وتصليح السيارات.

هل كان يوجد تنظيم في النقابة؟ فقال: التنظيم في السابق غير إلزامي، أما في عام 1960 كان التنظيم إجباري من قبل صاحب العمل، لأن النقابة إدارية تابعة لصاحب المعملاً إلى أن جاء عهد الوحدة فتركوا مناصبهم النقابية بعد الوحدة وحلّ محلهم آخرون في زمن الوحدة، علماً أن الصفة الرئيسية للنقابة كانت برجوازية—طبقية، ولكن الممثلين كانوا يقومون بازدواجية بالعمل النقابي بشكل سري وعلنياً، يبشرون بقيام الثورة وإحلال المبادئ الاشتراكية محل المبادئ الرأسمالية والبرجوازية وتحويل الملكية الفردية إلى الملكية الجماعية (عبد الحميد عنتابي ووحيد الجابي).

الأعياد الدينية المتعارف عليها هي عيد الأضحى والفطر، كان أصحاب العمل يقدمون هدايا للعمال الذين هم الحاشية والمؤيدين لهم في كافة المجالات التي تساعد صاحب المعمل باستغلال العمال بشكل أكبر.

هل كان للعشيرة أو الطائفة تأثير على النقابة؟ أجاب: لا يوجد أي تأثير على النقابة خوفاً من أرباب. وكانت الانتخابات تجري بشكل سري للغاية، علماً أن صاحب المعمل له الحق في تعيين اي إنسان يراه مناسباً بدون اللجوء إلى الانتخابات، إلى أن جاءت الوحدة 1958 فتغيرت ظروف العمل للأحسن بين العمال وأصحاب العمل. ومما قاله حرفياً عن فترة الوحدة: في ذلك الوقت قد شمّوا الهواء الطلق .

وما دامت فترة الوحدة والعمال أخذوا قليلاً من حقوقهم إلى أن جاءت فترة الانفصال فعادت الحال إلى أسوأ من ذلك العهد الذي سبق الوحدة.

عادت الطبقة العاملة إلى ظروف الظلم والاستغلال من قبل أصحاب المعامل ، إلا ان المناضلين الوطنيين قد أخذوا دورهم بشكل جيد ضد الحكم وأصحاب المعامل، إلا الفئات التي كانت سابقاً مع أصحاب المعامل ولا يرغبون بتغيير النظام الموجود. أما الأغلبية فكانوا يضحون بأغلى ما يملكون في سبيل قيام الثورة على الواقع الموجود والنظام السائد. طبعاً كان كل هذا العمل بشكل سري جداً خوفاً من أصحاب المعمل ، لأن التشريعات كانت تصدر عن طريق صاحب المعمل مع لجنة النقابة التي كانت هي أيضاً مع صاحب المعمل الذي كان في ذلك الوقت السيد جلال كوظم، فهو الذي يأمر اللجنة النقابية وعليها التنفيذ.

أما الأعراف والتشريعات فكانت تصدر عن السيد جلال، لأن النقابي في ذلك الوقت له مميزات أخرى هي تأمين السيارة مع البيت، طبعاً ليس لكل النقابيين، وإنما فقط للذين هم مقربين من السيد جلال.

ملاحظات العامل:[72]

- توفير السكن بشكل مجاني أو بالتقسيط من دفع قيمة السكن.
- توفير الخدمات الاجتماعية في الأحياء الموجودين فيها هذه التجمعات من أجل توحيد كلمتهم.
- تأمين الخدمات الطبية لهم ولعائلاتهم مجاناً أسوة بالدول الاشتراكية.
- الزيادة النقدية من أجل معاشات التأمينات الاجتماعية وإبقاء نصف التعويضات والمواد التي كان العامل يأخذها من قبل المؤسسة التي كان يعمل لديها العامل.

وشكراً لكم.

5- قصة ابن فلاح فقير في ريف حلب والعمل في المدينة

مُجري اللقاء الدارس: عبد الغني حمادة، نقابة الإسمنت والأترنيت في حلب، بتاريخ 23-1988/1/24 في بيت المتحدث.

المتحدث: ابراهيم محمد حمادة – كفر حمره 1922.

مهنته: متعدد المهن (فلاح، عتال، سائق، حارس) .

كتب الدارس:

جد المتحدث: محمد حمادة، مواليد 1850، كان فلاحاً بسيطاً فقيراً معدماً (كان لا يشبع الدخان)، وله ثلاث أولاد (حمود وجمعة وعائشة)، كلهم أميّن بكل ما في الأميّة من معنى.

والد المتحدث: حمدو. كان فلاحاً أيضاً فقيراً جداً (وكثيرا ما كنت أذهب لأشحذ له سيكارة). خدم بالجيش العثماني 5 سنوات، له أربعة أولاد (جمعة – محمد – ابراهيم – زهرة). وبسبب الفقر المدقع اضطرّ لرهن اراضيه كلها في القرية بمبلغ 4-5 ليرات ذهبية عثمانية. ويستطيع استردادها حين يصبح معه المبلغ من الذهب. بعد أن رهن أراضه، ذهب ليعمل أجيرا عند بيت كعكة، وهي عائلة إقطاعية كبيرة في حلب ولا تزال حتى الآن تملك الأراضي ولهم محلات خضرة في سوق الهال.

---

[72] المقصود اقتراحاته التي قدّمها للدارس مجري الحديث معه.

ذهبنا معه للعمل في الأرض (كل العائلة ذهبت) لأن الأرض بعيدة عن قريتنا. كنا نعمل من أول الموسم حتى آخره (كل العائلة تعمل) ونأخذ ربع الموسم، بالإضافة للعمل في الأرض، كنا نقوم بخدمة البقر لصاحب الأرض (محمد كعكة – أبو عزو) وعملنا لديه حوالي 5 سنوات ومن ثم عند سالم كعكة لمدة 3 سنوات. فالوضع الاقتصادي كان رديئاً جداً ويؤثر على الوضع الاجتماعي.

مهنة الأولاد الباقين: جمعة: فلاح، محمد: فلاح، ابراهيم (الذي أتكلم عنه)، زهرة (في البيت).

كان لا يهتم بالقراءة والكتابة، فقط كان في صغره يتعلم القرآن عند الشيخ.

يسمع بحزب الشعب. محيطه لا يعرف ما هي الأحزاب أو السياسة.

"في بداية حياتي كنت أعمل مع والدي في الأرض عند بيت كعكة، وأذكر أنه كنا نأخذ ربع الموسم. وباعتبار أنه كان لديهم محلات في المدينة، كُنّا نستدين قبل نهاية الموسم فنشتري زيت، كاز، ملح، بصل) وعند انتهاء الموسم نجري الحساب فتبين أننا لم نربح شيئاً مطلقاً، بالعكس، أحياناً ننكسر بالدين للموسم القادم".

كُنّا نشتري بالمجيدية.[73]

أربع مجيديات = ليرة ذهبية.

الليرات الذهبية أغلاها الإنكليزية ثم الحميدية ثم الرشادية.[74]

مجيدية واحدة = عشرين برغوت فضي.

وعندما أصبح عمري خمسة عشر سنة كنت أمسك الفدان بشكل مقبول.[75] بعد هذه الفترة عدنا إلى قريتنا دون أن نجني أي ربح. في عام 1938 ظهرت العملة السورية، فبدأ العمل المأجور بالعملة السورية. وفي ذلك الوقت كنا (لا نزال) غير مسجلين في السجلات المدينة.[76]

ذهبت إلى القامشلي للعمل في تكسير الحجار لرصف طرق في المناطق الشرقية (دير الزور—القامشلي).

كُنّا نسمع بإبراهيم هنانو وسعدالله الجابري والأتاسي، وكنا نسميهم "الوطنيين" لأنهم كانوا ينادوا بالاستقلال وطرد فرنسا من البلاد. وكان بيت [آل] الجابري والمدرس مستلمين حلب [أصحاب النفوذ الكبير فيها][77] كنا

---

[73] عملة فضية نسبة إلى السلطان عبد المجيد.

[74] نسبة الى السلطانين عبد الحميد ومحمد رشاد.

[75] أي يستطيع أن يمسك عصا المحراث لفلاحة الأرض.

[76] أي مكتومين. ووقتها جرى تقييدهم في سجلات النفوس.

[77] كانت عائلتا الجابري والمدرس من كبار الإقطاعيين في حلب ولهم صولة ودولة.

نعمل في القامشلي، ونبقى [فيها] شهر وشهرين، ونأخذ الأجرة ونشتري المونة المعروفة آنذاك (قمح، زيت، ملح، كاز) وأغلب الأحيان كانت الديون متراكمة علينا.

وعندما بلغت من العمر 22 سنة، أي حوالي 1947، تركت الأحجار وبدأت العمل عند عبد الرحمن كعكة بصفة (عامل قبان، تنزيل خضرة، بيع، كاتب) بأجرة شهرية 100 ليرة سورية شهرياً، بالإضافة إلى البخشيش[78] من أصحاب الخضروات والمزروعات. وكنت أنام في المخزن. كنا نستجر من عند صاحب المخزن مقابل الأجرة (برغل، خضرة، عدس).

بعد هذه الفترة تركت المخزن واشتركت بسيارة لنقل الحجر وبدأت العمل على السيارة بصفة معلم ومعاون ومحاسب (بسبب القراءة والكتابة التي تعلمتها عند الشيخ)، وتعلمت قيادة السيارة. وعندما أردنا فك الشركة بسبب نهب المرابح من قبل الشركاء، تركت السيارة دون أي مبلغ.

في حوالي عام 1955 بدأت العمل في محالج الأقطان بصفة عتّال في محلجة (طبارة وحلوح وحج سالم نور الدين) بأجرة تنزيل شوال قطن (بفرنكين) وأحصل حوالي 100 ليرة سورية أسبوعياً. وأثناء ذلك طالعت [استخرجت] شهادة سواقة، فكنت أعمل في موسم القطن في المحلج وأثناء الصيفية في المقالع لنقل الأحجار.

عملت حوالي 8-9 سنوات في المحالج. ثم سائقاً لمدة ست سنوات، ثم اشتريت سيارة مع أخوتي، ثم سمسار أراضي، ثم حارس في معمل لحلوج للصباغة حالياً.

المواد الأولية وهو القطن للمحالج يأتي من الجزيرة وحماة، حوالي عشرين سيارة يومياً.

المحالج صغيرة يدوية، وفيها يتم فصل بذر القطن عن تيلة القطن، ويضغط بمكابس في بالات، ويرسل إلى اللاذقية (محالج أمريكية).

كان لنا ريّس، وعلاقتنا فقط معه، ولا نعرف صاحب العمل، حيث كانت الأجرة مائة ل.س أسبوعياً، أجور العتالين بالشوال، أما الريّس فله حصتين من حصة العتال. كانت النساء تعمل بصفة "حوّاسات" يُنظّفن ويلملمنَّ ما يسقط من القطن (ولهنّ نسبة من هم القطن المتساقط) وأجورهن حوالي 2-3 ل.س يومياً، ولهن واسطة نقل تعمل على حساب صاحب المعمل.

عدد ساعات العمل غير محددة. طالما يوجد سيارات، يوجد عمل. وسطياً (10-12 ساعة).

العطلة حسب وجود القطن والعطلة غير مأجورة.

---

[78] تعني هنا الإكرامية التي يقدمها صاحب الخضروات للأجير.

كل الإنتاج كان للتصدير الخارجي، ويتم بين صاحب المحلج والسوق الخارجي، ولا نعرف ما هي الأرباح.

القوة هي الأسلوب المتبع بين العامل ورب العمل.

كان في القرية حوالي 1000–1500 مواطن (نسمة)، أغلبهم فلاحين، 90 % فلاحين—عتالين، والعلاقة بين بعضهم البعض هي علاقة فساد...[79]

المشكلات في الريف: لا كهرباء، لا ماء، لا طريق ولا مواصلات بين المدينة والريف. وكان يُعرَف ابن الريف من شرواله، بينما يلبس أهل المدينة طرابيش. وكانت هناك نظرة احتقار من ابن المدينة لابن الريف.

عند افتتاح الموسم وآخر الموسم كانت الولائم على حساب صاحب العمل (وأغلبها لحم بعجين).

يعمل حالياً حارساً لدى معمل لحلوح.

يقول: سابقاً كانت الحياة صعبة، أما حالياً فالحياة أفضل بكثير، حيث أنه كان صاحب المعمل هو الذي يصرف العامل بسبب أو دون سبب، أما حالياً فأفضل.

6- ملكية الأرض في قرى دروز إدلب والعلاقة مع الجوار السنة [80]

إعداد وتقديم: (س) (رجاني عدم ذكر اسمه ، فوضعت حرف س إشارة إلى المجهول).

كتب مُعِدُّ الدراسة ومقدمها الآتي:

اسم الجد: محمد قصاب، له أخ واحد، لم ينجب أطفال بسبب مرض ما، واسمه يوسف قصاب. إن محمد وأخاه حصلا على ملكيتهما من الأستانة في استنبول بمساعدة آل عويد من كفر تخاريم.[81]

---

[79] وضع الدارس ثلاث نقاط بعد كلمة فساد، ولم ينقل ما قصده المتحدث بالفساد.

[80] يتوزع الدروز في بلاد الشام في المناطق الآتية: إدلب، جبل حوران الذي أُطلق عليه فيما بعد جبل العرب وهو محافظة السويداء اليوم، قرى متناثرة في ريف دمشق، جبل الشيخ، الشوف وجبل لبنان الذي كان يطلق عليه اسم جبل الدروز، شمال فلسطين. وفي عام 1992 كنت أقوم مع زوجتي الألمانية سكريد ينسن بزيارة سياحية إلى المدن الميتة ومنها الكنيسة السريانية المشهورة في قلب اللوزة، وهي من القرى الدرزية الفقيرة في محافظة إدلب. وعندما كنا نتجوّل في القرية لاستطلاع معالمها لحق بنا بعض الأطفال يطلبون المال كالشحادين، فاستغربت زوجتي، وهي تعرف دروز جبل حوران معرفة جيدة، قائلة: هذه ليست من عادة الدروز! فأجبتها إنه الفقر يغيّر العادات والتقاليد. وبعدها بدأت بمشروع بحثي ميداني لم انجزه، حول عادات الدروز في مختلف مناطقهم.

[81] رأينا عدم ذكر اسم الدارس بناء على رغبته، واخترنا العنوان المدوّن أعلاه اختصاراً. وتُقدّم الدراسة مثالاً حيّاً على كيفية تملك الأرض وظهور كبار الملاك الإقطاعيين، ومثالهم هنا بيت القصّاب في معارة الإخوان في السهل الخصب الذي يشمل أربع قرى درزية غنية إضافة إلى تسع قرى فقيرة متناثرة في الجبل الأعلى أو جبل السمّاق. وكان "التحالف الطبقي" بين الإقطاعي الدرزي والإقطاعيين السُنّة واضحاً.

الأب: محمد علي، أنجب تسعة أولاد ذكور من ثلاث زوجات، وابنتين من زوجة رابعة.

كانت الملكية مقسمة في القرية المسماة "معارة الاخوان" (منطقة إدلب) على ثلاث عائلات كبيرة العدد، وهم: بيت قصاب، بيت نجار، بيت شربجي، وعائلة رابعة هي بيت حسين، أقلهم ثراء. وكان بيت قصاب أقوى العائلات، بسبب وجود الإخوة التسعة، وبسبب ذكاء الجد محمد من الجهة الثانية، وقد استطاع بذكائه أن يتقرب ويكسب ود جميع الفقراء من أهالي القرية بالزواج منهم ومناسبتهم.

عدد الزوجات اللواتي تزوجهنّ أنجبن منهن تسعة ذكور وفتاتين والخمسة زوجات الباقيات توفين دون إنجاب أطفال، بحيث بلغ عدد زوجاته تسعة في أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي.[82] استطاع محمد علي القصاب تثبيت ملكيته في الأستانة بإستنبول بمساعدة أصدقائه المقربين له من آل عويد وآل هنانو، حيث أن محامياً من بيت هنانو تابع الدعوى في استنبول واستطاع تثبيت الملكية الخاصة لآل قصاب مقابل أتعاب خاصة له.

بعد فرض الاستعمار الفرنسي سيطرته على البلاد ونشوب ثورات في معظم مناطق القطر، عمد الاستعمار الجديد وعن طريق نائب المندوب السامي في حلب أن يعمل على تقسيم المناطق والنفوذ، فوجد في الأقلية الدرزية التي تقطن في إدلب خير عون له، فعمد إلى التقرب من هذه الطائفة وتثبيت دعمها في المنطقة. وقد كانت خطة المندوب السامي الفرنسي ترمي إلى نفس الغرض في معظم قرى ونواحي إدلب المسماة بحينها قائمقامية تابعة لحلب، فركّز السلطة في قرى عجاره بأيدي الإقطاع وملاك الأراضي مثل بيت العاشوري في [بلدة] معرتمصرين، وبيت قطرنجاسي في [قرية] كفريحمول، وبيت الكيخيا (كتخدا) في قرية كفتين. وهكذا تم التقسيم بحيث يسهل عليه تناول وتهديد أي تحرك جماهيري ثوري في المنطقة.

كما هو معروف أن علاقات آل قصاب كانت حسنة مع آل هنانو وآل عويد قبل قيام الثورات في إدلب، وعلى العكس، كانت علاقاتهم سيئة مع معظم الإقطاعيين المسيطرين على القرى المجاورة، وكان سبب الخلاف الرئيسي والهام يعود إلى عدم سماح بيت قصاب للآغوات المتنفذين في القرى والمدن المجاورة من الاعتداء أو المساس بكرامة أي درزي في القرى التي يسيطرون عليها، لاسيما وقد نوهت إلى أن العلاقات (أي القرابة) بين آل قصاب وجميع الدروز كانت متينة بسبب (الزواج والتزويج) ، إضافة إلى عامل هام وهو النخوة والعادات والتقاليد الموجودة لدى الطائفة الدرزية.

وفي خمسينيات القرن العشرين ومع صعود الوعي الوطني رفع شباب الدروز راية العصيان ضد إقطاعيهم. وهذا يُذكّرنا بثورة العامية في جبل حوران (العرب) عام 1888 ضد المتنفذين من آل الأطرش. كما تتضمن الدراسة لقطات من العلاقة بين الدروز والسنة في الثورة الوطنية لإبراهيم هنانو.

[82] حسب علمنا أن الدروز يقتصرون على الزواج بواحدة، إلا إذا توفيت. فكيف جمع محمد علي القصاب تسع نساء في عمره ؟ أم يجوز للزعيم ما لا يجوز لغيره !؟

ملاحظة: عدد قرى الدروز بإدلب 13 قرية، يقطن فيها حوالي 7000 نسمة حالياً، موزعة حسب الآتي: أربع قرى هي: معارة الاخوان، كفتين، بيرة كفتين، كفربني في السهل حيث الأراضي الخصبة، وعدد سكانها يعادل نصف سكان الدروز في إدلب، أما باقي القرى التسعة فموجودة في المناطق الجبلية، أي ما يسمى الجبل الأعلى أو جبل السماق، ولهذا الجبل جذور تاريخية دينية في القديم.

بعد اندلاع الثورات في إدلب، والتي قام بها الفلاحون بقيادة نخبة من القادة الوطنيين، تمّ التنسيق بين قادة الثورات وبين آل قصاب حيث أدرك القادة الوطنيون مثل ابراهيم هنانو ونجيب عويد أن التعاون بينهم وبين آل قصاب له نتائج (مخلفات) إيجابية لسببين مهمين:

- الأول: ثقة السلطة الفرنسية بآل قصاب ظناً منها أن آل قصاب لا يريدون التعاون مع الثوار لأنهم من الإسلام السنة.
- الثاني: النخوة والرجولة التي هي من شيم الدروز (لاسيما عندما يطلب منهم مساعدة).

وفعلاً تمّ هذا الطلب الأخير من قبل قادة الثورة في الشمال، حيث اجتمعوا مع آل قصاب وتم الاتفاق فيما بين الطرفين على التعاون والجهاد ضد الاحتلال الفرنسي. وقد وزعت المهام القيادية وسُلّمت إلى الأخوة أي أبناء محمد قصاب كالآتي:

- الأب محمد قصاب: افتتح مضافة من أجل استقبال الضيوف من داخل البلدة وخارجها.
- الابن الأكبر محمد علي: أشدهم ذكاء وديبلوماسية. كلف بمهمة سفير متنقل لحل القضايا بين الطائفة نفسها، وبين الفرنسيين والثوار من جهة ثانية.
- جميل قصاب: رجل دين. كان لا يتدخل بأي شكل من أشكال الخلافات والمسائل الدنيوية.
- هزاع قصاب: كان رجل كرم ومشهور بالفروسية وركوب الخيل وإقامة حفلات الأعراس.
- علي قصاب: كان يعمل بالأرض ويتمتع بنفوذ قوي على الفلاحين.
- مصطفى قصاب: كان أشجعهم جميعا كُلّف كمسؤول عن الدفاع عن القرية، وهو الذي كان يوصل الأسلحة إلى الثوار في أريحا وكفر تخاريم وفي إدلب ذاتها، حتى أنهم استطاعوا الحصول على السلاح من الفرنسيين أنفسهم بحجة الحماية من الثوار، وبعد استلام السلاح يتم توزيعه على الثوار مجدداً، وهذه كانت من أنجح الخطط عندهم.
- مهنا قصاب: لم يعمر طويلاً، فقد توفي وهو في سن العشرين.
- أحمد قصاب: رجل دين تتلمذ على يد أخيه جميل وهو في بداية شبابه.
- فارس قصاب: كان صغيراً ولم توكل له أي مهمة.
- مهنا قصاب: كان صغيراً و لم توكل له أي مهمة.
- عدنان قصاب: ولد بعد وفاة أبيه.

ملاحظة: عندما تم القبض على إبراهيم هنانو وجرت محاكمته بحلب، وضع إبراهيم هنانو محمد علي قصاب شاهداً معه، وخلال المحاكمة، وبعد أخذ ورد جرى بين محمد علي قصاب والحاكم الفرنسي أخرج محمد علي قصاب مسدسه وأشهره على الحاكم قائلاً: إما الإفراج عن إبراهيم بيك أو أقتلك وأقتل نفسي، وهذا دليل على الثقة بالنفس والقوة والرجولة التي كان يتمتع بها هذا الرجل.

ملاحظة: هناك أهزوجة بعد أن تم الإفراج عن إبراهيم بيك أنشدها أهل القرية فرحين بعد أن أفرج عن زعيمهم وهي:

طيارة طارت بالجو فيها عسكر فيها ضو

فيها ابراهيم هنانو مركب بنته قدامو

ملاحظة: عندما احتدم الصراع، واشتدت الثورة، وضيّقت السلطة الفرنسية الحصار على قادة الثورة، عمد هؤلاء القادة إلى إيداع نسائهم في القرية عند آل قصاب حيث الاطمئنان. وقد تم كساؤهم من نفس الكساء الدارج في القرية (خراطة سوداء، فوطة سميكة لونها أبيض توضع على الرأس)، ودامت إقامة هذه النسوة قرابة الشهر في القرية عند آل قصاب.

العلاقة السائدة بين العائلة وأهالي القرية كانت جيدة خلال فترة الانتداب لأن الجميع في القرية مطمئنين ومحميين بسبب العلاقة الجيدة مع الفرنسيين. وفي باقي القرى الدرزية عندما كانت تحصل معارك وحملات تفتيش فإن هذه القرى ترسل أحد الأهالي لإخبار العائلة، وفعلاً مجرد ذهاب أحد أفراد العائلة إلى هذه القرى التي فيها حملات تفتيش ينتهي الأمر ويفرج عن كل المعتقلين. فمثلاً في قرية كفربني شَكِّلت حملة فرنسية وداهمت القرية بحجة وجود ثوار، فجمعوا الأهالي والمختار والنساء، وطلبوا بجمع أبقار القرية وماشيتها من غنم وماعز، وبدأوا بتوزيع الجنود في القرية للخراب، فما كان من المختار إلا أن أرسل أحد الأهالي خفية إلى بيت قصاب، وفعلاً تم ذلك على وجه السرعة. ذهب محمد علي قصاب إلى القرية مع أخيه مصطفى، ولما وصلا إلى القرية وجدا أن الفرنسيين قد كتفوا المختار ووضعوا على رأسه حذاء أحد الجنود وبعض العساكر كان يبغي ذبح الأبقار، ولما رأى قائد الحملة الفرنسية محمد علي قصاب وأخيه لاقاهما وسلم عليهما فطلبا منه بعد حوار جرى بينهم الإفراج عن المختار ووجهاء القرية ولم يسمحوا بذبح الأبقار ولا بترقيص النساء كما كانوا يريدون في البدء.

العلاقة السائدة بين العائلة وأهالي القرى بعد الجلاء: توفي الأب قبل جلاء فرنسا من سوريا في أوائل الأربعينات، وقد كان لرحيله أثراً بالغاً لدى أبناء الطائفة، حيث كان محبوباً لدى الجميع لما يتمتع به من ذكاء وأخلاق حسنة، وكان دائماً يعطف على الفقراء، حتى أنني سمعت من أحد رجال القرية، وهو لا يزال عائشاً واسمه سلمان سلوم الذي كان شابا وقتها، وقال هذا الراوي: إن محمد قصاب كان يضع الحبوب بعد محصول

القمح في آبار خاصة تحت الأرض حتى لا يدفع ميرة إلى المستعمرين، وحتى لا يستطيع موظفو الميرة معرفة الحقيقة عن كمية المحاصيل الزراعية لديه، وكان يقوم بتوزيع الحبوب على كل سكان القرية الفقراء ومن ثم يرسل قسماً من هذه الحبوب إلى القرى الإسلامية المجاورة لتوزيعها على الفقراء، ولذلك لا يكون أي مبالغة إذا قلنا بأن جميع أهل القرية والطائفة وحتى القرى الإسلامية جميعها حزنت لوفاته وشارَكْتُ في العزاء، حتى أن بيت الكيخيا والقدسي أتوا من حلب، وجاءت فرقة من مدرسة الأيتام في حلب، وفرقة موسيقية تسمى فرقة النوبة، وسارت أمام الجنازة تعزف الموسيقا الحزينة خلال مراسم التشييع. قال الراوي سلمان سلوم أن محمد قصاب قد خصص مبلغ 25 ليرة ذهبية سنوياً لمدرسة الأيتام في حلب.

لم يمض على وفاة الأب محمد قصاب عام واحد حتى جرى تقسيم الأرض بين أبنائه التسعة، وقد جرى هذا التقسيم حسب رغبة الأخ الأكبر محمد علي القصاب، واستطاع بذكائه أن يقنع أخوته بتخصيص قسم من الأرض ليضمها إلى حصته وتكون مقابل المصاريف التي سيتكلّفها في المضافة، وبذلك استطاع أن يحصل على حصة كبيرة.

الفقراء في القرية والقرى المجاورة قُطِعَت عنهم المساعدات والصدقات، واشتد الفقر، واضطر معظم الفقراء المعدومين لبيع أراضيهم وبأسعار زهيدة جداً، وكان سيد الموقف هو محمد علي حيث استطاع شراء الأرض في قريته وفي قرية كفتين وبيرة كفتين. أما أخوته فسلكوا نفس الطريق، ولكن بشكل أقل وأضعف. ظهرت خلافات بين العوائل الثلاثة في القرية بيت الحسين وبيت الشربجي وبيت القصاب على منصب المختار، وكان ظهور بعض الشباب الواعي في القرية يزيد من شدة هذا الخلاف، لاسيما أن محمد علي قصاب وأخوته قسوا على معظم الفلاحين الفقراء، وبذلك انحرم الفلاحون من عطف الأب وقاسوا ظلم الأبناء، واستطاع بعض الشباب من طبقة الفلاحين تشكيل حزب سموه "حزب الشعبيين". حدث هذا في أواخر الأربعينات، وفي حينها انضم قسم من هؤلاء الشباب لتنظيم الحزب الشيوعي وحزب البعث، ثم ما لبث أن انسحب الشباب من الحزب الشيوعي بعد أن استطاع أحد أبناء الفلاحين الأذكياء أن يضلل هؤلاء بأن الحزب الشيوعي ينكر وجود الله فانسحب الجميع من الحزب وانضموا لحزب البعث. وفي أوائل الخمسينات احتدم الصراع بين فقراء القرية والعائلة، واتخذ شكل العنف ونتيجة إحدى المعارك في القرية استطاع الفلاحون بعصيهم ومناجلهم أن يسقطوا علي قصاب مغشيا عليه نتيجة الضرب، وفرّ باقي الأخوة والأنصار هاربين. وعلى الرغم من تدخل الدولة بعد هذا الشجار إلى جانب آل قصاب فإن تكاتف الفلاحين ازداد بشكل ملحوظ وامتد إلى القرى المجاورة. كان من أشد الشباب الذين لديهم أفكار تقدمية هو السيد محمد ناصيف شربجي، وتربطه مع العائلة قرابة حيث يكون ابن أخت أبناء قصاب أي أنهم أخواله، والسيد محمد وحيد الحسين ووالده وعمه وقفوا بجانب آل شربجي، أما بيت النجار فكانوا محايدين، وجميع هذه العوائل في القرية تجمعهم صلة القرابة، ابن اخت، وابن خال، وهكذا.

ملاحظة: إن العلاقة بين آل قصاب والآغوات في القرى المجاورة قد تحسنت كثيراً، خاصة بعد وفاة الأب، لأن هذا الأخير كان يقف دوماً بجانب الفقراء ضد الآغوات، عكس أبنائه بعد وفاته، لقد سلك أبناؤه نفس سلوك الآغوات في القرى المجاورة، وهذا حسّن الصلة بينهم.

ملاحظة: عندما تشكل حزب الشعب كان من أشهر زعمائه ومؤسسيه رشدي الكيخيا وناظم القدسي في حلب ،ونتيجة الصداقة التي تربط بين العائلة ومؤسسي حزب الشعب دخل في الحزب محمد علي قصاب، وكان من أنشط الآغوات والبيكوات الذين دخلوا الحزب في المنطقة (إدلب)، وأطلق عليه لقب محمد علي قصاب باشا واشتهر بهذا الاسم حتى تاريخ وفاته عام 1972.

ملاحظة: تزوج ثلاث نساء ولكنه لم يجمع بينهن. الأولى: من قرية كفتين، وهي أولى زوجاته. أنجب منها ذكرين أحدهما توفي والآخر ما زال على قيد الحياة واسمه الدكتور يحيا قصاب، حصل على تعليمه في فرنسا وبريطانيا (دكتوراه سياسة واقتصاد)، عمل في وزارة الخارجية وحصل على التقاعد بعد أن عُيّن سفير سوريا في تنزانيا ودار السلام، وبعد حصوله على التقاعد توظف لدى هيئة الأمم المتحدة (يونيسكو) في دمشق، ولا زال منذ عام 1963 أي قيام الثورة حتى تاريخه. الثانية: من جبل العرب، وهي ابنة علي الأطرش، تزوجها بعد أن حصل على لقب باشا، انجب منها ثلاث بنات فقط. الثالثة: من جبل العرب أيضاً، ولكن من العوائل الفقيرة جداً، تزوجها وكان عمره ثمانون عاماً وعمرها أربعون عاماً، لم تدم عنده كثيراً، طلّقها بعد أن أنجب منها طفلاً فقط.

ملاحظة: خلال صدور قانون الإصلاح الزراعي أيام الوحدة استطاع أن يؤجل عملية التقسيم عن طريق بعض العلاقات الشخصية مع الحكام. خلال ثورة 1963 وما بعدها[83] تم التقسيم، ووزعت الأرض على الفلاحين في قرية كفتين.

7- من يتيم متشرد في حارم بسبب موت والده في "السفر برلك" إلى حمّال فمستأجر أرض ومن ثمّ وكيل حسن البيك على أرضه. لم يحالفه الحظ في عدد من الأعمال، إلى أن استقرّ به المطاف في حلب:

مُجري اللقاء الدارس: محمد فريد بيطار.

المتحدث: جميل بن عبدالهادي بن مصطفى بيطار من مواليد حارم، 1916، والآن بتاريخ اللقاء (1986) مقيم في مدينة حلب، بعد أن عاش حياةً مضطربة متنوعة. وله ستة أولاد وهم:

---

[83] المقصود حركة 8 آذار العسكرية، والتي سماها المتحدث "ثورة" كما هو دارج آنذاك، والتي أدت إلى وصول حزب البعث إلى الحكم كواجهة للعساكر.

- حسن: يعمل متطوع بالجيش العربي السوري.
- حسين: موظف في المؤسسة العامة لحلج وتسويق الأقطان ورئيس لجنة نقابية.
- أحمد: يعمل في محل خراطة الحديد أي "طورنجي".
- مصطفى: يعمل عامل في الشركة الأهلية للغزل والنسيج.
- عبد الهادي: يعمل في صنع وخراطة العجانات "طورنجي".
- جميلة: متزوجة من ضابط في الجيش العربي السوري.

كتب الدارس:

توفي الأب عبد الهادي في حرب سفر برلك وكان يعمل بيطاراً ، والأم توفيت بعده بثلاث سنوات من الحرب تاركة ثلاثة أولاد: الكبير محمد فريد والأوسط جميل (وهو المتحدث مقدّم المعلومات) والصغيرة فاطمة، رباهم خالهم أبو عبدو البيطار.

الأب عبدالهادي كانت أحواله ميسورة وكان يملك بيتاً فيه جميع الأشياء المنزلية وقطعة أرض اشتراها من أحد الفلاحين نتيجة الديون التي كانت عليه وبرضا البيك. ولكن لما توفي بحرب سفر برلك طمع عمه بالبيت والأرض ولم يستطيعوا العيش عنده لأن زوجته كانت حلبية وظالمة. فطفشوا (طفش هرب من الظلم وانتقل إلى مكان آخر. وطفشت الدابة هربت) إلى عند خالهم أبو عبدو البيطار (عبد القادر البيطار)، ومن بعده طفش جميل إلى أرمناز وكان عمره حوالي تسع سنوات لعند أحمد الجحجاح، وهو يقرب والدته وأحبه كثيراً وأصبح من نفس العائلة، ولكن أخوه محمد فريد وأخته فاطمة لا يعرفان عنه شيئاً، ولما أُخبرا بأنه موجود عند أقارب أمه فبعث أخوه محمد فريد إليه لكي يعيده إلى حارم ويشتغلان مع بعضهما في دكان أبيهم المتوفي عبد الهادي. وكان في ذلك الوقت عمره حوالي ثلاث عشرة سنة، ولما رجع إلى حارم كان البيت مستأجر من قبل الفرنسيين فأخرجوهم بمساعدة أخوالهما واستقرا في الدار، وكان لا يوجد فيه شيء سوى الحصيرة واللحاف وثيابهما التي يلبسانها. أما الدكان فكانت مستغلة من قبل عمهم عبدالحميد ولم يعطهم الدكان، مع العلم بأنه كان غنياً، ولكنه عرض عليهما أن يعملان معه، فرفض جميل وقبل محمد فريد بالعمل مع عمه فاستغله أبشع استغلال.

أما جميل اضطر إلى أن يشتري بغلاً وبدأ يعمل عليه حمّالاً ثم انتقل إلى بيع الخضرة ومن ثم بدأ "يأخذ"، أي يستأجر الأراضي ويشتغل بالزراعة على حسابه.

أما محمد فريد ظل يعمل بيطاراً عند خاله، وتزوج من زهيدة شريف وأنجب عبدالهادي وأحمد وشريف وصفوة وخالد ومهدية.

أما فاطمة تزوجها عبد الفتاح الجفل، وأخذ جميل أخت عبد الفتاح الجفل مقايضة. وعند ذلك شارك حسن بيك في الأرض على طريق تركيا على أساس مرابعة. وكان حسن بيك عنده أراضي كثيرة ودكاكين وحمام، وكان يعمل في القجق،[84] وكان رشيد بيازيد شريكه في الأرض وزرعها قطن وكان موسم جيد.

لكن حسن بيك بدأ يعمل في السياسة، فقبضوا عليه وأخذوه إلى السجن في بيروت.[85] قبل اعتقاله، كلّف حسن البيك قريبه إبراهيم أفندي أن يعمل توكيل لجميل في إدارة أملاكه من الحمام والدكاكين وفي الأراضي، أي مفوض بكل شيء. ولما جاءت الميرا[86] بدأ جميل بيطار بأخذ الحبوب من الفلاحين وبدأ يهربها في الليل وكان الموسم جيدا.

وبعد ثلاثة أشهر جاء حسن بيك[87] وقال له: لقد جاءتني أخبارك وأخبار رشيد بيازيد، فحاسب رشيد وطرده من الأرض، بينما شاركه جميل في موسمه واشتغل معه. قال له: أنت لا تعمل شيء سوى أنك تشرف على الأراضي وعلى أملاكي، وأنت تحط الأجراء، وأنت تحاسبهم، وأنت تبطل أي أنك وكيلي بكل شيء.

ظل عنده قرابة خمس عشرة سنة، وحسن بيك لا يعرف شيء سوى القبض، مع العلم بأن جميل بيطار اشترى أراضي كثيرة بالعنف والقوة ووضعها تحت اسم حسن بيك وابراهيم أفندي، ولو حتى الفلاحين إذا اشتكوا لحسن بيك أو ابراهيم أفندي فلا يرد عليهم، وبدأوا يأمنوا له كل شيء. ومع ذلك، فإن حسن بيك يعطيه بخشيش كل آخر موسم، ويعطيه أجر شهري 200 ل.س، ومصروفه على حساب البيك مع المونة. ولكن من بعد ذلك بدأ الحسُّاد يدسون عليه ويطالعوا عليه أقوال شتى،[88] وأصبح حسن بيك وجهه ناشف من طرفه.[89] ولما صار آخر الموسم، حاسب العمال، وذهب لعند حسن بيك لكي يحاسبه، ومن بعد جدال طويل عرف الأسباب، فكان السبب الأول وكيله الثاني حسن الترك الذي كان يلعب من تحته[90] ويشيع الإشاعات على جميل بيطار، فصمم جميل بأن يتحاسب مع حسن بيك ويعمل لوحده فأخذ منه 4400 ل.س و2000 ليرة إكرامية، كان ذلك في عام 1945 أو حوالي منتصف الأربعينات.

---

[84] القجق كلمة تركية لا تزال تُستعمل من قبل العامة في الشمال السوري ن وتعني التهريب .

[85] حسب معلوماتنا غير الدقيقة أن حسن بيك كان ذا ميول شيوعية وله نشاط في حلب، ولهذا اعتقلته السلطات الفرنسية عام 1941 ، حكومة فيشي الموالية لألمانيا الهتلرية. ومعروف أن حكومة فيشي سجنت عام 1941 جميع من كانت لهم نشاطات يسارية شيوعية معادية للفاشية.

[86] الميرا ضريبة فُرضت على منتجي الحبوب أثناء الحرب العالمية الثانية، تُجمع بأسعار زهيدة، وتُخزّن من أجل تموين الجيش والمدن بالخبز خوفاً من المجاعة. وجرى استغلال الميرة من قبل المتنفذين في روايات ذكرها الفلاحون في تلك الأيام.

[87] خرج حسن البيك من السجن بعد دخول القوات البريطانية والديغولية الفرنسية وطرد الفيشيين الموالين للألمان من سورة ولبنان.

[88] يدسون عليه ويتمون .

[89] تغيّرت سحنة وجهه إشارة إلى إلرى تغيّر موقفه منه .

[90] يدسّ عليه ويشي به .

لما بطّل جميل بيطار من عند حسن بيك وضع محله زوج أخته عبد الفتاح الجفل وولده عبدالقادر، ولما سمع أهل الضيعة في القحجق بأن أبو حسن (جميل بيطار) ترك، فبدأ النهب في الأراضي والموسم ضاع.

ذهب جميل بيطار إلى الجزيرة واستأجر أرضاً وزرعها قطناً لكنه خسر الموسم، وظل على هذا المنوال مدة أربع سنوات وكل سنة يخسر، فترك الجزيرة وذهب إلى قرية بشمارون التي تبعد عن محافظة إدلب حوالي 15كم واستأجر أرضاً وزرعها بندورة، ولكن آفة أتت على البندورة وكذلك خسر الموسم. وقال: وبدأ الزمان يرجع إلى الوراء حتى صَفِيتْ على الحديدة،[91] فاضطررت للنزول إلى مدينة حلب، وبدأتُ أعمل في الخضرة أجرّها على العربية (أي أضغ الخضرة على سطح العربة وأجرها بقوة جسمي) ولكن صحتي لم تكن كما في السابق، فاضطررت أن أعمل في المحلجة كحارس، وكان ذلك في عام 1954.

مع ذلك لا ننسى بأن الفلاحين لم يكن عندهم أراضي، وبعض من يملك الأرض كُنّا نقوم بالنصب والاحتيال حتى نأخذ منه الأرض، وخاصة لما يسمعوا أن البيك (المقصود هنا الإقطاعي بعامة وليس حسن البيك الوارد ذكره قبل قليل) جاء على الضيعة، فيذهبوا ويختبئوا في الجبال أو في البيوت. وكان الإقطاعيون هم أصحاب القرار وكانوا ظُلّام، هم يزوّجوا وهم يطلّقوا، وهم يقدّروا الموسم وماذا يعطوا للفلاحين والقدر الذي تكفيه المؤونة. وكنت كل موسم أو شراء أرض آخذ بخشيش وبعض الهدايا التي يجلبها لي من تركيا. أما من بعد ذلك لا أعلم ماذا جرى في منطقة حارم ولم أدوسها إلا في المناسبات والضرورات. ولكن في الوقت الحاضر تغيّر الكثير الكثير من ناحية التعليم والصحة وحتى المياه والكهرباء أيضاً.

لكن الحقيقة الوحيدة أنه ما أخذناه في منطقة حارم هو فتح طريق حارم حلب مباشرة ماراً بأورم الصغرى لأن ابن عمي مصطفى بيطار بن عبد الحميد كان من عساكر الفرنسيين،[92] وكان ظالم وأهل حارم يخافونه ويهابونه، ففتح هذا الطريق، وعلى الفقير أيا كان عمره أن يعمل في الطريق لمدة أسبوع.[93]

ولما طردوه الفرنسيين عندما ضرب أحد ضباط الفرنسيين اشتدت النقمة عليه، فطفش إلى قرية أبو الظهور، واشتغل بيطاراً واستقر هناك.

---

[91] إشارة إلى أنه لم يعد يملك شروى نقير.

[92] هم من أهل البلد وتحوّلوا إلى مرتزقة وأداة بيد المستشار الفرنسي الحاكم المطلق في كل منطقة أيام الانتداب الفرنسي. وغالباً ما أُطلق على الفقراء والمدنيين الذين تطوعوا لدى الفرنسيين اسم "عساكر المستشار"، ولهم صولة وجولة.

[93] ظاهرة تسخير الفلاحين في شق الطرق وتعبيدها كانت معروفة في العهد العثماني، وعهد الانتداب الفرنسي، وأوائل عهد الاستقلال حتى نهاية أربعينيات القرن العشرين، وكثيراً ما استُبدِلت السخرة بدفع ضريبة نقدية سميت في العهد العثماني "كرْوِسة" وفيما بعد "ضريبة بدل الطريق".

8- قصص من مظالم الإقطاع/ ريف حلب

مجري اللقاء الدارس: عبد الحكيم خطيب/ معمل إسمنت المسلمية.

المتحدث: محمد خطيب من مواليد 1920 في كفر نبّل (جبل الزاوية).

كتب:

كان جد محمد لا يملك سوى سيفه وحصان يشترك فيه بالسباقات أثناء الأفراح (الزواج). أما والده فكان يملك دكان صغير فيه بعض الحاجيات كالسكر والملح وحاجيات ضرورية للحياة اليومية بالإضافة إلى بقرة.

وقال محمد: كنّا نأكل من حليبها اللبن والجبن أنا وأخوتي السبعة، بالإضافة إلى أنّ أبي كان في بعض الأحيان يغزل الصوف ليصنع منه خيط الصوف بالأجرة، وأكثر الأحيان لا تكفي الأجرة إلا دخانه.

أما علاقتنا في القرية كانت جيدة سوى بعض الخلافات بين العائلات (بيت فلان وبيت فلان)، وأحياناً تؤدي إلى قتال بالعصي، ولكن لا تولد أي كراهية بيننا. بينما العلاقة بين الريف والمدينة فكانت تختلف. فالأفندية في المدينة ينظرون إلينا وكأننا عبيد عندهم، وهم طبقة خُلقت من غير طينة البشر، ولم يعلموا أنه لو لا عملنا ما أكلوا الخبز.

ما كُنّا مهتمين لا بالأحزاب ولا نعرف شيئاً عن هذه النقابات أو الجمعيات أو الأحزاب.

لم يكن يوجد عندي مهنة سوى الحصاد عند الإقطاع. أعمل 12 ساعة في اليوم وأجرة اليوم ليرة سورية فقط. طعامنا على الأغلب الخبز مع الحلاوة، أو الخبز مع الشنينة (اللبن المدد بالماء) وهو الأكثر دائماً.

وروى محمد الرواية الآتية: في عام 1950 ذهبت إلى قرية الضبيعية في بادية الشام، وهي عبارة عن إقطاعية تابعة للإقطاعي صائب بيك العظم وأولاده الثلاثة فؤاد وبشار ونزار بيك العظم. وفي ذلك العام أتى القائم مقام حيدر بيك من منطقة معرة النعمان مع دليله من الضيعة إلينا في الصباح الباكر، وطلبوا عدداً من الرجال والنساء. ومن الصباح حتى الضحى استطاعوا أن يجمعوا عدداً من الرجال يقدر بـ 14 رجل و3 نساء، ومشينا على الأقدام حتى المعرة، نحن والدليل، أما القائم مقام فركب العرباية ووصل قبلنا. وفي المعرة نمنا حتى الصباح، حيث فطرنا (خبز مع البصل). ثمّ صعدنا الشاحنة وسارت متجهة نحو الجنوب حتى المغيب. وصلنا الإقطاعية وهي عبارة عن 14 منزلاً تعود ملكيتها للبيك مع الأراضي الشاسعة المليئة بالقمح، بالإضافة لعدد من البدو وظيفتهم حماية الإقطاعية والبيكوات والإشراف على العمال. ولحظة وصولنا جاء صائب بيك العظم، وألقى نظرة علينا وتفحصنا جميعاً دون أن يتكلم معنا ما عدا السلام، وأمر أحد رجاله أن يوزعنا على بيوت البدو لننام عندهم ونمنا دون

عشاء. وهنا نسيت أن أقول لك أنهم عطونا ثلاثة ليرات سورية قبل الذهاب معهم وهي أجرة ثلاثة أيام سلف أي اليوم بأجرة ليرة سورية واحدة من حصاد اليوم بكامله من الصباح وحتى المساء.

وفي الصباح أيقظونا إلى العمل، وبدأنا العمل دون كلل ثلاثة أيام. وفي اليوم الرابع صباحاً اتفقنا جميعاً أن لا نبدأ بالعمل حتى يعطونا الأجرة سلفاً، وطلبناها نحن الجميع دون النساء، اللواتي اعتمدْنَ علينا في القول والعمل. لكنّ البيك وأولاده رفضوا إعطاءنا أي ليرة، ولو ليرة، أجرة يوم واحد. وبدأ الحديث بيننا وبينهم بين الأخذ والرد وقالوا لنا لماذا لا تحصدوا إلا بالأجرة سلف، اشتغلوا وخذوا أجرتكم على آخر قرش. لكن نحن جميعاً رفضنا وقلنا لهم: إننا لا نعمل ولو لدقيقة واحدة بدون أجرة سلف. وكان البيك يرد علينا ويقول سنعطيكم فيما بعد، لا يوجد لدينا أموال هنا، أموالنا جميعها في الشام. ولكن نحن صممنا على أن لا نعمل إلا بالأجرة سلف. وبعد أن عجز البيك على إقناعنا انتقى ثلاثة منا وكنت بينهم، واصطحبنا إلى قصره. وبعد دخولنا قصره قال لنا أجلسوا فجلسنا ثم نظر إلينا وقال بصوت لطيف بعد أن كان صوته مرتفعا علينا في الأرض وقال: إني رأيت فيكم الشهامة كما أن أشكالكم تدل على أنكم أصحاب كلمة تجاه رفاقكم ويأتمرون بأوامركم، لذلك أريد الاعتماد عليكم ولكم إكرامية تليق بكم. فسألنا ما هي؟ قال: سأزيد لكم الأجرة أنتم بمقدار عشر قروش كل واحد وعن كل يوم عمل، فوافقنا على أن يعطيها لجميعنا ويدفع سلف، فوافق على إعطاء الزيادة للجميع لكن دون إعطاء سلف. فرفضنا عرضه وضرب الأرض بعصاه وقال لنا بعد أن وقف: أخرجوا يا كلاب من هنا، وخرجنا مسرعين إلى رفاقنا وأخبرناهم بالأمر. وفي اثنائها طلب عدد من رجاله لعنده وبعد فترة خرجوا من القصر وبدأوا يتكلمون مع بعضهم والبيك في الداخل. وإذ به يضرب ثلاث طلقات في الهواء وحين سمعها البدو انهالوا علينا ضرباً مبرحاً بالهراوات، ما عدا النساء، وتفرقنا في كل الاتجاهات. فضربونا بالرصاص دون أن يصيبونا. ولكن ما استطعنا الهرب وترك النساء. وبعد ساعة عاد البدو إلى ساحة القصر ووضعوا النساء كرهائن وعدنا نحن موهوني الأجسام إلى جانب القصر، فنظر إلينا البيكوات من الشبابيك، وأمروا البدو بإعداد الطعام لنا. وبعد الأكل أتى إلينا صائب وهو يتبسم وقال: احمدوا الله على هالنعمة. والنعمة كانت طعاما عبارة عن لبنية بحبوب (القمح واللبن) قلنا له حامدين الله، قال: إذاً قوموا إلى عملكم وسأحسب لكم نصف يوم ولكن بأجرة يوم كامل. المهم رفضنا العمل بدون أجرة، فردّ علينا وقال: إني أستطيع أن أقتلكم جميعا وأرميكم كالكلاب. فلم نرد عليه، لكنه عاد وقال: سأعفيكم من العمل هذا اليوم لأنكم متعبين، وغدا ستبدؤون بالعمل صباحا بهمة الرجال فأنتم رجال بلا شك. ولكن قررنا جميعاً الهريبة [أن نهرب] بين بعضنا، وكنا غير منتبهين لوجود أحد رجاله بيننا، فأخبره بما قررناه. فجمعنا مرة ثانية ومن حوله جميع رجاله، وقال لنا: لن تستطيعوا الهروب أبداً، وإن فكرتم بالهروب فستعودون لعندنا مرة ثانية، وأمامكم في الطريق ثلاث قبائل من البدو وهم الموالي والحديديين والعنزة، وكلهم متعاونين معنا وأعواننا في هذه المنطقة. وبعدها صرفنا. وفي طريقنا قررنا جميعاً أن يستيقظ ثلاثة منا قبل صلاة الصبح ويوقظ الجميع خلسة دون أن يشعر البدو بنا، ونجتمع في زاوية الأرض التي كنّا نعمل بها ونهرب مشياً على الأقدام. وتمّ الاتفاق تماماً كما أردنا، ووضعنا الشرق في ظهرنا واتجهنا جهة الغرب (وقلنا الله) من الصباح الباكر حتى المغيب.

ومررنا على بيوت الشعر للرعاة البدو كنا نأكل ونشرب من عندهم، حتى وصلنا قرية داليه أو دالي وهي إقطاعية لبيت الشلع من المعرة. كان العمال في الأرض قد أنهوا عمل يومهم وبدأوا بجمع عدتهم، فسلمنا عليهم ورحّبوا بنا، كما رحّب بنا بدر الشلع وقال لنا: إذا أردتم الحصاد فأهلاً بكم فوافقنا على العمل عنده وبقينا سبعة أيام وبنفس الأجرة ولكن دون سلف، لأننا سألنا العمال عنده عن الأجرة، فقالوا لنا: نعمل دون أجرة سلف وهو لا يأكل حق عامل.

طبعا سألونا عن سبب مجيئنا من عند صائب بيك، فأخبرناهم بما جرى، فقالوا لنا: صار فيكم كما صار مع عمال قبلكم، وهو يعطي أجرة ثلاثة أيام سلف وبعدها لا يعطي أي مليم. المهم، بعد السبعة أيام أقاموا لنا بيت الشلع فرحة الخلاص من العمل، وذبحوا لنا خروفاً، وأقيمت الدبكة بالمناجل والغناء وغيره... وبعدها أتوا بنا إلى المعرة وحاسبونا بكامل الأجرة.

9- الهيجانة ومالكها الإيبش

لقاء في 1980/3/22 مع محمد فارس من الهيجانة من مواليد 1915.[94]

استلم الهيجانة في 1927 حسني الإيبش الذي تزوج بنت عبد الرحمن باشا اليوسف، وهو يتكلم الفرنسي والانكليزي، وله نفوذ وله أعوان من الفلاحين. يريد أن تكون البلد كالعبيد للسيد. قال له البعض من الضيعة إذا ما كسرت راس فلان وفلان[95] فلن نستطيع السيطرة. اتفق مع القائمقام في درعا، وتكلم مع الفرنسيين بأنه يريد ترحيلهم. قالوا نهددهم بالسلاح حتى نستطيع ترحيلهم. رئيس المخفر (أحمد أفندي) زعم أنه وجد فرد (مسدس) عند محمد سويد عرابي (خال علي). وضع الفرد في الفرشة [فراش النوم] وصادره عند التفتيش زاعماً أنه لمحمد سويد. وكذلك فعل مع عبد العزيز أيوب، وعبد المجيد أيوب، وأحالوهم إلى ميدان الحرب الفرنسي (الحادثة زمن الفرنسيين لا يستطيع التحديد) ، ووضع لعثمان وردة، ولأحمد وردة، بارودة [بندقية/سلاح]، ولعبد الله فارس، فرد [مسدس/سلاح] واعتقل الجميع. أصحاب المسدسات حكموا ستة أشهر، والبواريد سنة، وأهينوا إهانة عظيمة. ثم رحّلهم إلى حوش حمار ملك محمود أفندي العجلاني، وهناك استعاروا من العرب (أي البدو) بيوت شعر [خيام] وبقوا ثلاثة أشهر. وفي الشتاء أسكنهم محمود في بيوت في القرية، وأصبحوا فلاحين فيها، وبقوا عدة سنوات. وجد عندهم عزة نفس، وهم زينة البلد، كانوا يتعلمون الطرش من العربان، ثم أرجعهم إلى القرية لمدة سنة ثم رحلهم ثانية إلى قرحتا والعتيبة.

كان حسين الإيبش يلحق أولاد،[96] فإذا رفض الأهل تسليم ابنهم يهينهم ويرحّلهم عن الهيجانة. ما عدا ذلك فكان لابأس.[97]

---

[94] غاب عن دفاترنا مُجري اللقاء مع محمد فارس.

[95] استخدام اسلوب العنف للسيطرة .

[96] أي يغتصب الصغار ويمار معهم الجنس.

10- عُرمان والعامية في جبل حوران

مُجري اللقاء الدارس: صابر رزق.

المتحدث: خليل أحمد رزق، من مواليد عُرمان 1912/منطقة صلخد/محافظة السويداء، ويقيم فيها.

كتب:

اسم الجد: محمد رزق. توفي عام 1903.

أولاده: أحمد، ومحمود، وعلي، يعملون مزارعين.

والد المتحدث: أحمد رزق، عمله فلاح، متوفي، حيث استشهد في الثورة السورية الكبرى عام 1925 في المعركة التي جرت ضد الفرنسيين في "رساس" يوم دخول الجيش الفرنسي إلى قلعة السويداء.

أولاده ثلاثة: محمد، وسعيد، وخليل. محمد: كان يعمل جابي ضرائب في المالية، متوفي، لا يملك أرضاً. سعيد: شيخ دين ومعلم مذهبية، متوفي، لا يملك ارضاً. خليل: فلاح، ملكيته حديثة للأرض. وتمّ الشراء من أموال الهجرة إلى ليبيا، ولبنان، والخليج.

تاريخ الاستيطان في القرية: قبل 135 سنة تقريباً. والملكيات السائدة في القرية [هي] الملكيات الصغيرة. في بداية الملكية بالقرية كان يملك ربع مساحة القرية ومنازلها آل الأطرش (نجم ابراهيم الأطرش) الأول. وتبلغ مساحة أرض القرية 220 فدان، 55 فدان منهم لآل الأطرش. وباقي الأرض موزع منها بمعدل 15 فدان إلى العائلات الكبيرة في القرية، يملك منها شيخ العائلة 3 أفدنة، وباقي العائلة بمعدل جزء من فدان، وشيوخ العائلات الذين يملكون ثلاث أفدنة لا يتجاوز عددهم الخمسة. وعند قيام الثورة العامية في جبل العرب في الربع الأخير من القرن التاسع عشر جُرّد آل الأطرش من نصف أملاكهم وبقي لهم 27 فدان من أصل 55 فدان التي كانوا يملكونها قبل الثورة العامية. ويوجد أرض مشاع كانت مراعي لكامل القرية.

ملكية المواشي: بالدرجة الأولى كانت الملكية للفلاحين الكبار ثم باقي الراغبين. ووجد مالك كبير للماشية كان يعمل تاجراً اسمه يوسف البيسوري جاء من لبنان، وعمل تاجراً، واهتم بالماشية. والرعاة: بدو من بادية الشام من عشائر المساعيد والشرفاة والعظماة.

---

(97) أثناء جولاتنا الميدانية كان من التقي بهم في الغوطة الشرقية لا يهاجمون الإيبش كإقطاعي مستبد إلى حد كبير. واذكر أن ابن عمي سليم حنا علّم سنة 1946 في مدرسة الهيجانة الابتدائية، وكان يُطنب في مدح الإيبش وكرمه. وفي كتابي "تاريخ الفلاحين" إشارات كثيرة إلى إقطاعي الهيجانة ودوره.

فوارق الملكية: آل الأطرش في البداية 55 فدان، وبعد الثورة العامية 27 فدان. شيوخ العائلات الكبيرة وشيوخ الدين 3 أفدنة، ولا يتجاوز عددهم 6 شيوخ في القرية، وباقي الأرض موزعة بمعرفة آل الأطرش وشيوخ وزعماء العائلات من قيراط حتى فدان (الفدان 24 قيراط) والفدان يعادل 200 دونم تقريباً، وحسب نفوذ ورغبة الموزعين والمالكين. وهناك 35 % من السكان لا يملكون أرضاً، منهم من جاء متأخراً وسكن البلد وعمل مرابع، ومنهم من حرم الملكية نتيجة غضب الشيخ من آل الأطرش، وحيث أنهم كانوا إذا غضبوا على شخص ولأي سبب يقال له "أحمل الباب وارحل من البلد"، ثم تُعطى أرضه وداره لمن يعجبهم ويقف معهم.

الإقطاعيين من آل الأطرش: استثمروا الأرض بواسطة المرابعين الذين يعملون مقابل حصة من إنتاج الأرض تبلغ ربع الإنتاج، توزع على المرابعين مهما كان عددهم بعد أن يقوم صاحب الأرض بحذف المخاسر [التكاليف] من الإنتاج والتي تضم: أجرة الناطور، وأجرة نقل المحصول إلى البيدر، وأجرة راعي البقر، وأجرة الحرفي الذي يجهز أدوات الإنتاج (نجار العيدان – الحداد)، وأجرة من قام بالعمل إضافة للمرابع، رجل يدعى "صيوفي" يعمل في فترة الفلاحة وزراعة الأرض من شهر تشرين حتى نهاية نيسان مقابل كمية من الحنطة، وهذا ليس له حصة من إنتاج الأرض.

السخرة: عمل المرابعون والصيوفة بالسخرة في منازل وأرض صاحب الأرض أو مالكها بالأعمال الآتية:

- رعي البقر والخيل التي تستخدم بالزراعة بعد يوم الفلاحة وسميت (التعشي والتضحي بحيوانات الفلاحة).
- إطعام الحيوانات خلال أيام الشتاء في دور الفلاحين. وكان أحد المرابعين ينام في البوايك في مكان وضع الطروش.
- فلاحة كروم العنب أولاً، وثانياً تقليمها، ونقل إنتاجها دون أخذ أي حصة منها.
- جرف ودحل سطوح المنازل أيام الشتاء والتواجد في دار صاحب الأرض للخدمة بكافة أنواعها من طحن القمح وتقديم الوقود للمدافئ وتجهيز القهوة.
- كما كانت تقوم أسرة المرابع بالخدمة في منزل صاحب الأرض بتجهيز العجين والخبز وصنع الوقود للشتاء من زبل الطرش والغسيل والمشاركة في صنع الزبيب والدبس في الكروم دون مقابل غير إمكانية تقديم وجبة طعام.

الإتاوات: كان يفرض على أرض الفدان ليرتين ذهب لصالح الدولة، وليرة واحدة على الشخص تسمى "بدل طريق"[98].

[98] ضريبة كانت تفرض على الرجال لإصلاح الطرق ، وهي إما عينا أي يقوم المكلّف بالعمل في إصلاح الطرق العامة ، أو يدفع بدلا أي ضريبة نقدية إذا لم يشأ القيام بالعمل الجسمي.

11- لمحة عن الحياة بالريف الحلبي بالعهد العثماني

مُجري اللقاء الدارس: أحمد العلي بتاريخ 5- 2- 1988/اتحاد محافظة حلب/نقابة المواد الغذائية.[99]

المتحدث: خلف المحمد المحيميد المقيم أثناء اللقاء في حلب. وعن تاريخ ميلاده أجاب: أيام "حرب الزيتونة" في عهد حرب الأرمن مع عبد الحميد العثماني.[100]

عمل جده على الثور الواحد في فلاحة الأرض. كان يشترك كل ثلاثة بيوت في فلاحة الأرض في العمل الزراعي، وكان مكان الماء عبارة عن حفرة تملأ بالماء ويقوم الإنسان بالري من هذه الحفريات. وفي ذلك الحين كانت الحفريات تسمى "الجرد" وذلك في عهد خلافة السلطان العثماني عبد الحميد.

كان في ذلك العهد تتداول الليرات الذهبية والمجيديات والحجرات النحاسية، وكان:

- كل خمس حجرات تساوي متليك.
- كل ثلاثة متاليك تساوي قرشاً، والمتاليك من النحاس.
- والمجيدي يساوي خمساً وعشرين قرشاً.
- وكل أربع مجيديات تساوي ليرة ذهبية فرنسية.
- أما الليرة الذهبية الرشادية والانكليزية تساوي خمس مجيديات.
- البراغيث عبارة عن قطعة من الفضة وفي بعض الأحيان والمناطق تسمى "الفتيات".

كانوا يعملون في الحصاد والرجاد ويعملون لدى الإقطاعي في عهد السلطنة العثمانية. يبدأ العمل مع طلوع الفجر الأول، وعند الظهيرة ينصرفون لفترة الغداء، وبعد ذلك العودة إلى العمل، ثم الانصراف إلى البيت عند غروب الشمس. كانت أجرة اليوم الواحد أربعة قروش.

كانوا يأخذون كل الرجال المكتوبين في السجلات المدنيةإلى الخدمة الخدمة العسكرية ، ويقومون بهجمات مفاجئة للقبض على الشباب لتجنيدهم.

أما بالنسبة للحياة الاجتماعية، كان الوالد لا يفرق بين أولاده، وكان كل عام لهم كساء وذلك عند تسويق المحصول يشتري الأب لأولاده قميص داخلي طويل وقلابية [جلابية] وسروال فضفاض.

---

[99] لقاء مع عامل عادي كما كتب. يكتنف النص الاضطراب، ويتضمن في الوقت نفسه معلومات يمكن الاستفادة منها. وتركنا نصه كما هو. فهو بعجره وبجره "وثيقة تُؤخذ على عواهنها".

[100] انظر في الملحق دراسة عن مذابح الأرمن عام 1915. وقد سبقتها حروب متعددة بين الأرمن والدولة العثمانية، ومنها ما جرى أيام السلطان عبد الحميد، الذي أُزيح عن العرش 1909.

كانوا يستخدمون في غذائهم القمح والبرغل والشعير والعدس والزيت والشعيرية والسميد. أما الدقيق الذي يصنع منه الخبز فهو خليط من الشعير والذرة، وأما الطحين يطحن بمطاحن مائية. تتمركز هذه المطاحن على الأنهر، وأغلبية هذه المطاحن كانت على نهر قويق. فكان الحصول على الماء من الآبار القديمة المحفورة، والتي تسمى "الركية" والأنهار، وكانت المياه الجوفية غزيرة جداً.

ومن ناحية الصحة: كان يهاجم الناس كثير من الأوبئة وكان الوبي ليس له طب، وكان الناس إذا آلمهم رأسهم يقومون بتشريط الجبين. وفي فصل الربيع كان ينتشر مرض الوباء الذي كان واسع الانتشار حيث يودي بحياة الكثير من الناس.

من ناحية الثقافة: كانت تتداول بينهم بعض الكتب كقصة الزير وبني هلال، وكانوا يتسامرون في بعض الكتب حيث يقوم القصصي بالقراءة في القصة والناس يستمعون إليه، وكانت تصدر بعض الجرائد إلا أن الأميين لا يعرفون عنها شيئاً.

أما من ناحية الركوب: كان السفر أغلب الأحيان بواسطة المشي أو الدواب التي تستخدم في السفر.

كانوا يتعاملون بالمقايضة فيما بينهم (لقاء كيلو اللحم) وكانت تستعمل في ذلك الحين أوزان وهي الوجية- نصف رطل. الوجية تساوي 1000 درهم يمثله الغرام حالياً.

كانوا يلقطون وراء الرجادين وكان الرجاد على الجمال ويجمعون مونتهم، أو كانوا يعملون لدى صاحب البيدر فيحصلون على القليل من مونتهم.

كانوا يقومون بحفر الأرض للحصول على الحجارة، وبعد ما يحصلون على الحجارة الكبيرة يقسمونها بواسطة الأدوات التي تتوفر لديهم من دردبيك، مسمار، ازميل، وكان كل ألف حجرة بأربع ليرات سورية.

كانت العلاقات فيما بينهم قائمة على الحب والتعاون من أجل العيش، وكانوا يؤثرون على بعضهم بعضاً. وخلال الوحدة (العربية بين سورية ومصر عام 1958)تم القضاء على الإقطاع والحكم الملكي والأفندية والبيكاوات، وبعد الوحدة تم توزيع الأراضي على الفلاحين وتسويق المحصول إلى المدينة.

كانت العلاقة بين الريف والمدينة علاقة مصلحة، وعندما لا يكون مصلحة بينهم فإنهم يستهزئون ويسخرون منهم.

أما في المدينة كانت توجد صناعة كالحرير الطبيعي وصناعة الحبال وتصنيع النحاس وصناعة الأقمشة الخامية من القطن البلدي محلياً، وكان السنجري يمثل معمل صناعة الأسلحة البارودية (حشي وكبسون) للصيد وغيرها من الحاجات الأخرى، وكانت تتركز صناعة الأدوات الزراعية والأبواب وغيرها من الأدوات في المدينة.

ثالثاً– المِهَنْ: العمل النقابي وصوَر من الأرياف والمدن:

1- النول في تدمر

مُجري اللقاء الدارس: محمود كناوي، خريج المعهد المتوسط للصناعات الغذائية، اختصاص خبز. عُيّن في الشركة العامة للمخابز. عمل في البدء في مخبز المزة الالي بدمشق، ثمّ نُقل إلى مخبز تدمر. وهو من مواليد تدمر وعمره 27 سنة (أثناء إجراء اللقاء).

المتحدثة: فوزية فالح النهابة. من مواليد تدمر 1914. تاريخ أخذ الحديث: تدمر في 1987/5/4.

الجد: محمد النهابة، توفي تقريباً عام 1900 وعمره غير معلوم. عمل الجد فلاح بالإضافة إلى مهنة الجمّالة.

أما فيما يخص الأوضاع الاقتصادية فكانت جيدة، وكان الطعام محصوراً بالذرة والشعير وسلاق قطف وخبيز حلبلوب وفليح، بالإضافة إلى اللبن والحليب من الدواب.

أما الأوضاع الاجتماعية فكانت ممتازة، والألفة بين الناس كبيرة جداً، وعند حدوث طارئ عند أحد الناس يفزع كل الحي [يهبُّ للنجدة] وأهل البلد للمساعدة، وكذلك الحال في الأفراح.

أما الوضع الثقافي فكان شبه معدوماً.

أولاده: ولد واحد اسمه فالح النهابة، وهو والد المتحدثة. كان دليلاً في الآثار، حيث يقوم بشرح كامل عن الآثار للزوار الأجانب والعرب، ثم أصبح دليلاً في البلدية، ثم أُحيل إلى المعاش وبقي في بيته حتى وفاته، حيث توفي عام 1974. وقد عانى والدها كثيراً، حيث توفي والده وهو صغير، وتزوجت أمه من رجل آخر، وتبنّت تربيته حبابته (جدته)، إلى أن ترعرع وكبر، وكان ينادي جدته:" يا مّي" لأنه حرم من حنان الأم.

أولاد المتحدثة: أحمد ومحمود. أحمد يعمل في الشركة السورية لنقل النفط الخام. محمود دليل في آثار تدمر.

والمتحدثة فوزية أمية، وهي تعمل على النول بالإضافة إلى إتقان عمل البيت كاملاً، من عجين وخبز وطهي.

أثاث بيت فوزية طبيعي، لا يوجد أي أثاث ذو قيمة مرتفعة. وهو صندوق منقوش بعظم، وقليل من الفرش 4 لحف وجودلي (وهو عبارة عن لحاف عادي لكن الجانبين بلون واحد أطلس لميع) ، 4 فرشات كبار، 4 فرشات صغار، 6 مخدات. وتسكن في بيت من الطين والحجارة يسمونه (لبن)

كان زوج فوزية يعمل عامل حفر بيديه. والده كان فلاح وعامل حفر أيضاً. وأمه تجيد حياكة النول.

أما والد زوجها فقد تزوج امرأة أخرى، وسبب ذلك هو قدومه إلى بيته، فوجد زوجته تقف أمام المرآة وتغني وتقول: "يمشي ومدولع لأمه ويمشي ومدولع لي، وإن مات من قرد أمه وان عاش خيره لي" فثار زوجها عند سماعه هذا الكلام، وطلق زوجته وتزوج امرأة أخرى.

عاشت فوزية في وضع جيد جداً، وكان زوجها يعمل ما بوسعه ليرضيها، لأنها أنثى لم تنفصل عن والديها إلا بعد زواجها في سن العشرين على وجه التقريب. أما زوجها فلم ينفصل عن أهله حتى وفاته، فجميع أهله بمنزل واحد. كانت تعجن وتخبز على التنور، بالإضافة إلى إتقان أعمال البيت بشكل كامل، وعند الانتهاء من هذه الأعمال المنزلية كانت تمارس عملها في النول، وهو الآتي:

أولاً: سدوة (عبارة عن صوف) يعمل ويوضع كل خيطين "طاقين"، ويوضع هذان الطاقان في دولاب من الخشب، ويبرم هذا الدولاب بواسطة يد، حيث يلف الخيط حول دولاب الخشب، ويقابل هذا الدولاب مردن من حديد ملتصق بالدولاب بواسطة خشبتين، ويتم برم الدولاب والخيط عليه فيتم تشكيل السدوة على المردن وتصبح هذه السدوة قوية فيقطع الخيط وتخلع هذه الخيطان التي تسمى "شموط" مبروم خالص وتجمع كافة الشماميط، وتربط على بعضها البعض لتصبح سدوة قوية وطويلة.

ثانياً: لُحْمة (من الصوف) وهي على شكل شلة صوف تعمل وتوشع (أي تلف) وتصبغ بجميع الألوان. أما طرق الحصول عليها فكانت صعبة جداً من الأغنام، فيتم قص صوف الغنم ويؤخذ إلى الحمام، وهو نبع مياه، ليتم غسيل الصوف، ثم ينشفوه وييبسوه ويعملوه ليصبح سدوة ولُحْمة، وقد كان ثمن رطل الصوف 3 ليرات سورية من الفضة.

ثالثاً: يسدون السدوة على الحائط عن طريق مسامير، ثم تؤخذ من الحيط وتوضع في الماء حتى لا يبقى صوفها حاقص (أي معقد)، وينشفون هذه السدوة على الحائط بواسطة المسامير، وبعد ذلك تُعقّد ويتم تدخيلها بالنيرة (وهي من صوف) والبزار (من الخشب) وهي أشبه ما يكون بالمشط، فله أسنان حيث يتم تدخيل كل طرف خيط بسن من أسنان البزار، وهذه المرحلة تسمى "تعقيد السدوة" فكل عشرين بت (خيط) من السدوة يتم ربطها داخل البزار أي بعد عبور الخيط من البزار.

هناك ركنان من الخشب، كل ركن من منتصفه العلوي حيث يتم وضع لسان الطية في كل ركن، وبالتالي تصبح الطية بشكل جسر يربط بين الركنين، وهذه الطية مثقبة في منتصفها بثقوب كثيرة وذلك ليتم ربط الخيطان العابرة من البزار في الطية بواسطة أعواد من النخيل. والطية عبارة عن خشبة طويلة ودائرية لها لسانين ليتم تدخيلهما بالأركان.

هناك دعستان في أسفل حفرة النول يتم وصلهما بالنيرة بواسطة حلقتين من الصوف، فعند تحريك الدعسة اليمنى يتم ارتخاء السدوة حيث تكون مشدودة ومتراصة على بعضها بعضاً، فيصبح نتيجة الدعسة هناك فراغ بين

السدوة يتم أثناء ذلك تدخيل المكوك، وهو عبارة عن صوف من الحمة باللون الذي نريده، ومن ثم يتم سحب السيوف، ليتم رص السدوة مع خيط المكوك، والسيوف يتم تثبيتها بواسطة أحبال من الأعلى، وهم أي السيوف عبارة عن قطع خشبية أي كل سيف قطعتين. بعد عملية الدعسة الأولى نقوم بالدعسة الثانية وذلك لإعادة المكوك إلى الجانب الأول، وهكذا حتى يتم الانتهاء من تشكيل البساط. أثناء العمل تبقى النيرة ثابتة بينما المتحرك هو البزار والسيوف. وبعد الانتهاء يتم ترك سدوة في النهاية حوالي شبر، ثم يتم قص السدوة وتربيطها بشكل جيد. وأثناء العمل يغنون، وبشكل عام هناك حزورة على النول وهي: أربعة يسوكونه، وأربعة يكودونه، والمشط بسنونه، تلعب ميادينه.

إن تسويق وتصريف الإنتاج كان عن طريق الواسطة. فقد كان الأجانب السواح يأتون إلى تدمر ويشترون هذه البسط وذلك عن طريق سماسرة خاصين. وكان ثمن البساط 60 ل.س واصل ليدها [أي مدفوع كاملاً] للقياس الكبير بثلاث شقق، وإذا كان بشقتين (قطعتين) كان ثمنه (25) ل.س والمصلى ثمنه 4 ل.س. وأرباح التاجر تقدر بـ 12 ل.س.

لقد كان يسود في مجتمع العائلات في النول "السرور والبسط" من خلال الأغاني والزغاريد والأشعار. لقد كان اجتماع نساء الحي كله عندي. وتقول أن الحياة سابقاً كانت هنيئة جداً، ولا سيما أن الإنسان كان يعيش بين أهله ووالديه، أما الآن فتجد سرعان ما كبر الولد وخرج عن والديه، وكل فترة وأخرى حتى يرى والديه.

أولاد فوزية هم: محمود موظف في المؤسسة الاستهلاكية، وابراهيم عامل باطون، وخالد: طالب مدرسة (جامعي)؛ فاطمة، وعائشة، وآمنة، وصباح، وصفية ربات بيت. زوج فاطمة متقاعد ولا يجيد القراءة والكتابة. زوج عائشة سائق شاحنة [وصل في تعليمه حتى] صف خامس ابتدائي. زوج آمنة موظف في مناجم الفوسفات، صف سادس ابتدائي. زوج صفاء عامل باطون، صف سابع إعدادي.

حرفة النول هي خاصة بالنساء في هذه المنطقة، وبدأت بالزوال لأسباب كثيرة، أولها لأن الحالة المادية لدى المجتمع تحسنت وليسوا بحاجة للعمل في النول أو غيره، وكذلك درجة ثقافة الأولاد، وكذلك صعوبة العمل في النول، وأيضاً درجة العلم لدى البنات اللاتي أخذن فكرة بأن العلم أفضل من عمل النول، لأن مجال العلم واسع، فأغلب البنات يتوجهن إلى سلك التعليم، ومن تفشل في العلم تتعلم مهنة الخياطة وشغل الصوف.

وأما الذكور فهم بعيدون عن هذا المضمار، ولكن مهمتهم تدخل في الأعمال الأخرى من حدادة، ونجارة، وأعمال باطون، ومن يحمل شهادة علمية يدخل سلك الوظيفة.

وتقول فوزية: الأمور الآن أفضل من القديم، فسابقاً الشقاء أكبر بكثير لأنه لا شيء جاهز، أما الآن فكل الأمور أريح وكل شيء جاهز من خبز وصابون وآلات غسل وبرادات.[101]

---

[101] أرفق الدارس مع ورقته هذه رسماً مفصلاً عن مكنة النول يتعذر علينا تصويره.

2- الحلّاق القارئ ونقابته

مُجري اللقاء: محمود الزعبي.

المتحدث: محمود محمد الزعبي من مواليد دمشق عام 1928. مقيم حاليا في جوبر/ محطة النجار.

المهنة: حلاقة رجالية تابعة لنقابة الحلاقين في مدينة دمشق ومحافظتها، التي هي الآن الجمعية الحرفية للحلاقين، بعد صدور القرار 250 تاريخ 1970 القاضي بالتنظيم الجديد. جرى الحديث يوم الخميس في 1989/2/23 – في منزله.

الجد: صانع أحذية. كان وضعه الاقتصادي متدنياً للغاية، وذلك بسبب الوضع الاقتصادي العام آنذاك، حيث غالبية الناس، رجالاً وشباباً وأطفالاً، كانت تنتعل القباقيب بدل الأحذية لرخص ثمنها.

الوالد: كان موظفاً بسيطاً في إحدى دوائر الدولة، راتبه لم يكن يفي بحاجة أبنائه السبعة –والذي أنا واحد منهم– وأضيف إلى ذلك أنه لم أستطع إتمام مرحلة تعليمي الابتدائية. أذكر أنني عندما جئته بجلائي المدرسي فرحاً، حيث ترفعت إلى الصف الثالث الابتدائي أن قالت له جدتي: "يا ولدي، يكفيه مدارس، شو رح يطلع دكتور؟ ضَعْهُ في صنعة إن ما غنته بتستره". ومدرستي آنذاك اسمها "مدرسة أبي عبيدة بن الجراح" في حي الخضيرية بدمشق، وهذا ما حصل فعلاً. فوضعني عند حلّاقه، عزت بقدونس. لم تكتب له الحياة طويلاً [يقصد والده]، توفي وهو شاب ولم تكن له يد في تربية أخوتي.

نتيجة لحرماني من متابعة تعليمي، تعلقت بالقراءة، وكنت قارئاً نهماً، رغم ضعفي الواضح بها. وبدأت أشتري المجلات: المصور، والاثنين، والكواكب، والسينما، جميعهم من القطر المصري. ومن ثم الصحف مثل الأهرام، الجمهورية، لكني لم أرتاح لقراءتها. وقد يكون سبب ذلك تدني ثقافتي. وذات يوم اشتريت مجلة المضحك المبكي، التي أعادت حبي للقراءة، وعدت لقراءة الصحف وأذكر منها: "البعث" وكانت يومها (عام 1949) تُحارب بشدة من رجال الدين وبعض قطاع الشعب ذوي الدخل المرتفع بسبب نهجها العلماني، وكانت توصف بأنها جريدة الملحدين، وأن سبب ما جذبني إليها هي زاوية شعرية كانت تسمى "رباعيات"، وأكثر ما كان فيها لشاعر مهجري اسمه حليم دموس، لا زالت عالقة في ذهني بعض أبياته التي يخاطب بها مجموعة الدول العربية آنذاك "السبع":

دخلتم فلسطين وحَسِبناكُم أسوداً

فما لبثتم أن تظاهرتم ديوكاً

إلى أن يقول:

ولو كان في الكلام يشيد عرشاً

لكان العرب أغلبهم ملوكاً

ثم "الأيام" لنصوح بابيل، "الفيحاء" لسعيد العلاوي، "القبس" لمنير الريس، "الإنشاء" لوجيه الحفار، "الشام" لبكري المرادي. والحقيقة أكثر الصحف رسوخاً بذاكرتي هي: "المضحك المبكي"، وذلك الرسم الكريكاتير المنشور بها "حكمة حمار".

أما الكتب والمجلات التي قراتها فهي: "سلسلة كتاب اقرأ"، "سلسلة كتاب المختار"، "سلسلة تاريخ روايات الإسلام جميعها" لجرجي زيدان، "سلسلة الهلال" لجرجي زيدان، "فضيحة في القاهرة" لنجيب محفوظ، "ابراهيم الكاتب" لعبد القادر المازني، "واه إسلاماه لأحمد علي باكير، "طبائع الاستبداد" "عبد الرحمن الكواكبي"، "سلسلة المختارات"، "ماوتسي تونغ"، "سلسلة العربي" من عام 1967 لغاية 1988، الكتب السماوية الثلاث (القرآن الكريم – الإنجيل – التوراة)، وكتب شتى لأفكار عدة لامجال لذكرها.

الأحزاب السياسية:

الكتلة الوطنية: الحزب الوطني. والشهبندريون: نسبة للدكتور عبد الرحمن الشهبندر، ولا أذكر اسم الحزب الحقيقي أو الرسمي له. والشعب، والبعث والعربي الاشتراكي (قبل توحيدهما)، والقومي السوري، والشيوعي، والإخوان المسلمون.

ولم يكن لي رأي واضح مطلقاً بتلك التنظيمات بسبب واقعي المادي المتردي جداً، حيث الأفواه الجائعة التي تنتظرني عند المساء، وكذلك ظروف عملي في الحلاقة والتي بدأت عام 1939 وانتهت في منتصف عام 1977، والذي كان مقدراً لأن يستمر، لو لا حالة مرضية ألمت بالقلب ولم أستطع الاستمرار حسب رغبة الطبيب المعالج "تيودور شان".

يتميز الوضع في الحي آنذاك ويختلف عنه الآن فيما يلي: كان أبناء الحي وقتها يتميزون بالمودة الصادقة والمشاركة الفعلية في عدة أمور اجتماعية، مطبقين المثل "اللي ما لو سطح بينام على سطح جاره"، بينما نجد الآن عكس ذلك تماماً.

في يقيني أن الريف قبل عام 1958 كان محروماً تماماً من جميع الخدمات، ومطلوب منه تأدية كل الخدمات، وأما عن علاقة الريف بالمدينة، فكانت علاقة البقرة بصاحبها.

أتحدث فقط عن مهنة الحلاقة قبل التنظيم النقابي: كان موجوداً لهذه المهنة "شيخ كار"، وكان يتم اختياره وفق معايير لا تمت بصلة إطلاقاً لتَمَيّزِهِ باستيعاب مهنته ولا لمقدرته الفكرية، وكان يعاونه في مهمته عدد من الرجال يطلق على كل منهم لقب "الشاويش" يتم اختيارهم من أحياء المدينة. كل حي له شاويش، وهذا الشاويش يتمتع بسلطة تشغيل العمال مقابل أجر يدفعه المعلم والعامل معاً، وعند حصول خلاف بين المعلم

والعامل يتدخل الشاويش، فإن لم يتمكن الشاويش من حل هذا الخلاف يرفع إلى شيخ الكار الذي قوله هو الفصل.

وأعود ثانية لأقول: شيخ الكار ليس به معايير فكرية أو مهنية. وأذكر مثالاً على ذلك: شكى أحد العمال شاويشاً لشيخ الكار من ظلم ألمّ به، واستدعي الشاويش ليمثل أمام شيخ الكار، الذي استدرك أنه من غير اللائق محاكمة الاثنين معاً وجها لوجه، فقرر شيخ الكار إبعاد العامل ليستوضح الأمر من الشاويش أولاً. فطلب من العامل أن يذهب إلى محل "برو العطار" في السوق العتيق، ليشتري له بقرش "سبيداج حنكاري". قال العامل سمعاً وطاعة يا سيدي، ولكن إن أذنت لي أن أوضح لك أن اسمه سبيداج هنغاري، وليس حنكاري، تصحيحاً فقط. عندها أجاب شيخ الكار العامل بحدة: "ماذا؟ تعلمني كيف أحكي، طول عمره اسمه حنكاري، عمّا بتتفلسف عليّ كمان، انقلع من خلقتي"! فما قولكم بـ"شيخ الكار" هذا؟

في مطلع عام 1950 انتسبت إلى نقابة عمال الحلاقة بدمشق، وكان يرأسها آنذاك صلاح الصواف، وأمين سرها سعيد الجابي، وبقيت في عضوية الهيئة العامة لها حتى تاريخ 1954/11/24، حيث افتتحت محلاً، وبذلك أصولاً توجب علي الانضمام لنقابة معلمي الحلاقة بدمشق.

كان يرأس النقابة آنذاك جميل العطار، جميل البارودي نائباً للرئيس، فارس الزين أميناً للسر، فوزي القباني، حنين بهيت، عباس الآغا، فوزي خادم الجامع، داوود النحاس، منير حمامية أعضاء. وكان جابي الاشتراكات في النقابة تيسير الشلبي، جميعهم توفوا، عدا اثنين منهم هما فارس الزين ومنير حمامية. وجميع من ذكر إما أميٌّ، وإما دون إتمام المرحلة الابتدائية، تلك هي درجتهم الثقافية. وكان مقر النقابة في حي القنوات بدمشق.

النقابات الأخرى، والتي يضمها اتحاد أرباب العمل والصناع ومقره الحريقة، بناء الباوثدي، شارع طارق بن زياد، هي: نقابة الحلاقين، ونقابة التريكو، ونقابة مالكي السيارات، ونقابة الغزل والنسج، ونقابة اللحامين، ونقابة صناع الأحذية، ونقابة صناع الخبز، ونقابة القراء والمنشدين.

قبل عام 1958 تركز العمل النقابي في المؤسسات الحرفية المتوسطة والصغيرة فقط، وذلك للدفاع عن مصالحهم المهنية تجاه ما يهددها عن عقبات وصعوبات.

التيارات داخل النقابات لا بد منها، وفيما يخص نقابة الحلاقين فكان منها الشخصي ومنها المبدئي، فيما يتعلق بالمهنة. أما الوطني فلا خلاف فيه والكل به سواء، أما السياسي، فكان وبصدق، بعيداً كل البعد، وذلك بسبب الواقع الثقافي، وثانياً واقع أبناء المهنة المادي، إلا القلة القليلة منهم.

الفكر يختلف بين مهنة وأخرى، وبين شخص وآخر، في نقابتنا بالذات كان بعض أعضائها يعتبر نفسه عاملاً عادياً، والبعض الآخر يظن نفسه وكأنه واحداً من أصحاب الخماسية.[102]

أما الأجور التي تدفع للعمال، فكانت منها الأسبوعية ومنها الشهرية، وكلاهما ك"القط الذي يلعق المبرد، يتغذى من دمه وهو يظن أنه يتغذى من دم غيره". أما عن موضوع أحداث شقوق في صف العاملين فحدث ولا حرج، وما أكثرها.

أما عن تقديم هدايا، عيادي الخ... "قيل للبقر يوماً: بعد ذبحكم سوف يكفنونكم، أجابت البقر: خلوا جلودنا علينا ونحن لكم من الشاكرين . كان معلمو حرفتنا يشاركون عمالهم فيما يقدم للعمال من بقشيش، إلا ما ندر منهم كان يترفع عن ذلك. نعم كان لها بعض الأثر، أما الانتخابات فكانت سرية.

لم تكن لدي فكرة ما قبل 1945، أما بعد الوحدة 1958-1961 فكانت فرحة قيام الوحدة تحتضن مشاعر الجميع، وبعد الانفصال بدأت الانقسامات الفكرية، هنا من مؤيد لها، وهناك معارض لها، وبدأ الفارق الطبقي يظهر جلياً، وكانت الغلبة في تلك الحقبة القصيرة من الزمن للصالح الطبقي وليس للنضال القومي.

أول ما أذكره عن التشريعات الصادرة عن الحكومة بخصوص مهنة الحلاقة، هو القرار رقم 46 ش/ع الصادر عن وزارة الاقتصاد الوطني بتاريخ 1951/3/2 والذي ينص على تنظيم مهنة وأوقات العمل المسموح بها.

3- من الأصايل إلى السيارة

مجُري اللقاء الدارس: أديب السيد أحمد/ نقابة عمال النفط/ دمشق.

المتحدث: محمد نديم الديركي مواليد 1907 دمشق، ركن الدين "حي الأكراد". والإقامة الحالية: دمشق، المزة، فيلات غربية. بدأ في مهنة ميكانيك السيارات عام 1922، ثم عمل سائقاً في عام 1928. تاريخ اللقاء في 1989/3/17.

الجد: لم يعرف عنه الشيء الكافي، حيث أن والد المذكور أعلاه لم يكن يتجاوز السنتين من عمره، فلم يعرف إلا قولاً بسيطاً من بعض الجيران والأقارب، أنه كان تاجر خيل "أصايل"، [103] يشتريها من الأرياف ويبيعها لأصحاب النفوذ والأموال في تلك المدة.

---

[102] شركة النسيج المشهورة والمسماة خماسية نسبة لمؤسسيها الخمسة والذين كان لهم علاقة جيدة مع الحكم بعد الاستقلال 1943.

[103] الأصايل الخيل الأصيلة المعروف من هو الأب الحصان الأصيل والأم الفرس الأصيلة المعروفة بسرعة الجري وتحمّل التعب. وكانت أسعار الخيل الأصايل مرتفعة ولا يستطيع شراءها إلا المقتدر مالياً.

الوالد: والد المتحدث محمد فتاح الديركي، تولد 1850، من حي الأكراد، ركن الدين حالياً بدمشق. أكمل مهنة والده بتجارة الأصايل، حيث يشتري "الخيل الصغيرة" وكانت تسمى بالعامية "معلقية"، ويربيها، ثمّ يبيعها. بدأ منذ صغره فيها حتى توفي عام 1927. لم يعرف ما يذكر فعلاً عن حياته ما يستحق ذكره. عمل فتاح الديركي في تلك المهنة، حيث كان أصحاب الأموال والنفوذ من الطبقات الحاكمة الإقطاعية أو الموالية للسلطة، تهوى هذه الأصايل وتدفع فيها الشيء المربح بما أن أموالهم كانت كثيرة وتأتي إليهم عن طريق الضرائب والإتاوات التي يأخذونها من الفلاحين لقاء خدماتهم لهم في السلطة أو لقاء خدمات دنيئة يقدمها هؤلاء المذكورين للسلطة الحاكمة من الاستعمار وأيا كان نوعه، ومهما كان طلبه، المهم الحصول على الأموال لمتابعة ترفهم وعيشهم الرغيد.

وحياة الأصايل بالنسبة لأعمارها قصيرة، لا تتجاوز العشرين عاماً، يشتري التجار منها الكثير عند الولادة ويقومون بتربيتها ومن ثم تحضيرها للبيع، إما في السوق، وإما لمن يطلبها من ذوي الجاهات الذين مرّ ذكرهم اعلاه، أميراً للعرب، أو زعيما شكلياً، في بادية ما، أو ما شابه ذلك. وكان سعر هذه الأصايل نحو 500 ليرة عثمانية، وهذه القيمة كانت في تلك الأيام تساوي الكثير، حيث أن العملة العثمانية كانت ذهب وتساوي الواحدة منها خمسة ليرات ونصف سوري، يحتاج أكبر الحرفيين إلى ثلاثة أو أربعة أيام للحصول على ليرة عثمانية واحدة، وحتى أسبوعاً، في عمل مضني وشاق.

وعندما بلغ المتحدث محمد نديم ديركي سن الثالثة عشر تقريباً وضعه أبوه في مصلحة الميكانيك للسيارات التي نشأت في تلك الفترة، عندما كان الانكليز قد وصلوا إلى سوريا بعد نهاية حرب العالمية الأولى، على أثر تتويج الملك فيصل بن الشريف حسين ملكاً على سوريا الكبرى.

أرسى الانكليز قواعدهم في البلد، وأرسلوا عدة أشخاص للتدريب على قيادة الآليات وإصلاحها في فلسطين التي كان الانكليز مسطرين عليها، [104] ومنهم: توفيق شرف وأخيه أحمد، وباكير صدقي، ومرسي الزعيم، وعمر نصري، وغيرهم. ولقد افتتح هؤلاء الأشخاص محلات صغيرة في دمشق لإصلاح السيارات، فعمل نديم عند أحدهم حتى توفي والده، فترك المهنة وبدأ في مهنة سائق.

حصل نديم الديركي على رخصة سوق تؤهله لقيادة السيارت، ولم تكن هناك سيارات كثيرة، لذلك كانت شهادة السيارة دون تحديد "لا عامة ولا خاصة".

---

[104] دخل الإنكليز دمشق في تشرين 1918 بعد دحرهم الجيش العثماني في فلسطين ودخولهم دمشق سوية مع قوات الثورة العربية بقيادة الشريف فيصل بن الحسين الذي انتخب من المؤتمر السوري ملكاً في آذار 1920. وفي تلك الفترة ذهب بعض الأشخاص للتدرب على قيادة السيارة وتصليحها. وكانت حديثة العهد آنذاك. وبعد معركة ميسلون في تموز 1920 أصبحت دمشق تحت الحكم الفرنسي.

وكانت لجنة العرض مؤلفة من مندوب فرنسي يدعى "المسيو مارسيل" رئيساً، ومصطفى القائد شخصاً سورياً ونوري العمري كان شرطياً في تلك الفترة، وهذان الأخيران أعضاء في اللجنة العامة للعرض. وكانت اللجنة تفحص كافة المتقدمين للعرض ومن كافة المحافظات.

اشترى بعدها نديم سيارة من نوع (هيدسون) بـ 500 ليرة ذهب، وانضم إلى قافلة السفر من دمشق إلى بغداد على طريق ترابي وعر طويل، وكانت السيارة تحمل 5 أو 6 ركاب بأجرة 5 ليرات ذهب على الراكب الواحد، وكان السفر يحتاج إلى أكثر من يومين للوصول إلى بغداد، تحت حماية السلطات الأمنية في كل بلد، فكان الدرك يرافقون القافلة في سوريا حتى الحدود الأردنية، ويتم التسليم هناك إلى الدرك الأردني ثم إلى العراقي، ليتم حمايتهم من اللصوص وقطاع الطرق في تلك الفترة، والمحافظة على أرواح المسافرين.

وحوالي العام 1940، عمل الانكليز على تحسين الطريق من دمشق إلى بغداد، ومن بغداد إلى حيفا في فلسطين، بعرض 4 أمتار وبدون تعبيد، مروراً بالأردن. وأدخلوا شركتهم في تلك الفترة وعرفت باسم نرن (Naren) والتي كانت تعمل لصالح المخابرات الانكليزية. حيث أن الانكليز كانوا يُسيّرون على هذا الطريق قوافلهم العسكرية أيضا لإمداد جيوشهم وقواتهم المنتشرة في تلك المناطق بالمؤن والذخيرة. وكان مدير الشركة الانكليزية الضابط نورمان نرن، والذي سميت الشركة باسمه شخصياً.

كان مجموع السيارات في تلك الفترة لا يتجاوز الستين سيارة بين عامة معدة للسفر، وخاصة يمتلكها العدد القليل والنادر من الطبقة البرجوازية في تلك الفترة. وكان هناك موعداً لتسيير القافلة إلى بغداد، هو يوم الثلاثاء والجمعة من كل أسبوع فقط.

قبل العمل سائقاً، فتح عبد الوهاب الزركلي وأبو محمود خياطة عام 1924 ورشة ميكانيك بدائية للإصلاح، اقتصرت على الإصلاحات الخفيفة للسيارات من فرامات واشطمانات وعيار أبواب وتقطيش بنزين، حيث أن الأعمال الثقيلة مثل تنزيل محرك لم تعرف في سوريا في تلك الفترة، وكانت مقتصرة على المعلمين في بيروت، حيث كان هناك شخص يدعى نجيب الشحروري، صاحب ورشة كبيرة في لبنان، ومتعهد لإصلاح الخط الحديدي الحجازي والقاطرات التجارية.

وقد تعلم نديم الديركي مصلحة الميكانيك عند عبد الوهاب الزركلي في دمشق، وكانت لبنان في تلك الفترة منفتحة على العالم الغربي أكثر من سوريا. فكان فيها وكلاء لشركات أجنبية في أكثر المجالات، منها صناعة السيارات مثل هيدسون وسيكس ودودج من العائلات البرجوازية مثل آل سعد وآل الكتاني، ولهم معارف، بل وسطاء لأعمالهم لبيع السيارات فيها.

في دمشق كان الدكتور توفيق مليكان في المرجة، من أصل أرمني، يملك سيارة خاصة له، وكان شفيق الصبان، التاجر السوري الذي من مصر يملك سيارة خاصة ايضاً وأربع سيارات للعمل على خط دمشق بغداد.

وفي عـام 1930 بـدأت في سـوريا نقلـة نوعيـة، حيـث بـدأ الاعتمـاد علـى الـذات ودون الرجـوع إلى الوسـطاء اللبنانيين، وعلى كافة الأصعدة من إصلاح ومن تجارة وغير ذلك.

فبدأ الميكانيكيون بالإصلاحات كلها في سوريا، دون الذهاب إلى نجيب الشحروري، وبدأ التجار بالاستيراد بأسمائهم، دون مساعدة أو خدمة التجار في بيروت.

وحصل لليرة السورية ازدهار (1949) في أيام خالد العظم ووزير المالية وهبة الحريري الذي كان يقترح أن يدعم الليرات السورية، ولكن خالد العظم رفض بقوله أن الاقتصاد السوري هو يدعم الليرة لأن سوريا فيها الخير الكثير وليست بحاجة لمن يدعم ليرتها. وهذه الفترة، وبعدها، لم يحصل أي تطور جديد يذكر، إلا أن الحرفيين أو التجار ازدادوا تمرساً في العمل بشكل جيد وكبير.

وكـان لعـدم اسـتقرار الحكـم في سـوريا وفـترة الانقلابـات العسـكرية أثـر سـلبي في عـدم الأمـن وعـدم النشـاط التجاري والصناعي على أهل سوريا، وضياع الوقت وعدم تطور أبنائها منذ انقلاب الزعيم في عام 1949.

بحكم أن الذي تحدث عن هذه الفترة كان دائما في السفر، فلم يعر انتباهه للعمل السياسي أو النقابي في البلد، وكان يسمع من الناس أكثر ما يعرف عن كتب، حيث أنه كان أميّاً لا يتعاطى بالكتب وغيرها من الجرائد للقراءة.

4- شركة جبلة للغزل التابعة للقطاع العام ومشكلاتها

أعدتها الدارسة: منيفة محمود.

تقع شركة جبلة للغزل شرقي مدينة جبلة، وتبعد عن مركز المدينة 3 كم، وعن البحر3.5 كم، وهي مخصصة لإنتاج الغزل الرفيع وبطاقة 75 ألف مغزل. وقد تأسست عام 1975، وبدأ العمل فيها عام 1979، وهذه نبذة عن تاريخ الشركة منذ بداية عملها كمشروع لغاية تاريخه:

نفذت الشركة من قبل متعهدين:

- الأول: متعهد الأعمال المدنية (مكتب هندسي محلي).
- الثاني: متعهد للأعمال الصناعية (شركة بلات ساكولويل).

بالنسبة لمتعهد الأعمال المدنية، كانت أعماله ذات صيغة تنفيذ سيئة، حيث أحيل الموضوع إلى الهيئة المركزية للرقابة والتفتيش، فتمت محاسبته بالرغم من بقاء التنفيذ السيئ قائماً.

بالنسبة لمتعهد الأعمال الصناعية، نفذت الشركة من قبل متعهد رئيسي للأعمال الصناعية تدعى "شركة بلات ساكولويل"، وكانت قد تعاقدت مع مجموعة من المتعهدين الثانويين من الشركات الأجنبية لتنفيذ الأعمال الصناعية المكملة للآلات الإنتاجية، كانت سلبياتها تتلخص بما يلي:

- عدم قدرة نظام التكييف على توفير المناخ الصناعي الملائم للعملية الإنتاجية والعمال.
- عدم استكمال تركيب بعض الآلات الإنتاجية، وانسحابها من الموقع قبل إنهاء العمل وقبل عملية الاستلام والتسليم والتحقق من الطاقات الإنتاجية المتعاقد عليها، وبقي (30 %) من الآلات الإنتاجية غير مستكمل التركيب.
- كانت الشركة المورّدة للآلات تقدم الخبراء المطلوبين للإشراف الفني فقط، بينما تقدم شركتنا كافة اليد العاملة المطلوبة للتنفيذ، وهذه اليد العاملة كانت تُعيّن من المنطقة.
- بعد انتقال المشروع إلى الشركة، بدأت عمليات التعيين لعمال الإنتاج وفيهم عدد من العمال الزراعيين بحسب طبيعة المنطقة.

مما تقدم، فقد وقعت الشركة في معيقات كثيرة، أهمها:

- عدم قدرة الشركة على رصد الطاقات الإنتاجية وتحقيق التوازن الإنتاجي ما بين مراحل الإنتاج وفقا للقيم المحددة لكتالوجات الشركة الموردة.
- عدم قدرة نظام التكييف قبل التعديل على توفير القيم المطلوبة من حرارة ورطوبة للعملية الإنتاجية والعمال.
- عدم قدرة الشركة على تأمين قطع التبديل المطلوبة لآلات التدوير الأميركية المصدر، بسبب عدم "مقاطعة إسرائيل" من قبل هذه الشركة.
- كثرة العمال العجزة والمرضى والمسنين الموجودين في الشركة والأسباب هي:
  - التعيين الخاطئ للعمال الذين لا يصلحون أن يكونوا عمال إنتاج لأسباب كبر السن والعاهات الموجودة فيهم أصلا من تاريخ التعيين.
  - إصابات العمل الناتجة عن تركيب هيكل وآلات المعمل وحوادث السير، نظرا لصعوبات الطرق الجبلية الوعرة والمؤدية إلى منازل العمال.
  - أثر نظام التكييف السيء على صحة العاملين قبل تعديله، الأمر الذي أدى إلى إصابات العمال بأمراض مهنية.
  - إن طبيعة العمال في الشركة ذات طبيعة زراعية وهم مرتبطون بالمواسم الزراعية، الأمر الذي يؤدي إلى رفع نسبة الغياب تصل لأكثر من 15 % من مجموع العمال على مدار العام.

- نقل مجموعة من العمال الغير متخصصين وغير لائقين صحيا من أوضاع خاصة من شركات المحافظات الأخرى إلى الشركة كونهم من أبناء المنطقة.
- كثرة الخريجين المعينين في الشركة من مهندسين، ومساعدين مهندسين، على خطة اليد العاملة من الفئة الأولى والثانية.

لم تؤخذ هذه النقاط بعين الاعتبار عند دراسة اليد العاملة للشركة وحاجة المعمل الفعلية، ونسبة الاحتياطي المطلوبة التي تغطي الغياب الكبير والكفاءة المطلوبة للقيام بمجمل الأعمال المقررة.

المعيقات التي ما زالت قائمة وتعيق كامل الخطة الإنتاجية:

- مشكلة الاختناقات في قسم التدويرات وعدم التوازن الإنتاجي ما بين قسمي الغزل النهائي.
- مشكلة اليد العاملة والنقص الحاصل في عمال الإنتاج المباشر وخاصة الغزل النهائي.

المشكلة الأولى ناتجة عن عدم تأمين القطع التبديلية وانخفاض مردود الآلة، وعدم قدرة هذا القسم على تحقيق الخطة الإنتاجية على مدار عمل الشركة. وعدم إحداث ملاك للآلات الصينية "دملتر" المنسقة والموردة من شركتي حماة والدبش ليصلوا إلى تشغيلها والاستفادة من طاقاتها ودعم إنتاجية هذا القسم. ولحل هذه المشكلة تم اتخاذ الإجراءات التالية:

- تم تشغيل معظم أيام الجمع والعطل الرسمية كعمل إضافي في هذا القسم.
- وضع عامل مساعد على كل آلة من آلات التدوير مع العامل الأساسي ليقوم بتشغيل الميكاترجات المتعطلة بسبب نقص القطع التبديلية.

المشكلة الثانية، مشكلة اليد العاملة بسبب النقص الحاصل بعمال الإنتاج المباشر في قسم الغزل ونسبة الغياب الكبيرة وفقدان اليد العاملة.

هناك متابعة لدراسة هذه المشاكل مجتمعة، ومحاولة حلها عن طريق السماح بتعويض أي نقص يحصل في خطة اليد العاملة بعد تعديلها، وتأمين وسائط النقل للعاملين من الشركة إلى البيوت ومن البيوت إلى الشركة، والاستمرار في فتح الاعتمادات اللازمة وخاصة لآلات التدوير، واستكمال تركيب الآلات، ووضع العمال العجزة والمرضى خارج خطة اليد العاملة، وحالياً يتراوح الإنتاج ما بين 57–65 % من الطاقة القصوى للآلات.

وقد تأسست نقابة للقطاع في عام 1977 وشكلت لجنة نقابية في الشركة بالتعاون مع إدارة الشركة، ثم العمل على إيجاد بعض الخدمات لعمال الشركة:

- مؤسسة استهلاكية فيها مواد مقننة، وأدوات منزلية، وحاجات شخصية يحتاجها العامل، وتوزع جميعها لعمال الشركة حصراً.

- مستوصف خاص بعمال الشركة، يعمل على مدار ثلاث ورديات، وفيه طبيبان يناوبان لتغطية الدوام فيه، وثلاث ممرضين.
- دور للحضانة تعمل على ثلاث ورديات، وفيها خمسة مربيات يعملن على تربية أطفال العاملات.
- ندوة عمالية على مدار ثلاث ورديات، وفيها جميع أنواع الطعام.
- صالة ثقافية وفيها كتب متنوعة تُعار للعمال.
- تشكيل فريق لكرة الطائرة -يحصل على الميدالية سنوياً- بالرابطة العمالية.
- توصيل كافة العاملين إلى بيوتهم في الورديات الثلاثة.
- حول الصحة والسلامة المهنية.

إن مستلزمات الصحة والسلامة المهنية موجودة، وقد تم توصية إدارة الأمن الصناعي بمتابعة مراقبها بالإشراف على جاهزيتها، مع توجيه الاقتراحات الضرورية للحماية من خلال الإرشادات والنشرات والرسومات. ويبقى النقص في بعض أجهزة الحماية (الوقاية) الفردية وهي كما يلي:

- عمال الكهرباء: حاجتهم إلى جاكيت جلد، جزمات عازلة، وقفازات عازلة، مع الأخذ بعين الاعتبار عمال المحطة الكهربائية بنوعية هذه القفازات 66/فولط.
- الدفاع المدني: جاكيت جلد، جزمة جلد، كمامة، خوذة، بدلة إطفاء.
- الحرس والأذنة والسائقون: يحتاجون إلى معطف، بدلة شتوية، بدلة صيفية، جزمة جلد.
- المشغل: أحذية واقية من جلد، قفازات، نظارات وقاية.
- السقف المعدني: جاكيت، مطرية، جزمة واقية، حذاء واقي خاص بالسقف.
- عمال المرافق العامة: جزمات بلاستيك، مطرية.
- عمال الإنتاج: الكمامات، الحراجات، واقيات السمع.
- عمال المازوت: مطرية، قفازات، جزمة.
- عمال التكييف: قفازات، جزمات بلاستيك.
- عمال التحميل وسائقو الروافع: كمامات، نظارات ضد الغبار.

هذا وأن النظام الداخلي المقترح تضمَّن بعض هذه الأجهزة. ويبقى ضرورة متابعة جميع هذه المستلزمات، نظراً لأهميتها في المحافظة على صحة أخوتنا العمال. وكذلك لقد اقترحنا ضرورة تأمين مياه الشرب الصالحة والخالية من الرواسب دائماً. وقد تم إجراء تحليل لها في المشفى الوطني، وكان التقرير أنها صالحة للشرب، ولكن الواقع لا نراها صالحة للشرب، مع العلم أنها تؤثر على الآليات، فتشكل طبقة كتيمة داخل أجهزة التبريد مما يؤدي إلى ضرب المحركات، فكيف تعمل في جسم الإنسان الذي يُأمل مساعدتنا في تأمين مياه شرب من السن؟ وأخيراً لقد نفذت مشاريعنا، وصرنا نشرب من مياه السن.

الخطة الإنتاجية:

إن كمية الإنتاج المخطط لعام 1988 هو 5680 طن من الغزول القطنية بينما الكمية المنتجة فعلاً فقط 3666 طن يعطي نمرة 25.5 بينما النمرة المخططة 30.8 نمرة إنكليزية وإن معدل التنفيذ 62% لكامل العام وبعد تعديل وسطي النمرة تصبح 53%.

بالنسبة لنقص القطع التبديلية يوجد 12 آلة غزل ما زالت غير مكتملة التركيب، وبالنسبة للترويرات أصبحت يدوية بدلاً من أتوماتيك، والقطع التبديلية مطلوبة من عام 1985 ، والمشكلة أنها صناعة شركة "ليزونا" الأميركية والتي تتعامل مع اسرائيل. وكذلك نقص أقشطة للآلات الأخرى مطلوبة، وهي قيد الشحن الآن. وكذلك نقص الزرد للغزل، فقد وصلت الآن، ويوجد نقص قطع تبديل كهربائية ومطلوبة وقطع للغزل والسحب مطلوبة، وكذلك أمشاط نصف دائرية لآلات التمشيط، بانتظار الفاتورة من الشركة اليابانية الوحيدة.

نقص وغياب العمل:

يوجد نقص في اليد العاملة الإنتاجية، وخاصة من قسم الغزل بحدود 46 عاملاً من أجل تكملة الورديات الثلاثة، إضافة إلى الغياب بنسبة 3.2% غير المبرر، وخاصة أيام المواسم الزراعية، وتصل يومياً إلى 28% يومياً ونتيجة ذلك تم فصل 22 عاملاً بلغ غيابهم أكثر من 30 يوماً، إضافة إلى وجود عدد لا بأس به مجموع غيابهم ما بين 20-29 يوماً. وهذا ما يؤثر بشكل مباشر على الخطة الإنتاجية، إضافة إلى وجود 111 عامل وعاملة مرضى غير قادرين على الإنتاج.

مشكلة النقل:

إن آليات الشركة أصبحت قديمة وأعطالها كثيرة، وهي لا تغطي نقل العمال من وإلى الشركة، مما يجعلنا تحت رحمة سائقي القطاع الخاص ومزاجيتهم في تأمين النقل بشكل عشوائي، بالرغم من متابعتهم واقتطاع مبالغ عنهم إضافة إلى التكلفة الكبيرة لقاء ذلك.

المعالجات:

بالنسبة للقطع التبديلية المطلوبة يتم تصنيع بعضها داخل الشركة، أو الشراء من السوق المحلية ما يتوفر، ولكن بالنسبة للقطع غير المحكمة تصنيعها، ولا تتوفر بالسوق المحلية، فهي المطلوبة. ويوجد متابعة ومراسلات لتأمينها، فتبقى مشكلة قطع تبديل آلات التدويرات والمطلوبة من عام 1986. تبقى مشكلة كون الشركة الوحيدة وهي تتعامل مع اسرائيل، وإذا لم يتم شراءها عن طريق شركة وسيطة، تصبح تكاليفها بالعملة الصعبة كبيرة جداً، وحين وصولها نحتاج إلى طلبية أخرى. وأمام هذا الواقع قامت الشركة بدراسة إنتاجية وفنية ومالية وعمالية لهذا القسم، وقد وصلنا إلى طريقة هي الآن قيد التجربة، وهي إذ نرى بأنها ستكون إيجابية وأوفر على الشركة، من شراء أكثرية

القطع التبديلية، حيث قمنا بتجارب إفرادية مماثلة وكان المردود جيداً. حين نجاح هذه التجربة نكون بحاجة إلى يد عاملة أكثر لكل وردية، أي 32 عاملاً زيادة عن الملاك المخطط، وقد وعد السيد الوزير بتأمين الموافقة على تعيين عمال حسب نتائج الدراسة، ونكون قد استوعبنا يد عاملة عاطلة عن العمل، ووفرنا عملة صعبة على الشركة، وتنهي عملية السيطرة والتحكم لهذه الشركة الأميركية – بالنتيجة أوفر هنا– وقد قمنا بتجربة بالنسبة للغزل ضمن ملاك الوردية، ونحن نتوقع نتائج أفضل حيث يتم تشكيل 53 آلة غزل، أي كامل الآلات جاهزة للعمل وعلى أساس النتائج يتم تعيين عمال جدد. بالنسبة إلى عدد الآلات يوجد 1430 عامل وعاملة، عدد منهم مستخدمين والباقي عمال آلات منتجين.

بالنسبة للغياب: يتم تطبيق القانون على العمال المتغيبين، وما زال الغياب نسبة كبيرة لمشكلة النقل، يتم عن طريق استئجار السيارات من القطاع الخاص، وهذا يكلف مبالغ كثيرة، إضافة إلى مزاجية البعض منهم، ما ينتج عن ذلك قطع وتأخير عدد لأعمالنا.

المبيعات: إن كمية الغزول المخططة للبيع 5680 طن خلال عام 1988 بينما الكمية المنفذة 3670 طن بنسبة تنفيذ 64 %.

5- صانع مدافئ من دمشق

مُجري اللقاء الدارس: عبد الواحد رنكو.

المتحدث: سعيد الجوهري مواليد دمشق 1924. مكان الإقامة: دمشق، مجتهد، سوق النحاسين. تاريخ المقابلة: آذار 1989. المهنة: صناعة حمامات مدافئ الجوهري.

عمل الجد: صناعة الأحذية. ما سمعه عن جده وعن العصر الذي كان جده يمارس فيه صناعة الأحذية، كانت هي الصنعة الوحيدة في ذلك العصر، وكان جده في بداية حياته يعمل أجيراً إلى مرحلة صانع، ثم إلى معلم وبعد ذلك أصبح عنده غرفة في المنزل، ثم يبيع إلى تجار السوق، حيث كانت الحياة في القرن التاسع عشر، أي الحياة الاقتصادية صعبة جداً بسبب الاحتلال، وضعف اليد الشرائية بسبب الفقر. والحياة الاجتماعية كانت مترابطة نوعاً ما بين أفراد العائلة والحارة.

ومن الناحية الثقافية كانت غير جيدة في القرن التاسع عشر.

وكان والدي يعمل مع أبيه في صناعة الأحذية، وكانت هذه المهنة هي المهنة الوحيدة التي كان يمارسها الكثيرون من الشباب، وكان وضعه الاقتصادي والاجتماعي أحسن من أيام جدي قليلاً، لأن لكل عصر تطوره وابتكاره الخاص بالمهنة. كانت تربيته لنا جيدة.

المهنة التي كنت أمارسها في مطلع حياتي مع والدي صناعة الأحذية، وعندما وصلت إلى الصف السادس بطّلت من المدرسة ودخلت صناعة الحمامات والمدافئ، وكانت هذه المهنة حديثة نوعاً ما، لأن الحمامات أصبحت في كل بيت، لأنه كما قلت لك لكل عصر تطوره. فتطورت صناعة المدافئ شيئاً فشيئاً، فأصبحت مدافئ المازوت، وأصبحت على الضغط.

المواد الأولية كانت مادة الحديد، أو بالأحرى الصفائح الحديدية، وكنا نحصل عليها عن طريق تجار الحديد، ولا أعرف كيف كانوا يحصلون عليه، يمكن عن طريق الاستيراد. كنا نعالج هذه المواد عن طريق الفحم الحجري الذي نحمي به الحديد على السندان، وبطرقه نحوّل صفائح الحديد إلى المواد التي نرغب في تصنيعها. كانت الصنعة متعبة لي، كنت في البداية أجير، والأجير لا يعمل بل يخدم المعلم والصانع، وبعدها أصبحت صانعاً. وعندما دخلت ميدان العمل وكان الأجر قليلاً جداً عندما كنت أجير، تحسن نوعاً ما عندما أصبحت صانعاً، وبعدها تحسن أجر عملي. كان الدوام من الساعة السابعة حتى الساعة "لا على التعيين"، والعطلة يوم الجمعة، وأحياناً لا نعطل على كيف رب العمل. كنا نصرف الإنتاج إما عن طريق تواصي أو إلى تجار المفرق في شارع فيصل، قرب سوق الهال القديم وهم بدورهم يبيعون إلى المستهلك. كانت الأرباح تذهب إلى التجار أكثر منا. لا أذكر بالضبط الأسعار عندما كنت. ولكن أذكر سعر المدفأة أو الحمامات 8 ليرات سورية، ومع مرور الزمن تحسنت الأسعار، مثلا نحن نربح 5%، فالتاجر مربحه حوالي 95 % تقريبا حسب السوق، أي العرض والطلب. وكان رب العمل يعطي المعلم حرية التصرف في العمل.

وكان يوجد خلاف بين المعلمين فقط من ناحية إتقان الصنعة. وكان الذي يتقن الصنعة هو الذي "ينفش ريشه مثل الطاووس". وبين العامل ورب العمل كان الخلاف قليلاً، لأن العامل يخاف على لقمة عيشه، وأرباب العمل في مهنتي كانوا قليلين نوعاً ما. ولا أسمع خلافاً حصل عندما كنت عند معلمي.

أنا لا أعرف عن التنظيمات الحرفية كثيراً. أعرف بأن هناك تنظيمات حرفية. انضممت إلى الجمعية الحرفية عندما أصبح عندي محل تقريباً عام 1970. كنت أسمع عن وضع النقابات ودورها، خاصة في الشركة الخماسية، أسمع عن الإضراب عن العمل، ومطالبة العمال لحقوقهم من أصحاب العمل. وكان صاحب العمل يقدم إلى العامل في كل عيد فطر وعيد الأضحى عبارة عن زيادة في الراتب تعادل حوالي نصف الأجر الذي كان يأخذه العامل في الأسبوع، ولكل صاحب عمل رأيه الخاص حسب بخله وكرمه. والآن نعيش كما ترى في محلي، أعمل به أنا وأولادي، ونسعى دوماً إلى تطوير هذه المهنة نحو الأفضل.

وكان الوضع في الحي شبيه بأسرة واحدة، حيث كان يوجد محبة بين الجيران وأهل الحي، وكان مثلاً يقال ابن حارتي، وحتى الآن يقال ذلك.

الكتب التي قرأتها عن عنترة بن شداد، وكانت هذه الرواية تُقرأ في مقهى النوفرة في القيمرية، وكنت أذهب خصيصا لكي أستمع لهذه الرواية. كنت لا أهتم كثيرا بالقراءة، ولم أتابع قراءة الجرائد والمجلات.

6- الحرف وتطورها في يبرود

إعداد الدارس: عبد الحكيم الغاوي.

في بداية الموضوع لا بد من إعطاء لمحة موجزة عن مدينة يبرود. حيث ترقد يبرود في أحضان سفوح سلسلة جبال لبنان الشرقية وتحيط بها الجبال من جميع الاتجاهات عدا الاتجاه الشرقي، حيث تطل على مدينة النبك والطريق الدولي (دمشق- حمص)، وتبعد عن مدينة النبك إلى الغرب 7 كم.

تعتبر يبرود من الأماكن السياحية الجميلة في القطر العربي السوري، حيث يوجد بها عدة مناطق أثرية قديمة رومانية. ويوجد بها عدة أودية جميلة، وأشهرها وادي قرينة ووادي سكفتة، المليئان بالأشجار الحراجية والمثمرة وكثرة الآبار فيهما، ويوجد في وادي قرينة بحيرة لا بأس بها، وعدة مطاعم ومقاصف من الدرجة الممتازة السياحية.

يبلغ عدد سكان يبرود حوالي 50 ألف مواطناً، يعيشون فوق بقعة من الأرض لا تكفي ولا لربع السكان زراعياً ورعوياً.

أما من أين أتى اسم يبرود، فهناك عدة أقاويل:

- القول الأول: وهذا على لسان مواطن كبير ومسن جداً حيث قال: "يبرود يبرد من أقام بها، وسميت مع الأشياع يبرود، يعني اسمها أتى من البرد الشديد بها".
- أما القول الثاني: فإن ملكاً قديماً واسمه نمرود سكن بها، ومن اسمه أتت تسمية يبرود.

ويوجد بها مناطق تدل على أنها سكنت من قبل الرومان مثل سكفتة والجرس.

لماذا يبرود من المدن الحرفية الشهيرة حتى على مستوى الوطن العربي؟

تعود الأسباب للآتي:

- حجم الأراضي الزراعية والرعوية ضيقة ومحدودة لا تكفي لربع سكان أهلها، لذلك لجأ سكانها أو معظمهم للعمل بالحرف منذ القدم.
- دخول الكهرباء إلى يبرود عام 1940 ساعد كثيراً جداً على تطور الحرف وغيرها.
- موقعها الجغرافي والاستراتيجي، حيث تتوسط جميع قرى ومناطق ونواحي القلمون وقربها من مدينة النبك والطريق الدولي دمشق—حمص.

- المغتربون إلى دول أمريكا اللاتينية منذ القدم وإلى الخليج العربي حديثاً ساعد في بناء الحرف والمعامل والمصانع الصغيرة بأموالهم، وأيضاً بنوا مصالح إنتاجية صناعية وزراعية. "وهذا أنا شخصياً أعتبره أهم عامل"، حيث يعتبر أهالي يبرود من السكان العمليين والنشيطين، وحيث أنك لا تجد إنساناً قادراً على العمل وعاطلاً عنه، لأن المواطن اليبرودي يخلق لنفسه أي عمل كان، ولا يقعد عاطلاً عن العمل. وأيضاً يمتاز أهل يبرود بالفكر الحرفي والصناعي منذ القدم.

من خلال هذه اللمحة البسيطة نجد أن الشروط تتوفر للعمل الحرفي في يبرود، وأهم الحرف هي:

- حرفة ومهنة غزل وحياكة الشعر، وهذه المهنة عمل بها جميع أهالي يبرود دون استثناء، وهي التي انبثقت عنها الحرف والمهن الأخرى، مثل حرفة النجارة والحدادة.
- مهنة صناعة "بوابير" الكاز والغاز، حيث أن مهنة بوابير الكاز قديمة جداً.
- صناعة المدافئ وهي مشهورة جداً في يبرود.
- صناعة الأدوات الزراعية والأدوات الرعوية، حيث أنهما تغطيان حاجات قرى ومناطق القلمون.
- حرفتي النجارة والحدادة بأنواعها العربي والإفرنجي، مشهورة جداً، و تنشهر بكثرة حالياً في يبرود، حيث أنهما تغطيان حاجات قرى ومناطق القلمون.
- صناعة صناديق السيارات الشاحنة الكبيرة للمنطقة ولسورية، وحتى لدول الخليج يتم تصنيع صناديق السيارات.
- حرفة ومهنة الخياطة بجميع فروعها وأنواعها وهي من المهن القديمة جداً وتقوم بالتغطية الكبيرة والواسعة لمعظم مناطق القطر.
- المعامل الحديثة مثل معامل أكياس النايلون ومعامل البواري المعدنية ومصانع المسامير المعدنية التي انتشرت في يبرود بكثرة، ويتم بيع إنتاجها إلى جميع المناطق السورية.
- حرفة الأحذية (الكندرجية) وهي أيضاً تنتشر بكثرة في يبرود، وهي من الحرف القديمة جداً وبأنواعها القديمة والحديثة. القديمة حيث كانت الأحذية كاوتشوكية ومن النايلون. وما كان يتفرع عن صناعة الأحذية صناعة القفف، وهي عبارة عن أوعية يستعملها المزارع في نقل التراب والمحصول، وأيضاً يستعمل في أدوات البناء، وأيضاً صناعة السريجة وهي أيضاً من أدوات الفلاح وهي كاوتشوكية.
- حرف وصناعات بيتية كثيرة يقوم بها أغلب سكان يبرود، وهي سلع معدة إما للاستهلاك أو سلع معدة للبيع.

وبعد أن تعرفنا على معظم الحرف والصناعات المتواجدة في يبرود، إذاً لا بد لنا أن نعرف كيف يتم تصريف الإنتاج والسلع الحرفية المنتجة في هذه الحرف. وهي بكميات كبيرة تكفي لحاجات يبرود بعشر مرات وأكثر.

كيف يتم تصريف المنتج منذ القدم وحتى الآن؟

قديماً كان يتم التبادل بين التاجر الذي يجمع المنتج إلى المعلم أي رب العمل، وهذا الأخير أي التاجر يقوم بدوره ببيعها إلى المستهلك، حيث كان أبناء القرى المجاورة ليبرود يشترون جميع حاجياتهم في يبرود. والقرى المجاورة ليبرود تعمل بالزراعة والرعي بشكل عام. وجميع أدوات الزراعة والرعي يشتريها أبناء القرى في يبرود.

فمنذ أكثر من ثلاثين عاماً كان أغلب التبادل بين التاجر والقروي المستهلك تبادل سلع بسلع، أي أن المستهلك القروي يأخذ حاجياته من التاجر بيبرود ويعطيه بدلاً عنها إما من منتجات المواشي أو ماشية من ماعز وغنم. أو يعطيهم منتجات زراعية (قمح، شعير، بطاطا، الخ...) وكان كل ذلك على الموسم، أي عندما يصبح الموسم الزراعي أو الموسم الرعوي يعطي المستهلك ما يريده منه التاجر لقاء ما يستجر المستهلك من التاجر أثناء العام. وهنا في هذا المجال يمون الوضع جيدا والأمور جيدة في حال المواسم الجيدة.

أما في حال المواسم الغير جيدة فهنا الطامة الكبرى بالنسبة للمستهلك القروي، فإما أن يعطيه أرضاً أو مواشي أو تبقى الديون تستمر بـ"الفايظ" أي الربى، وهنا التاجر "مثل المنشار" يستغل القروي فيأخذ محصوله الزراعي والرعوي يبيعه للغير لمستهلك آخر من أهالي يبرود، هذا من جهة. ومن جهة أخرى فإن التاجر يأخذ إنتاج ابن يبرود و يبيعه لأبناء القرى بأسعار فاحشة. وبهذا الشكل يكون التاجر هو المستفيد الوحيد والأكبر. وبهذا يكون أبناء قرى منطقة يبرود حكماً مرتبطين ورغماً عنهم بأهل وتجار يبرود.

أما حديثاً، فإن تصريف المنتجات الحرفية والصناعية يتم بتصريف محلي لأهالي يبرود أو لأهالي القرى المجاورة. إنما في هذه الحالة فإن التعامل يتم بالنقد، ويتم التصريف إما عن طريق التجار أو عن طريق المنتج مباشرة، ويكون هنا المنتج حراً لا يستعين بالتاجر، أي أنه لم يستجر (يستدين) نقوداً من أجل مهنته أو حرفته، لأن التاجر يقرض الأموال للصناع المنتجين والمعلمين الصغار الذين يعملون بيدهم وفي حرفتهم الخاصة بهم مع أبناء أسرهم.

ويتم تصريف الإنتاج حديثاً أيضاً إلى خارج منطقة القلمون أي باقي محافظات القطر، وذلك عن طريق التجار المحليين من أهالي يبرود إلى تجار من باقي المحافظات. ومن المنتجات المصدرة:

- بوابير الكاز والغاز.
- مدافئ التدفئة.
- مدافئ الحمامات.
- صناديق السيارات الشاحنة ثم تصديرها أيضا إلى دول الخليج.
- تصدير المنتجات الزراعية مثل البطاطا والفول والبازلاء (وهو إنتاج يبرود وقراها المجاورة).
- المشتقات الحيوانية مثل اللبن والصوف والجبن والخراف (وهي أيضا منتجات القرى المجاورة).
- تصدير منتجات الدجاج كالفروج والبيض، وهي تنتشر في يبرود وقراها بكثرة في الوقت الحالي.

- تصدير البواري المعدنية والتي تستعمل لمياه الجر وأيضا للأعمال في الحدادة وفي الأعمال المنزلية ولتصاوين البيوت.
- تصدير منتجات حرفتي النجارة والحدادة بأنواعها حيث يتم العمل لدمشق وحلب وحمص ومناطق ريف دمشق ومناطق أخرى.

وأيضا يوجد منتجات حرفية وصناعية كثيرة ولا يمكن حصرها، وكلها يتم استهلاكها محلياً أو لمنطقة يبرود وقراها.

ملاحظة: سألت أحد البائعين في يبرود: لمن تبيعون منتجاتكم وعلى من تعتمدون في البيع والشراء؟

رد قائلاً: "نحن نتعامل مع (البعالنة / البعلية)، أي أن أبناء قرى يبرود يقال لهم في يبرود (بعالنة / بعلية / جبلية). هذه هي نظرة يبرود إلى قراها.

7- حرفة نسج الشعر في يبرود

إعداد الدارس: عبدالكريم الغاوي – نقابة عمال الصناعات الخفيفة بدمشق. [105]

المتحدثان: معلم حرفة الشعر أبو جورج، والصانع عبدو سنقر (أبو علي) وكلاهما من يبرود. لم يذكر الدارس تاريخ اللقاء وهو إما في سنة 1987 أو 1988.

كتب الدارس:

تعتبر حرفة نسج الشعر في يبرود من أقدم الحرف على الإطلاق في يبرود وفي القطر العربي السوري. هذا ما قاله الحرفي القديم، السيد أبو جورج ميشيل عياش، والبالغ من العمر حوالي 75 عاماً ولايزال حتى الآن يعمل في ورشة لنسج الشعر.

- كيف دخلنا في معمل السيد ميشيل عياش وتعرفنا إلى المهنة عن قرب؟

أثناء دراستي في معهد الميكانيك كان لي زميل في المعهد من يبرود، واسمه ميشيل مسرّة، ذهبت إليه للبيت، وبعد أن رحب بي، قلت له ما سبب زيارتي هذه، علماً أنني لم أنقطع عنه نهائياً بعد الدراسة، كونه من يبرود وأنا من قارة ويعمل بالنبك وأنا كذلك. وقلت له: يا أخ ميشيل أريد أن التقي بحرفي "شعارة"، لديَّ بعض الأسئلة

---

(105) الدارس عبد الكريم من بلدة قارة التي تفتقر إلى الحرف وتعتمد على الزراعة المروية المحدودة والرعي. وفي تلك الفترة كان قسم كبير من سكان قارة يمتهنون التهريب من لبنان. ولذلك لجأ الدارس إلى زميله ميشيل في يبرود للكتابة عن صناعة الشعر، كما كتب دراسة ثانية عن الحرف في يبرود وأجاد في كلا الدراستين مقدماً معلومات غنية بلغة فصحى وسبك جيد.

وأخشى أن لا يستقبلني، وأرجو أن يكون الحرفي ممن تعرفهم جيداً. فقال لي: تكرم، ويوجد هنا بيبرود وهو قرابتي يعمل فيها وكبير بالعمر، وبهذا الأسلوب دخلنا الحرفة والمعمل (المانيفاكتورا) الصغيرة لديه. استقبلنا السيد الحرفي أبو جورج، وبعد أن شربنا كاسة متة التي تشتهر بها يبرود قال ما حاجتكم؟ قال له صاحبي الحاجة التي نريدها. قال أهلاً وسهلاً، اسأل ماذا تريد؟

- أريد أن أعرف كم عمر هذه الحرفة؟

أجاب أنه لا يعرف عمرها بالتحديد، حيث أنه لا يعرف سوى أنه فتح عينيه عليها، وأيضاً أبوه فتح عينيه عليها، وأولاده كذلك الأمر، وأيضاً أخواته. "وأظن أن المهنة منذ أكثر من 300 عام موجودة في يبرود، وكل أهل يبرود عملوا بها على الإطلاق ولمدة طويلة جداً. وقبل عشرين عاماً كان أكثر من ثلثي يبرود يعملون بها وكانت هذه الحرفة هي مصدر رزق وعيش أهالي يبرود، ولا يوجد عمل غيرها، باستثناء البعض الذين عملوا بالرعي والزراعة وبعض الحرف البسيطة مثل النجارة القديمة والحدادة القديمة. هذا الكلام يعود تقريباً لعام 1930-1940 حيث أن قبل هذه الفترة، ومثلما قلت، كانت يبرود البلد تعمل بالشعارة عن بكرة أبيها".

- أخي أبو جورج، أريد أن تحكي لي عن بداياتك بالحرفة عندما كنت صبياً؟

"تقريباً عندما كان عمري ست سنوات، وكلما أصبح أخ من أخواتي بهذا العمر، أنزلنا أبي المحل. حيث في ذاك العمر كنت أسحب فيها الشعر لجدي ولأبي ولمن كان يعمل عند جدي، لأن جدي كان يملك أربعة أنوال في محل واحد، وكُنّا نعمل عند طلوع الشمس حتى مغيبها "من الفجر إلى النجر" دون أي مقابل".

- قلت مازحاً: أخ أبو جورج، ألم تهرب من الشغل؟

"من أين أهرب وجدي كان يحمل عصا بيده، كلما تقاعس أحدنا لوح به للكبير وللصغير، ولأبي ولأعمامي، ولمن كان يعمل عندنا. كان يقول لنا: "واعملوا بأعمالكم، واعملوا لتشبعوا الخبز". وبعد ذلك أصبحت أنْدُف الشعر، بعد أن كبرت أندف مع أخوتي... أتريد أن تسألني عن الندف وما هي؟ وكيف تتم؟" قلت له نعم.

قال: "يُجلب الشعر من الدباغة، ثم ندخله إلى الندف اليدوي".

- لماذا يذهب الشعر إلى الدباغة؟

"يذهب إلى الدباغة لدبغه وصبغه، لأنه يكون عدة ألوان منها الأسود والأحمر والأبيض والأبرش، وحسب لون شعر الماعز والحمير".

- أتستعملون أيضاً شعر الحمير؟

"نعم نستعمله عندما يكون شعر الماعز قليل... " وتابع يقول: "لقد مرّت على الصنعة أيام حيث يقل الشعر لحد كبير ونقع في أزمة المواد الأولية... فهذا يضّطرُنا لاستخدام شعر الحمير. ولقد استعملوا قديماً شعر النساء، حيث كان أكثر النساء يبعنَ شعرهنَّ وشعر بناتهن... وحتى أيام ندور في البعل / البرية [106] على ماعز ميت لنقص شعره وشعر الحمير الميتة أيضاً".

- يا أخ أبو جورج، ألهذا الحد تصل بكم الأمور؟

(بتنهد عميق): يا ابني، أنت لم تعش أيام الجوع قديماً، أيام "السفربرلك"، "أيام العصملي"،[107] و"أيام الإفرنسي اللعين" والجوع كافر. أيام الله لا يعيدها علينا. واليوم الحمد الله نحن وأياكم بألف خير.

- هل أنت يا ابو جورج عشت تلك الأيام؟

"نعم، أنا عشت في أواخرها، ويتابع بالحديث: لقد حدثني أبي عن الشعر، وعن العمل بها، وعن المتاعب التي كانت تلحق بهم من وراء العصملي، حيث كان التحصلدار والانكشاري الذي كان يأتي إلينا ويصادر البضاعة من عندنا ويفرض علينا الضريبة، ونبقى نحن وأولادنا بدون أكل وشرب. كل هذه الأمور دفعت بهم لأن يبيعوا ويقصوا شعر نسائهم".

- وشو الميت وشعر الحمير؟

"لك يا ابني هيدي الروايات أنتم لا تعرفونها على ما أظن تسمعون بها فقط. وبعد العصملي أتى الفرنساوي وطغى أكثر، وسرق ونهب وخرب كتير. نحن أكلنا الأمرين، وتعذبنا وشقينا بصغرنا، وياما نحن بدون أكل وكنا نتمنى نشوف بإيدينا المتليك أو برغوت أو قرش".[108]

- لنعود لعملية ندف الشعر، فما هي هذه المرحلة؟

"المندف هو عبارة عن جهاز خشبي وعليه مسامير من الطرفين، ويربط بين المسامير أحبال رفيعة (مرس)، ويوضع الشعر تحت الحبال، ويبدأ بالعمل بواسطة عصا مربوطة بالحبال. العمل يتم بتحريك العصا إلى الأعلى والأسفل، مما يؤدي إلى تحريك الحبال بسرعة، وهذا ما يجعل الشعر يتطاير إلى الأمام بشكل ناعم إلى صدر الغرفة الموجود بها الندف، والغرفة طويلة الشكل، يوجد بها عدة منافذ للهواء وذلك لخروج الغبار المتصاعد من الندف.

---

[106] البعل تعني الأرض غير المروية وتعتمد على المطر. وهذه الأرض الشاسعة تُسمّى بريّة. وكانت أمهات قرى القلمون كيبرود والنبك ودير عطية، التي تعتمد على الينابيع والأنهار التي تروي الأرض اسم "أرض السقي" تميزاً عنا الأرض غير المروية وهي أرض البعل أو البرية. وكان يُطلق على القرى التي لا تجري فيها أنهار وتعتمد على زراعة الحبوب منتظرة المطر اسم "قرى بعلية".

[107] أيام العثمانيين.

[108] عملة قديمة وهي أدنى درجة في النقود.

وبعد الانتهاء من عملية الندف، يُلَفُّ الشعر بشكل جزرة كبيرة، ويوضع في كيس يربط على بطن العامل بواسطة زنار يحوي حبلة طويلة للف الكيس (الجراب) ثم كلابة لتعليق كبة الغزل (شموط الغزل)، ثم قطعة صغيرة في الخشب تسمى مجدب، لربط حبل الغزل بها وجرّه حتى يدور الدولاب. ويقوم بعملية الغزل صُنّاع غزل الشعر، إما أن يشتغلوا على الكمية بالرطل، أو باليوم، ومنهم من يعمل لنفسه في بيت خاص له. والصانع (بعد أن يتقن المهنة) سوف يصبح (معلم صغير)، أي أنه يعمل مستقلاً مع أفراد أسرته لحسابه الخاص".

- ما هي أجرة غزل رطل الشعر؟

"قديماً كانت أجرة رطل الرفيع والجيد تتراوح حسب القدم، من العشر قروش وهي تتدرج إلى 50 قرشاً، ثم إلى ليرة ثم خمس ليرات سورية. وقديماً قديماً جداً كانت الأجرة بالمجيدية، وهي عملة ذهبية عصملية. أما الغزل الغليظ فكان العامل الذي يغزل غليظاً يطرد من العمل بعد القتل والتعذيب، ولا يعطى أجرة. ولكن بعد ذلك، تتقدم إلى المعلم أسرة العامل المطرود وتتدخل عليه بالوساطة لإعادته للعمل، حيث كانوا يقولون للمعلم صاحب الحرفة "اللحم لك والعظام لنا". وهكذا كان الأجير يلاقي من العذاب الأليم ليتعلم الحرفة، إلى أن يصبح صانعاً يحيك الشعر على النول الخاص بالحياكة. أما حياكة الشعر لجعله "شقة" لبيوت البدو أو بساطاً لفرشه على الأرض أو "مخلاً" وهو خيط من الشعر الغليظ لوصل الشقف مع بعضها البعض لتصبح بيت شعر لأصحاب الأغنام والمواشي وللبدو الرحل.

- أخي أبو جورج، لا أريد أن أسألك عن عملية الحياكة وكيف تتم، ولكن أود أن أعرف من أين مصدر الشعر؟

"قديماً كانت مادة الشعر متوفرة جداً في السوق المحلية، وذلك لكثرة الماعز في سورية. ولأن معظم السكان بسورية وبالأخص أبناء القرى والبادية يعملون بالرعي قديماً، ويعود ذلك إلى حوالي أكثر من خمسين عاماً. حيث كنا نتجول في قرى المنطقة ونشتري الشعر، وأيضا نذهب إلى البادية وإلى شمال سورية ونشتري الشعر. أما في الوقت الحالي، فإن المادة الأولية قليلة جداً في سورية. ونعتمد على الجمعية الحرفية الخاصة بالحرفة لتأمين الشعر المستورد لنا من تركيا ومن الهند. وأيضا المادة قليلة وليست على ما يرام.

- لقد قلت الجمعية الحرفية، فمن هو المشرف على هذه الجمعية، أهي نقابة الحرفة أم نقابة العمال، أم ماذا؟

"الجمعية الحرفية عندنا في يبرود يشرف عليها ثلاثة من الحرفيين، وأنا رئيس الجمعية، نقوم باستيراد الشعر ونحن نوزعه على العاملين بهذه المهنة".

- هل يتم توزيعه بشكل عادل، أم كيف؟

"نحن نقوم بتوزيعه بناء على طلب الحرفي، ولا نأخذ ثمن المادة الأولية فوراً إذا لم يتوفر مع الحرفي دفع السعر فوراً، إنما نقوم بتقطيع السعر ومحاسبة الحرفي عندما يسلمنا الشقق الجاهزة للبيع، وهكذا الحرفي يأخذ مادة أولية ويعطينا منتج معّد للبيع، ونحن نقوم بتصديره للمستهلك.

- كم لديك من الأنوال، وهل يتم العمل عليها جميعاً؟

" لدي سبعة أنوال، ويتم العمل عليها جميعاً أحياناً، حسب كمية المواد الأولية المتوفرة وحسب تواجد صناعية ليعملوا عليها، لأن الصُنّاع ليسوا جميعاً عندي الآن.

- اذكر لي أهم عيوب الحرفة وأهم محاسنها؟

"أهم العيوب أنها تنشر غبار الشعر في جو الغرفة مما يؤدي إلى ضيق التنفس لدى الأجير والصانع والمعلم، ولكل من يتواجد بالغرفة بشكل مستمر وخاصة في عملية ندف الشعر. وعيب آخر هو أن لو كان إنتاج غرفة الندف يستعمله أغلب السكان لكان للحرفة كلام آخر. وباعتبار المنتَج لا يستهلكه إلا شريحة معينة من السكان، وهم البدو ومالكي الأغنام، وهؤلاء يتوقف استهلاكهم لهذه المادة أيضاً على الخير القادم من السماء، الأمطار، فعندما تكون السنين خير فإن الراعي يشتري بيوت شعر وحالته جيدة لأنه لا يطعم أغنامه ومواشيه حيث تأكل من خيرات الأرض، أما عندما تكون الأمطار قليلة وشحيحة فإن الراعي سوف يشتري الأعلاف لمواشيه ولا يستطيع تجديد بيت الشعر فيضطر المكوث تحت بيت شعر بالي إلى أن "يفرجها الله عليه بخيرات السماء".

أما أهم محاسن الحرفة فإن العمل بها جيد وجميل وسلس، حيث أن الجميع يعمل بها، أي أنه إذا ملَكَت أسرة نول وأراد رب هذه الأسرة العمل في الزراعة أو في قطاع النقل أو أي عمل آخر، فإنه يستطيع العمل أينما شاء ويعمل بحرفة الشعر أيضاً في آن واحد لأنه بإمكانه أن يعلم جميع أفراد أسرته للعمل بها، ولكنه أيضاً يعمل بها عندما ينتهي من عمله الأول. هي أيضاً حرفة لا تكلف الكثير، أي أنه من أراد العمل بها فإنه ليس بحاجة لآلات أخرى، ولا بحاجة إلى أموال لا العكس، بل إنه باستطاعة أي شخص العمل بها وبنفس بيته، هو وأفراد اسرته ومتى شاء وأراد".

بعد ذلك استودعنا الأخ أبو جورج، وذهبتُ إلى أحد صُنّاع الحرفة واسمه عبدو سنقر، وسألته عدة أسئلة، منها:

- الأخ عبدو، ماذا تعرف عن جمعية الشعر؟

"جمعية الشعر في يبرود قائم عليها ثلاثة معلمين، وهم من أقوى المعلمين في يبرود، وهم الذين يشترون مادة الشعر ويوزعونها مزاجياً. وهم أيضا من يصدّر ويبيع المنتَج الشُقَقْ [109] ونحن لا نعرف سوى العمل. أيام بإمكاننا أن نعمل بيت شعر لأحد رعاة المنطقة إذا هو أوصانا عليه دون أن يذهب إلى الجمعية. أما في باقي الحالات فإنه التاجر الموزع يأتي إلى الجمعية ويشتري من عندها الشقق لأن جميع إنتاج الحرفة أو أغلبها يأتي ويتَجَمّع في الجمعية".

- الأخ عبدو أبو علي، ما هو رأيك بحرفة الشعر عموماً؟

"حرفة الشعر من الحرف التي تميّزت بها يبرود، ومن الحرف التي أكل الخبز من ورائها أهاليها، وهي حرفة جيدة جداً إذا كانت موادها الأولية متوفرة. ولو يجري اليوم تصدير المنْتَج إلى السعودية والخليج دون رسوم جمركية أو تقليل الرسوم الجمركية، لكان الوضع جيداً عندنا، لأن المنْتَج التركي في الخليج ينافس المنتج السوري هناك، (وهما) مثل بعضهما، بل حتى السوري أفضل منه كثيراً. ولكن الذي يميّز المنتوجَين عن بعضهم البعض غلاء المنتج السوري، الذي يتحمل رسوم جمركية فيرتفع سعره عن المنتج التركي".

- هذا كل ما تريد التكلم به أم أنك تحب أن تضيف شيئاً آخر؟

"أحب أن تكون مهنة الشعر منظمة نقابياً، تتبع لنقابة الغزل والنسيج لتحميها وتحمي من يعمل بها وتؤمن لهم جميع ما يحتاجون من خدمات. كما أننا نود التسجيل في مؤسسة التأمينات الاجتماعية، لأن المعلمين يهرّبوننا من المشاغل عند قدوم التأمينات والنقابة (حتى لا يدفعوا رسوما لتأميننا).

أيضاً أود أن أضيف بأننا نأمل من المسؤولين ومن المدافعين عن الحرف إعادتها لماضيها العريق بأن يدعموا الحرفة وكل الحرف لأنها مصدر رزق معظم المواطنين وتؤمن فرص عمل لأغلب الناس ومصدر ثروة وطنية كبير، وذلك عن طريق تأمين المواد الأولية عن طريق النقابات ووزارة الصناعة، وتخفيف الرسوم الجمركية المفروضة على استيراد المواد الأولية وعلى تصدير المنتج إلى دول الخليج.

وأيضاً أحب أن أضيف أن ندعم الحرفة بالقروض في المصارف الصناعية لتطويرها وتنشيطها وتحسينها، لأن هذه الصنعة والحرفة تمشي في عروقنا ودمنا، ولأننا جميعاً في يبرود فتحنا عيوننا عليها، ومعظمنا حتى الممات يعمل بها. صحيح أنها حرفة قديمة، ولكننا نحس أنها قطعة منا ونحن قطعة منها، لا يستطيع أحد منا الافتراق عن الآخر برغم انتشار الحرف والمهن والصناعة الحديثة".

---

[109] من الشقة أي قطعة أو شُقّة الشعر ولها أطوال متعددة مع عرض واحد.

8- مهاجر من الريف إلى حلب 1942 صانع على النول، سائق عربة، عتّال، عامل في مطحنة

مُجري اللقاء الدارس: أحمد العلي بن جمعة، اتحاد محافظة حلب/ نقابة المواد الغذائية.

المتحدث: عبد الوهاب هندي من مواليد 1926 في قرية كفرنايا التابعة لحلب. تاريخ اللقاء في 1988/2/8.

كتب الدارس:

عمل الجد: الفلاحة. وكانوا يعملون على الثيران والدواب الأخرى من بغال وغيرها، وكانت الثيران أهدأ في عملها من باقي الحيوانات.

كان الفلاح يوجد لديه قطعة أرض ويقسمها إلى ثلاثة أقسام (بور، محصول صيفي، محصول شتوي). وكانت الأراضي ملك الفلاحين وموروثة عن أجدادهم القدامى.

كان والد المتحدث يستخدم بعض العمال في خدمة الأرض، وكان يعطيهم خلال العام الكامل 35 ليرة سورية (في الثلاثينات).

كان كيس الحنطة أو القمح بسعر الثيران، يبيعونهم فيشترون عوضاً عنهم كيسان، واحد من الذرة والآخر من الشعير، وكانوا يخلطونها مع بعضهما في عمل مادة الطحين.

كان الفلاح يقوم بأخذ كمية من المصاري لكي يشتري بها بذار لأرضه، وتكون هذه سلف على المحصول، فكان الاعتماد كلياً على الأرض.

والقرية كان يملكها إقطاعي يسمى جودت بيك بن حميد بيك من أهل حلب من المدينة. كان البيك في بداية الأمر يأتي إلى القرية ويتعاطف معها، فيشتري بعض الدونمات من الأرض ويبدأ بتوسيعها شيئاً فشيئاً، وعندما يشتد ساعده يبدأ بشراء أكثر وأكثر من الأرض، وبعض الأراضي يستولي عليها بشكل كامل. كان يعين العمال في الأراضي لكي يقومون على خدمتها، وكان لهم الأكل والشراب البسيط مقابل خدمتهم لأرضه، ولا يعطيهم أجر سوى تقديم الغذاء والشراب. وكان الإقطاعي يستبدل الفلاحين كل عام، هذه أيضاً في الثلاثينات وفي عهد الفرنسيين، وفي سنة 1938 كان يعطيهم كل ثلاثة أشهر 5 أي خمسة ليرة سورية.

كان لجده ثلاثة أولاد: محمد خير، أحمد و محمود، والمتحدث عبد الوهاب وهو ابن محمود هندي. وكان لوالده زوجتان وكان له من كل زوجة ولدان. وكان أبوه (أي والد المتحدث) يحبهم أكثر من أخوتهم الذين من خالتهم، أي الزوجة الأولى، لأنهم كانوا أكثر تجاوباً من أخوتهم الآخرين، وكانوا ليِّنين، وكانت نسبة الذكاء في ذلك الوقت عام 1926 أكثر مما هي عليه في الوقت الحاضر، وكان الوالد يحب أولاده بقدر ما يكونون متجاوبين معه.

وفي ذلك الوقت لا توجد مادة المازوت، وإنما توجد مادة الكاز معروفة لدى القرية، وكانت نسبتها قليلة جداً والذي يحصل على تنكة كاز فكأنه حاصل على أثمن الأشياء. كانوا في ذلك الوقت يستعملون السراج وهو عبارة عن تنكة وفتيلة وقليلاً من الزيت.

نزل (المتحدث) عبد الوهاب هندي إلى حلب سنة 1942 ليعمل كصانع نول، والنول كان ملكه. أما المادة الأولية، أي القماش، فيأخذه من تجار المدينة. كان يعمل من بزوغ الشمس إلى ما بعد العشاء بخمس ليرات سورية، وكان سعر كيلو الطحين بالنسبة للعمال للفقراء بـ 25 قرش سوري، أما طحين الأغنياء كان بـ 55 ق.س.

في بداية عمره، كان عبد الوهاب يعمل بالفلاحة، وبعد انتقاله إلى المدينة بدأ يعمل على النول، وبعد ذلك عمل على العربة تجرها الدواب وكانت أجرته 7 ليرات هو وعربته ودابته. وكانت العربة لها نمرة [رقم تسجيل] ثمنها 25 ل.س.

وبعد ذلك انتقل إلى العمل في العتالة بـ"المطحنة الططرية". وكان مالكها محمد خير الططري وأولاده بديع، وزكريا، ويحيى. بلغ عدد العتالين في المطحنة أربعة عتّالة يحبون بعضهم البعض. كانت العلاقة بين رب العمل والعمال علاقة عمل لا يوجد أي تحابب بينهم.

كان يوجد مطحنة أخرى صاحبها زكي حزيد، كان قاسياً يمسك العمال من آذانهم من آخر المطحنة إلى أولها، وعندما يصل العامل إلى باب المطحنة يعطيه رفسة في ظهره برجله ويقول له "انقلع لا ردك الله".

العامل كان متجاوباً مع صاحب المطحنة خوفاً من حرمانه من لقمة العيش وطرده خارج مكان العمل. وكان زكي عندما يرى حبة قمح على أرض المطحنة يبدأ بشتم العمال ويوبخهم ويأمرهم بجمعها ووضعها مكانها.

من عام 1955-1958 مارس عبد الوهاب مهنة الحراسة بعد وفاة الحارس المخصص في تلك المطحنة. كان يأخذ خمس ليرات سورية أجرة الحراسة، وبالإضافة كان يدير محرك المطحنة فيعطيه صاحبها أجرة على إدارة محرك الطحن، وكان راتبه يبلغ من الحراسة وإدارة محرك الطحن ما يقارب المئتان ل.س.

كان عبد الوهاب صاحب النول، كما ذكرنا، يحصل على المواد الأولية من السوق أو من التجار بأسعار باهظة وبعد أن يصنعها يعيدها للتاجر. وكان يصنع من الحطايط حوالي خمس حطات باليوم الواحد بسعر ليرة وربع للواحدة، يقوم التاجر بتصريف الإنتاج حسب النوعية. وكانت عبد الوهاب يعمل بين 10-14 ساعة عمل يومياً. كان لا يوجد عطل خلال الأسبوع.

كانت تنشأ بعض الخلافات بين العمال والصناع وأرباب العمل لأنه لا يوجد محبة ومودة بينهم. وفي الحارة والحي والقرية كانوا متنافرين فيما بينهم لا يحب أحدهم الآخر، كل شخص يعمل يحب الأشخاص الآخرين بأن لا يعملوا وإذا عملوا أخرجوهم من العمل.

وكان العمال والفلاحون يعيشون حياة بسيطة وضنكة. كانت توجد مشاكل في الريف بين العائلات والعشائر نتيجة لقلة العمل في ذلك الوقت. والعلاقة بين الريف والمدينة علاقة غير جيدة، فكان ابناء المدينة يشلّحون [يسرقون] أبناء القرية، فإذا أتى ابن القرية ببعض المواد الأولية من القرية إلى المدينة يريد بيعها، فابن المدينة نجده بأسرع ما يمكن يأتي إليه ويبازره [يساومه السعر] في بيع هذه المواد، فيأكل ابن المدينة نصف ثمن هذه المواد ويعطي لابن القرية النصف الباقي. وكانوا يسمون أبناء المدينة في ذلك الوقت بـ"الجنابزة".

يعيش عبد الوهاب حالياً في كنف أولاده، حيث له من الأولاد سبعة، خمسة متزوجين، والسادس يسكن معه، أما السابع فهو في خدمة العلم. وهو مرتاح معهم.

9- تجارة السمن البلدي في بادية الشام

إعداد الدارس: محمود كناوي.[110]

السمن البلدي معروف في منطقة بادية الشام بالسمن العربي، وهو مُسْتَخْرَج من حليب الغنم فقط. تتوفر هذه المادة في البادية بشكل أساسي، وتعتبر المورد الأساسي للبدوي مربي الأغنام. أثناء فصل الربيع تكون البادية في إحدى الحالتين، إما سنة موسم وإما سنة قحط. وفي سنوات القحط ترتفع الأسعار بسبب قلّة العرض وكثرة الطلب. من عام 1970 إلى 1980 كانت معظم السنوات سنوات موسم [111] وكانت كمية السمن كبيرة، والأسعار كانت بشكل معقول بالنسبة لدخل المواطن.

إن كل 20 كيلوغرام حليب غنم تعطي من 1-1.5 كغ سمن صافي. وكل رأس غنم (أي غنمة) تعطي يومياً من نصف إلى كيلوغرام سمن، هذا إذا كانت المراعي جيدة. أما أنواع السمن فهي كالآتي:

- **السمن الجبلي** (جبل أبو رجمين، جبل البلعاس، جبال شمالي تدمر): إن السمن في هذه المناطق أفضل أنواع السمن، لأن هذه الجبال تحتوي على نباتات وزهور تعطي للسمن نكهة جيدة جداً، وهو من أغلى أنواع السمن، وبلغ سعره تقريباً عام 1987 حوالي 170 ل.س للكيلو في منطقة تدمر.
- **سمن البادية** (سمن الحماد): والحماد هي المنطقة ما بين تدمر ودير الزور باتجاه الجنوب قليلاً، وفيها تقع منطقة الشق والمحطة الثالثة، والسمن فيها من النوع الجيد أيضاً، ويأتي في الدرجة الثانية بعد السمن الجبلي، وبلغ سعره هذا العام 1987 حوالي 165 ل.س للكيلوغرام.
- **سمن بقية المناطق المحيطة بتدمر**: وهذا السمن يتم التعرف عليه من قبل المشتري، حيث يقوم بفحصه بطريقة التذوق والشم، فإذا كان غير مغشوش، يساوي سعره سعر سمن الحماد تقريباً أو أقل قليلاً.

---

[110] وهو جامع هذه المعلومات القيّمة.

[111] سنوات خير عميم وانتاج وافر.

ويتم استخراج مادة السمن من الحليب بإحدى الطريقتين:

أ- طريقة الفرز بواسطة آلة يدوية تدعى الفرّازة، وهي تفرز الحليب إلى قسمين: القسم الأول (المصل) أو القريشة، والقسم الثاني (الدسم) أو الزبدة ويتم استخراج السمن من الزبدة بسهولة.

ب- طريقة الجُف (الظرف)، والظرف هو جلد الماعز الذي يكون على شكل كيس النايلون ذي فم صغير، ويتم وضع الحليب وتحريك هذا الوعاء لمدة طويلة فينفصل الدسم عن المصل، وهذه الطريقة تكون أفضل لمادة السمن، ويكون السمن أغلى بهذه الطريقة، إلا أنها طريقة تحتاج إلى عمل شاق وجهد أكبر. وبعد انشار الفرّازة تراجعت طرقة الجف، وأصبحت نادرة.

طريقة البيع والشراء:

عندما يجلب البدوي مادة السمن إلى المدينة (تدمر غالباً) لبيع هذه المادة، يقوم بوضعها عند أحد التجار وأصحاب المحلات، ويكون هذه التاجر على معرفة قديمة مع البدوي، أي يكون بينهما علاقات مشتركة وديون وما شابه ذلك. يقوم التاجر بوضع السمن على باب المحل بشكل علني، فيجتمع حوله المشترون وهم تجار متفرغون لهذا العمل، أي لبيع وشراء مادة السمن. فيقوم التجار المشترون بالمزاودة على هذه المادة. فيقول أحدهم "من هذا السمن الكيلوغرام الواحد لا يساوي أكثر من 160 ل.س"، ويقول آخر "أنا أشتريه بمبلغ أكثر" وهكذا حتى تنتهي المزاودة التي تكون علنية وأمام البدوي وأمام صاحب المحل، فإذا وافق صاحب المحل استشار البدوي حول السعر ويتم الوفاق وتباع الكمية.

يأخذ صاحب المحل عمولة (كمسيون) من البدوي حوالي 1-2 %، أي على كل تنكة سعتها 20 كغ حوالي 25 ل.س، وأحياناً لا يأخذ منه شيئاً بسبب المصالح المشتركة التي تربطهما ببعض. عندما يأخذ المشتري السمن يقوم بعملية (العنبر) عنبرة السمن، وهذه العملية هي اختصار تصفية السمن من الشوائب (الدبس) الذي يعلق بالسمن بسبب الظروف (الجف) وتصفيته من بقايا اللبن، وذلك بتسخينه إلى درجة 50-60 مئوية فتترسب الشوائب ويطفو اللبن فوق السمن. ثم يقوم بتعبئته بالصفائح (التنك) بشكل كامل بحيث لا يدخله هواء، لأن ذلك سيفسده. وإذا كانت التنكة مملوءة بشكل جيد لا يدخلها الهواء إطلاقاً يمكن أن يبقى السمن فيها بحالة جيدة من 20-30 شهر، أي حوالي السنتين. ويبيعه التاجر إلى بائعين مفرق أو مستهلكين. أما الأسعار تكون حسب العرض والطلب، ففي مثل هذا العام الكمية قليلة جداً، لذلك بلغ السعر حوالي 170 ل.س للكيلوغرام من السمن. أما في العام الماضي (1986) فبلغ السعر حوالي 60 ل.س للكيلو غرام من السمن، باعتبار كانت سنة جيدة للمراعي.

عملية كشف سمن الظرف عن سمن الفرازة: "سمن الجف" يكون أنعم من سمن الفرّازة، أي يشبه الماء أكثر، وأحياناً لا يستطيع التاجر تمييزه، ويشتريه على الثقة بين البائع والتاجر. هذه الأيام لم يعد يهتم لتلك الطريقة لأنها أصبحت نادرة جداً. فنادراً ما نجد سمن تم استخراجه بالظرف، أي الجف.

عملية غش السمن: ضُبطت عدة مرات كميات من السمن مغشوشة من قبل البدوي، إذ يضيف إليه مادة دهن الغنم أو يضيف إليه سمن بقري أو سمن يصعب على التاجر أحياناً تمييزه، إلا بالتحليل وكشف كمية الدسم في السمن. وهناك بعض التجار الخبيرين بهذه العملية يعتمدون على حاستيْ الشم والذوق، فعندما يشم السمن ويتذوق طعمه، يستطيع معرفة السمن إن كان غنمي كامل أي سمن عربي غير مغشوش أو مغشوش.

10- الفرواتي وطريقة عمله في حماة

مُجري اللقاء الدارس: خالد مصطفى حيمور من اتحاد عمال حماة. وتاريخ اللقاء في 1988/1/23.

المتحدث: الحرفي عبد الرحمن مصطفى حيمور من مواليد حماة، حوارنة 1931. والسكن الحالي في دمشق سويقة. ومكان العمل في دمشق، سنانية، سوق الفرواتية، محل بيع الفراء بالمفرق.

لديه سبعة أولاد، الأكبر طبيب بشري، والبقية مؤهلاتهم ثانوية يعملون إما في بيع الأجبان والألبان أو مع والدهم في الفراء. انتسب إلى نقابة الفرواتية في عام 1971 عند تأسيسها بموجب المرسوم 250 عام 1971 وأول اجتماع كان في المركز الثقافي العربي في حماة في 7 نيسان عام 1971.

كتب الدارس:

جد الحرفي عبد الرحمن ملك حوالي مئة جمل، أي كان يملك قافلة، ولديه 10 أجراء، ويأخذ الأجير في كل يوم سفر مجيدة واحدة ونصف، وكان الجد هو قائد القافلة معه روسية،[112] وهم يحمون أنفسهم من المشلحين [اللصوص]. كان يوجد له شريك لا يذكر اسمه إنما يعرف الكنية وهي "بركات"، أو يعرف بالأفندي بركات. ويتذكر كما روى والده أن جده ذهب إلى الحج وأخذ معه 40 فحل من الجمال وأخذ بضاعة معه ليبيعها وأخذ معه حجاج بالأجار، بالإضافة إلى بعض أهالي الأجراء. ويقول أن الجمل كان يوفر في كل سفرة ليرة ذهب واحدة، وكان يدوم السفر إلى فلسطين على الجمل ذهاباً وأياباً حوالي 35 يوماً، وبعض الأحيان يأخذ الأجرة مقابل البضاعة حنطة أو شعير أو تمر.

قُتِل الجد وهو مسافر من قبل المشلحين، وسُرِقَت الجمال والبضاعة.

---

[112] يحمل بندقية روسية الصنع. وكان يُطلق على البندقية اسم "البارودة"، وهي أنواع حسب بلد الصنع وأهمها: الفرنسية، والإنكليزية، والألمانية وهي مشهورة وتُعرف بـ"الموزر". وأذكر من الأغنيات أثناء العراضات المقطع الآتي: وَجّه للموزر خرطوش حتى تِجي إيامو أي حضّر لبندقية الموزر الرصاص استعدادا ليوم المعركة.

الأب مصطفى خالد حيمور تولد 1890. عمل في بداية حياته أجيراً لغزل الشعر وعمره لا يتجاوز السبع سنوات، أو كان يذهب بعض الأحيان مع والده عندما كانت سفراته قصيرة. كان يعمل عند المعلم الحاج يوسف أبو روفة. وكان الشغل يدوي بطيء. وكانت أجرته في اليوم نصف مجيدة، وكان العمل حوالي 12 ساعة. أخذه العثمانيون للخدمة في الجيش العثماني حتى انكسار الجيش في الحرب العالمية وجلاء العثمانيين عن سوريا، ورجع إلى حماة وهو متزوج من أرمنية،[113] وليس لديه مكان للعمل. فبدأ العمل في البيت بشراء الجلود وتصنيعها وبيعها حتى اشترى محلاً وأصبح معلماً بعد موافقة شيخ الكار ويدعى شيخ عرابي دهيمش. وشيخ الكار كان يعمل لصالح الكتلة الوطنية (د. توفيق الشيشكلي، والصيدلي عبد الحميد قمباز). وعبد الحميد قمباز كان يملك أراضي وعقارات وهو من وجهاء البلد. وكانوا يناضلون ضد الفرنسيين ويساعدون الفقراء والمحتاجين. وعندما كان يريد الصانع أن يصبح معلماً كان شيخ الكار يدعُ عبد الحميد قمباز أو توفيق الشيشكلي ليروا عمل الصانع الذي يقدم هديّة فروة أو مدِّة للصلاة، وبعدها يقررون بأنه أصبح معلماً.[114]

وفي ذلك الحين -أي في الثلاثينات- كان سعر الجلد حوالي 500 ق.س، فيما سعر الجلد حالياً 300 ل.س الجاهز، وكانت أجرة الأجير 200 ق.س، وعمله هو غسيل وتمليح وبشر الجلد. أما الصانع فقد كانت أجرته 400 ق.س، وعمله كان تفصيل الفروة. أما لقط وخياطة الفروة كانت شغلة المرأة في البيت وأجرة الفروة 150 ق.س.

كان الأب يبعث أولاده إلى مدرسة خاصة لتعليم القرآن وحفظه وكتابته وتسمى بـ"الكُتاب"، وصاحبها يدعى الشيخ بدر الدين تقوى، وكان التعليم حتى الصف السادس (السرتفيكا)، وكان يأخذ قسط شهري مقداره قرش سوري وفرنكين. ويذكر أن بعض الناس لا يقدرون دفع القسط، ويصبر عليهم شهرين أو أكثر، وبعدها إذا أتاهم مال يدفعونه. ويذكر أن بعض الأحيان يبيعون صوف الفراش أو يفتقون الطراحة ويباع الصوف.

ويقول: كان يوجد مدارس عامة، ولكن ليست لهم، إنما لطبقة الأغنياء والمقتدرين. كما يوجد مدرسة الراهبات الخاصة بالمسيحيين من الطلاب الذين يدرسون على حساب الكنيسة.

ضمن سوريا كان يوجد استهلاك للفراء من قبل البدو وجبل العرب والأغنياء. ويذكر في الأربعينات باع والده فروة بـ 400 ل.س، وأن سعرها الحالي هي 6000 ل.س، ولديه 120 فروة، وكان البيع موسمي. ويقول أنها مصلحة يُرثى لها حتى عام 1970، وبعدها بدأ بنقل البضاعة إلى السعودية وباقي الدول الخليجية.

---

[113] اشترك الأب مصطفى في الحرب العالمية الأولى في جبهة البلقان. وواضح أنه في أعقاب مذابح الأرمن عام 1915 تزوج أرمنية قُتل أهلها وبقيت معه وجاءت إلى حماة زوجة له. ولم تكن هذه الحادثة فريدة، فالآلاف في وادي الفرات تزوجوا من هؤلاء الأرمنيات اليتامى. وأثناء جولاتي الميدانية كان سكان شمال سورية يؤرخون بـ"سنة الأرمن" أي سنة المذابح الأرمنية عام 1915.

[114] بالتأكيد اختلط الأمر على المتحدث. فقد أدخل خطأً في حديثه اسميْ قنباز والشيشكلي. مع الإشارة إلى أن ما ذكره صحيحاً. وانتقال الصانع إلى معلم كان له مراسيمه فيما عُرف بحفلة "الشدْ" أي شد الصانع إلى الحرفة وارتباطه بها وإخلاصه لها.

المواد الأولية من أجل تصنيع الجلد:

بعد ذبح الخروف، ويكون الجلد طازج، يوضع عليه ملح 24 ساعة وهو مضموم على بعضه، ثم يفرد بالشمس 24 ساعة، ومن ثم ينقع في الخل حوالي 20 ساعة، ثم يغسل بالماء والتايد، ثم ينشف من الماء، ويوضع عليه ملح وشبّة، حتى اليوم التالي، أي بعد 12 ساعة، ثم يُنَشّف بالشمس ويقلب على الصوفة والوجه ليبقى حوالي 48 ساعة، ومن ثم يؤخذ إلى البشر اليدوي، وبعد 15 يوماً يبشر من قبل البشّار ليبشر الدهون والعروق الموجودة بالجلد، ثم يؤخذ الجلد إلى الصانع الذي يفصل الجلد، ثم يبعث إلى الخياطة ويخيط. كان ذلك يستهلك من الوقت حوالي شهرين تقريباً، بدءاً من الغسيل إلى التصنيع النهائي. أما اليوم يأخذ 15 يوم لأنه توجد آلة بشر وغسالة لغسيل الجلد وماكينة خياطة.

ملاحظة الدارس: أرجو أن أكون قد قمت بالمهمة على أحسن وجه.والله الموفق ولكم ولنا ولجميع أمتنا العربية.

11- مقابلة مع عامل فواخيري بدمشق

مُجرية اللقاء الدارسة: لمياء أنوا / دمشق.

المتحدث: ابراهيم الشربجي. من مواليد دمشق 1898. مكان الإقامة الحالية: شام، مهاجرين، شورى–فواخير. مكان أخذ الحديث: منزله ومكان عمله (سابقاً) بتاريخ 1988/3/15 ومهنته فواخيري.

كتبت الدارسة نقلا حرفياً عن المتحدث: [115]

كان أبي يشتغل "مئاء" و"شربات" و"شأف" (شقف) وورث هالشغلة من أبوه. وأنا لما كنت صغير كنت أشتغل مع أبي، وأول ما طلعت أعدت (قعدت) عند أبي، وكنت وديله (أنقل له)الشغل عالميدان والآعة والساحة وباب مصلى، وكنت أحمل الشغل عالحمار، أسأ الله هديك الأيام (كانت تلك الأيام حلوة) أبي ورثها من جدي وهو يغني: "وأدك (قدك) المياس يا عمري، أنت أحلى الناس في نظري، ولا تشوفوني بهالحالة، ألي كمر [حزام] ألي شاله، وأبي ورثها من جدي، وأدك (قدك) المياس يا عمري".

كل أخواتي تعلموا الفواخير وصاروا معلمين. كنا أنا وأخواتي نحب بعض، ونشتغل سوا مع أبي، بس أنا كنت ودي الشغل [أنقل مواد العمل] لأني أنا كنت الكبير، وكانت الحالة منيحة، أحسن من هلق، لأنو كنا عايشين سوا ببيت واحد، ناكل سوا وننام سوا، مو مثل هلق كل واحد قاعد ببيت لحاله.

---

[115] تركنا النص كما هو وكما نقلته الدارسة باللهجة العامية المحلية للفواخيري. ومن النص يمكن فهم مستوى هذا الفواخيري الطاعن في السن، وهو ينتظر رحمة ربه.

ما تعلمت غير هالشغلة. كنت أشتغل مئاء وشربات ومطامير وشأف (شقف) ، نشتغلهم على الدولاب، وكنت صوّل وأنبش و زء (زق) الشغل من جوا لـ برة، وبعدين نجيب المتعيشة [116] عالشغل، ونشوي الشغل ببيت التنور و نوئده (نوقده) من الظهر، ونزء (نزق) الوئيد (الوقيد) ، ونوئد (نوقد) التنور بالمعدّية، ونزء (نزق) الشغل عالمعدّية، ونحطه ببيت التنور نص النهار، ونشوي الشغل، بعدين نبيعه للمتعيشة، "أسأ الله هديك الأيام". كنت جيب الشغل من مطرح اسمه "العمارة". [117] جيب وئيد (وقيد) وحطب وأشكال وألوان والطراب (التراب). كنت جيب حمل الطراب (التراب) من المزة، الحمل كان بنص ليرة ذهب. كانوا يجيبولنا الحمل ويأخذوا حأه (حقه) ، "الله يرحم جدي"، هالكار[118] كان كار الزنكيل. [119]

كان يجي واحد يشتغل شراكة مع الشغل من عندنا يشتغل معنا، يعرك ويدوس وينبس ويطالع الشغل من بيت التنور.

" الله يرحم أمي".. وبكى.. كانت تجيب لي زوادة عالشغل. نشتغل من عبكرة (من الصباح) للظهر، وبعد الظهر نرد نبيع الشغل "اسأ لله هديك الأيام". أنا كنت حمّل الحمل وبيعه وجيب مصاري مجيديات.

وهو يغني: لا تشوفوني بهالحالة أواعي الفرمنشالة، ألي كّمّرْ والي شاله.

ما كنت أتخانأ (أتخانق) أنا والشغيّلة، كانوا كتير أوادم. (لطفاء) كنا نجيب الطراب (التراب) مثل ما قلت لك، ونحطه بالمِصْوَّل.

المِصول: عبارة عن حفرتين، كل واحد منهما 2 م بـ2 م. واحدة أعلى من الأخرى، والعليا فيها بالوعة كبيرة كي ينزل ماء الطين من الأولى حتى الثانية. "ونصول في الطراب ونحطه بعدين على جنب حتى ينشف شوي، وبعدين نساوي العركة ونفركها عالمعركة".

العركة: العجينة الطينية.

المعركة: عبارة عن حجر كبير مالس يوجد أمام دولاب العمل وتعجن قطعة الطين لتصبح جاهزة للعمل من ثم تعطى للذي يجلس على الدولاب كي يصنع منها عدة أشكال. "وبعدين نقسمها شأف (شقف) صغار ونشتغلها عالسنديان، يا [إما] مطمورة، يا [إما] شأفة (شقفة)، يا [إما] حئ (حق).

السنديان: دولاب العمل.

---

(116) الباحثون عن عمل .

(117) العمارة حي بُني خارج سور دمشق ملاصقا له من الشمال .

(118) الكار المهنة وماخوذة عن التركية

(119) الغني

"وبعدين من إيمها على جنب لتنشف،[120] بعدين منكون عمرنا الوئدة (الوقدة) ببيت التنور لحتى يحمى، وبعدين منفوت الشغل لينشوى ويصير جاهز. يغني "أدك (قدك) المياس يا عمري".

(أخذ سحبة من سيجارة) "كنا نأله (نقول له) الطم باشا، كنت خبي الدخان من أبي تحت العركة، كانوا بالأول أوادم وغفل".

"والله الجيران كانوا أوادم وكانوا يساعدوني، مثل أبو داوود وأبو محمد، ونسهر تعليلة بالبربأة، العدسة هيه مثل حكاية موأة ونسهر فيها ونحكي مثل هلأ (هلق) إنتو ما بتحكوا عن الفخار؟ (الفكرة غير مفهومة).

البربأة: عبارة عن فسحة أمام باب الفاخورة الخارجي حيث كان يوضع فيها الشغل حتى ينشف قبل إدخاله إلى التنور. "والشغل والبيع والشرة (الشراء)، اسأ الله هديك الأيام، كنا نروح نبيع الشغل بالغوطة كنا نخالطهم وناخد من عندهن أكل وشرب ويعزمونا لعندهن.

كنت أعطي للشغيلة وأت (وقت) العيد مصاري خرجية ليرتين، كانت الليرة تحكي،[121] نصرفها فراطة، يكوموا لي فراطة هالأد (هالقد).[122] كنت آخد وأية (أوقية) اللحمة بأرشين (بقرشين) من الزسر الأبيض (الجسر الأبيض) "اسأ الله هديك الأيام".

ونساوي حلو على إيدنا مثل حكاية الفطاير بأشطة (بقشطة)، اسأ الله هديك الأيام. أبي الله يرحمه كان يحب "السمبوسك".[123]

كنا نأرا (نقرأ) جريدة مثل يللي هلأ (هلق) بيأروها (بيقروها) وكانوا ياخدوها الأكابر، أبي الله يرحمه كان يأعد (يقعد) يأرا (يقرأ) الجريدة، هديك الأيام الجريدة مكتوبة أسامي زلم (رجال)، هادا يروح عالبلد، وهادا عالضيعة، وأسأ الله هديك الأيام.

كنا نروح على الأهوة (القهوة) بالزسر (الجسر) الأبيض ونشوف العالم، تأعد (تقعد) العالم فيها حكواتي وكركوز وعواظ، [124] وسندوء (صندوق) السمع. أيه الله يرحمهن".

ولما سألته عن الأحزاب قال بصوت عالي وحاد: "ما كان في أحزاب، كل واحد آعد (قاعد) بحاله، نمشي الحيط للحيط ونأول (نقول) يا ربي الستر.[125] نحنا مالنا أحزاب، كانوا الأحزاب بحالها، والله ما بعرف الحزب بدي أسأل عليه.

---

[120] نضعها جانبا حتى تجف.

[121] كان لليرة قيمة شرائية كبيرة قبل انهيار سعر العملة المتتالي.

[122] "هالقد": بهذا الحجم أو بهذه الكمية. تستخدم مع الاشارة باليدين للإيحاء بالكمية التي يتحدث عنها. (من وضع ح ح).

[123] السمبوسك أكلة من المعجنات محشوّة بالجوز والسكر وتقلى بالزيت الحار. وهي أكلة تحضّر بمناسبة أحد الأعياد المسيحية.

[124] بقصد خيال الظل حيث تلعب كدمى شخصيتا كركوز وعيوا أدوارا كان لها شعبية أثناء عرضها في المقاهي.

من الأول كنت أشتغل أنا وأخي، ما رحنا لمطرح، وخدمت العسكرية بالبلد بالصالحية".

" شو هاي النقابة؟ " وضحك ثم بكى.

تعليق الدارسة: هذا العامل الفقير يعيش الآن أيامه الأخيرة في بيت ابنه المتوفي وتحت رعاية زوجة ابنه وبناته اللواتي يأتين يومياً لخدمته وبالكاد يتعرف عليهن وعلى أولادهن.

12- الدارس النشيط سليمان مخول يستهلّ نشاطه البحثي بالكلمة الآتية:

قالوا: النفوس الأبية تبقى حية فينا وإن مات أصحابها. وقالوا أيضاً: تعب من رسم الطريق، وتعب أكثر من تلمسه وصنعه بيديه، وتعب أكثر وأكثر من رسمه وصنعه وناضل من أجل المحافظة عليه. فماذا نقول نحن لمن رسموا الطريق وتلمسوه بأيديهم وصنعوه بعرقهم وصبرهم وقوتهم، وناضلوا بشراسة وقدموا الكثير من الضحايا من أجل المحافظة عليه؟ ماذا نقول لهم وما زالوا أو ما زال قسم منهم بيننا يبتسم لنا بحب وحنان ونحن نقطف ثمار ما زرعه الأجداد؟ ماذا نقول لأجدادنا وقد عرفنا مقدار ما تعبوا من أجل راحتنا؟ لم أكن أدري أن لأجدادنا العمال صفحات مشرقة في كتاب التاريخ العربي، سواء أكان التاريخ القومي أو التاريخ الوطني بكل أبعاده السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

صحيح أن العودة إلى البعض من الأجداد هو الرجوع إلى الينابيع. وهو أحد الركائز الأساسية التاريخية. فبتوجيه من الاتحاد العام لنقابات العمال وبتكليف من أستاذي الكريم الدكتور عبدالله حنا، قمت بالرجوع إلى البعض من صانعي التاريخ كما قال، لأتصل ببعض العمال الحرفيين أو النقابيين القدامى في محافظة حمص، وألتقي بهم، وأدوّن ما أسمع منهم من تاريخ الحرفة أو الحركة العمالية بشكل عام، أو الحركة النقابية في القطر العربي السوري التي عاشوها أو عاشوا جزءاً منها.

في البداية وجدت العمل صعباً، ولم أعرف من أين وكيف أبدأ، كونه عملاً ميدانياً لأول مرة أقوم به من نوعه. وجدت نفسي متردداً، أقرب إلى الاعتذار، لكن! كون هذا العمل مهمة واجبة التنفيذ من جهة، والإحساس برغبة كبيرة في أن أدق أبواب بعض من صانعي التاريخ وأجلس معهم وأستمتع باحاديثهم الشيّقة عن أمجاد أجدادي من جهة أخرى.

ولكن الشيء الذي دفعني أكثر للقيام بالعمل دون تردد هو نوع المهمة. فالمهمة بحد ذاتها ثقة بنا، ثقة شعرت بها إلى حد يجب أن أكون أهلاً لها. وهكذا قمت بسرعة وذهبت لاتحاد العمال في مدينة حمص لأبدأ بمهمتي وأحصل على دليل عمل.

---

[125] "نمشي الحيط الحيط ونقول يا رب السترة": أي ليس لنا أي علاقات مشبوهة أو تصرفات قد تكون ممنوعة من قبل الجهات المسؤولة. وتستخدم في سياق تبرأة النفس من أمر قد تكون عواقبه غير محمودة. (من وضع ح ح).

وفعلاً قابلت الرفيق رئيس الاتحاد، ورحب بي أشد الترحيب، وأعجب بالعمل كثيراً بعد أن شرحت له ما أنا مكلّف به، ثم أرشدني إلى أمين الشؤون التنظيمية، وفعلاً قابلته، والرفيق المذكور قدم لي كل عون ومساعدة، واعطاني أسماء كثيرة من الحرفيين والنقابيين القدامى الذين ساهموا في النضالين الوطني والمطلبي ضد الاستعمار والحكومات الوطنية الرجعية وأصحاب رؤوس الأموال والشركات الاحتكارية، كما أرشدني على عناوين البعض منهم. ثم قابلت الرفيق أمين الثقافة والإعلام الذي أُعجب بالفكرة وشجعني على العمل، بل صوّر لي حلاوة هذا العمل الميداني، وقال لي بما معناه: "أجمل ما في عملك صعوبته، إنه يحتاج إلى جرأة لامتناهية بالإضافة إلى الأسلوب في المحادثة". وقال لي: "إن المهم أن يكون من تقابله يعي كيف كانت تجري الأمور، ويمكنه تحليل ذلك الواقع، ويكون صريحاً، وتعرف أنت أن تميز الصدق والمبالغة فيما يقول"، وقال: "إنْتَ وشطارتك"! قلت له: "بل أنا وحظي". وغادرت الاتحاد ولديّ تصور واضح عن دقائق العمل الذي أقوم به.

لا أعلم بماذا أنهي موضوعي هذا الذي دام فترة لا بأس بها وأنا أبحث عن الحرفيين والنقابيين وألتقي معهم. صحيح أنه كان عملاً مجهداً، لكن جماله أنساني تعبه. الحقيقة وبدون مجاملة أحببت هذا العمل كثيراً، وتمنيت بشدة أن يكون معطى لي أو أن أكون مكلفاً به منذ بداية الدورة لأعطيته حقه. وجلبت من المعلومات بما يكفي. الوثائق مرفقة بهذا البحث لعلها تؤدي الغرض. في نهاية كلامي لا بد من الإشارة إلى أن:

- الموضوع أو هذا البحث اعتمدت فيه على الوقائع وليس على التعابير، وربما وردت بعض التعابير اللفظية أو النحوية خطأ فأنا أعتذر، لأن غايتي إبراز الحقائق وليس إبراز البراعة الأدبية واللغوية.
- لم أشأ تحليل ما قاله المحدثون وبيان صحة أقوالهم، وذلك يعود إلى عدم معرفتي بتاريخ الحركة العمالية ودقائقها إلا من خلال ما قرأناه في الكتب، وهذا غير كاف لتحليل وبيان صدق ما يقولون، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى تجربتي بالتحليل متواضعة لأن معلوماتي كما قلت متواضعة وأترك هذا لأستاذي الكريم.

أهم ما في الأمر: أرجو تكليفي بأي عمل ترونه مناسباً في هذا المجال، وأرجو أن أكون على صلة معكم، لأني أحب البحث وأحب الكتابة، وبكلمة مختصرة (أحب هذا العمل). وذلك في حال وجدتم فائدة من خلال بحثي أو وجدتم أني أهل لهذا التكليف.

عنواني: حمص، الشركة السورية للطرق. هاتف: 35942 أو 30186.

مرة أخرى أشكر أستاذي الكريم على الثقة التي منحني إياها واهتم وأشرف على عملي.

حمص في 1987/7/10

سليمان مخول

* * *

أجرى الدارس سليمان مخول أربع لقاءات (دراسات)، ننقلها متتالية مبتدئين بنموذجين من النقابيين:

- **النموذج الأول:** قائد نقابي تأثر بالأفكار اليمينية في الأربعينات، وحالياً ترك العمل النقابي، وهو شفيق الشيخ فتوح.
- **النموذج الثاني:** نقابي متأثر بالأفكار التقدمية، ويعمل بتاريخ لقاء مخول به موظفاً عادياً في اتحاد نقابات حمص، وهو جميل الشيخ عثمان.

13- شفيق الشيخ فتوح: من نسّاج إلى قائد نقابي "يميني" يمسك العصا من منتصفها إلى موظف في شركة نفط العراق، فمتقاعد مُنْعَمْ

مُجري اللقاء الدارس: سليمان مخول.

كتب الدارس:

ذهبت إليه بعد أن حصلت على عنوانه مفصلاً من اتحاد عمال حمص. وجدته هادئاً متزناً. رحّب بي أشد ترحيب واستقبلني وأغلق دكانه (يعمل حالياً بعد أن تقاعد في بقاليته بالغوطة) وأدخلني منزله، خاصة بعد أن عرف أني مندوب اتحاد العمال. وبيّنت له غرضي وعلى أني صحفي، نقوم أنا ورفاقي الصحفيون بإعادة تاريخ الحركة العمالية من جديد من الينابيع الأصلية، وهم الينابيع الأصلية كما بينت له. أحسسته بأننا عدد من الصحفيين تلقينا مهمات كل واحد منا يذهب إلى محافظة ويتقصى أخبار الحركة النقابية، هكذا دخلت معه بالموضوع.

اهتم كثيراً، وعرف أن الاتحاد العام يهتم بأمثاله، واعتبر لقائي معه هذا كأنه حكيم نعود إليه لاستشارته ببعض الأمور، وبعد أن مدحته حتى أنه أعطى لموضوعي أهميته القصوى في نفسه، واعتبره عملاً جليلاً كبيراً يساهم به، وينزل اسمه في كتب التاريخ. وانفرجت أساريره عندها واطمأن إليّ خاصة بعد أن أعطيته وعدا بألا أكتب إلا ما يمليه عليّ ويريد أن أكتبه.

كما أني قلت له: "يا عم، السؤال الذي لا ترغب الإجابة عليه أرجو أن تقول لي فوراً: لا أحب، وأنا أغيّر فورا السؤال. لكن أرجوك لا تلف على السؤال، وغرضي في ذلك كتابة ما هو صحيح وموثّق، وليس إدانتك لا سمح الله". نظر إليّ نظرة قريبة إلى الإشفاق، وقال: "والله يا ابني سأحدثك بكل صدق ولو كان صدقي يؤدي في إلى نهايتي، لأني صرت على حافة قبري. ولماذا أُضللك أو أكذب عليك يا ابني، شبعنا كذب على حالنا، وأنا لدي وثائق طُلبت مني كثيراً، وطُلب مني صور عنها ورفضت. أما أنت أراك متحمساً كثيراً وجاداً في موضوعك، سأقوم بتزويدك بكافة المعلومات عن النضال العمالي والحركة النقابية، ليس في نقابتنا أو محافظتنا فقط، بل على

مستوى القطر كله". قلت له: "متى ومن أين نبدأ؟" أجاب: "متى تريد ومن أين تريد؟" قلت له: "ممكن الآن؟" قال: "تفضل واسأل ما تريد".

وبدأ حديثه على النحو الآتي:

قال: "قبل البدء بأي كلام، أشكر الاتحاد العام لنقابات العمال على هذه اللفتة الكريمة منه، وهذه المبادرة والتي تعتبر بحق من إنجازات الاتحاد العام ونضال حقيقي. نعم إنه نضال حقيقي في أن تعودوا إلى الوراء لنعرف ماذا عمل أجدادنا، وبماذا أخطأوا، وكيف نعمل الآن، ونستفيد من الأخطاء السابقة. أرجو أن تنقل تحياتي إلى جميع العاملين في هذا المضمار وأنا بين يديك، اسأل ما تشاء".

- سؤال: من هو شفيق الشيخ فتوح؟

"أنا من مواليد مدينة حمص عام 1920، والدي إبراهيم، كنا نسكن في بيت متواضع في حي باب السباع، أنا الابن الأكبر لوالدي.

تعلمت المرحلة الابتدائية في مدرسة الاستقلال في باب السباع، وكان اسمها المدرسة الخيرية، وهي واحدة من المدارس القليلة التابعة للدولة في ذلك الوقت. أنهيت المرحلة الابتدائية في عام 1933. في نفس العام توفي والدي وأصبحت أنا المسؤول الأول عن العائلة.

عمي المحامي كان مزارعاً، وهاجر إلى قرية القصير وعاش هناك، وله أولاد هناك، وتوفي هناك، واسمه عبد الرحمن. عمي الثاني مصطفى، كان مزارعاً، وله ولد واحد في المهجر.

أما عن أخوتي جميعهم أصغر مني سناً وهم على التوالي:

- عزت: عمره حوالي 65 عاماً. كان يعمل بمهنة نحّاس، وبعدها اشتغل في شركة نفط العراق التي أصبحت اسمها بعد التأميم "الشركة السورية لنقل النفط الخام"، وما زال على قيد الحياة، طبعا تقاعد من الشركة.
- محمد: عمل في البداية في مهنة النسيج اليدوي عامل نسُاج، ثم وظفناه مع أخيه في شركة نفط العراق، وحاليا متقاعد، وعمره 63 سنة.
- سيف الدين: عمره حوال 56 سنة. يعمل في شركة سكر حمص، ولا زال.

تزوجت عام 1950 من زكية سويد، مواليد 1934. متعلمة. ست بيت (لا تشتغل) . وسكنت مع العائلة حتى عام 1983 حتى استلمت بيتي هذا من الجمعية. الدار كانت بباب السباع، شارع الشيخ سعد، وهي عبارة عن دار عربية مؤلفة من عدة غرف عشنا بها أنا وأخوتي ووالدتي التي توفيت عام 1973. لي أختان تزوجتا. أي كنا نقطن في هذه الدار حوالي ثلاثين شخصاً. وكنا مبسوطين والحالة المالية يعني ساترها الله. لي تسعة أولاد، ثلاثة ذكور وست بنات، وهم:

- إبراهيم: مواليد 1953 يحمل شهادة الدراسة الثانوية، موظف في مالية حمص وعازب.
- عبد العليم: مواليد 1955 صف تاسع موظف في شركة توسيع المصفاة في مهنة لحام كهرباء (شركة تشيكية).
- عبد المنعم: مواليد 1960 صف تاسع غير موظف عازب.
- ناديا: مواليد 1951 معلمة متزوجة من نزار شاهرلي- موظف في مديرية أوقاف حمص يحمل الشهادة الإعدادية.
- وفاء: مواليد 1959 معلمة متزوجة من أيمن السقا موظف في جامعة البعث شهادته معهد متوسط.
- سناء: مواليد 1962 معلمة عازبة.
- هدى: مواليد 1963 معلمة متزوجة من توفيق كروما معهد متوسط تدريسي- معلم.
- نجوى: مواليد 1965 معلمة عازلة.

حالتي المادية حالياً جيدة والحمد الله، وعندي بقالية، الحقيقة هي ليست للربح أكثر من كونها لتقضية الوقت، ولي راتب تقاعدي يكفيني ويزيد.

هذه صورة مفصلة عن كل حياتي منذ ولادتي حتى الآن. من ناحية تعليمي نسيت أن أقول أنه لو لا وفاة الوالد لتابعت دراستي بالرغم من ضيق الحال وكنت من المتفوقين. وأساتذتي تعلقوا بي كثيراً و شجعوني على متابعة الدراسة".

وجواباً على سؤالي عن المدارس الموجودة بحمص أجاب:

"كان يوجد في مدينة حمص عدد لا بأس به من المدارس الابتدائية الخاصة والعامة للدولة. أما الإعدادية والثانوية أذكر أنه كان ثلاث مدارس. التجهيز (باب المسدود)، ومدرسة الانكليز/الإنجيلية حالياً بباب السباع، ومدرسة الغسانية على ما أظن.

أما عن الثقافة لأولاد الفقراء والذين لا تسمح لهم الظروف للدراسة كان هناك شبه مدارس، وليست مدارس، يعني كان واحد يسجل طلاب عنده في البيت ويعلمهم القرآن الكريم، كان اسمهم الكُتّاب، وكانوا يقتنعون بكل شيء أجور تدريب الطلاب".

ولدى سؤالي عن المهنة التي تعلمها وكيف صار نقابياً، أجاب: "أول عمل قمت به، كان يوجد معمل نسيج آلي في حمص (ظهر المغارة) وصاحبه عبد الكريم الحسيني. ذهبت إليه وعملت عنده بأجرة قدرها 22 قرشاً في اليوم. وبعد أن تعلمت المهنة -أي بعد سنتين من دخولي إلى المعمل أي في عام 1936- أصبحت أشتغل على القطعة بمهنة عامل (نسّاج)، وكنت آخذ على كل متر 3،5 ق.س، وكنت أشتغل تقريباً بحدود 25-30 متر في اليوم، وعدد ساعات العمل كان يصل أحياناً إلى 16 ساعة، أي كانت أجرتي اليومية حوالي ليرة سورية واحدة. وهذه الأجرة كانت تكفينا أنا ووالدتي وأخواتي ونوفر قسم لابأس به في الشهر، مثال: كان رطل الطحين بـ 5 قروش

وكيلو اللحمة بحدود 30 ق.س. في عام 1938 تأسس في الحارة معمل للنسيج لأبو الخير المصري، ونظراً للجيري (أي الجيرة) طلب مني أن أشتغل عنده. انتقلت إلى معمله بنفس المهنة وبراتب 20 ل.س بالشهر، ثم ترقيت وأصبحت رئيس قسم الميكانيك في المعمل، وزاد راتبي حتى 25 ل.س، طبعاً بعد عدة سنوات. وبقيت عنده حتى عام 1947، وهو نفس عام تفرغي للعمل النقابي. طبعاً في هذا العام سُرّحت من العمل كوني أعمل بالنقابات، وأخذني الاتحاد على عاتقه وأعطاني نفس راتب المعمل طيلة وجودي بالعمل النقابي، أي حتى عام 1957. المعمل كان عبارة عن خمس ماكينات يعمل فيها على ورديتين من 20-30 عامل. كان فيهم الملقّي، المسدّي، النسّاج، عامل لفافة المواسير، الميكانيكي الخ... الحقيقة كان العمل قاسياً، وأقسى منه المعاملة السيئة التي كنا نتلقاها من صاحب المعمل، وكان حقناً مهضوماً، وساعات عمل طويلة، وشروط عمل قاسية، وأجور قليلة. عند هذا الواقع فكرنا بتأسيس نقابة من أجل الدفاع عن مصالحنا. الفكرة لم ترد من ذاتنا، بل وردتنا من زملاء لنا أكبر منا بالسن والمصلحة، أمثال جميل كاخي الذي أصله تركماني وقطن في حمص، ومطيع شمس الدين، ومطيع الحبال، وبدر الدين بدر الذين كانوا يعملون في معامل نسيج آلية لبيت عوف وبيت السمان، وهم كذلك وردتهم الفكرة من النقابات المجاورة، ونقابة النسيج الآلي في كل من دمشق وحلب".

قبل أن ندخل في تشكيل نقابتكم، أرجو توضيح النضالات العمالية في الثلاثينات أو حتى في العشرينات كما سمعتها من رفاق أكبر منك. أجاب: "الحقيقة حتى عام 1938 لم يكن هناك نقابات بالمعنى الحقيقي والمنظم، وإذا كنت صريحاً معك أنه حتى الاستقلال لم يظهر من نشاط نقابي بشكل جدي والسبب يعود إلى إن أصحاب المعامل والعمال يجدون نفسهم في نفس الخندق في صراعهم مع الاستعمار الفرنسي ومقارعتهم له سواء عن طريق الصدام المسلح أو عن طريق الإضرابات ومحاربة البضائع الأجنبية، أي أنه لا يمكن القول أن النضال العمالي كان مفصولاً عن النضال للتحرر الوطني من سيطرة الاستعمار. كنا نلاحظ بعض الإضرابات العمالية هنا وهناك لكنها كانت تذوب فوراً عندما يرد خطر الاستعمار.

لم يكن هناك صناعات كبيرة مثل اليوم لتجمع عدداً كبيراً من العمال حتى يفكرون في الإضراب ويكون مسموعاً أو معروفاً. كانت المشاكل تحتدم وتحتقن بين العمال وأرباب العمل ونحن لا نسمع بها لكونها صغيرة أولاً، وكونها تُحل بالطرق القمعية عن طريق (سلطات) الانتداب ثانياً. عندما يحدث إضراب، كان لأصحاب العمل نفوذ يجلب دورية من الشرطة ويأخذون عامل واحد إلى السجن، ويتحول الإضراب عن هدفه ويصبح المطالبة فقط بالإفراج عن رفيقهم المسجون مقابل التخلي عن المطاليب التي خرجوا من أجلها، أي أن الخلافات بين العمال وأرباب العمل كانت دوماً تحل على حساب العمال ولصالح أرباب العمل.

لم يكن هناك قوانين تحمي العامل والعمل أو تسمح بتشكيل نقابات. كانت العلاقات العثمانية والعرف والعادة هي السائدة في ذلك الوقت. كانت "بوسة الإيد"، والاعتذار من المعلم، وأخذ الجاه و "ما عاد يعيدا واسمحلو هالمرة وأنا بكفلو"، وفركة الأذن، إلى ما هناك من هذه الأساليب التي كانت سائدة وقتها. حتى رب

العمل إذا كان طيباً وكانت معاملته حسنة –طبعا إلى حد– للعمال، كان يُحارب من قبل أرباب العمل [الآخرين] بشدة، ولا يتركونه كما هو، بل فوراً يعكسونه ليصير مثلهم.

كانوا يقولون مثلاً لرب عمل يحسن معاملة عماله: "مالك يا فلان، ألست رجلاً"، هيك بتترك العمال يطمعون فيك، يا أخي بطمعون فيك معليش، بس نحنا ماذا نقول لعمالنا، إنت عم تحاربنا لأنك تثير علينا عمالنا! ما خرجك تكون صاحب معمل ولا صاحب مصلحة". وهكذا دائماً يسعون لأن يكون مثلهم، والحقيقة يصبح مثلهم، إلا قلة قليلة ونادرة أحياناً".

هناك سؤال آخر عن الثلاثينات، هل كان هناك أحزاب في تلك الفترة؟ وما كان دورها؟ وما هي علاقتها بالطبقة العاملة؟

"الحقيقة القضية كانت تتعدى الواقع بل تتعدى الخيال، وكان المستعمرون الأجانب يحاولون دب الرعب والهيمنة في نفس كل منا، سواء عن طريقهم مباشرة أو عن طريق من يعتمدون عليه. والانتهازيون في بلدنا كانوا كُثر، أغلبهم الإقطاعيون والذين يخافون على مصالحهم من التجار السماسرة. كانوا يبيعون الوطن إلى فرنسا مقابل الشيء البسيط من السلطات والصلاحيات وعلى من؟ على أبناء شعبهم ووطنهم.

الحقيقة كنت في بداية شبابي أسمع بثورات هنا وهناك، أسمع بثورات بالشام وبحلب وبحمص، الحقيقة كان الثوار أغلبهم من أبناء طبقتنا العمال والفلاحون من الريف. كان في حمص عدة أحزاب، منها حزب الشعب، الكتلة الوطنية، الحزب الشيوعي، الحزب القومي، عصبة العمل، الحزب الوطني السوري، الإصلاح، الاتحاد الوطني. كل هذه الأحزاب كانت وطنية غايتها هي التحرر من الاستعمار الفرنسي، وكل هذه الأحزاب كانت جدية، وأغلب قادتها كانت تشارك الثوار ضد فرنسا أو حتى كان شرط كل من يدخل مثل هذه الأحزاب يجب أن يكون ضد فرنسا ومستعد للعمل في أي وقت ضد فرنسا مهما كان الثمن.

قادة الأحزاب أنفسهم كانوا جميعهم متفقين بأنه يجب التخلص من الاستعمار بأي شكل، وكانوا يدعون إلى الاستقلال. حتى كان العمال في النهار يشتغلون بالورشات وبالليل يقاتلون مع الثوار، وكان البعض من أرباب العمل يقاتلون أيضاً مع الثوار.

لنعد إلى حديثنا كيف شكلت النقابة. قلنا أن الفكرة وردت من إخوان أكبر منا سناً. لم يكن هناك قانون عمل في تلك الفترة أي في بداية الأربعينات. كان يوجد مرسوماً اشتراعياً صادراً عن المفوض السامي، والقاضي بتشكيل نقابات، حيث كان بموجب هذا المرسوم الاشتراعي يجتمع المؤسسون ويتقدمون بطلب ترخيص لتشكيل النقابة. وفعلاً دُعيت إلى بيت أحد الزملاء، وكان الحاضرون أكثر من 50-60 شخصاً، وكان الاجتماع –الله أعلم– ببيت علاء الدين السباعي. وهناك تناقشنا من أجل تشكيل نقابة، ووضعنا الأسس والأهداف لها، ورفعنا

طلباً موقعاً من الهيئة من أجل ترخيص النقابة، ومن ثم قمنا بانتخاب مكتب مؤقت يتولى أمور التشكيل مؤلف من السادة:

- جميل كاخي: رئيساً.
- مطيع الحبال: عضواً وأمين صندوق.
- مطيع شمس الدين: عضواً و أمين سر.
- علاء الدين السباعي: عضواً ونائبا للرئيس.

وهكذا تمّ تشكيل النقابة في عام 1943. وعندي صورة عن قرار الترخيص، وكذلك صورة عن هويات النقابيين. كان أعضاء مكتب النقابة 12 عضواً ينتخبون لمدة سنة واحدة. في السنة الثانية، نصفهم يقدم استقالته وينتخب بدلاً عنهم، والذي لا يرغب بتقديم الاستقالة يتم بالقرعة إقالته من النقابة ويتم انتخابه من قبل الهيئة. وبالنسبة لنقابتنا، تم انتخاب نصف أعضاء المكتب، وكنت أنا من جملة أعضاء المكتب، واستلمت رئيس النقابة بدلاً عن جميل كاخي. كان يُنتقى المرشح عندما يكون قادراً على متابعة النضال للحركة العمالية، والعمال لم يكونوا متأثرين بأي مفاهيم إلا المفاهيم التي تخدم مصالحهم في انتخاب عضو النقابة. أي أن الأحزاب لا تتدخل، ولا اعتبارات للأمور العشائرية أو الطائفية أو غير ذلك. كنا في مكتب النقابة ندرس أوضاع العمال من النواحي الصحية أولاً، ثم المعاشية ثانياً، وبعدها الاجتماعية. وكنا دائماً نطالب أرباب العمل بدفع أجور للعمال أيام الإضراب. والإضراب لم يكن فردياً على مستوى معمل واحد أو ورشة واحدة. كان إضراباً منظما يضم جميع العمال المنتسبين للنقابة. كان الإضراب دائماً إما من أجل زيادة أجور العمال أو خفض ساعات العمل. الحقيقة بين عامي 1944-1945 كنا نحارب نحن العمال على ثلاث جبهات: الأولى: ضد الاستعمار الفرنسي، والثانية: ضد الحكومة الرجعية التي صنعها ويدعمها الاستعمار، والثالثة: ضد أرباب العمل من أجل المطالبة لتأمين البعض من حقوق العمال.

في عام 1945 دُعينا من أجل حضور المؤتمر التأسيسي لاتحاد نقابات العمال العالمي، وكان يومها السيد صبحي الخطيب رئيس اتحاد عمال سوريا. وقد ذهب مع الوفد السوري من حمص إلى مؤتمر اتحاد نقابات العمال العالمي السيد جميل عثمان من نقابة المطاعم والفنادق ممثلاً عن العمال. بعد عودة الوفد من المؤتمر تمت المطالبة بعقد مؤتمر لاتحاد العمال في سوريا. وكان على رأس المطالب إصدار تشريع عمالي في القطر. وحضر المؤتمر في الجلسة الختامية فارس بيك الخوري آنذاك، ووعد بوضع مشروع قانون عمل. كما حضر المؤتمر مصطفى العريس كمندوب عن اتحاد العمال العالمي، وهو من لبنان. كان المؤتمر التأسيسي لاتحاد العمال العالمي، انتخبه كممثل عن الشرق الأوسط بأغلبية ساحقة.

وفعلاً تم وضع مشروع قانون عمل، وقدم للبرلمان من أجل إقراره، لكنه فُقد اثناء العدوان على البرلمان في 29 أيار.

ثم عُقد المؤتمر السادس للاتحاد العام في سوريا في أيار عام 1946. حضره وزير الاقتصاد الوطني خالد العظم. وبنهاية المؤتمر قمنا بمظاهرة من جامعة دمشق إلى مبنى البرلمان، وقدمنا المطالب إلى البرلمان، وكان أهمها ضرورة وضع تشريع عمالي يؤمن حقوق العمال والطبقة العاملة. وفعلاً، ونتيجة لنضال الطبقة العاملة، وبعد الاستقلال، تمكنا من إلزام الحكومة بوضع القانون، وفعلاً صدر قانون العمل 279 لعام 1946. ببساطة يمكن القول أنه قبل الاستقلال وبموجب المراسيم الاشتراعية التي كانت تصدر عن المندوب السامي الفرنسي، فقد كان يحق للمحافظ ترخيص تشكيل النقابات، وكان فعلاً يتم ذلك. وبعد الاستقلال أصبح النضال مشتركاً بين عمال القطر ككل، من أجل إصدار قانون يحل محل المراسيم الاشتراعية، وذلك لينظم عمل النقابات ويصون حرية العمل النقابي. وفعلاً في 13 حزيران 1946 صدر القانون الذي يضم 255 مادة بإحدى وعشرين فصلاً".

- الباب الأول: يضم تسعة فصول و80 مادة في التجديد ونقابات المهن وتشكيلها وإدارتها، وهيئات النقابات العامة، وأحكام مختلفة تتعلق بالنقابات وفي اتحاد النقابات وفي لجان المهن المختلفة والمجلس التحكيمي الأعلى.
- الباب الثاني: يضم اثنا عشر فصلاً و 170 مادة تبحث في عقد العمل وتشغيل النساء والمراهقين وأوقات العمل والأجور وتسريح العمال والإضراب وطوارئ العمل (أول وثاني) ومكاتب الاستخدام (أول وثاني) وأحكام متفرقة وتفتيش العمل والعقوبات.

وهذا القانون وُقّع من قبل رئيس الجمهورية شكري القوتلي، ورئيس الوزارة ووزير الخارجية سعدالله الجابري، ووزير الأشغال العامة ميخائيل الياس، ووزير المعارف أحمد الشرباتي، ووزير الدفاع الوطني نبيه العظمة، ووزير الاقتصاد الوطني والعدلية خالد العظم، ووزير المالية إدمون الحمصي، وأخيراً وزير الداخلية صبري العسلي. هذا القانون في مادته 254 ألغى القرارات والمراسيم التالية:

- المرسوم الاشتراعي رقم 152 لعام 1935 المتعلق بنقابات المهن.
- المرسوم الاشتراعي رقم 32 لعام 1936 المتعلق بالأحداث والنساء.
- المرسوم الاشتراعي رقم 268 لعام 1942 المتعلق بتجديد الأجور.
- المرسوم الاشتراعي رقم 137 لغام 1943 المتعلق بتسريح العمال ما عدا المادة 161 منه.
- المرسوم الاشتراعي رقم 48 لعام 1943 بمكاتب الاستخدام.
- قرار المندوب العام 104 لعام 1943 المتعلق بطوارئ العمل.

وبعد القانون صدرت القرارات والمراسيم التالية:

- المرسوم رقم 816 لعام 1947 حول النسب المئوية للعجز الدائم قانون ملحق رقم 2.
- المرسوم رقم 357 لعام 1948 حول أصول المحاكمات أمام مجلس المحكمين الأعلى (الاستئناف وشروطه).

- المرسوم رقم 2459 لعام 1948 حول تحديد أمراض المهنة.
- المرسوم رقم 1195 لعام 1948 حول تحديد ساعات العمل.

وبقي نافذاً تعليمات وزارة الصحة والإسعاف العام للمعامل بموجب النظام الصحي الصادر بالمرسوم 382 تاريخ 1946/4/2 والمرسوم رقم 382 نشر في العدد 17 بالجريدة الرسمية الصادرة في 1946/4/5.

ملاحظة الدارس: هذه الأرقام السابقة نُقِلت من قانون العمل 279 ومن بعض الوثائق الأخرى، ولم يكن مجال لتصويرها.

قال محدثي: "أهم ما في الأمر بأن القانون وإن كان قاصراً عن تحقيق كامل الأهداف وتطلعات الطبقة العاملة، إلا أنه كان تتويجاً للنضال العمالي. وكان أهم ما في القانون ما يتعلق بلجان المهن المختلطة. وأرجو ولو استبقت الأمور قليلاً لا بد أن أشير إلى هذه اللجان ودورها على ضوء القانون، وماذا كنا نعمل مستندين إليها.

المادة تقول: تشكل لجان المهن المختلطة على الصورة الآتية:

1- قاضي من العدلية: رئيساً.
2- مندوب عن الاقتصاد الوطني: عضواً.
3- مندوب عن شؤون العمل والعمال: عضواً.
4- ممثل عن العمال: عضواً.
5- ممثل عن أرباب العمل: [عضواً].

وكنت بموجب هذه المادة ممثلاً عن العمال، وكان لقرارات هذه اللجنة الصفة القضائية حيث كانت تختص في النظر بالخلافات التي قد تنشأ بين أرباب العمل والعمال. كانت قراراتها مبرمة قطعية وملزمة التنفيذ إذا صدرت بالأغلبية الساحقة أو بالإجماع، وقابلة للاستئناف إذا صدر القرار بالأكثرية إلى مجلس التحكيم الأعلى ومركزه دمشق. كذلك المجلس يتكون من:

1- مستشار في محكمة النقض: رئيساً.
2- قاضي من وزارة العدل: عضواً.
3- ممثل عن الاقتصاد الوطني: عضواً.
4- ممثل عن شؤون العمل والعمال: عضواً.
5- ممثل عن أرباب العمل: عضواً.
6- ممثل عن العمال: عضواً.

وكنت أنا ممثلا عن العمال كملازم للأصيل ولست أصيلاً.

- هل قامت اللجنة بعمل لصالح العمال على أيامكم؟

"طبعاً أخذت اللجنة قرارات كثيرة لصالح العمال، في حال كان معهم حق. وأؤكد لك حادثة بارزة قمنا بها كلجنة:

في عام 1947، وفي شركة نفط العراق، كانت أجور عمال الفئة الدنيا 1.57 ق.س في اليوم في محطات سوريا، بينما كانت أجور نفس الفئة لعمال نفس الشركة في محطات لبنان 3.50 ق.س. فكان العمال السوريون يطالبون الشركة بتساوي أجور عمال الفئة الدنيا في سوريا ولبنان طالما أن الشركة هي نفسها. وكوني كنت أشغل وظيفة رئيس اتحاد عمال حمص، جاء رئيس نقابة عمال شركة نفط العراق، وكان نائب رئيس الاتحاد، أي كنا نترك وظيفة نائب رئيس اتحاد عمال حمص دائماً لنقابة شركة نفط العراق وذلك من أجل رفع معنويات عمال النفط أمام رب عمل أجنبي. قلت لرئيس النقابة تقدموا بطلب إلى الشركة وانتظروا أسبوعاً، ثم تقدموا بطلب آخر وانتظروا أسبوعا آخراً، وإذا لم يرد جواب أو ورد بالنفي من قبل الشركة بعدم مساواة الأجور لعمال الفئة الدنيا بسوريا ولبنان قدّموا استدعاء إلى لجنة المهن المختلطة. وفعلاً تقدم المذكور بطلب إلى الشركة، ورفضت تنفيذ مطالب النقابة حول تساوي الأجور، وقدم شكوى إلى اللجنة. واللجنة خلال ثلاث جلسات فقط صدر قرارها بالإجماع لصالح العمال وإلزام الشركة (شركة نفط العراق) بتساوي الأجور. ونظراً لأهمية الشركة وسيطرتها ونفوذها الكبير قدّمت استئنافاً لمجلس التحكيم الأعلى بالرغم من عدم أحقيتها في تقديم الاستئناف كون القرار صدر بالإجماع، ولكن بالرغم من قبول المجلس للاستئناف رد طلب الشركة مضموناً، وصدق قرار اللجنة، وكان هذا أكبر مكسب عمالي في ذلك التاريخ".

- ماذا كان في أيديكم في حال امتنعت الشركة عن تنفيذ القرار؟

"كان بيدنا الكثير، أكثر من اليوم. كان لنا الحق في الإضراب والاعتصام، وكنا نرغم الشركة أو أي مؤسسة على تنفيذ ليس قرارات اللجنة بل قرارات اتحاد النقابات".

- أتتذكر من كان ممثل أرباب العمل أو أسماء رئيس وأعضاء لجنة المهن المختلطة في وقتها؟

"كان:

- رئيس اللجنة من العدلية: لم يكن ثابتاً.
- ممثل عن الاقتصاد الوطني: بدر الدين الحسامي.
- ممثل عن شؤون العمل والعمال: كمال الخوري، بصفته مدير عمل.
- ممثل عن العمال: كنت أنا بصفتي رئيس اتحاد عمال حمص (وليس شرط).
- ممثل عن أرباب العمل: سعيد عوف.
- كان مندوب شركة نفط العراق: في ذلك الوقت المحامي نعيم الأنطاكي.

- وكان مدير الشركة بحمص: فاروق شعبان".

– لنعود إلى موضوع القانون 279 وتشكيل النقابات على ضوء ذلك. هل يمكن؟

"طبعاً. بعد صدور قانون 279 بدأ العمل على تنظيم الحركة النقابية على ضوء القانون وتشكيل النقابات من جديد. وفعلاً تم إعادة تشكيل اتحاد عمال حمص على ضوء القانون في أواخر عام 1946، وتم انتخاب أول اتحاد عمال من النقابات التالية (لدي لائحة بأسماء ممثلي النقابات في حمص) أي أني لا أذكر، لأن النقابات كثر ولكل نقابة كان لها ثلاثة مندوبين. أما عن أعضاء مكتب الاتحاد بعد القانون عددهم تسعة:

- محمد رفيق الحاج يونس: رئيساً.
- شفيق الشيخ فتوح: أمين السر.
- عزت الشيخ فتوح: عضواً.
- عبد القادر اللبطاني: عضواً.
- خليل حجازي: عضواً.

وكانت الدورة الانتخابية عاماً واحداً. وقد استلمت أنا رئيس الاتحاد في المحافظة في الدورة الثانية، أي في أواخر عام 1947. وخلال عام 1947 بدأنا بتأسيس الاتحاد العام، أو بالأحرى إعادة تنظيمه على ضوء القانون 279، وذلك بعد المزيد من الاتصالات واللقاءات من خلال اتحادات المحافظات. وفعلاً في نفس العام تم عقد الاجتماع الأول التأسيسي على ضوء القانون 279 في بناية الاتحاد بمحلة القنوات بدمشق، وأذكر أن هذا الاجتماع ضم حوالي 50 عضواً أذكر من بينهم السادة:

السيد صبحي الخطيب (دمشق) رئيس الاتحاد السابق قبل صدور القانون، وقد أعيد انتخابه رئيسا للاتحاد الجديد.

- السيد رشدي الشيخة من دمشق.
- السيد مصطفى جلب من حلب.
- السيد شفيق شيخ فتوح من حمص.
- السيد محمد رفيق الحاج يونس من حمص.
- السيد خير العمري من حماة.
- السيد حامد عجيب من حمص.
- السيد سالم جحا من حلب.
- السيد عبد الرزاق نبض من حلب.
- السيد ابراهيم البكري من دمشق.
- السيد زكي الصوان من دمشق.

- السيد ابراهيم جهماني من درعا.
- السيد خليل حجازي من حمص.
- السيد عزت الشيخ فتوح من حمص.
- السيد أحمد الحايك من حمص".

- هل يمكنني معرفة عدد وأسماء النقابات في مدينة حمص في ذلك الوقت؟

"أذكر أنه تمّ تشكيل اتحاد عمال حمص على ضوء القانون، أي كان عدد أعضاء النقابات الذين أرسلوا مندوبين عنهم حوالي 20 نقابة، وقد أصبح عدد النقابات في عام 1947 حوالي 29 نقابة أذكر منهم:

- نقابة عمال النسيج الآلي: رئيسها شفيق الشيخ فتوح.
- نقابة عمال شركة نفط العراق: رئيسها عبد المعطي السباعي أو هلال رزق سلوم.
- نقابة عمال المقاهي: جميل عثمان أو حامد عجيب.
- نقابة عمال المطاعم والملاهي والفنادق: جميل عثمان أو عبد الخالق الشعبان.
- نقابة عمال البلديات (مصالح الدولة) : محمود حميد.
- نقابة عمال الميكانيك: توفيق السباعي.
- نقابة عمال الدهان: برهان الكسم.
- نقابة عمال النحاسين: محمود شيخ الفتوح.
- نقابة عمال شركة السكر: لا أعرف اسمه.
- نقابة عمال شركة المصابغ: عبد القادر فليطاني.
- نقابة عمال تجارة الموبيليا: لا أذكر اسمه.
- نقابة عمال البلاط: عبد الكريم معلوف.
- نقابة عمال النسيج اليدوي: عبد الهادي السيد.
- نقابة عمال التسدية: رفيق الحاج يونس.
- نقابة عمال المليسين: رشيد الحايك.
- نقابة عمال النجارين العربي: محمد الجاجة.
- نقابة عمال البنائين والنحاتين: نعيم الأقرع.
- نقابة عمال السكك الحديدية: من بيت أبو الخير.
- نقابة عمال سائقي السيارات: بدر الدين العبدالله.
- نقابة عمال الأحذية: عبد الصمد حلاوة.
- نقابة عمال الأفران والمخابر: عبد الكافي شوفان.

- نقابة عمال الخياطين: محمد علي زين الدين.

- أرجو متابعة حديثنا عن نضال العمال من خلال النقابات بعد القانون 279.

"أنا عملت في الحقل النقابي من عام 1943 وحتى عام 1957. من عام 1943–1947 كنت رئيس نقابة عمال النسيج الألي، ومن عام 1947–1957 رئيس اتحاد عمال محافظة حمص، بالإضافة لعملي كرئيس نقابتي. واستلمت بالإضافة لعملي كرئيس اتحاد عمال حمص منصب أمين سر الاتحاد العام".

- من كان يضم الاتحاد العام؟

"أذكر أنه كان يضم تسعة لا أذكر منهم سوى:

- صبحي الخطيب: رئيس الاتحاد.
- شفيق الشيخ فتوح: أمين السر العام من حمص.
- مصطفى جلاب: عضواً من دمشق.
- زكي الصواف: عضواً من دمشق.
- محمد خير بحري: عضواً من حماة.
- سالم جحا: عضواً من حلب.
- ابراهيم جهماني: عضواً من درعا.

- لنتابع حديثنا، هل كنتم تشتغلون بالسياسة؟

"كان نضال العمال منفصلاً نهائياً عن النضال السياسي، ويعاقب عليه لأنه محرّم بالقانون. حيث أن القانون 279 كان قد حرّم على النقابات الاشتغال بالسياسة بموجب المادة 20 منه. لقد جاء في المادة (قرأناها من القانون): يحظر بتاتاً على النقابات الاشتغال بالسياسة والاشتراك في اجتماعات وتظاهرات لها صبغة سياسية. وأذكر أن بعض النقابيين فصلوا من العمل النقابي، أمثال جميل الشيخ عثمان في عام 1950 على ما أظن".

- هل كان للأحزاب أهمية في ذلك الوقت؟

"الحقيقة كانت الأهمية الكبرى في نهاية الأربعينات وبداية الخمسينات للأحزاب التي تمثل السلطة أو بالأحرى الأحزاب التي تدعمها السلطة مثل حزب الشعب. الكتلة الوطنية. الحزب الشيوعي السوري. الإخوان. وكان هناك

بعض الأحزاب تحاربهم الدولة مثل الحزب الشيوعي السوري، حزب البعث العربي، الحزب العربي الاشتراكي، الكتلة الاشتراكية".[126]

- لنتابع حديثنا عن العمال.

"الحقيقة، قبل أن نبدأ في الحديث، لا بد لي أن أقول من قبل الصراحة أن حزب البعث في بداياته، أي في بداية الخمسينات، كان يحسب له حساب كبير على جميع المستويات الحكومية والأحزاب المعارضة، وكان يلتف حوله العمال والفلاحون من أبناء الريف، لذلك كان يُحارب من السلطة ومن جميع الأحزاب.

أذكر أنه عقد اجتماع للحزب في حمص في الشتاء عام 1950 أو 1951، وكان يطالب بإلغاء قانون العمل 279 ووضع قانون يسمح للعمال بمشاركة أرباب العمل وتمثيل محلي ومطالب كثيرة للعمال، لكن سرعان ما قامت الحكومة باعتقال قادته وملاحقتهم.[127]

وفي عام 1953 صار خلافات بين القادة النقابيين بالاتحاد العام بدمشق، وانعكس على كل الاتحادات وحتى النقابات، وتوسّع الخلاف وانشق الاتحاد إلى اتحادين، الأول بقي بنفس الاسم، والثاني اسمه الاتحاد التقدمي لنقابات العمال.

- أي اتحاد كنت تؤيد؟

"الحقيقة، كنت أنا مع المنشقين، بالاتحاد التقدمي، ولكن في حمص لم يكن غيري رئيساً للاتحاد، يعني أنا كنت أمثل الاتحادين. ولم يدم هذا الأمر طويلا، بقي حتى عام 1957 فقط. دعينا إلى عقد اجتماع في حمص، وكنت أنا من الداعين لهذا الاجتماع، وكان جدول العمل هو حل الخلافات بشكل جذري لأن الشقاق يزعزع الطبقة العاملة، وطالبنا في الاجتماع بوحدة الطبقة العاملة بدلاً من تشققها. وفعلاً تم ذلك، وعقد الاجتماع بحمص في المركز الثقافي العربي في عام 1957، ومنذ ذلك التاريخ اعتزلت العمل النقابي نهائياً.[128]

الحقيقة يا أستاذ، لم أكمل حديثي بعد. في بداية الحديث قلت أنه نتيجة للعمل النقابي ومساعدتي للعمال منذ عام 1943 واستلامي رئيس نقابة النسيج الآلي، سُرّحت من عملي في نهاية عام 1946، ففُرّغت للعمل النقابي من قبل اتحاد العمال، وأصبح راتبي من الاتحاد العام لنقابات العمال. وعندما تركت العمل النقابي في عام 1957

---

[126] تداخل الزمن في ذاكرة المتحدث، وقد بلغ من العمر عتيّاً، وخانته الذاكرة، فخلط مواقف الأحزاب من السلطة، وفي أي زمن. وما كتبناه عن الحركة النقابية موثقاً يبّن مواقف السلطات والأحزاب حسب المراحل.

[127] ذاكرة المتحدث اختلط هنا حابلها بنابلها، وهو معذور مع تقدم السن.

[128] هذه الأحداث تناولناها في تأريخنا للحركة النقابية. وواضح أن المتحدث لم يشأ الحديث عن هزيمته مع صبحي الخطيب في الانتخابات ومجيء قيادة نقابية تضمّ تحالفاً لحزبي البعث والشيوعي، ومسنودة من الأجواء الوطنية الثورية المتصاعدة في منتصف خمسينيات القرن العشرين.

أصبحت بلا عمل وبلا راتب، وبقيت على هذا الحال حتى عام 1959، حيث تدخل الاتحاد العام لنقابات العمال على مستوى الإقليم الشمالي -حيث كانت الوحدة (بين سورية ومصر عام 1958) لتأمين العمل لي، وكان فعلاً، حيث عينوني في شركة نفط العراق بناءً على طلبي. وبقيت في الشركة حتى عام 1981 حيث أُحِلْتُ على المعاش. وخلال فترة عملي لم أتدخل نهائياً بالعمل النقابي، لا من قريب ولا من بعيد".

- أريد أن أقاطعك لأسألك سؤالاً ربما شخصياً. يبدو من خلال سردك للحديث أنه منذ عام 1957 اعتزلت العمل النقابي نهائياً. يبدو أنك عاتب على الاتحاد العام لنقابات العمال في ذلك الوقت، وأمنوا لك عملاً بناء على طلبك في شركة أجنبية، ولم تتدخل في العمل النقابي طيلة فترة عملك الوظيفي. هل هذا صحيح؟

هزّ رأسه بحزن عميق، وكأنه عاد إلى تلك الظروف وأصبح يعيشها من جديد. قال: "يا استاذ، كان الاستعمار الفرنسي، والأحزاب السياسية الرجعية، والحكومات الرجعية المتعاقبة، وأرباب العمل، كلها، كانت ضدنا، ونحن نناضل ببسالة الشجعان على عدة جبهات كما قلت، وكان حصيلة نضالنا:

- الحصول على الجلاء من القوات الفرنسية أو الاستعمار الفرنسي بحد ذاته.
- الحصول على تشريع عمالي ينظم أعمال النقابات من جهة، وينظم العمل بين العمال وأرباب العمل من جهة أخرى، وفعلاً تم ذلك.

وبعد الاستقلال كان حصيلة نضالنا:

- في عام 1953 قمت بتأسيس الصيدلية العمالية، وتم تدشينها باحتفال رسمي تحت رعاية وزير الصحة، كان محلها بمكتب الاتحاد في شارع باب هود.
- في عام 1954 قمت بتأسيس -ولي شرف عظيم- المستوصف العمالي، وتم تدشينه باحتفال رسمي حضره السيد وزير الصحة، كان وقتها أحمد سليمان الأحمد (بدوي الجبل)، ولا زالت الكلمات عندي حتى الآن، نُشرت في مجلة السنا وعندي أعداد منها، سأعطيك العدد الخاص بتدشين المستوصف.
- في عام 1955 لي شرف المساهمة الجدّية بصفتي أمين سر الاتحاد العام، فقمت بالسعي لعقد مؤتمر يضم اتحادات العمال في الأقطار العربية المتحررة من الاستعمار، طبعاً لست وحدي، وفعلاً تم ذلك وعقد المؤتمر في دمشق عام 1956 بآذار على ما أظن، حضر المؤتمر وفود من:
  - اتحاد عمال مصر.
  - اتحاد عمال سوريا بشقيه الاتحاد العام والاتحاد التقدمي.
  - اتحاد عمال لبنان بشقيه، عمال لبنان الشمالي والنقابات المستقلة في لبنان.
  - اتحاد نقابات العمال في ليبيا.
  - اتحاد نقابات العمال في الأردن.

و فعلا نتج عن هذا المؤتمر: "الاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب"كمنظمة عربية نواة للوحدة العربية من محيطها إلى خليجها.

كان لي شرف المساهمة في لقاءات عديدة من خلال اتحاد العمال في سوريا مع اتحاد عمال القطر المصري الشقيق كخطوات أولى وبنّاءة على طريق الوحدة بين القطرين، سوريا ومصر، وفعلاً تمت الوحدة.

كان أهم عمل قمت به وكان لي شرف المشاركة فيه من خلال اتحاد العمال بصفتي أمين السر العام ورئيس اتحاد عمال حمص، هو أيام العدوان الثلاثي على مصر، تنظيم الإضرابات العمالية والشعبية بوجه الشركات الأجنبية أولاً، ومؤازرة العمال المصريين ثانياً. وجمعنا التبرعات من عمالنا إلى مصر الشقيقة لحمايتها من العدوان. هذا يا أستاذ أبرز الأعمال التي كان لي شرف المشاركة فيها.

لقد تم وضعي على الهامش في عام 1957 أثناء عقد المؤتمر في حمص، علما أني كنت من أبرز الداعين له من أجل توحيد نضال الطبقة العاملة وجمع شملها بوحدة التنظيم وضم الاتحادين باتحاد واحد. واعتبروني وقتها أني كنت من الفئة الحاكمة، ورشحت نفسي لعضوية الاتحاد العام ولم يقبلوا حتى ترشيحي. عندها قررت اعتزال العمل النقابي نهائياً. وكان السبب أني كنت ممن انضموا إلى الاتحاد التقدمي في دمشق. وبقيت أنا بحمص وهذا الأمر يسّر لي العمل من خلال الاتحادين لتوحيدهما وضم صفوف الطبقة العاملة. ونشاط الاتحاد التقدمي كان في دمشق فقط. وشكل هذا الاتحاد استناداً إلى مواد القانون 279 وليس كما قيل بأن الحكومة شكلته. شُكل الاتحاد نتيجة الخلافات التي أصبحت في قيادة الاتحاد والفروع وعلى مستوى النقابات. أما الحكومة لم تتدخل، لكنها أيدت هذا العمل ومن حظها بقيت وحدة الطبقة العاملة. وأنا كنت واحد من بين كثيرين، وأنا الوحيد الذي بقيت في الاتحَاديْن، وناضلت كثيراً من أجل وحدة الطبقة العاملة وعتبي ليس على الاتحاد، أو على أحد، عتبي على رفاقي الذين يعرفون الحقيقة يومها وأنكروها، وأصبحوا يقومون عليّ من أجل أن يبرزوا. وكان ذلك حتى اعترضوا على ترشيحي، ومن الذي اعترض؟ اعترض أقرب الناس لي. ويعرفون تماماً لو أني رشحت نفسي لكنت أنا الفائز. لكني خرجت من الجلسة الختامية في المؤتمر وقررت وقتها ألا أقوم بأي عمل نقابي. وبعدها بعام واحد تُوِّج لنا بتحقيق الوحدة بين مصر وسوريا. ودعيت أكثر من مرة لأعمل بالاتحاد، فرفضت على عهد الوحدة. طلبت فقط تأمين عمل لي في شركة نفط العراق. وفعلاً ساعدوني، وأمّنوا لي عملا في الشركة المذكورة. كان ذلك في شركة نفط العراق، ليس لأني أحبها كشركة أجنبية، لا، كما رُوِّجَ عني، بل كان راتبها أحسن راتب في كل الشركات يومها. بالإضافة إلى أنه موقعي السابق في الاتحاد كنت أعرف فيها أعضاء النقابة، حتى كانوا يعتمدون علي في أغلب الأمور النقابية وأعطيهم النصح الصحيح".[129]

---

[129] أي أنّ أعضاء نقابة شركة النفط ساعدوه، وكان يقدّم لهم النصح. ويبدو أن القيادة النقابية في أيام الوحدة، وهي ليست على الخط السياسي السابق للوحدة، رأت مساعدة شفيق الشيخ فتوح لدوافع كثيرة...

- ختام الحديث: ماذا تريد أن تتكلم؟

"في نهاية هذا اللقاء الذي دام أكثر من عدة أسابيع، لا بد لي إلا أن أقدم شكري للاتحاد العام لنقابات العمال، وأخص بالذكر السيد عز الدين ناصر رئيس الاتحاد على اهتمامه في تنظيم الاتحاد، لاهتمامه الزائد في دفع الحركة النقابية إلى الأمام والعودة إلى النقابيين القدامى وتقديرهم. في عام 1984 دُعيت إلى اتحاد عمال محافظة حمص لحضور حفل بمناسبة ذكرى تأسيس اتحاد لنقابات العمال في سوريا وأُلِقيت كلمات الحزب والمنظمات والعمال. وأنا ألقيت كلمة تأبين النقابيين القدامى، ووزعت لنا هدايا رمزية. وأشكر رئيس اتحاد عمال حمص على تقديره لنا. في عام 1986 دُعيت إلى دمشق لمناسبة تكريم النقابيين القدامى، وكُرِّمت من قبل الاتحاد العام ومنحت هدية رمزية أيضاً.

لذلك أتقدم بالشكر إلى القائمين والمساهمين بهذا العمل الجيد. وشكري لك في أنك تحملتني كثيراً. وأرجو عدم المؤاخذة، كوني تهجمت عليك بكلام لا يليق بك، لأنك تقوم بواجبك ولا مطلوب منك (كلمة غير مقروءة) الآخرين. وأرجو أن تكتب هذا الاعتذار في صفحاتك.

ولك شكري، وهذه الثبوتيات التي بين يديّ أقدمها لك، وهذه صورتي وعنواني، فأنت أصبحت تعرفه، وأهلا وسهلا بك صديقا غاليا كابني، وشكراً".

ملاحظات الدارس:

محدثي السيد شفيق الشيخ فتوح رغم أنه يقارب السبعين من عمره إلا أنه يتمتع بصحة جيدة. لكن الشيء الأهم الذي وجدته فيه هو أنه ذكي جداً، لديه القدرة على الحفظ بشكل لا يوصف، وذاكرته غريبة من نوعها فمن عام 1957 حتى 1987، أي حوالي ثلاثين عاماً، ما زال يحفظ قانون العمل 279 بكامله، ويحفظ جميع النصوص من مراسيم أو قرارات صادرة بتعديل بعض المواد منه. كما أنه يحفظ جميع الأنظمة الصحية والاجتماعية التي صدرت سواء لاتحاد عمال حمص أو نقابة النسيج الآلي. يذكر الحوادث في حينها والاجتماعات واللقاءات والمنجزات جميعها ويذكر غالبية الأشخاص، كأسماء المؤتمرين وأسماء النقابات ورئيس كل نقابة، الخ... بالإضافة إلى أنه مثقف ثقافة عالية، لأنه يحلل ويربط الواقع والحوادث ويحللها بموضوعية، فلا أظن بأن واحد من أرباب العمل كان يجاريه في ذلك الوقت. إضافة إلى أنه هادئ، لا يتكلم إلا بهدوء ولا يثور ويتكلم بوضوح وجرأة لا متناهيتين.

لذلك ومن خلال هذا أعتبر أن أغلب ما قاله لي صحيحاً وواضحاً، لأنه قال ما له وما عليه. وكل ما قاله موثقاً، وأعطاني وثيقة به، ويمكن الاستفادة منه في العودة إليه بين الحين والآخر، ويمكن التعرف من خلاله على نقابيين قدامى ما زالوا على قيد الحياة يمكن الاستفادة منه إذا دعت الحاجة.[130]

14- عامل الفنادق النقابي جميل الشيخ عثمان: متكتماً على يساريته وهو ينشد لقمة العيش

الدارس النشيط: سليمان مخول.

كتب الدارس:

كان لقائي الثاني مع نقابي، بل قائد نقابي، عاش في نفس الفترة التي عاشها النقابي السيد شفيق الشيخ فتوح، لكن بنقابة أخرى، وبأفكار وعقلية يسارية تعذّبت وسُجِنت في سبيل مبادئها وأهدافها. هذا القائد النقابي وإن جاوز السن القانوني، لكنه ما زال بيننا قائداً نقابياً في اتحاد عمال محافظة حمص، بالرغم من كبر سنه. ولا يزال الاتحاد العام لنقابات العمال يمدد له سنة بعد أخرى. ما السبب؟

النقابي يُعرِّفُنا عن السبب بنفسه، وذلك من خلال الحوار الآتي:

- العم أبو سميح، هل يمكن أن تعرفني عن نفسك وتحدثني بالتفصيل عن تاريخ حياة العائلة من الجد؟

"أنا محمد جميل بن حنفي الشيخ عثمان، ولدت عام 1923 في حمص بحي الفاخورة رقم 6، وحالياً أسكن في حمص، ساحة الحج عاطف- قرب الثانوية التجارية، هاتف 28505. جدي الشيخ مصطفى الشيخ عثمان. لا أعرف متى ولد، ولكنني أعرف أنه توفي في عام 1936، وله عدة أولاد وهم:

الشيخ نور ولد عام 1908 وتوفي عام 1974. عبدالخالق عمره حوالي 85 سنة، كان يعمل بمهنة النجارة ولا يزال على قيد الحياة وحاليا شيخ جامع (موظف في الأوقاف). هشام عمره حوالي الـ 60 سنة وموظف في شركة جيكوب فني، ثمّ عبد الحفيظ، وسلطان، ومصباح، وعبد الحي، وأبو الهدى، وحنفي (والد المتحدث).

والدي توفي عام 1968 عن عمر يناهز السبعين عاماً، كان يعمل بمهنة المنجّد، تعلم المهنة من حرفي شامي من بيت قراجا، جاء وسكن في حمص. تزوج والدي من خيرية الحلواني مواليد 1902، متعلمة وما زالت على قيد الحياة. ولي ستة أخوة وأختان هم:

[130] هذا اللقاء الذي قام به سليمان مخول وما رافقه من لقاءات أخرى، هي وثائق مأخوذة من أفواه أصحابها. ولو تمّت أمنيتي بكتابة تاريخ الحركة النقابية كنت بالتأكيد سأستعين به، وسأقوم بزيارة بعض من التقى بهم. ولكن أجواء النظام الشمولي وواقع الدولة الأمنية وقفا حائلا دون تحقيق أمنيتي.

- نعيم: عمره حوالي 65 عاماً، يعمل بمهنة طاهي ومتزوج وله تسعة شباب وابنتان.
- عبد الرحيم: توفي عام 1970 وهو في الأربعين، كان يعمل بمهنة خياط نسائي، له ستة أولاد، ثلاثة شباب وثلاث بنات.
- نجيب: يعمل مساعداً في مخبر لصناعة الأسنان عمره حوالي 57 عاماً، متزوج، وله ستة شباب وابنتان.
- أبو الخير: متوفي، كان يعمل بصناعة السكاكر، وله ولد واحد وابنتان.
- عبد المعين: عمره بحدود 50 سنة، موظف في مؤسسة كهرباء حمص، له ولدان وبنت.
- طلعت عمره: حوالي 48 سنة، خياط نسائي له ثلاثة أولاد وبنت.

ولي أختان متزوجتان.

العائلة بشكل عام من وسط ديني، حيث كان جدي رجل دين ونقيباً من نقباء المشايخ في الطرق الصوفية.

أما أنا ولدت عام 1923. ودرست في مدرسة منبع العرفان الابتدائية، وحصلت على الشهادة عام 1936، ومدرسة منبع العرفان كانت للدولة، وهي أول مدرسة أُقيمت بحمص، وكان فيها مفتش التعليم الفرنسي (أوزو). كان موقع المدرسة في حي الفاخورة، وكانت فقط ابتدائية فيها خمس شعب (شعبة واحدة لكل صف). بعد الدراسة الابتدائية دخلت مدرسة التجهيز، وكانت من المدارس الوحيدة التابعة للدولة، وفيها يتعلم الطلاب من الصف السادس وحتى الصف الثاني عشر، وكانت تعطي شهادتين، الأولى في الصف الحادي عشر، والثانية في الصف الثاني عشر. كان في المدرسة ما يسمى بالكراسي المجانية للفقراء بالاسم فقط، وكان يحوز عليها الطالب الفقير بموجب مسابقة. لكن هذه الكراسي كانت واقعياً لأبناء العائلات المتنفذة. لما خضعت أنا لمسابقة من أجل الكرسي المجاني وعلامتي تساوت مع علامة طالب من بيت الأتاسي اسمه عبد الستار الأتاسي فأخذوه وتركوني أنا. فكيف الكرسي لأولاد الفقراء ويعطون الكرسي المجاني لابن الأتاسي؟ بعدها دفعت القسط السنوي 25 ل.س وكان هذا المبلغ يساوي 5 ليرات ذهب. أذكر أن مدير المدرسة كان من دمشق، واسمه رشدي بركات، وأن أحد أساتذتي كان عزت النص–أستاذ اجتماعيات. وكان الأستاذ الشامي أنطون حناوي يدرس مادة الجغرافيا، وكان يدرسنا الله يرحمه عبد الكريم السباعي من حمص.

عندي أربعة شباب وأربع بنات هم:

- سميح: مواليد عام 1952، مهندس زراعي، موظف في مديرية الزراعة، متزوج.
- جمال: مواليد 1954، يحمل شهادة معهد متوسط، موظف في يبرود، عازب.
- بشار: مواليد 1956، معهد متوسط ميكانيك، موظف في السورية للشبكات، عازب.
- ربيع: مواليد 1970، طالب ثانوي.
- خيرات: مهندسة ميكانيك، متزوجة من ابن عمها يعمل في الشركة العامة للبناء، معهد متوسط.

- سحر: معهد متوسط كهرباء، موظفة في الإسكان العسكري، متزوجة من مهندس زراعي.
- ندى: معهد مراقبين فنيين، موظفة في الانشاءات العسكرية، عازبة.
- راجحة: طالبة جامعية، عازبة.

ماذا تريد أن تعرف أكثر من ذلك عنا؟"

- الحقيقة هذا الشرح كافي، فهل نبدأ بالأحداث التي عشتها أو سمعتها سواءً كانت سياسية أو عمالية؟

"سأبدأ بالحياة السياسية. في مطلع الثلاثينات، وقبل ذلك، لم أكن أدرك تلك الفترة. والحقيقة ما سمعته شيئاً لا يستحق ذكره هنا أولاً، ولا أدري مدى صحته ثانياً. في الثلاثينات قلنا أن الكتلة الوطنية هي الحزب البارز على الساحة. وكان يوجد تنظيم للشباب اسمه "أصحاب القمصان الحديدية" كان يقودهم عبد الله التاجي. كان يجمع بين صفوفه ما هب ودب، وكان تنظيمه عشوائياً، كان يهدف إلى التحرر الوطني. في تلك الأثناء كان في حمص محافظ من بيت الملكي قتله الثوار، واستلم محافظ جديد اسمه جميل الدهان، وكانت صلاحياته محدودة، وذلك بسبب وجود المستشار الفرنسي. في الأربعينات شُكلت عصبة العمل القومي في حمص برئاسة حلمي الأتاسي، والكتلة برئاسة هاشم الأتاسي. وكان هناك جمعية اسمها شباب محمد مركزها جامع الكبير كان يرأسها الشيخ أحمد الكعكي، وكان من بين الأعضاء خالد كالو. وكان يحتدم الجدال بين الأعضاء حول مصيرها وأهدافها وطريقة عملها. وبعد خروج مصطفى السباعي من المعتقل بعكا حضر إلى حمص ودخل بالجمعية، بعدها تحولت إلى حزب للإخوان المسلمين برئاسته. كذلك كان في حمص الحزب القومي السوري، كان يرأسه واحد من بيت الدروبي. وكان من بين المتنفذين به سري الحلبي، وما زال على قيد الحياة حتى الآن. وعصبة العمل القومي حُلّت في بداية الأربعينات وشُكِّل منها (انبثق عنها وتفرع):

- حزب الشعب: برئاسة حلمي الأتاسي وهاني السباعي. ثم انفصل عنه هاني وأسس كتلة اشتراكية وهي حركة يسارية.
- قسم من اليساريين: انضم بعضهم إلى الحزب الشيوعي السوري، وكان يرأسه في مدينة حمص نسيب الجندي.
- والقسم الآخر: انضم إلى حركة البعث العربي. وكانت هذه الحركة عبارة عن أشخاص تأثروا بالحركة بدمشق، وجلب الفكرة من دمشق -على ما أظن- شاكر الفحام، وكان كذلك معهم ممدوح كيشي، وأبو النور طيارة".

- وماذا تعرف عن الحركة العمالية؟

"في أوائل الثلاثينات لم يكن هناك قوانين تنظّم الحركة النقابية، وكان سائداً بين الحرف العلاقات العثمانية. وكان شيخ الكار هو النقابة، ورب العمل والعامل، كانت جميع الخلافات ترفع إليه، وكان يقوم بحلها طبعاً على

حساب العامل. وكان الإنتاج يتم في المصانع الصغيرة أو المشاغل الحرفية البسيطة. وكان هناك مؤسسات تابعة للدولة، كالكهرباء والخطوط الحديدية. وكان في مدينة حمص معملين للدخان، يملك الأول واحد من بيت الحرابي، والثاني لبيت دراق السباعي. كانت الصناعة الغالبة في حمص صناعة النسيج اليدوي، يتمركز في ورشاتها عدد لا بأس به من العمال مقارنة مع بقية المهن، وكانت تحكمها العلاقات العثمانية، لأنه، كما قلنا، لم تكن هناك قوانين تنظم المهن أو النقابات.

كان يُقام خارج مدينة حمص في الريف أسواق للبيع شبيهة بالمعارض، وكانوا يسمونها بالعرضي. حيث كان الحرفيون والتجار كل يتاجر ببضاعته في هذا السوق ويشترون بدلاً عنها. وفي هذا السوق غالباً ما يتم تبادل المنتجات الصناعية والزراعية بين المدينة والريف. كانت الأسواق تُقام في مناسبات الأعياد الموسمية وفي الأديرة كعرضي الصليب من 8 – 15 أيلول في دير مار جرجس بوادي النصارى، وعرضي مار الياس في دير مار الياس قريب من صافيتا. التجار والحرفيون يستغلون هذه المناسبة لأنه يجتمع فيه أكبر عدد من الشعب، خاصة أهل الريف والقرى المجاورة، يبيعون ويشترون.

أذكر أنه قام في دمشق "الإضراب الستيني"، تأثرت به مدينة حمص، وكانت المطالب: زيادة الأجور، تخفيف ساعات العمل، وإصدار تشريع عمالي وحرية العمل النقابي. وفي هذا الإضراب أذكر أنه شكلت لجنة من أرباب العمل والعمال لبحث مطاليب العمال. وأذكر أن سعيد عوف يومها قال للمضربين: "تطالبون بزيادة الأجور وعمال النسيج يجلسون بالروضة كراسيهم إلى جانب كراسينا!؟"، ومعنى قوله أنّ وضع العمال جيّد، فلماذا الزيادة؟ وكان أرباب العمل يُضْرِبُون مع العمال، ويتفقون على مقاطعة البضائع الأجنبية، خاصة المنسوجات، ورفع الرسوم الجمركية عليها، ومن أجل تنشيط سوق البضائع الوطنية وتوفير فرص عمل لعمال سوريين. هذا الشعار صحيح، كان يخدم البرجوازية.

وبنفس الوقت كان الفرنسيون يقاومون إقامة مصنوعات وطنية خاصة المصنوعات التي تضاهي مصنوعاتهم. أذكر أنه في الثلاثينات أقيم معمل لدباغة الجلود اسمه "معمل رومية إخوان لصناعة الجلود" مركزه دمشق، وأنتج مصنوعات تضاهي المصنوعات الأجنبية. في ليلة من الليالي شب فيه حريق حرق الأخضر واليابس وانتهى المعمل نهائياً، وأظن أن السلطات الفرنسية هي التي دبرت الحريق".

– ماذا عن نقابتكم؟

"في عام 1941 فكرنا بتأسيس نقابة على غرار عمال الفنادق والمطاعم بدمشق، وكانت هذه الفكرة نتيجة للجور التي كان يعامل فيها أرباب العمل العمال، من طول ساعات عمل، إلى أجرة منخفضة، وإلى معاملة قاسية. اتصلت مع عدد من الزملاء الذين يعملون بنفس المهنة بمطاعم المدينة، وشكّلنا هيئة تأسيسية منهم: الياس لابا ، ومصطفى فاخوري، وأنس سيجيان، وشريف الشاويش، ومحمد الحضي، وصادق زروة. وفعلاً تمّ

ترخيص النقابة في 12 كانون أول عام 1942. كان في حمص وقتها عدد لا بأس به من النقابات، أذكر منهم نقابة عمال البناء، ونقابة عمال النسيج اليدوي الخ...

كانت بعض النقابات هي أقرب إلى جمعيات حرفية أو نقابات حرفية يشترك فيها العمال وأرباب العمل. وكان يمثل العمال عضوان من أصل سبع أو تسع أعضاء ومن أرباب العمل، إضافة إلى وجود روابط خاصة بأرباب العمل خاصة لعمال النسيج وكان يمثلهم سعيد عوف صاحب أنوال. الخلافات تُحلّ بين العمال وأرباب العمل عن طريق المفاوضات، وعندما تتأزم الأمور نعلن الإضرابات. ومرة أعلنا إضراباً دام ثلاثة أيام، وتم انتخاب الوفد في هذا الاجتماع وكان من السادة:

- ابراهيم بكري: أمين سر نقابة عمال النسيج الآلي بدمشق.
- سعيد السواس: رئيس نقابة عمال الميكانيك بحلب.
- جميل الشيخ عثمان: أمين سر نقابة عمال المقاهي والمطاعم بحمص.

ورغم العراقيل التي وضعت في طريقنا، ذهبنا لحضور المؤتمر التأسيسي عن طريق لبنان. وأما صبحي الخطيب وجماعته شكلوا وفداً كالتالي:

- صبحي الخطيب: رئيس اتحاد العمال رئيساً للوفد.
- مصطفى جلب: من حلب عضواً.
- شفيق الشيخ فتوح: من حمص عضواً.

ورغم التسهيلات التي كانت متاحة لهم لم يسافروا.

حضر المؤتمر ممثلون عن العرب من سوريا ولبنان وفلسطين ومصر، وطالبنا أثناء انعقاد المؤتمر بوضع ممثل عن الشرق الأوسط في الاتحاد العالمي لنقابات العمال، وفعلاً تم ذلك، وانتخب مصطفى العريس مندوباً عن الشرق الأوسط بأغلبية ساحقة.

كنت أنا مندوب نقابتي في اتحاد عمال المحافظة، وكان معي عبد الخالق الشبعان. وفي عام 1945 عقد المؤتمر الخامس للاتحاد العام لنقابات العمال في سوريا، وكان على رأس المطالب إصدار تشريع عمالي في القطر، وحضر الجلسة الختامية للمؤتمر فارس بك الخوري رئيس الوزراء في ذلك الحين. وفعلاً وعد بوضع قانون عمل، وتم وضع مشروع للقانون قدم للبرلمان، وفُقد هو ومجموعة وثائق أثناء العدوان على البرلمان.

بعد عودتنا من المؤتمر العالمي قمنا بنشاط واسع على أساس عقد مؤتمر سادس للمطالبة بوضع تشريع عمالي، وفعلاً تمت الدعوة له، وعقد المؤتمر في 10 ايار عام 1946، حضره وزير الاقتصاد الوطني خالد العظم، وبنهاية المؤتمر قامت مظاهرة من مدرج جامعة دمشق إلى مبنى البرلمان اشترك فيها أكثر من عشرة آلاف عامل وقدمت المطالب

للبرلمان. والمؤتمر السوري السادس حضره السيد مصطفى العريس كمندوب عن اتحاد العمال العالمي. ومثلاً تم وضع تشريع عمالي وصدر تحت رقم 279 لعام 1946. وقد جدد الاتحاد العام بناء على أحكام القانون الجديد، وشكلت بموجب القانون نقابات جديدة وكثيرة، سواء على مستوى القطر أو على مستوى المحافظات.

في عام 1949 اعتُقِلت بتهمة اشتغالي بالسياسة وأنا رئيس نقابة عمال الفنادق والمطاعم ومندوب النقابة في اتحاد عمال حمص.[131] بقيت معتقلاً طيلة فترة حكم حسني الزعيم. وخلال فترة اعتقالي صدر قرار عن وزير الاقتصاد بفصلي من النقابة وعضوية الاتحاد وحتى من عضوية الهيئة العامة، وبعدها لم أعمل في النقابات إلا بعد قيام ثورة حزب البعث العربي الاشتراكي ومن خلال الجبهة الوطنية التقدمية".

– في ختام الحديث أرغب الاستفسار عن أمر. قلتم أنه أثناء انتخاب الوفد، صبحي الخطيب انتخب شفيق الشيخ فتوح، وأنتم انتخبتم وفداً، هل كان يوجد خلاف بالحركة النقابية وفي الاتجاهات؟

"معك حق. منذ البداية كان صبحي الخطيب يمثل الرجعية العربية، وضعه (مثل) وضع البرجوازية الوطنية، التي كانت تسعى للاستقلال من أجل زيادة سيطرتها، وصبحي الخطيب كان مثلهم لكن عن طريق العمال. والسيد شفيق الشيخ فتوح كان يمثل الجناح اليميني بالاتحاد، لذلك تم اتفاقه مع صبحي الخطيب. وتجلى ذلك أنه في عام 1952 تمّ تشكيل اتحاد جديد اسمه اتحاد العمال التقدمي بدمشق. وكان يؤيده أديب الشيشكلي، وكان صبحي الخطيب من أنصاره وكذلك شفيق الشيخ فتوح".

– هل يمكن أن تحدثنا عن أحداث بارزة في حمص خلال وجودكم بالنقابة؟

"في نقابتي لا شيء إلا ما ذكرت أن هناك أحداث بارزة في مدينة حمص تتجلى في شركة نفط العراق. أول إضراب قام فيه عمال شركة نفط العراق عام 1945، وأخمد من قبل الشركة بمساعدة حرس البادية.

في عام 1946 قام إضراب ثان أعم وأشمل، شمل جميع المحطات من المحطة الثانية حتى بانياس، ولم تتمكن الشركة من إخماده، وانصاعت لتحقيق مطالب لجنة الإضراب، وسمحت لهم بتشكيل تنظيم نقابي.

الإضراب الثالث قام عام 1956 حول مطالب عمالية كان أهمها:

- جعل السنة 14 شهراً.
- إيقاف أعمال المتعهدين في الشركة.
- إيقاف التسريح.

---

[131] هنا تجنب جميل عثمان القول بأنه أعتقل أيام حسني الزعيم لأنه شيوعي، كي يبقى موظفا في اتحاد نقابات عمال حمص الموال للسلطة البعثية، التي تُكن بعض أجنحتها عداء شديداً للشيوعية. ومعروف أن عثمان توقف بعد خروجه من السجن عن نشاطه الشيوعي، وآثر السلامة.

- وضع أجور أيام الإضراب.

كـان يميـز هـذا الإضـراب التضـامن الكبـير مـن قبـل النقابـات العماليـة الأخـرى، وقـد عمـت الإضـرابات والمظاهرات في جميع أنحاء المحافظة وما كان من الشركة إلا أن حققت جميع المطالب".

– ماذا تريد أن تقوله أخيراً؟

"الحقيقة أشكركم جميعاً على جهودكم التي بذلتموها وتبذلونها، وأتمنى لكم نجاح هذا العمل، وأنا مستعد لتقديم كل عون ومساعدة تطلب مني. وبالحقيقة كُلّفت من قبل الاتحاد بالإجابة على أسئلة الاستمارة المعطاة لي من الآنسة كريمة الجردي وفعلت وهي جاهزة الآن.

مرة أخرى أشكرك على تعبك وأرجو لك التوفيق والنجاح وشكراً ".

ملاحظات الدارس حول النقابي جميل:

إن أبـرز مـا يميز جميـل عـن سـابقيه هـو أنـه عـاش ومـا زال في الحقـل النقـابي، وهـو رجـل تقـدمي مـن أطـراف الجبهة. لم أشأ أن أسأله الأسئلة التقليدية الموجودة في الاستمارة لسببين:

- الأول: نفس الأسئلة أجاب عليها للطالبة كريمة الجردة وتُسَلّم لنفس المصدر.[132]
- الثاني: أصبح لدي المعلومات الكافية عن شكل العلاقات التي كانت سائدة، والنقابات الموجودة في ذلك الزمن، وأحببـت مـن خـلال مقـابلتي معـه أن أنفـذ مـا يسـمى بتقـاطع معلومـات كونـه (كلمـة غـير مقـروءة) بسبب أفكاره اليسارية ووجوده في الاتحاد لا مصلحة في المبالغة أو الإخفاء، وكان صريحاً معي يتكلم عن الحـوادث بدقـة، لأن لديـه فكـرة وافيـة عـن الأسـئلة، كونهـا معطـاة لـه الاسـتمارة منـذ مـدة طويلـة وهـو يحضـر الأسئلة ويتذكر. زودني المذكور بصورة عن هوية نقابي وتعتبر وثيقة جيدة للموضوع.

أشكره جزيـل الشـكر علـى اسـتقباله لي وحديثـه معـي بكـل عقلانيـة وموضـوعية، وكـان يحلـل الحـوادث بدقـة ومنطـق، ويظهـر أنـه تعـب جـداً مـن النضـال النقـابي هـذا، بالإضـافة أنـه علـى مـا يبـدو كـان مـن طبقـة قريبـة إلى الطبقات الدنيا؟ لذلك عاش الحركة العمالية بكل معانيها.[133]

---

[132] لم يصلني ما قامت به الطالبة كريمة الجردة، وأجهل سبب عدم تقديم ورقتها لي.

[133] لم أتذكر ما يوجد في أرشيفي بدمشق عن جميل. ويبدو أنّ نشاطه السياسي توقف. وعندما جاء البعث "تحنن" عليه "أهل الخير" ووظفوه في اتحاد النقابات.

15- شعّار من حمص: حياكة بيوت الشعر للبدو

مُجري اللقاء الدارس: سليمان مخول.[134]

المتحدث: اسمه عبد المنعم صالح الشعار. يسكن في دار ملك في حي باب هود. والده كان بنفس الدار. هاتف 31337. من مواليد 1921. توفي جده قبل أن يلد بأربع سنوات. خلّف الأولاد الآتية أسماؤهم:

- صالح: والد المتحدث. كان يعمل بنفس المهنة، توفي عام 1986.
- عبداللطيف: كان يعمل كذلك بنفس المهنة من مواليد 1900، ترك العمل لعجزه وله ثلاثة أولاد:
  - عبدالحفيظ: عمره 50 سنة موظف في المؤسسة الاستهلاكية.
  - عبد الرحمن: عمره 40 سنة موظف في المصفاة.
  - عبد المجيد: عمره 36 سنة يعمل في التجارة.
- سليم: كان يعمل بنفس المهنة وتوفي وليس له أولاد.
- عبد الواحد: كان يعمل بنفس المهنة ومتوفي وله ثلاثة أولاد:
  - عبد الجليل: يعمل في مهنة الشعار، وعمره حوالي 60 سنة.
  - عبد العزيز: موظف، وعمره حوالي 45 سنة.
  - شعيب: يعمل عملاً حراً (نجّار عربي)، عمره حوالي 40 سنة.

أما عن أخوة المتحدث فهم أربعة:

- عبد القادر: متوفي وله خمسة أولاد. كان يعمل شعّار، ثم تحوّل إلى بائع حلويات.
- نزار: عمره حوالي 48 سنة. لم يتعلم المهنة ويعمل حداد افرنجي. متزوج وعنده ثمانية أولاد أغلبهم طلاب.
- نديم: عمره حوالي 45 سنة. يحمل شهادة الدراسة الإعدادية. كان يعمل بمهنة الشعار، وحالياً موظف في مؤسسة التجزئة. متزوج وله خمسة أولاد.
- فؤاد: عمره حوالي 39 عاماً. متعلم، يحمل شهادة الدراسة الثانوية، ويعمل بنفس المهنة. متزوج وله ثلاثة أولاد.

المتحدث يحسن القراءة والكتابة جيداً. كان يقرأ سيرة بني هلال، وقصة عنترة بن شداد، وبعض الكتب الدينية.

---

[134] هذا هو اللقاء الثالث للدارس النشيط مخول واستهله بالفقرة الآتية: أول ما ذهبت، دخلت إلى دكان حرفي قديم وهو يعمل، أدواته قديمة في حي قديم ولديه ثلاثة عمال، ابنه بينهم، يعمل بمهنة الشعّار اي صناعة بيوت شعر والمادة الأولية الوحيدة التي تدخل في الصناعة هي مادة شعر الماعز.

معلومات عن المهنة: (**أسرارها، كيف تعلمها؟ أين؟ الأجرة؟**)

تعلم مهنة شعّار عن والده، وهي كما شاهدتها عبارة عن نول عربي قديم (يدوي) شبيهة بآلة شد البسط، حفرة على شكل صندوق طويل بعرض حوالي 80 سم وطول حوالي ستة أمتار وجميع آلات الشد من الخشب. المادة الأولية للصناعة هي شعر الماعز. كانوا يحصلون عليها من الجرد.[135] الفلاحين لم يكن هناك وسيطاً بينهم وبين منتجي المادة. كانت تُشترى المادة بالرطل، وكان الرطل بحدود 15 ل.س. وعندما كانوا يجدون صعوبة في تأمين الشعر، يضطرون لشراء القطن من أجل صناعة البيوت الصيفية، حيث يوجد قاطع ضمن البيت البدوي يفصل الحريم عن الرجال. كانوا يشترون الرطل بحدود 2 ل.س.

ويذكر المتحدث أنه حتى عام 1955 كان رطل شعر الماعز بحدود 8 ل.س، والقطن بحدود 3 ل.س. أما الآن فالكيلو الواحد سعره 40 ل.س، وليس متوفراً، وعندما سألته عن الأسباب قال: (بعد أن وعدته الا أكتب هذا)[136] "في عام 1955 تمت الوحدة بين سوريا ومصر برئاسة جمال عبد الناصر الذي حرّم تربية الماعز،[137] فانعكس ذلك على صناعتنا وأصبحنا نحصل على شعر الماعز الذي هو المادة الوحيدة لصناعتنا بصعوبة فائقة. لكن في الستينات وبعد ذهاب عبد الناصر وقيام ثورة 8 آذار تم تأميم الدباغات وأصبحت ملك الدولة، فانقطعت هذه المادة نهائياً، وأصبحنا نستوردها عن طريق لبنان أو عن طريق البحر، وكان ماشي الحال. أما في السنوات القليلة الماضية أوقف الاستيراد، إلا عن طريق فتح اعتماد، وفتح الاعتماد يلزمه وقت طويل، مما جعل قيمة المادة الخام تستورد أو تصلنا بأسعار عالية جداً، حسب ارتفاع سعر الدولار أو انخفاض قيمة الليرة السورية. المهم أن قيمة المادة الخام أصبحت أسعارها مرتفعة جداً بحيث نقوم بتصنيعها وبيعها ولا تُدِرّ إلا أرباحاً ضئيلة لا تساوي جزءاً مما نتعبه. في البداية كنا نعتمد على التهريب وماشي الحال، أما الآن! (وأطرق ولم يتكلم).

أما عن التصدير، نحن نعمل للبدو الرحل، سواء ضمن سوريا (الكمية بسيطة) ولكن أغلب الكمية إلى السعودية نصدرها عن طريق تجار. كنا نُصدر إلى السعودية يومياً بحدود 3 طن مشغول، أما الآن فأصبحنا في شهر كامل لا ننتج هذه الكمية. ليس العيب فينا، ولكن المشكلة بقلة شعر الماعز وصعوبة الحصول عليه وارتفاع

[135] الجُرد هو الجبل حيث تنبت المراعي وفيه أشجار من بقايا الغابات السابقة. وفي الجرد ترعى الماعز. ويأتي الرعاة، ومعظمهم يمتهن الرعي والزراعة، بالشعر لبيعه في حمص للشعار مباشرة دون وسيط. وهكذا اختلط الأمر على الدارس.

[136] الجميل أن الدارسين كثيرا ما وعدوا المتحدثين عن الامتناع عن كتابة أمور يرونها خطرة، وأخلفوا بوعدهم في سبيل البحث التأريخي.

[137] الواقع أنّ قانون منع تربية الماعز في الجرود (الجبال) صدر في خمسينيات القرن العشرين قبل الوحدة ومجيء عبد الناصر. وهدف المنع هو المحافظة على أشجار الجرود التي كانت الماعز تتسلق عليها لأكل أوراقها مما يؤدي إلى يباس الشجرة. ولم يكن الحكم قبل وحدة عبد الناصر عام 1959 قوياً لمنع رعاة الماعز. وأثناء حكم عبد الناصر جرى تطبيق القانون بصرامة، فصان بقايا الغابات وأضرّ برعاة الماعز ومعهم الشعّارين صانعي بيوت الشعر للبدو.

أسعاره. في سوريا كانت تتمركز هذه الصناعة في حمص، وحماة، ويبرود، وجسر الشغور، وأريحا، وقرية البساتين في قضاء بانياس.

كانت صناعتنا في سوريا تضارب الصناعة التركية والهندية. أما الآن للأسف التجار السوريون في السعودية يستوردون هذه الصناعة من تركيا إلى السعودية، وللأسف تمر أمام أعيننا ونحن نتحسر على صناعتنا التي تسير بسرعة نحو الانقراض.

تصور يا أستاذ بأنه حوالي 4000 عائلة في القطر كانت تعيش من مردود هذه الصناعة بالإضافة إلى الفائدة التي تعود على الدولة منها. أصبحنا الآن نبحث عن عمل يمكن أن يسد حاجتنا وهذه مهنتنا، لا نعرف كيف نتعلم صنعة أخرى.

تُشترى المادة الأولية بالدولار (طبعا سواء تم الاستيراد عن طريقنا أو عن طريق التجار، هكذا يحاسبوننا) وندفع الرسوم التي أصبحت بحدود الـ 60% ونبيعها بالليرة السورية وندفع ضريبة كذلك، فماذا نستفيد نحن؟

العامل وسطياً يعمل حوالي 8 م بعرض 60 سم في اليوم، 10 ساعات عمل، أي بحدود خمسة أمتار مربعة، أي المصانعة والكلفة تذهب إلى التجار والعمال، ونحن إذا لم نكن نعمل بأيدينا لا نستفيد أي شيء على الإطلاق".

وهنا دخل معلم بنفس المهنة من مدينة حماة اسمه خالد شامية وأكد هذا الكلام.[138] ولدى المقارنة قديماً وحديثاً لهذه الحرفة أشارا معاً أن هذه المهنة لا بد أنها ستنقرض يوماً بعد يوم، "لأن الدولة لا تهتم بها ولا تعتبرها ذات فائدة تذكر من الدخل الوطني لتشجيعها. وفعلاً أكثر من 4000 عائلة يعيشون من إنتاج هذه الحرفة. في البداية كنا نربح وكنا مبسوطين وصناعتنا كنا نتباهى بها أمام تركيا والهند وافغانستان. وكان مجرد أن تنزل بضاعتنا إلى الأسواق في السعودية كانوا فورا يشترونها. حتى أؤكد لك بأننا كنا دائماً ملحوقين بالشغل، أي بضاعتنا مباعة لقُدّام، ولا نخفيك سراً بأنه نتيجة الزحمة والطلب على صناعتنا كان التاجر السوري يشتري بضاعة تركية ويبيعها ضمن البضاعة السورية إلى السعودية على أنها بضاعة سورية، كان يا أستاذ ثقة كبيرة بشغلنا".

وعن العلاقات الحرفية في البدايات، وقبل ظهور النقابات، تحدث بأن "العلاقات التركية (يقصد العثمانية) هي التي كانت تحكمنا، فكان هناك الأجير والصانع والمعلم. الصانع يستأجر دكان بحدود 2 ل.س في العام الواحد. ويضع عنده أجير ويعمل معه أفراد عائلته ويشتغل على القطعة (طبعاً أقصد المهن التي تجاورنا) كالنسيج اليدوي. كان عند المعلم عدد من الصناع يزودهم بالمواد الأولية ويشتغلون ويعطونه الإنتاج على القطعة". (لم يكن

---

[138] دارس من حماة أجرى أيضا لقاء مع شامية منشور هنا أيضاً.

يعرف أرقام الأجور بالضبط). "المعلم كان تاجراً، لا يعمل بيده، يتعامل مع التجار لشراء المادة الأولية ومع تجار آخرين لبيع منتجات الصناع".

لا يتذكر كيف كانت تتم المعاملة فيما بينهم. "بمهنتنا كان يعمل لدينا إما أولادنا أو أولاد الجيران، ولم تكن أي خلافات تذكر في ذلك الوقت عندنا. أما عند غيرنا كان دائماً يحدث خلافات، وأغلبها بين الصناع والمعلمين، حيث كان أغلب الصناع يتركون دكاكينهم ويلجؤون إلينا من أجل العمل، لأن المعلمين كانوا يتفقون على الصناع. وعندما تحدث المشاكل بين الصانع والمعلم كان ينتصر المعلم. ولا أحد من المعلمين يقبل بتشغيل الصانع القدم من عند معلم غاضب عليه، ويصفه بأنه صاحب مشاكل. أما عن الصناع فغالباً يهجرون مهنهم ويتركونها نهائياً، أو يصبحون أجراء لمهن أخرى، لأن الحياة لم تكن ترحم، ومن لا يعمل وقتها كان يموت من الجوع".

وعن شيخ الكار قال: "لا أعرف عن شيخ الكار شيئاً لأنه في مهنتنا لم يكن هناك شيخ كار في حمص، وأذكر أنه حدثت مشكلة بين عامل ومعلمه (عفوا يا أستاذ، المعلم عنا ما هو تاجر كان يعمل مع العامل). وعلى ما أذكر كان المعلم من بيت السواسن، فذهب العامل واحتكم عند شيخ لكار النسيج الآلي في القيصرية، وتدخّل شيخ الكار مع المعلم، وجاء الصانع وباس يد المعلم، وعاد إلى العمل على أن يشتغل بدون أجرة لمعلمه لمدة أسبوع. وفي بداية الأربعينات أصبحت نقابات تضم الصناع ونقابات أخرى تضم المعلمين. كان الصُنّاع يتفقون على يوم يضربون فيه عن العمل، ليس من أجل تخفيض ساعات العمل، لأن عمل الصانع على القطعة، بل من أجل زيادة أجرة القطعة، وكانوا أحيانا يستفيدون ويرفعون الأجرة. لكن في نهاية كل أسبوع أو الشهر كان المعلم يضع العيب {تعني هنا النواقص والأغلاط في تصنيع القطعة} في صناعة القطع ويخفض من الأجر. وكانت الدولة تساعد المعلمين".

عن الحياة الاجتماعية: "تحدث المذكور عن الحياة الاجتماعية في فترة الثلاثينات والأربعينات أنها كانت معقدة للغاية بالرغم من أن الفرد كان يرضى بأبسط الأمور، والله يا استاذ أنه كان لدينا بدلة واحدة فقط تبقى جديدة من أجل المناسبات مثل الزواج، مولد، سفر الخ... كنا نعيرها لبعضنا نحن الأخوة وحتى للجيران. كانت حياتنا بسيطة جداً، وبالرغم من الجوع والفقر والحرمان كنا نرضى بكل شيء. لكن الشيء الذي كان يزعجنا كثيراً أنه كنا نعمل ليل نهار وبالرغم من أن المواد جميعها رخيصة، إلا أننا كنا نجوع لأن ما نحصل عليه من الأجر لا يكفي، لأنه يا أستاذ نحن لسنا مثلكم، نحن عندنا عادات وتقاليد تجعلنا نصرف أموالاً كثيرة، مثل المهر، المصاغ والجهاز، الرضوات [هدايا] لأم العروس وأبوها وأخواتها وأولاد عمها والمشايخ، والهدايا، وبدها بيت لحالها أو على الأقل غرفة، وقليل المرأة أن تجتمع مع أخوة زوجها أو تأكل معهم، ليس مثل اليوم، اليوم فَرَقَتْ الحياة كثيراً عن أول كان والدي الله يرحمه مسيطراً على العائلة كلها، لا يجوز لأحد أن يتكلم ويعارضه. توفي ولم أدخن أمامه، ليس خوفاً بل احتراماً، أما ابني لم يعد يحترم، الأمور تغيرت يا أستاذ".

عن زواجه: تزوج في الخمسينات من ابنة عمه، وهي غير متعلمة، واستأجر بيتاً خارج الدار، واعتبر ذلك خروجاً عن إرادة الوالد، لكن نظراً لضيق المحل اقتنع الوالد. كان المهر 200 ل.س مقدم، و 500 ل.س مؤخر، ومصاغ بحدود 60 ل.س.

للمتحدث عشرة أولاد: خمسة شباب وخمس بنات. اثنان يعملان بنفس المهنة، وآخر نجار ألمنيوم، وآخر عسكري والابن الصغير ما زال طالباً في الثانوي. أما البنات فجميعهن عازبات، ثلاثة تعملّنَ الابتدائي واثنتان ما زلن في المدرسة الإعدادية.

تاريخ الحديث 1987/5/1

ملاحظات وتعليق الدارس:

من خلال الحديث السابق، ومن خلال ما رواه المتحدث، ولا مجال لذكره هنا، وبقناعتي، أنه صادق فيما يقول، أي تكلم ما يحسه فعلاً، هذا أولاً. وبكل جرأة وصراحة وربط الأحداث بعضها ببعض، وحلل الواقع الذي عاشه مع مهنته تحليلاً موضوعياً، ولا أبالغ إذا قلت أن السيد عبد المنعم الشعار (محدثي) متطرف إلى حرفته بشكل كبير، ومتأثر بها حتى أنها أصبحت جزءاً لا يتجزأ منه بشكل عجيب. حاول بشتى الوسائل والسبل إقناعي أن هذه الحرفة لو تم رعايتها من قبل الدولة مثلها مثل المهن الأخرى، لكانت تسهم بجزء لا بأس به من الدخل القومي بالإضافة إلى إنعاش أكثر من 4000 أسرة، أي حوالي 35000 نسمة، وهذه شريحة من المجتمع ليست بالقليلة على حد تعبيره. ولا يعرف سر إهمال الدولة لهذه المهنة، مع العلم أنه تم العودة لإنعاش حرف يدوية قديمة. قال حتى اتحاد الحرفيين لا (كلمة غير مقروءة) إلى هذه المهنة. ثم تحدث عن الرسوم والضرائب. عند دخول المواد الأولية إلى القطر هناك رسوم جمركية عالية، وعند التصدير وأثناء التصنيع هناك ضرائب كثيرة، لماذا؟ لا يعرف.

قال بكل صراحة وصدق: "الحقيقة يا استاذ أخاف من المستقبل، لا صنعة بأيدينا إلا هذه الصنعة، وهي تسير بسرعة إلى الانقراض. فماذا نشتغل بعدها؟"

ملاحظات الدارس:

- لم يرغب بالتحدث عن الأحزاب التي كانت موجودة في الثلاثينات والأربعينات وقال: "نحن ما لنا علاقة بالسياسة".
- رفض الإدلاء بأية معلومات عندما نتعرض في الحديث إلى المرأة
- المتحدث كان جريئاً وصريحاً وذلك بعد أقطعت له على نفسي وعداً أمامه بألا أكتب إلا ما يريده هو أن أكتبه.

- بالرغم من أنه وصف لي الحياة السابقة (أيام الاستعمار الفرنسي) ببؤسها وشقائها لكن من خلال الحديث تبين لي أنهم ليسوا بفقراء كما يصف، بل من عائلة ميسورة. ووصفه هذا (أقصد الفقر) حتى يضعني بصورة بأنه أحبَّ الثورة،[139] ووجد فارقاً شاسعاً بين اليوم وما مضى.

16- الحاج ديبو: من صانع إلى معلم نسيج فتاجر جوخ في حمص

مُجري اللقاء الدارس: سليمان مخول.[140]

المتحدث: الحاج ديبو محمود العدوي. من مواليد حمص 1900.

كتب الدارس:

الحاج ديبو حالياً تاجر، بائع جوخ في سوق المناشف، الدكان الثاني على اليمين. كان يعمل في شبابه صانع نسيج، ثم معلم نسيج، ثم تاجر، لأن النول أصبح ميكانيكي على حد تعبيره.

حياته الاجتماعية: المذكور كما حدثني من عائلة ميسورة كانت دارهم كبيرة (سراي) كما قال، فيها عدة غرف. تزوج عام 1930، وسكن عند أهله، وجهّز العروس بخزانة بلور عدد 2، خزانة خشب بـ 3 درفات، مرآة في الوسط، وطقم كنبيات. وجهاز العروس وسياقها كله كلفه أكثر من 50 ليرة ذهب، أي بحدود الـ200 ل .س، لأن الليرة الذهب كانت يومها ما بين الـ 4 و 5 ل.س.

توفي جده وكان عمره 10 سنوات. وتوفي والده وهو عمره ثلاث سنوات. لم يرغب في التحدث عن علاقاته الاجتماعية أو الحياة الاجتماعية بشكل عام. عادات، تقاليد، فقر الخ...

سألته عن المهنة فقال: "عملت صانعاً لمهنة "المسدّي"، وكُنتُ آخذ على حسابي الشغل بالقطعة منذ عام 1920 وحتى عام 1932. وكل صندوق غزل كانت أجرته ليرة سورية واحدة. وكُنّا {ضمير "نا" يعود للمتحدث، وهو صانع وعنده أجير} نشتغل بالأسبوع حوالي 4 ليرات سورية، فقط ندفع منها للأجير ليرة سورية واحدة، ويبقى لنا ثلاثة. ولكن هذا المبلغ كان يشتري أكثر من نصف ليرة ذهب، أو 8 أرطال لحمة أو تنكتين سمنة. كنا نستأجر الدكان بـ 3 ل.س في العام. المواد الأولية كانت تردنا من المعلم، كيف يجلبها! لا نعرف.

كانت الصناعة، أي حرفتنا، تمرّ بعدة مراحل: المسدّي، الملقّي، الطعّام، النوّال. فالملقّي: يساوي النير والمشط، الطعّام: يطعم الغزل، النوّال: يأخذ الغزل من عند الملقي فيخرجه ثياباً.

---

[139] أي ثورة 8 آذار 1963، ويعني ذلك الحب أن المتحدث يخشى أن يكون الدارس من المخابرات، والتكتم يُبعد عن المتحدث المشاكل...

[140] هذه هي الدراسة الرابعة لمخول. ولو قُيّض لمشروع كتابة الحركة النقابية أن يرى النور، لكنت استعنت بسليمان مخول وغيره من الدارسين النشطاء للإسهام في جمع أخبار الحركة النقابية.

أغلب الأجراء كانوا أحياناً أولاد الصناع. والعمل كان من الفجر حتى العشاء، أي كنا نعمل (طالما نشوف) بالصيف بحدود الـ 15 ساعة، وبالشتاء بحدود العشر ساعات، حسب طول وقصر النهار. لا كهرباء ولا مي ممدودة للمنازل، ولا أمان، والحرامية كتار والمجرمون أكثر والدوريات كذلك. كنا عايشين من قلة الموت، معنا مصاري ولكن ما في شي، وكنا نخبّيها من الحرامية.

عام 1932 تركت المهنة لعدم وجود الشغل، كان في أزمة قوية.[141] اشتغلت بالبيتون بسبع فرنكات،[142] من طلوع الفجر حتى المغيب، وكنا نتعب. وأنا كنت عريس جديد، مو عيب خلي العالم يقولوا قاعد عند مرتو ما بيشتغل؟ وبعدين أنا كنت شايل هم العيلي... صحيح مع الوالدة الله يرحمها كان شوية ذهبات، لكن هدول للأيام السودي.[143]

المهم عملت من 1932 حتى عام 1936 في البيتون، وبعدها صار معي شوية مصاري. نزلت على السوق واستأجرت دكان من الأوقاف بـ 12 ل.س في العام. وأصبحت معلماً أشتغل شراشف وصايات، وكنت أوزع العمل على 20 صانع. كنت أشتري الغزل بنفسي من الشام أو من حلب. قسم منه أوزعه على الصُنّاع وأبيعه جاهز، وقسم أتاجر به وأبيعه غزل. كانت ربطة الغزل بليرة وربع وثوب الخام بليرة وربع. وكنا شباب نسافر على الشام ونبقى 3 أيام وفي حلب نبقى 5 أيام، يوم روحة ويوم رجعة ويومين من أجل العمل حسب السوق، وكان ماشي الحال. أما اليوم فهيهات! بيوم واحد نسافر إلى حلب ونجيب البضاعة ولا ننام إلا ببيوتنا، أو حتى لا نسافر، نتصل وهم يرسلون لنا البضاعة بالشحن".

ولدى السؤال عن علاقتهم بالصناع قال: "كانت العلاقات طيبة جداً، لكن أولاد الحرام كانوا يوزون بآذانهم حكي،[144] إما يبطلون الشغل، أو يعملون عند معلمين آخرين، أو يطلبون زيادة أجور. كنا نحتكم عند شيخ الكار، وكان دائماً الحق معنا. الحقيقة يا ابني كنا نجور عليهم شوي، لكن كانوا يزيدوها حبتين. نحنا نسافر ودمنا (ع كفنا) وهم قاعدين بالفي،[145] تجيهم المواد لعندهم، ويشتغلونها، ويحاولون التحكم بنا.[146]

---

[141] هذا نتيجة الأزمة الاقتصادية العالمية لعام 1929 ودامت أربع سنوات. وقد تناولنا هذه الأزمة وتأثيرها على الحرف والصناعة السورية في كتابنا الحركة العمالية في سورية ولبنان الصادر في دمشق 1973.

[142] العمل في البيتون أو الباطون: أعمال البناء المرتبطة بالإسمنت المسلّح، وهي من المهن التي تتطلب قوة عضلية ، (من وضع ح ح ؛

[143] هؤلاء للأيام السوداء. وفق مبدأ: خبّي قرشك الأبيض ليومك الأسود.

[144] يوزّ في أذنه شخص: ينم شخص آخر ويغتابه أمام هذا الشخص . (من وضع ح ح)

[145] قعد في الفي: جلوس في الظل. ويقصد بها الراحة وعدم التعرض للشمس كما هو حال العمال . (من وضع ح ح)

[146] تصف هذه الفقرة علاقة معلمي الحرف بصنّاعها. والصراع أو الخلافات القائمة بينهم. ويلفت النظر اعتراف المتحدث، وهو معلم حرفة، بأن المعلمين كانوا يجورون على الصناع، أي يستغلونهم. و "ولاد الحرام "كانوا يحرضون الصناع على المعلمين.

قبل الحرب العالمية الثانية لا أذكر إن كان هناك نقابات. أذكر أنه كان بعض الجمعيات أغلبها خيرية. صحيح نحنا والصناع كنا نساهم فيها، إلا أنها كانت لها غايات شريفة، كدفن الموتى، ومساعدة المرضى، وإعالة العائلات المستورة. هذه الجمعيات كانت تأخذ الصفة الدينية ليس أكثر من ذلك. أما بعد الحرب العالمية الثانية، أي بعد 1945، ظهرت بعض النقابات. وأذكر أنه كان لنا نحن نقابتنا ولصناعنا نقابة خاصة بهم. وكنا عايشين مع بعض مبسوطين. كانت نقابتنا تساعدنا على مقاومة البضائع الأجنبية، وتعمل دعاية لمصنوعاتنا عند الشعب. وكنا متكاتفين مع بعضنا ضد كل من يحاول ضرب مصالحنا. والصانع الذي يخالفنا ما كان يلاقي شغل أبداً. كنا نخبر النقابة أن فلاناً لا يصلح للعمل (عونطجي وكتير غلبة) [147] وما كان حدا يشغّله عنده أبداً. كان يعود غصباً عنه، [148] ويجيب جاه معه حتى يقبله. وهذا دليل على تكاتف أرباب العمل وحصار الصُنّاع وإجبارهم على الرضوخ. والجاه تعني يأتي بأناس كواسطة لإعادته للعمل.

في بداية الأربعينات دخل النول الآلي، وتركت الشغل، [149] وأصبحت تاجر جوخ، وما زلت حتى الآن. {هذا مثال واضح على التدرج من أجير إلى صانع فمعلم فتاجر. وهذا ما تناولناه بالتفصيل في كتابنا تحركات العامة الدمشقية} نبيع نصف جملة ومفرق. والله سترها وماشي الحال".

حكى عن الأحزاب التي كانت موجودة في أيامه. شرد بنظره مدة، ثم التفت إليّ، وقال: "هل أنت مخابرات أم صحفي؟"، ابتسمت وقلت له: "يا حجي، أنا لست مخابرات أبداً. والسؤال الذي لا يعجبك بإمكانك ما تجاوب عليه، وإذا تضايقت أسحب سؤالي". قال بالحرف الواحد: "لا ومالو؟ فأنا ليش خايف؟ [150] هات لأحكيلك عن الأحزاب". [151]

"كان بحمص في أول الثلاثينات حزب الشعب لبيت الأتاسي، وكانت الكتلة الوطنية لمين؟ ما بعرف!. بعرف بعد الحرب العالمية الثانية:

- كان حزب الشعب برئاسة عدنان الأتاسي ومعه فيضي الأتاسي وغيرهم.
- كان الحزب الوطني برئاسة الحاج سليمان المعصراني.
- كانت العصبة برئاسة حلمي الأتاسي.
- والكتلة الوطنية برئاسة هاشم الأتاسي.
- وكان حزب الإخوان برئاسة مصطفى السباعي.

---

[147] العوطنجي هو الإنسان الكسول القادر على العمل ويتسكع في الشوارع ويكون عالة على غيره .

[148] دون إرادته .

[149] أي العمل كمعلم نسيج لديه عدد من الصناع والجراء.

[150] هذا دليل على الخوف المستوطن في قلوب الناس من المخابرات السلطانية وبطشها.

[151] دعني أحدثك .

- والحزب القومي السوري لا أعرف من كان يرأسه لكنه كان للمسيحيين مثل سري الحلبي.
- وكان الحزب الشيوعي برئاسة نسيب الجندي.
- وكان البعث العربي برئاسة ممدوح كيشي.

ما كان أكثر من الأحزاب في ذلك الوقت. كنا مثل لبنان، كل عائلة تعمل حزب لحالها".

وعندما سألت أي الأحزاب كان محبوبا من قبل الشعب؟ قال: "كل حزب له أحبابه. الشيوعي والقومي كانوا للمسيحيين. حزب الشعب الوطني لأولاد العائلات بالحكومة. وكانوا يختلفون دائماً. كل ذلك مظاهر. أما هم متفقون. حزب الإخوان المسلمين كان للمتدينين. وكانوا بالبداية أصحاب مبادئ وإيمان، ما مثل حزب اليوم حزب كذب ونفاق وقتل (طبعا بقصد حزب الإخوان)".[152]

أما عن الجرائد والمجلات التي كانت تصدر قال: "جريدة التوفيق لتوفيق الشامي ثم باعها إلى فيضي الأتاسي وأصبح اسمها جريدة السوري الجديد، وإلى جانبها جريدة الفجر".

ملاحظات وتعقيب الدارس:

الحاج ديبو يبدو أنه من عائلة ميسورة الحال، وأقرب إلى الغنية في ذلك الوقت. عكس بحديثه واقع أصحاب الأعمال أكثر مما بحث وضع طبقة عاملة ونموها إبان الاستعمار الفرنسي. وطالما نحن بصدد معرفة تطور الحرفة والعلاقات الحرفية وما تعكسه على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي وجدت من خلال حديثه أنه حتى قيام الحرب العالمية الثانية كانت العلاقات الحرفية الإقطاعية (العثمانية) سائدة، حيث كانت الأعراف والتقاليد، وعلاقة المعلم بالصانع والأجير. والتجارة كلها كانت متوارثة عن الاستعمار العثماني بالرغم من دخول الرأسمال الأجنبي ووجود بعض الصناعات الآلية (الآلات الأجنبية).

من خلال هذا العرض جاء حديث الحاج ديبو غنياً والأمر الملفت في ذلك الوقت، الآتي:

- بيَّنَ انعدام الأمن والاستقرار في ذلك الوقت عندما تحدث عن عمليات النهب والسرقة والقتل (الحرامية كتار والمجرمون أكثر).

---

[152] واضح أن المتحدث كان حذراً وينتابه الشك في كون من يتحدث إليه من المخابرات. ولهذا كال التهم للإخوان المسلمين بعكس ما يبطن في داخله، كي يتحاشى بطش المخابرات، إذا كان من يسمع له منهم. ولا بدّ من الإشارة هنا أن الحزب الشيوعي في حمص ضمّ أعدادا وفيرة من المسيحيين، ولكنه كسب جمهوراً واسعاً من الشباب من الأوساط المسلمة. ورئيس الحزب نسيب الجندي هو من عائلة مسلمة معروفة وكان طبيب أسنان. وخلفه في قيادة الحزب محمد ظهير عبد الصمد، وهو خريج مدرسة شرعية، التحق بالحزب الشيوعي مع عدد من زملائه في المدرسة الشرعية، كما ورد في مذكرات الأخير.

- بيَّنَ لنا وجود الضغط والإرهاب الذي كان يمارس على الشعب من خلال الدوريات التي كان يعاني منها الشعب الأمرين كما وصف لي.
- عكس لي الحياة الاجتماعية والتي ما زال متأثراً بها إلى حد كبير حتى اليوم، أهمها أنه لم يسمح بأي سؤال يتعلق بالنساء والعلاقة مع الجوار. وكذلك دلّ على سطوة الرجل وقوته عندما قال: "الرجّال لازم ما يقعد، لازم يطلع حجر من الصوان".
- أهم ما في الأمر تحدث عن وجود أزمة تأثرت بها حرفته بالرغم من أنها يدوية، الأمر الذي يجعله يترك المهنة ويلتحق بعمل آخر (أظن هي الأزمة العالمية التي دامت من عام 1929– 1933).
- كان اتفاق المعلمين في النقابات له طابعه الإيجابي في ضرب المصنوعات الأجنبية ومحاربتها والدعاية للمصنوعات الوطنية وتشجيعها، وكان له طابعاً سلبياً هو الاتفاق على ضرب العمال وإلزامهم بالعمل في أطول ساعات وبأقل أجر وجعلهم بأي وسيلة، وإن تكن بشعة، تابعين لهم. عندما قال: "كان دائماً شيخ الكار معنا، وكان العامل يجيب جاه، وبوّس إيدين المعلم حتى يعود إلى عمله"، أي أنه كان شبه اتفاق بين معلمي الحرف، يلتزمون فيما بينهم بضرب الحركة العمالية ومطالب العمال بشتى الأساليب من جهة، ومن جهة أخرى ضرب البضائع الأجنبية والرأسمال الأجنبي وكل ما يهدد مصالحهم. وبعبارة يمكن القول أنه كان لاتفاقهم وجه وطني ووجه رجعي.
- بيَّنَ عن وجود إرهاصات للحركة النقابية السورية والتي تأثرت بها حرفهم عندما ذكر علاقتهم مع الصناع "أولاد الحرام كانوا يوزون بآذانهم" طبعاً يقصد بذلك بعض من يتصلون بهم لتنظيم العمل النقابي.
- ربما كان له علاقة مع أحد الأحزاب التي كانت موجودة في ذلك الوقت، لأنه لم يكن يسترسل بالحديث عن نشاط تلك الأحزاب، الخ...

وجدت أخيراً أن المعلومات التي أعطاها صادقة، ويظهر من خلال حديثه كل تصرف غير حقيقي حيث كان يبالغ بطيب، مثل حسن معاملة المعلمين للصناع وهذا الكلام معروف أنه مبالغ فيه.

17- لقاء مع دولاتي من دمشق

مُجرية اللقاء الدارسة: ماجدة فارس.

اسم المتحدث: أحمد بن سليم لبابيدي من مواليد 1925 في دمشق، قنوات. مكان أخذ الحديث: مكان العمل بباب مصلى سويقة يوم الأحد 1987/6/21.

كتبت الدارسة:

اسم جد المتحدث: مصطفى لبابيدي. يقول المتحدث بأن جده توفي وهو طفل في الثانية من عمره فلا يعرف عنه شيئاً سوى أنه كان يعمل جزاراً أمام جامع يلبغا. وتوفي عن عمر يناهز 90 سنة. للجد ولد واحد فقط وهو والد المتحدث.

اسم أب المتحدث: سليم بن مصطفى لبابيدي. تاريخ ومكان الولادة دمشق 1907، وتوفي عام 1974، وكان بنّاء.

أخبرنا المتحدث بأنه كان وحيداً لوالديه، وكان مدللاً كثيراً وأمه تعتني به كثيراً، ولا يُرفض له طلب. تعلم القراءة والكتابة في مدرسة معهد العلوم في باب سريجة. وكان التعليم في ذلك الوقت يقتصر على تعليم القرآن، وعندما يختم الطالب القرآن، كان الأهل يتباهون به أمام الجميع ن وتُقام الأفراح والزغاريد. لم يقرأ أيا من الكتب، بل كان يذهب مع أقرانه إلى القهوة ليستمع إلى القصص التي كان يسردها لهم الحكواتي، ومن هذه القصص عنتر وعبلة، الزير سالم الخ... كما كانوا يشاهدون "صندوق السمع".[153]

قبل الزواج كان يعمل صانع في مهنة دولاتي والأجرة كانت 15 قرش سوري. تزوج وهو في الرابعة عشر من عمره لأنه وحيد لوالديه.[154] بعد الزواج اشتغل مع والده في البناء بنصف ليرة، بعدها أصبح معلماً فصار يأخذ أكثر من والده لرشاقته وخفّته في العمل، فغدت بينه وبين والده إشكالات، وعلى أثرها ترك عمل البناء وعاد إلى صنعته القديمة دولاتي.

الأثاث الموجود عند والديه سابقاً: خزانة، سجادة، صندوق. لم يشتر أثاثاً عند الزواج لأنه كان صغيراً فأعطاه والده السجادة والخزانة الموجودتين في المنزل. ودفع والده مهر العروس عشر ليرات ذهبية.

كان الرجال يلبسون صدرية وشروال وطربوش وقنباز وجاكيت. ذكر لنا حادثة طريفة بأنه عند زواجه جلبت له العروس معها بيجاماً بيضاء فلم يلبسها، وتحول لونها مع الزمن إلى أصفر لأن الرجال في ذلك الوقت لم يعتادوا لبس البيجامات، لأنه كان عيب يلبس الرجل بيجاما.

الزوجة عند الزواج كان عمرها 12 سنة، فهي صغيرة لا تعمل شيئاً. كان والدها يضمن عنب وقد توفي قبل زواجها. لم يتزوج المتحدث إلا مرة واحدة لأنه مرتاح مع زوجته، فهي جميلة وخلوقة ومطيعة. قال لنا بأنه يرى فيها كل الصفات الإنسانية، فلذلك لم يخطر على باله في يوم من الأيام أن يتزوج غيرها.

أما عن وضعه بعد الزواج، فقد اشتغل مع والده بمهنة البناء لأنها مريحة وذلك من أجل تأمين مصروف المنزل، وعندما شعر والده أنه يتضايق منه لأنه صار معلم ترك مهنة البناء وعاد إلى مهنة النحاس.

---

[153] صندوق السمع: الفونوغراف أو غرامافون (Gramophone or Phonograph) من أوائل الأجهزة الصوتية التي تستخدم الاسطوانات، ويتميز بحجم بوقه الكبير. (من وضع ح ح)

[154] كانت العادة أن الشاب الوحيد يزوّجه أهله في سن مبكرة، بغية تكثير الذرية.

استقل عن والديه عندما أصبح لديه أربعة أطفال والأحوال أصبحت ميسورة. فقد اشترى أرضاً وعمّرها بنفسه.

كان يحصل على المواد الأولية من التجار وهم: عمر مكي، وأنطون شلهوب، و الياس شكور. كان ثمن كيلو النحاس 2،5 ل.س عام 1942. ثم ارتفع بعد ذلك وهبط إلى أن أصبح سعر الكيلو في ذلك الوقت عشر ليرات. في القديم كان العمل يدوياً يعتمد على المهارة. كان الصانع طوال النهار لا ينتج سوى قطعة واحدة، أما الآن أصبح العمل يعتمد على الآلات. وتصريف المنتوج كان مباشرة عن طريق سعودي كان يأتي ويأخذ كل ما لديه من منتوج، بحدود 300 قطعة، كل قطعة 3 ليرات.[155]

في ذلك الوقت لم يكن حق العامل مهضوماً، كانت أجرة الصانع 15 ق.س في اليوم، وفي ذلك الوقت كان هذا المبلغ يكفي بالنسبة للأسعار. في الماضي. كان يوجد مرابون، كانوا موجودين في حي الميدان، يتعاملون مع أهل حوران. كان يأتي الحوراني ويأخذ مبلغاً من المال مقابل فائدة، ولما تطول الفترة المتّفق عليها، يذهب المديداني مع رجاله على الخيول إلى منزل الذي أخذ منه المبلغ ويعيده، مع خسارة الحوراني طعام الرجال وخيولهم.

ملاحظة الدارسة: امتنع المتحدث عن ذكر أي اسم من أسماء هؤلاء المرابين، كما امتنع أن يروي لنا اي حادثة بسيطة عنهم، مع العلم بأنني أخبرته أنني لن أسجل ما يقوله.[156] كما قال بأنه يوجد أهل خير كثيرون، مثال: إذا استجارت امرأة برجل كان يساعدها مهما كلف ذلك من ثمن.

أهل الحارة كانوا يحبون بعضهم وكأنهم أسرة واحدة، كل واحد يشعر بشعور الآخرين، يساعدون المحتاجين، كما كان الجميع يتصفون بالشهامة والمروءة والصدق والاخلاص والوفاء، وكان الجميع يشاركون في الأفراح والأتراح. أما الآن فالذين يقيمون في بناية واحدة لا يعرفون شيئاً عن بعضهم.

أولاد المتحدث:

- مروان: يعمل بياع براميل، متزوج، المؤهل العلمي سادس.
- بسام: يعمل سمكري وبياع أدوات غسيل، متزوج، المؤهل العلمي سادس.
- غسان: يعمل سائق سيارة، المؤهل العلمي تاسع.
- منور: متزوجة في كفر سوسة، زوجها يعمل دهان سيارات.
- كوثر: عازبة في المنزل.

[155] كانت الحجاز ومن ثمّ السعودية سوقاً رائجاً للبضائع الشامية. وفي لقاء لي مع خيّاط ذكر أنّ عدداً ممن الخياطين في ثلاثينيات القرن العشرين كانوا يخيّطون ما يلائم أذواق السعوديين. ويأتي حجازي مرتين في السنة لشراء ما ينتجونه.

[156] هذا دليل على سطوة المرابين وأبنائهم وأحفادهم، مما جعل المتحدث حذراً خائفاً من تحرّش هؤلاء به.

دخل في التنظيم النقابي للحرفيين في عام 1970 على أمل أن يساعده التنظيم في الحصول على المواد الأولية، ويحميه من الاستغلال والمرابين. بعد ذلك وجد أنّ ما تقوله الجمعيات الحرفية لا ينفذ منه شيء، وأقوالهم حبر على ورق.

العمل في القديم أفضل من الآن. سنوات الخير بالنسبة له كانت 1973 حتى 1978، فكان لا يعرف من أين يأتيه المال. أما الآن فالحياة بسيطة جداً. وأخبرنا بأنه يصرف على أحفاده الأيتام، بعد أن توفي له ولدان ولهما 11 طفلاً. [157]

رأي معدة الاستمارة بالمتحدث: كان يتحدث باختصار، كان محرجاً، وشعرت بأنه يخفي الكثير. في كثير من الأحيان كان يتجاهل أو يرفض أن يتكلم. واستنتجت بأنه يحافظ على سر المهنة، فهو لا يخبرنا عنها إلا أنها كانت يدوية وتعتمد على المهارة، أما الآن تعتمد على الآلات.

18- النول اليدوي لصنع بيوت الشعر (خيام البدو) / حماة

أجرى اللقاء الدارس: محمود محمد الرحال، مواليد طيبة الامام 1958. [158]

المتحدث: خالد بن أحمد الشامية من مواليد مدينة حماة، حوارنة عام 1931. مكان أخذ الحديث: في مكان العمل/ "النول اليدوي" لصناعة بيوت الشعر، بتاريخ 30/5/ 1987.

اسم الجد: بكري الشامية، توفي يوم سفر برلك، حيث أن عمره كان في تلك الفترة حوالي 50 سنة. وكان يعمل الجد حايك يدوي، أي نسّيج شراشف، حيث أنه في تلك الفترة، كما روى المتحدث، كانت حياتهم بسيطة للغاية، وكان يعمل في هذه المهنة مع الأسرة فقط لسد رمقهم وعيشتهم (سرد لي أغلب الكلمات بالعامية).

"كانت إذا دقّرَت الحرفة وما عاد في شغل،[159] كان جدي يذهب إلى المناطق المجاورة للبلدة من بساتين وغيرها، و"يضمنوا" أشجار جوز والخضرة بأنواعها. وكان عمله عادة بالحرفة فقط أيام الشتوية، وكان العمل

[157] قضية الإنجاب العشوائي والتكاثر السكاني هو أحد أسباب التخلف. والمأساة التي تعيشها سورية الآن خريف 2015 تعود إحدى جذورها إلى هذا الانفجار الديموغرافي (السكاني).

[158] كتب الدارس عن سيرته: أعمل في محطة محردة الحرارية "توليد الطاقة الكهربائية"، كوني خريج معهد متوسط كهرباء وميكانيك التابع لوزارة الكهرباء. عُيّنت في المحطة في عام 1978، حيث كانت قيد الإنشاء. في تلك الفترة تابعت عملي مع الشركات الأجنبية وتعلّمت مع زملائي ما يكفي لأن نقوم بعملين هما تشغيل المحطة وخدمة وطننا. عُينت رئيساً لقسم العنفة حيث أنني كنت مندفعاً في عملي، ومارست عملي أيضاً كرئيس قسم مراجل وما زلت على عملي حتى الآن، وأعمل في نظام الورديات في قسم الاستثمار

[159] تعثر وتباطء ، وكثُر العرض وقلّ الطلب على البضاعة.

الصيفي بالسجرية.[160] وتعني كلمة السجرية أشجار مثمرة من جوز ولوز وتفاح. وكان الضمان في تلك الفترة عند البيك،[161] حيث أنهم يعملون للحصول على قوتهم، ويحصل البيك في نهاية المطاف على ما يريده.

أخوة الجد: أحمد، ومحمود، ومحمد، وعبدو. كان عملهم جميعاً بنفس المهنة، حيث أنهم ورثوا المهنة والصنعة أباً عن جد.

أما الوالد من مواليد 1870، حماة (حوارنة)، وكان يعمل نفس عمل الجد، ولكن غيّره إلى النول اليدوي لصناعة بيوت الشعر (خيام البدو)، حيث أنه كان يعمل عليه فقط في الشتاء، وكان الحصول على المواد الأولية ليس بالسهل.

وروى لي حادثة وفاة والده: "طَلَعْ [162] أبوي ضمن ضمنة عند البيك والبيك كان وكيله من بيت "المسير" من حماة. دفع أبوي ثلث الضمنة وتم استلامها من البيك. كانت الظروف الجوية في تلك الفترة قاسية. نتيجة لزوبعة هواء سقطت ثمار الأشجار، ولم يكن هناك محصول ليُباع وسدْ دين البيك الباقي. مما دفع البيك إلى إقامة دعوى، ووضع والدي في السجن حيث مرض بالزنطارية [163] نتيجة البرد، وعدم الاعتناء في السجون، ولا دواء، وأدى ذلك إلى وفاته بالسجن".

عدد أخوة المتحدث وأسماؤهم:

1- خالد شامية: من مواليد حماة حوارنة عام 1931

2- حسن شامية: من مواليد حماة حوارنة عام 1933.

"ورثنا الصنعة عن والدنا، ورَبِينا أيتام فترة طويلة من الزمن، قاسينا فيها الأمرين من فقر مدقع، حيث تمر الأيام الطويلة القاسية. وتعلمنا الصنعة بشكل جيد وحاولت تطويرها وتحديثها.

لقد تعلمت القراءة والكتابة في تلك الفترة في المدارس الليلية. كان يتم التدريس في جامع "القاق" بالباشورة، حيث أن التعليم كان نوعاً من محو الأمية، وبقيت أنا وأخي نتعلم لمدة ثلاث سنوات، وذلك لقاء دفع مبلغ من أجل ذلك، وكان عمري في تلك الفترة حوالي 30 سنة، بدأت أقرأ ما يوجد لأنه لم يكن هناك كتب إلا الروايات، فقرأت سيرة عنترة وبني هلال، وكُنّا نتداولها في سهراتنا.

---

[160] أبدل الشين بالسين وتحولت الشجرية إلى السجرية، ويبدو أنها لهجة عامية حموية.

[161] البيك تعني مالك الأرض الإقطاعي. وكانت معظم أراضي حماة ملكاً للإقطاعيين، وألقابهم: بيك، وآغا، وأفندي.

[162] تعني هنا: ذهب.

[163] مرض الزنطارية: بالانكليزية "Dysentery"، الزحار المعوي، من أنواع الالتهابات المعوية. (من وضع ح ح)

تعلمت مهنة العمل على النول اليدوي وصناعة خيام البدو قبل الزواج، وما زلت أتابعها كوني طوّرتُها، وهي وراثة أباً عن جد.

وكان أثاث البيت في تلك الفترة –أي ما يملكه والدي– بسيطاً جداً: صندوق من الخشب ولباد ومخدّات مصنوعة من القش. واشترى والدي عند الزواج ثياباً بسيطة فقط للبسها حيث أن عيشتهم كانت بسيطة.

كان المهر في تلك الفترة 500 قرش تركي ذهب صاغ، كان يكتب كتابة ولكن في أغلب الأحيان لا يسدد.[164] وكان أَكْلُهم في تلك الفترة من خضراوات الأرض المزروعة وكان متوفراً في تلك الفترة أيضاً سمن صاغ، وزيت صاغ،[165] وكان خبز التنور الطيب، عموما كان أكلهم كوسا، وبطاطا، وباذنجان"، هلّي [الذي] متوفر من الأرض".

أما بالنسبة إلى لباسهم الشتوي، فكان الرجال يلبسون شروال وصدرية صوف "مغربية" وحطة وبريم {البريم هو العقال، وهو فخر الرجل} من صوف، واللباس الصيفي "قنباز" من حرير صاغ (دودة القز) و"صاية". بالنسبة للنساء فكن يلبسن الملايا، وما زالت حتى اليوم. وكانت بيوت السكن من الطين والحجارة وسقفها من الأخشاب والقصب.

"زوجتي قبل الزواج كانت تدرس في المدرسة إلى أن أخذت "السرتفيكا"،[166] وتعلّمت في المدينة عند الخيّاطات، خياطة الرواب النسائية. وكان يعمل والدها حلاق قديم و"قلاع ضراس"،[167] وكانت أمها تعمل خياطة. غالباً النساء كنَّ يعملن بالخياطة. لم أتزوج غير امرأة واحدة لأن الحالة ما تتطلب أن يتزوج الواحد أكثر من واحدة، وما في ضرورة، "هاي (هذه) قسمة الإنسان ونصيبه".

"كان عملي بعد الزواج بنفس المهنة، حيث تابعتها بشكل جيد وطوّرت فيها لكي توفر من جهدي الشيء القليل، وكان ذلك بفعلي أنا، وتشغيل عقلي، حيث أن المصلحة التي ورثتها عن جدي "ما في غيرها نشتغل فيها".

الحصول على المواد الأولية يتم بطريقتين:

- استيراد شعر الماعز من الدباغات الموجودة في:حماه، وحمص، وحلب.
- استيراد من التجار الكبار الذين يملكون الأموال.

[164] أي أنّ مقدار المهر يكتب على الورق، ولكن في واقع الأمر لا يُسدد.

[165] الصاغ تعني غير المغشوش والمخلوط بمواد أخرى.

[166] يُقصد بها شهادة الدراسة الإبتدائية عند انتهاء التلميذ من الصف الخامس وتقديم امتحان تجريه وزارة المعارف

[167] غالباً ما كان الحلاق يمتهن الحلاقة وقلع الأسنان المسببة للألم وبدون مقابل.

كان سعر الشعر حسب القبال والمحل، فعندما يكون هناك قبال تتحسن المصلحة وتمشي بشكل جيد، بينما عندما يكون هناك محل بِتْوَقِفْ المصلحة.[168]

كان الشعر على نوعين: تركي أو حجازي. وسعر الكيلو لا يتجاوز 20– 30 ل.س وهو بازدياد.

المراحل التي نقوم بها لتحويل المواد الأولية إلى مواد مصنّعة جاهزة للبيع هي كالتالي:

- مرحلة الشعر الخام: حيث يُنقّى في هذه المرحلة الشعر الأسود من بقية الشعر الملون. وكانت تتم التنقية بواسطة اليد، وكان الشعر الأسود هو الجيد.
- النتف: يتم نتف الشعر وفرزه.
- الغزل: يتم بواسطة دولاب يدوي وهذا الدولاب موجود منه في جسر الشغور، حماة، أريحا.
- الحياكة: أي النسيج بواسطة النول اليدوي.

كان المنتوج من المحل يباع بواسطة التجار، حيث أن لهم دكاكين في الأسواق، يُصدّر لهم المنتوج وهم يبيعونه كما يشاؤون وكيفما يريدون. وقال بحسرة: "وذلك نتيجة الضغط من قبل التجار. نحن نتمنى لو أن البدو يأتون إلينا ويشتروا من عندنا وبسعر أرخص بس ما نقدر لأننا مرتبطين بالتجار لأنهم يستوردون المواد الأولية لنا".[169]

كانت أرباح التجار في هذه المصلحة موسمية وأسعار بيوت الشعر مشكلة. "نحن نبيع المنتوج للتاجر بسعر المتر حوالي ستين ليرة سوري، وهو يبيعه بالسعر الذي يريده: مية، مية وعشرة ليرة سوري [...] الله بيحاسبو، مو طالع بإيدنا شي".[170]

"إن الصنعة حرة، ونرى ضغطاً من قبل التجار الكبار ونحن تجار صغار. ونطلب من الدولة طلباً واحداً: وهو مساعدتنا على عملية الاستيراد والتصدير مثل ما بيعمل التاجر الكبير، حيث أنه يقوم بعملية التصدير والاستيراد لأنه يملك الأموال. ولأن المواد الأولية ليست من الدولة، فلذلك نحن خاضعين للتجار المحتكرين ولا نقدر على مجابهتهم".

---

[168] القبال: هي الموسم الجيد، والمحال أو المحل: تعني الموسم الضئيل القليل. وسنة قبال تعني سنة كثيرة الأمطار فتنمو الأعشاب التي تتغذى منها الماشية وبالتالي يكون صوف الغنم وشعر الماعز جيداً وغزيراً. وعكس ذلك في سنوات المحل وقلة الأمطار حيث تقل غذاء الحيوانات ويضمر صوفها أو شعرها.

[169] وهذا يعني أنّ التجّار هم الذين يأخذون القسم الأكبر من الربح، والخاسر هو الحرفي والبدوي

[170] هذه العبارات التي نقلها الدارس عن المتحدث صاحب النول لصنع بيوت الشعر معبرة تعبيرا يفوق منظّري الاقتصاد السياسي وما شرحه كارل ماركس في كتابه الرائع "رأس المال"، وتعكس واقع استغلال التجار للمنتج الحرفي وللراعي البدوي، الذي يأويه بيت الشعر. والأبلغ من ذلك أن حساب التاجر عند الله، والمهني المنتج ليس في يده حيلة للوصول إلى حقه.

إن الصراع الاجتماعي بمعناه الحقيقي لم نعهده، فقط كان صراعنا مع التجار الكبار حيث أنهم الوحيدين القادرين على الاستيراد والتصدير ونحن لا نقدر ذلك على هذه الحالة (ثلاث كلمات غير مقروءة وضعها الدارس ضمن قوسين مما يعني أنها نقل حرفي، ونقدر أنّ المقصود من التعبير العامي مقدرة التجار على التحكم بالحرفيين كما يريدون). وكان التجار يضغطون على المصلحة حتى أننا نوقفها بأمرهم في بعض الأحيان.

تحدث عن نوعية العمل حيث أنه من الأعمال الحرة فقط بيع وشراء، "لا يمكن أن ندخل الفائدة فنحن لا نتعامل مع الربا والفائدة". ولكن عمل التجار بعد ما نبيع لهم المنتوج ليس لنا دخل فيه، فهم يعملون على تخزينه من أجل الربح وذلك عن طريق احتكاره وكان ذلك يعود علينا بالضرر.

"السكن قديماً كان في بيوت من الحجر والطين. والحياة القديمة رغم بساطتها كانت حلوة، كل شيء كان متوفرا وخاصة البندورة حيث كنا نذهب إلى (كلمة غير مقروءة وبالتأكيد تعني اسم سوق الهال في حماة) ونأتي بالسحاحير، كل سحارة بسعر بسيط جداً.

المياه كانت من الآبار بواسطة "الطرنبة"،[171] ولم يزل قسم منها حتى اليوم. ووجدت إلى جانبها مياه الآبار الارتوازية، "وكان سهرنا على ضوء من الكاز، ولا نسهر أكثر من العشاء. والآن وجدت الكهرباء والتلفزيون والبرامج المسلية. وكانت تدفئتنا قديماً على الفحم، واليوم على مدفأة المازوت. حذاؤنا في تلك الفترة "صرماية حمراء" كل ما نمشي فيها شوي "بتنش من المي".

"بالنسبة للأرياف نعرف عنهم أنهم كانوا مظلومين، كون البيك فوق رؤوسهم دائماً. على سبيل النكتة: بتعرف أن الفلاح كان يحاسبه البيك على البيض؟ أي إذا ملك الفلاح عدد معين من الدجاج فيجب أن يحضر قسماً من البيض للبيك. ويا ويله إذا عند المساء ما ودّاله بيض".[172]

وروى حكاية سمعها من أحد الفلاحين من القرى المجاورة "الربيعة" عن الأيام الماضية: "اشترى البيك تبن وباعه في تلك القرية. وكانت تلك الأيام شتوية، وكان الطريق ما بين الضيعة والطريق العام طين، لا تقدر السيارة المرور إلى داخل الضيعة، مما اضطر أهل القرية أن يأتوا بالبغال الموجودة عندهم من أجل نقل التبن، تخلف أحد الفلاحين، وكان وكيل البيك بجانب البيك الذي كان يعرف بالتفصيل من يملك بغلاً، وسأل عن الفلاح الذي تخلف، فأجابوه بأن بغله مريض. لم يقتنع البيك. أتى الرجل الذي بغله مريض ووقف أمام البيك وما معاه (معه) البغل، فقال له البيك: أنت ليش ما جيت مثل غيرك؟ فرد عليه الفلاح: البغل مرضان. فضربه البيك بالعصاية ولم يقدر أحد من أهل القرية على تخليصه منه. وأمره بأن يحمل تبن عوضاً عن البغل المرضان. وفعلاً بدأ يحمل الرجل التبن مثل غيره".

---

[171] المضخة لرفع الماء من البئر .

[172] أحضر له

"ودائماً كنا نرى أهل الأرياف وهم يأتون إلى شوارع المدينة ويتجمعون في شوارعها من أجل الحصاد، وكل واحد شايل منجل بإيدو. وكانوا يعانوا من الجوع في الشوارع ويذهبوا إلى الحصاد وذلك من أجل المعيشة بأي سعر زهيد يعرض عليهم، حيث أنهم كانوا يتقاتلون فيما بينهم من أجل الذهاب مع المعلم، والمعلم بدوره يختار السعر الأرخص والذي يريد. كنا دائما نرى ما يدور من شجار فيما بينهم في الشوارع".

الأولاد الذكور:

1- خدم العسكرية ويعمل حداد افرنجي وهو أعزب.
2- طالب مدرسة وأعزب.

أما الأولاد الإناث:

1- البنت البكر من مواليد 1961، متزوجة ومتعلمة وزوجها يحمل شهادة جامعية، موظف بالمشفى الوطني بحماة/ مستلم مستودع المواد الغذائية.
2- الأصغر من مواليد 1963، متزوجة ومتعلمة، تعمل في صالون حلاقة للسيدات، وزوجها يعمل مصلح ساعات وهو يحمل شهادة ثانوية.
3- الأصغر مواليد 1971، عازبة، وتدرس معهد فنون نسوية.

انتسب[173] لنقابة الغزل والنسيج اليدوي القديمة، حيث كان مركزها في البداية عند مدرسة التجهيز "مدرسة السيدة عائشة" حالياً، وبعدها تمّ نقلُها إلى باب النهر. "وكنت[174] عضواً في اللجنة حيث أنه كان لكل مصلحة ممثل عنها في تلك الفترة. وكنا نجتمع اجتماعات عفوية وعشوائية من أجل مناقشة المشاكل التي تحصل والإضرابات التي تحدث. وكنا نتفق على الأجور التي يتقاضاها الصُنّاع في الدكاكين الذين يعملون عند الصناع[175] وأسعار المواد التي يعمل بها أصحاب المهن المنزلية في تلك الفترة. حيث كان للمعلمين عدد من الدكاكين، وكل دكان فيه من خمسة إلى ستة عمال، حيث كان من 300-500 عامل بالمصلحة الواحدة. وكانت الإضرابات تقوم عموماً من أجل زيادة الأجور وتحسين ظروف المعيشة، وكانت تثمر الإضرابات في بعض الأحيان وتفشل أحياناً أخرى. وذلك بسبب أنه عندما يتم الإضراب، ترى عدداً من الصناع قد نزلوا وانسحبوا وذهبوا إلى العمل عند المعلمين، ولكن بالأغلب كانت العلاقة بين الصانع والمعلم طبيعية، حيث أن الحساب بين المعلم والصانع يجري كل يوم جمعة".

---

[173] تعود إلى المتحدث والنص بقلم الدارس.

[174] تاء المتكلم تعود للمتحدث.

[175] كثيراً ما بقيّ الصانع صانعاً رغم إتقانه المهنة. والوصول إلى مرتبة المعلم لها تقاليدها. وتفاصيل التدرج في الحرف من أجير إلى صانع فمعلم موجودة في كتابي: تحركات العامة الدمشقية، فصل الحرف.

"والحساب على القطعة وعلى الكيلو. وكان هناك بنفس المهنة الواحدة صناع يبيعون بالقطعة، وصناع يبيعون بالكيلو، حيث أن المنتوجات الصغيرة لا تباع إلا بالكيلو والأشياء الكبيرة لا تباع إلا بالقطعة "مشايلة" [تقديرياً] أو بالرطل".

"نحن اليوم عايشين ومستورة والحمد الله. والصنعة ماشية بشكل جيد حيث خفّ عهد المحتكرين، لكنهم موجودون. والعمل على قدم وساق، والمواد الأولية متوفرة، ولكن ليس بالشكل المطلوب. فنتمنى أخيراً أن يكون هناك إنصاف من قبل الدولة لأن هذه المصلحة حرة. ونحن نشتكي من ناحية المواد، حيث أنها تتأمن بواسطة التجار المحتكرين المسموح لهم بالاستيراد والتصدير لامتلاكهم رؤوس الأموال الكبيرة. نطالب بطلب واحد: لو أنه يكون هناك إعاشة "إجازة استيراد وإعاشة" كل سنة حوالي عشرة طن للمحل الواحد ونحن نكون من الشاكرين".

بالنسبة للمحل واسع وكبير، فيه النول المصنّع والمعدّل وآلة النتف المعدّلة. والمحل فيه غبار بشكل مكثف، فهم عندما يعملون يضعون الكمامات على رؤوسهم لوقايتهم من الغبار الكثيف. والمكان مغلق لا تدخله الشمس. والعمل باعتباره حراً فالوقت غير محدد.

كان الرجل صاحب المحل يتكلم ببساطة، وطلب مني طلباً وهو شبه خائف: إذا كان بالإمكان زيارة المعمل ومشاهدته عن كثب.

لماذا ؟؟؟. أنا فسرته بيني وبين نفسي... ؟؟؟... [176]

19- عامل النسيج اليدوي على النول من إزرع[177]

مُعدّ الاستمارة الدارس: صبحي النصير، من مواليد إزرع عام 1951.[178]

---

[176] إشارات الاستفهام والنقاط من الدارس، أوردتها كما هي. وواضح أن الدارس لديه أفكاراً لم يكتبها.

[177] إزرع بلدة تقع إلى الشامال من سهل حوران وقريبة من جبل حوران . وفي أواخر القرن التاسع عشر كانت محطة للقطارات ، التي تنقل حبوب حوران إلى دمشق او ميناء حيفا في فلسطين .

[178] كتب سيرته: ولدت في بلدة إزرع وترعرعت في مدارسها، وعملي منذ الطفولة إلى جانب الدراسة الزراعة إلى أن دخلت الآلة الحديثة وخففت من مشقة الزراعة وغيّرت معها أمورا كثيرة. وبعد الخدمة الإلزامية توجهت للوظيفة في صوامع حبوب إزرع، وكان عملي "محلل مخبر" وعمل المخبر عملية أساسية حيث أن صوامع الحبوب مؤسسة استثمارية ومرتبطة مع مؤسسات ثانية كمؤسسة الحبوب، والأعلاف وإكثار البذار. ولا بد من خلال المخبر الإشراف على الحبوب التي في طريقها إلى تخزينها ومدى صلاحيتها للتخزين أم لا، وذلك وفقا للشروط المنصوص عليها من قبل المؤسسات مجتمعة، تجنبا لحدوث الإشكالات فيما بين المؤسسات. وهنا ناحية لا بد من ذكرها: العمل الرئيسي للصومعة هو تنظيم العلاقة بين صوامع الحبوب ومؤسسة إكثار البذار، وبالإضافة إلى التخزين تتم عملية الغربلة والتعقيم لتوزيع البذار على المزارع. عملي يتطلب الاحتكاك المباشر مع المزارع طيلة الموسم.

المتحدث الحرفي: هيال الجريس من مواليد 1948 في إزرع. تم إجراء الحديث في صومعة في إزرع في تمام الساعة الحادية عشر ظهراً، يوم الاثنين في 1987/5/2.

جد المتحدث: جريس العويل، توفي عام 1917 وكان عمره حوالي 70 سنة عند وفاته، حيث توفي في حمص، في بلدة صدد. تابع المتحدث حديثه عن وضع عائلة الجد قائلاً: أنها عائلة فقيرة ودون الوسط، تتألف من أربعة أخوة وهم الجد (جريس العويل سليمان العويل) والاثنان الآخران هاجرا إلى أمريكا، وذلك بسبب الظروف المعيشية السيئة، والظروف الاجتماعية. وبقي جريس وسليمان وأخت اسمها غندف يعملون على النول اليدوي. كانت العملية تتم على الشكل التالي: يأتي الصوف مغزولا، أي مصنعاً، حيث تتم عملية الصباغة والحياكة، وكان الأجر بشكل عيني، أي قمح أو نقود.

أما الأجرة كانت على الشكل الآتي وحسب القطعة المصنعة: البساط: 1 مجيدي، العباءة: 2 مجيدي، مزاوي النساء: ½ مجيدي.

وكذلك يتم صناعة الوسايد والبشت وبسط مقمرة وفجج المذيع[179] وذلك لوضعها على خيام البدو الرحل، ومن هذه الأخيرة يتقاضون الأجر على شكل عيني، سمن أو خروف أو لبن أو كسْي [كساء/لباس].

أما العلاقات العامة كانت جيدة حيث يعيش الناس ببساطة، وكان المهر بشكل رمزي.[180]

ونتيجة خلافات اجتماعية (الأخذ بالثأر) بسبب العرض، قام أخ جد المتحدث، وهو سليمان عويل، وبمعونة أخته غندف بقتل رجلين، وهرب الاثنان إلى قرية خربة غزالة، وذلك عام 1910. وكما هي عادات العرب سابقاً يلتجؤون إلى إحدى العشائر حيث يؤمنون لهم المسكن والحماية. وكان الجد في نهاية عمره ترك العمل لأولاده وهم: يوسف الجريس، وفرحان الجريس، ومطانيوس الجريس، وعيسى الجريس، وهلال الجريس وبنت اسمها مريم، حيث تولد هؤلاء ما بين (1900-1915) بالتسلسل.

الناحية الثقافية كانت معدومة، القصص التي سمعت بها لا تتجاوز السيرة أو تغريبة بني هلال والقصص التي تتضمن غزو القبائل، ومن قبيل ذلك.

أولاد جد المتحدث: يوسف وفرحان: يعملان على النول، أما بقية الأخوة وهم مطانيوس وعيسى وهلال: يعملون في الزراعة (بالفاعل أي مرابع أو محاصصة).

---

[179] هذه الأسماء وما يليها نجهلها، وإذا أُتيحت لنا فرصة الرجوع إلى سورية سنسعى لمعرفة أوصافها.

[180] هذا بالنسبة للوسط المسيحي ومنه يتحدر المتحدث. وللمهر أشكال سيرد الحديث عنها لدى الآخرين.

يوسف الجريس والد المتحدث، من مواليد صدد من محافظة حمص 1899 – الإقامة الحالية بإزرع. توفي في إزرع عام 1974. هرب من صدد إلى خربة غزالة، وعمل على النول مع أخيه لمدة خمس سنوات. وكانوا يسكنون في خربة غزالة بدون أجرة. وهم في لجوئهم كانوا في حماية الشيخ صالح الحاج علي.[181] وبعدها عادا إلى إزرع، بلدهم الأصلي، وقصدهم الزواج من مسيحيات، لأن أهل خربة غزالة إسلام، وازرع نصفها مسيحية. وفي إزرع سكنوا في دار خالية من السكان لا يوجد لها أصحاب. وفيما بعد طردهم من الدار زعيم منطقة إزرع جداف الغنيم، وأعطاها لأحد أقربائه، فذهب والد المتحدث إلى بيت آخر حيث استأجر دار مزعل الصدي، وبعدها عمّرَ داراً خاصة له ولإخوته. كان أب المتحدث عمله على النول حيث يتم شراء النول من دمشق وقيمته 10 مجيدي (غ)، كان عمل النول متخصص لفرحان ويوسف، والأخوة الباقون يعملون مرابعين.

وفيما بعد تعرف على إنسانة، وطلبها من أهلها [للزواج]، ودفع سياقها (أي مهرها) ومقداره 40 ليرة ذهب، حيث كان لا يملك الأرض أو حلال (أي غنم وماعز) ، وتابع عمله حتى توفي في عام 1974.[182]

أولاد أب المتحدث: جريس وفرحان وعيد وفواز وهيال وعيدة ولطيفة، وكافة الإخوة، ما عدا المتحدث، عملوا مرابعين في الزراعة وبعدها عمالاً في بيروت، ولبعضهم الآن محلات تجارية.

العلاقات الاجتماعية أيام والد المتحدث: كانوا يتبادلون السهرات في محل أو في بيت. كانت الإنارة هي "الكاز أو الفانوس" وكانت السهرية "راحة أو جوز"، وكانت تسود العلاقات الألفة والمحبة. كان أب المتحدث وأخوته يسكنون في بيت الأهل، وبعد الزواج يذهب كل واحد إلى بيته يشتريه أو يبنيه.

ملاحظة: قبل الزواج، الإنتاج بيد الأكبر سناً، وهو مما كان يسبب الخلاف بين الأخوة، ولكن بعد الزواج الإنتاج لكل فرد على حدة.

تعلم المتحدث في مدارس إزرع. أما الكتب التي قرأها: البخلاء، ابن المقفع.

تعلم مهنة النول، إلى جانب الدراسة، من والده. وتزوج وهو طالب في الصف الحادي عشر عام 1967. جهاز العروس لا شيء، سوى صندوق مُصدّف لها. ومهرها 40 ليرة ذهب، يأخذه أهل العروس ويقدمون لها (الفرشة – لحاف – مخدة صوف). أما المواد الغذائية الموجودة وقتها هي رز، وسمنة عربية وحليب ومشتقاته، ومن منتجات الطبيعة (عكوب، وحميض، وقرص عنه). وكان اللباس عبارة عن فضاضة وعقال وسروال.

---

[181] رحّب أهل خربة خزالة وهم فلاحون ورعاة ونصف بدو لا يتقنون المهن، بالقادمين المختصين بالحياكة وصنع اللبسة الضرورية لهم. إضافة إلى ذلك لم يكن لدى فلاحي حوران المسلمين حساسية أو عداء تجاه المسيحيين.

[182] بسبب قلة العملة كان مهر الفتاة أرضاً أو مواشي. وبما أنّ يوسف الجريس صاحب مهنة، وهي الحياكة، فكان المال متوفراً لديه، ولهذا جرى دفع المهر ذهباً.

عمل الزوجة قبل الزواج: في الأرض مع أهلها "حصيدة" [الحصاد]، بالإضافة إلى حلب الغنم، و"الخض"[183] للحصول على السمنة، وجلب الماء. والعمل بعد الزواج: شاركت الزوجة زوجها في عمل الحياكة وكان دورها: الصباغ ، غزل الصوف، لف الخيطان، تربيط السدى على النول. والدها فلاح، وتزوج بامرأتين اثنتين، والسبب وفاة زوجته بالمرض.

المتحدث: تابع عمل النول بعد الزواج لسنة 1974، بالإضافة إلى أعمال حرة، مثال تمديدات صحية، دهان، تصليح بوابير. وبعدها في عام 1980 توظف في صوامع حبوب إزرع بصفة ميكانيكي، ويزاول بعد دوامه بعض الأعمال التي ذُكرت، لكي يستطيع تأمين حياة افضل لأولاده. عاش المتحدث مع والديه قبل الزواج، وبعد الزواج لمدة لا تتجاوز السنتين حيث عاش منعزلاً عن أهله، وذلك بسبب خلاف ما بين زوجته ووالدته وذلك عام 1969.

عن والد المتحدث: كانت تتم عملية تصنيع الصوف لطالب الحاجة، ما عدا الصباغ الذي يتم الحصول عليه من دمشق حيث كان الكيلوغرام من الصبغة 2 ل.س، وبعض القطن المصنّع الكغ ستة ليرات سورية فقط لا غير. وكانت أجرة القطع المصنّعة على الشكل الآتي: البساط 35 ل.س، الشالة 5 ل.س، العباءة 10 ل.س، البست 5 ل.س، الوسادة 2 ل.س.

ملاحظة من الدارس: هذه الأسعار ما بين عام 1940-1960، حيث كانت البضائع تأتي من أصحابها مغزولة، ويتوجب عليه حياكتها وصباغها فقط. كان يعيش من أجرة يده فقط، لا توجد تجارة خاصة.

لا يوجد صراع اجتماعي في مجال المهنة حيث الأسعار متقاربة فيما بينها. كان الصراع على شكل طائفي- عشائري أو على العرض، أو خلاف على حدود الأرض.

المرابون والسماسرة يأتون من المدينة ويستغلون أهل الريف.

الزمن القديم أفضل لتوفر التسامح والخير والمحبة وعدم التفكير بالمصالح ولا وجود للهجرة.

قديماً لم تتوفر الآلة الحديثة للأرض. والنول حيث العمل المستمر طيلة اليوم من مطلع الشمس حتى مغيبها، أما الطرقات كانت معدومة، والمياه قليلة يتم نقلها من مسافات بعيدة إما على البهائم أو على رؤوس النساء، وكذلك نقل الحبوب من مكان إلى آخر، والإنارة معدومة. الصحة معدومة فالأمراض كانت منتشرة والمواصلات للمدن غير متوفرة حيث كانوا ينتقلون على الجمال والحمير.

---

[183] خضّ ــهزّ وحرّك . والخض هو وضع الحليب في ضرف وخضّ للحصول على السمنة . والضرف جلد ماعز يدبغ ويوضع فيه الحليب لخضه والحصول عاى السمنة .

أولاد المتحدث ذكوراً وإناثاً: نواف: بكلوريا، نايف: عاشر، حسام: ثامن، نجود: خامس، خلود: رابع، ريم: أول.

ملاحظة: النول القديم لا زال موجوداً حتى الآن في بيت المتحدث.

الأسباب التي جعلت المهنة تتهافت إلى الوراء هي: أولاً- صعوبة العمل على النول القديم ، ثانياً- العملية تحتاج إلى أعصاب باردة، ثالثاً- عدم توفر اليد العاملة لأن العملية تحتاج إلى يد عاملة، وكانوا سابقاً في البيت يتعاونون أكثر، رابعاً- عدم توفر المواد الأولية وهي "الصوف"، خامساً- الأجرة غالية بسبب غلاء المعيشة.

تعليق الدارس: لقد صوّر لي المتحدث واقع جده كما ذكره له والده، وأعطى صورة عن واقع والده كما عاشه بصدق، وكان صادقاً إلى أبعد الحدود في تصوير الواقع كما كان.

20- رئيس جمعية نقابة الأحذية في حماة

مُجري اللقاء الدارس: مازن سبسبي من شركة الحديد بحماة.

المتحدث: محمود بن سعيد الشماع، من مواليد حماة 1913، سوق الشجرة، منطقة البياض. مهنته: معلم أحذية. مكان أخذ الحديث: منزل النقابي في البياض بتاريخ 1987/6/21.

عمل الجد: اسمه حسين الشماع، عمل في بقالية بحي سوق الشجرة، وهو من الجماعة التي تطوّعت لدى الجيش التركي الذي ذهب إلى اليمن باسم الجهاد، وقد تعذبوا كثيراً، وسمعت أن بعضهم قد رعوا في مزارع اليمن، وتسمم معظمهم، وقد ذهبوا إلى استنبول، ثم استنفروا وذهبوا إلى اليمن في جبالها الصعبة.[184]عاش مع زملائه في سوق الشجرة، حيث كان هناك أزمة معيشية تنجم عن الجهل والتخلف وكان المرض متفشياً، لا يعرف سبب وفاة المريض، وما هو سبب مرضه، من شدة الجهل، حيث لا وجود للقراءة والكتابة إلا عند الشيخ الذي يعلم تعاليم القرآن. وأذكر أنه يُقال (يروى) عن جدي أن دور العصملي [185]كان أكثر رداءة من أي دور كان. وكنت أسمع عن أبي يحدثني عن جدي لكونه متوفياً قبل ولادتي، بأن هناك سوء معاملة ما بين الصانع ورب العمل، ويحل هذا الخلاف (شيخ الكار للمهنة) ، حيث لاوجود للنقابة ولا غيرها، فينتقونه ينتخبون شيخ الكار) انتقاء فيما بينهم، على أن يكون رجلاً متقدما بالسن، ومرجع الخلافات له، أي هو أكبرهم سناً وأقدمهم في المهنة الواحدة، لا ينفذ آراءه بالقوة وإنما بواسطة المرونة فيما بينهم. وكان وضع العامل لا يتمتع بأي صفة، حيث لا وجود للكرامة التي يجب أن يمنحها له رب العمل، نتيجة الجهل والفقر خشية من طرده من العمل، لذا يتحمل جميع

[184] لم نغيّر حرفا فيما نقله المتحدث عن جده. ويكتنف الغموض قصة الجهاد. إذ من المعروف أن السلطات التركية ساقت الشباب قسرا إلى الحرب في اليمن. أمّا مسألة الرعي والتسمم فلا بدّ أن الخيال لعب دورا في نسج هذه القصص.

[185] العصملي تعني العثماني أو كل شيء له علاقة بزمن الحكم العثماني .

الصعوبات ومشقة العمل، حيث لاوجود للقوانين النافذة في ذلك الوقت. وكنت أيضا أسمع من والدي عن جدي أن السلطان عبد الحميد كان يستقبل العلماء أرباب الشعائر الدينية وينفذ لهم مطاليبهم.

الوالد: اسمه سعيد بن حسين الشماع الذي كان متطوعاً في الجيش التركي، وكان عمله "بقالية مأكولات" وحالته الاقتصادية متوسطة، ومتزوج وله من الأولاد: حسام (نجار عربي)، محمود (أحذية)، أحمد (أحذية)، عبدالرزاق (نجار بيتون)، وأربعة إناث: حنيفة، بدرية، فهمية، مفيدة. تربيته كانت جيدة وقد توفي رحمه الله عام 1948.

قرأت كتب مثل "نوادر العرب"، وكتاب "أعلام الناس" يوجد به أمثال عربية قديمة حلوة، وسيرة عنتر بن شداد. وكنت أنتظر وصول المجلات والكتب الثقافية بفارغ الصبر لوجود الجهل الكبير بيننا نحن أفراد الطبقة الكادحة.[186] وقد تعلمت القراءة والكتابة عن طريق الشيخ محمد أبو ريشة والشيخ أحمد الحداد، وامتاز التعلم بفك الخط العربي. وكنت أقرأ في مجلة المنار لعدم وجود غيرها في ذلك العهد، وجريدة العاصي.

ثم التجأت إلى المهنة، وتعلمت المصلحة عند "القطرنجي" الذي كان أقدم معلم أحذية في ذلك العصر، وبقيت عنده 3 سنوات. وأذكر أن والدي حينما ذهب معي إلى معلم المصلحة قال له: "اصطفل منك إله، العظم لي والهبر لك".[187] ثم انتقلت لعند معلم آخر اسمه "الحاج سريو الغنامة"، والسبب لأنه أقدر منه، وأنني أرغب في تعلم المصلحة بأقصر وقت ممكن، ولكونه كان يعطيني في الأسبوع أجرة (1 مجيدي) بعد سنة واحدة بدون أجرة، كنت وقتها كنّس الدكان، وأُجلّس المسامير وأجمع له رقع وقطع الجلود المتناثرة هنا وهناك، وتشميع الخيطان وبَرْمِها،[188] تهيئة للصانع الذي يعمل بالخياطة من بعدي.

نهضت المدارس على دور فرنسا، وأصبح عليها إقبال من قبل النشء الطالع لاهتمامه بالثقافة.

كيفية نشأة الأحزاب في سوريا: قام رجال الفكر والزعماء وتباحثوا فيما بينهم عن كيفية الخلاص من المستعمر الفرنسي. ومن أسماء هؤلاء الزعماء الذين صحّوا عقول الناس على الثورة للتحرير وهم: توفيق الشيشكلي، رئيف الملقي، نجيب آغا، سعيد العاص، فوزي القاوقجي. وكان تَجَمُعُهم على أساس أنهم من الكتلة الوطنية. وسمعنا من دمشق : حسن الخراط، وعبدالرحمن بك الشهبندر، وشكري القوتلي، ومن السويداء: أدهم خنجر، وسلطان باشا الأطرش، وجبل اللاذقية: الشيخ صالح العلي، ومن جبل الزاوية: ابراهيم هنانو.[189]

---

[186] الجملة الأخيرة، كما أرى، من وضع الدارس، إذ لم يكن تعبير الطبقة الكادحة سائداً.

[187] تعبير يستخدم من قِبل الوالدين في مجالات عدة ، عندما يسلمون إبنهم إلى معلم المدرسة أو معلم المهنة لتعليمه وتأهيله واستخدام الشدة معه كي يتعلم ويصبح زلمة .

[188] تشميع الخيط: إذابة الشمع عليه لكي يصبح سهل الانزلاق أثناء الخياطة. برم الخيط: جعله على شكل فتيل رفيع. (من وضع ح ح)

[189] هنا أيضا تدخّل قلم الدارس مثل قوله جبل اللاذقية. ولا اعتقد أنّ المتحدث استخدم هذا التعبير. كما يرجى الانتباه إلى ما علق في ذاكرة المتحدث من اسماء قادة الأحزاب. وذاكرته ليست وثيقة، ولكنها تبيّن مستوى الفكر السياسي للمتحدث.

كنا نثق بزعماء الأحزاب جميعهم لكونهم يداً واحدة من أجل مصلحة البلد وطرد المستعمر الفرنسي الذي حكمنا 25 سنة، وتوجت الثورة في الثورة السورية الكبرى، والتي انتهت بعد عامين في جميع المدن السورية.

تفاصيل عن مهنتي: المواد الأولية من الجلود والنعل منَوّع من خفيف وثقيل، خيطان، مسامير، وكعاب كاوتشوك للعمل، وكرتون للكعاب، وقوالب للمهنة، والارث، والشاكوش، ومادة السريس اللاصقة، كتان خام لبطانة الأحذية، وجلد تور من أجل الكعب. ويتم الحصول من لبنان (من مشغرة في جنوب لبنان) على الجلود والنعل، كلها صناعة محلية في لبنان، حيث يتم الاستيراد، ويدبغونها في لبنان، حيث يتم عزل الجلود السميكة للنعل والرقيقة لنعل العيار الخفيف ومن أجل "الضبان" و"بوز" الحذاء.[190] وكان هناك تُجّار تحضر هذه المواد من لبنان حيث نستلمها منهم بالطاق، والطاق حسب الطول بالقدم، أكبر طول بالقدم 25 وأصغر طول 9 قدم. بعدها انتقلت مصلحة الدباغة إلى سوريا عام 1935 وما بعده، حيث أصبحت الدباغة من اختصاص دمشق في القصاع[191] حيث ينتج من مصنع اسمه "بارود" . وهو نعل متين ومحترم من قبل أرباب العمل. وحينما نسمع نعل بارود فهو مجال للثقة. وهناك عدة مدابغ منها للجلود مثل "مدبغة بلال" حيث أخذ الميزة الأولية في دباغة الجلود في سوريا، حيث أن لديه أبناء كان يرسلهم تباعاً إلى فرنسا من أجل جمع المعلومات الأكثر تقدماً عن كيفية الدباغة، حتى تميّز عن غيره في نسبة العمل ودباغة الجلود.

أحضّر "الكرستة"[192] من جلود ونعل ومواد للصنع، حيث أفصّل على حسب الطلب الأحذية المتنوعة (صباط، كندرة نسائي، رجالي، ولادي) ثم أرسلها مع الأجير أو الصانع ليحملها، وأرافقه إلى الدرازة،[193] وأسجّل الملاحظات اللازمة للدرازة حسب الهندازة[194] التي قُصّت على موجبها، ثم نجمع القوالب الخشبية المطلوبة لشد الوجه عليها بالمسامير، ثم نبدأ بخلع المسامير ووضع مكانهم الخيط المشمّع والقوي لقص النعل وتثبته من جديد حتى نخيطه النعل بالسير الأساسي، ونركب الكعب بالمسامير، ونجلّفه،[195] ونعطيه للصانع للبردخة والصباغة والكوي، ثم نخلع القالب منه، ونضع له ضبان فيصبح جاهزاً للاستعمال.

كانت العلاقة بين المنتجين عادية، كل يأخذ حسب عمله وما يرافقها من أجرة.

---

[190] الضبان: أرضية الحذاء الداخلية. بوز الحذاء: مقدمته. (من وضع ح ح).

[191] منطقة الزبلطاني تقع إلى الشرق من حي القصاع حيث تنتشر الدباغات قديماً على ضفة بردى. وأحد الدارسين أجرى مقابلة غنية مع عامل في تلك الدباغات.

[192] الكرستة عند البنائين مواد البناء ، وعند السكافية الجلود ، التي تُصنع منها الأحذية.

[193] الدرازة: التخييط. (من وضع ح ح).

[194] التقويم للشكل المناسب حسب الموضة.

[195] التجليف الصقل والتسوية وغزالة البارز.

أُلغيت عملة المجيدي تقريباً عام 1928، وظهر التعامل بالليرة السورية حيث كل 5،5 ليرة سورية تعادل ليرة ذهبية عثملية.[196]

أجرة أجير ½ ل.س، أجرة صانع على كل زوج من الاحذية ½ ل.س على أن ينهيه على الخالص، صانع رابح أجرته عن كل زوج أحذية ½ ل.س وهو حر في أن يحضر لديه أجيراً أو معاوناً من أجل خياطة أو تجليخة[197] وهو يحاسبه في العمل ويتفق معه، وليس للمعلم علاقة مع هذا الأجير. معلم حرفة يبيع إنتاجه حسب التوصية بسعر ليرة سورية واحدة، وهناك نوع من المعلمين يصنعون 5 أحذية أو أكثر في اليوم ويوردونها إلى التاجر ليشتريها منهم ويبيعها هو بـ ¾ ل.س حسب نوع الجلد والكرستة التابعة للعمل.

أما عن ساعات العمل، كان الأجير أو الصانع يحضر إلى العمل منذ الصباح وحتى المساء بعد المغرب. وقرب موسم الأعياد كان يسهر حتى الساعة الثانية عشرة ليلاً من أجل إتمام العمل ومصلحة الإنتاج، حيث يحاسب على قدر إنتاجه من أزواج الأحذية ولا يوجد تحديد لعدد ساعات العمل حينها.

العطل يوم الجمعة فقط، والأعياد الرسمية (عيد الفطر وعيد الأضحى).

كانت تذهب الأرباح إلى رب العمل، أما التاجر فيجمع الأحذية من باقي أرباب العمل ويسافر إلى حمص من أجل إيصالها إلى عملائه وتصريفها، فيبيعها بمقدار 1،5 ل.س.

توجد خلافات بين المعلم والصانع، مثلاً إذا لم ينه الحذاء كما يجب، يقرّعه رب العمل (المعلم) ويوجهه، أو كان يعطل زوج الحذاء عن قصد (عمدا) نظراً لغيرته من صانع آخر يعرف المصلحة أكثر منه، فيقوم بوخز زوج الحذاء من الوجه برأس السكين لتعطيل العمل، ومن غير أن ينتبه عليه المعلم، وذلك للوصول إلى طرد هذا الصانع من قبل المعلم. أما إذا كان عمله سليماً وجيداً فلا مكان للخلافات بينهما. كانت تقوم الدعاية ضد المعلم المتفوق بالمصلحة لشهرته العالية لدى المواطنين فيقوم من هو أدنى مصلحة ببث إشاعة مغرضة عن ذلك المعلم، حيث كنا نحتكم إلى كبار المعلمين من أجل حل هذا الخلاف. ثم فكر كبار أرباب المصلحة بإيجاد نقابة يرأسها أكبرهم سناً وأقدمهم في المصلحة والمهنة لحل ذلك الخلاف فيما بينهم، فتمّ تشكيل نقابة الأحذية، حيث اجتمعنا معظم أرباب المصلحة عدة اجتماعات متتالية حتى توصلنا إلى تشكيلها، ومن يكون الرئيس والأعضاء وبصورة سرية انتخبنا رئيس النقابة وهو محمود الشماع ونائباً للرئيس اسمه سالم النقلي، ولم يكن هناك تسمية "أمين للسر" لكوننا في بداية تشكيل النقابة أما الأعضاء فمنهم: محمود قندقجي.

---

[196] في السنوات الأولى من الحكم الفرنسي وحتى الأربعينات ، لم تكن الناس تثق بالعملة الورقية . وكان أغلب التعامل يجري بالليرة الذهبية وأغلاها الإنكليزية ثم الفرنسية ثمّ العثمانية الرشادية.

[197] جلَخ – جلخا ، الموس: أرهفه وحدّه وصقله ز.

السكان كانوا متضامنين في حي سوق الشجرة ضد المستعمر الفرنسي وعلى قلب رجل واحد.

في ذلك الزمن كان يوجد تآلف بالرغم من الفقر المدقع، وكانوا مبسوطين، حيث يوجد منزول رسمي لدى شيخ الحارة، الحاج قدرو المدني، مختار حارة سوق الشجرة، حيث يجتمع جميع رجال الحارة، ويتداولون في العمل والمعيشة والأمور السياسية لدى الحاج خالد حمدون، والحاج عمر الطباع، والحاج حمدو المحدين)، يحملون أنباء من طرف الثوار والزعماء إلى أهالي الحي، حيث يتهيؤون إذا اقتضى الأمر لذلك، فيخرجون معظمهم إلى مقابل دار العجزة في المقبرة ليترصدوا تحركات الجيش الفرنسي وينصبوا الكمائن هناك.

أعرف عن مشاكل الريف قبل عام 1958 بأن البكوات الإقطاعيين مسيطرين على الريف سيطرة تامة، أي إذا أراد البيك أمراً، يُخلق في الحال رغم كل شيء، ومن جهة الفلاح كان يائساً من الحياة لكون الضيعة وما تلاها من أراضي تحت سيطرة البيك، ليس للفلاح منها شيء. وكان أعوان البيك يخرجون إلى الضيعة ويتصرفون كما يشاؤون بحسب أمر البيك ومن يخالفهم من الفلاحين ينهالون عليه بالضرب وينفونه خارج الضيعة. وفي وقت جني المحصول من الحنطة وغيرها ينتقل البيك إلى الضيعة فينام فيها مع أعوانه لمدة 10 أيام ويعطي أوامره إلى أعوانه بجني المحصول وتأمين البيكات (مفردها باكية)[198] من أجل جمع المحصول فيها مما أوجد تحسساً ما بين الريف والمدينة. ولو سئل الفلاح كيف حال المعيشة لديك؟ فيجيب: "إذا حصلنا على معيشتنا فهي نعمة من عند الله".

أروي لكم قصة حصلت عن سيطرة الإقطاع على الريف، وبالذات في قرية الشيحة التابعة لحماة، وكانت من نصيب نجيب آغا البرازي وله ابن اسمه مختار. وصدف في ذات يوم في الأربعينات أن قام شيخ الضيعة (مختار الضيعة) بوليمة لفقرائها، وتصادف وجود مختار بن نجيب آغا البرازي هناك، فسمع بالوليمة وذهب لعند مختار الضيعة ووقف ببابه وقال له: "بيطْلَعْلَك يا مختار تعمل وليمة لهؤلاء (أشار بيده للفقراء)"،[199] ثم بال فوق الطعام وخرج. وخرج وراءه مختار الضيعة ليرفع أياديه للسماء ويبتهل لله لسوء المعاملة ويدعو بالخلاص.

التنظيمات الحرفية كانت محصورة في تلك الاجتماعات التي كنا نقوم بها من أجل تحسين المعيشة وتحسين المصلحة وإيجاد الجو الملائم بيننا وبين الصناع. وقد قمنا بإضرابات وطنية لم نعرف أنها عمالية حينها لكن مضمونها هو من أجل تحسين ظروف الصنعة والمعيشة، وشعرنا بها منذ عشرين سنة بأنها لصالح العمال لوجود عدم وعي. كنا ننبه بعضنا في دورنا بأن هناك إضراب في اليوم التالي، ومن لم يحضر ولم يبلغ يتنبه إلى الإضراب لعدم فتح جاره المحل وجاره الآخر فيغلق محله ويلتحق بالإضراب في ساحة العاصي، ثم ينطلق الموكب إلى السرايا لنطالب المحافظ بتحسين ظروف العمل وتمتزج هذه المطاليب بالنضال الوطني والشعارات الوطنية والمطالبة بنصرة العامل والفلاح ورفع الضيم عنه ضمن توجيهات مسبقة من قيادة الأحزاب للإضراب في عام 1936.

---

[198] البايكة مكان نوم وإقامة الدواب . وتعني هنا مستودع المحصول.

[199] هكذا وبهذا الأسلوب الهمجي كان الإقطاعيون وأولادهم وأزلامهم يعاملون الفلاحين وينظرون إليهم نظرة إحتقار.

تبلورت فكرة التنظيم النقابي في عام 1939، وذلك لأن النضالات ضد المستعمرين قد تبلورت وقد حان قطاف النصر. كل أسبوع يحصل اجتماع للنقابة في منزل أحدنا ويتخلله سهرية (فواكه، شرب شاي وقهوة مرة). الاشتراكات التي تدفع كل شهر بمقدار ليرة سورية، تدفع لأمين السر على اعتباره أيضاً أميناً مالياً. هذه الاشتراكات كانت تصرف من أجل أمور السفر لدمشق والاتصال بالأخوة أعضاء المجلس النيابي أمثال أكرم الحوراني ورئيف الملقي من أجل إنصافنا وتسهيل أمورنا وتسهيل استيراد الكَرَسْتة لصنعتنا. علماً بأنه كان يوجد اتحاد عمال في دمشق، إلا أننا كنا نحل مشاكلنا عن طريق الوساطة، ونقف مع النضالات الوطنية التي استمرت حتى يومنا هذا.

أسماء أعضاء النقابة:

- الرئيس: محمود الشماع، حي، سوق الشجرة بحماة.
- نائب الرئيس وأمين سر: سالم النعلي (متوفي)، حي البرازية.
- عضو: محمود قندقجي (حي)، حي جورة حوا.
- عضو: محمد دلال، (متوفي)، حي المرابط.
- عضو: صبحي عفان (متوفي)، حي جورة حوا.
- عضو: أحمد الحيط (متوفي)، حي سوق الشجرة.
- عضو: محمد مغمومة (متوفي)، حي المرابط.
- عضو: رئيف حمد (حي)، الحاضر – الحميدية.
- عضو: محمد النشار (حي)، قرب سوق النحاسين.

السيد سالم النعلي هو أمين السر، ويفتح دفتر لشؤون النقابة، حيث يسّجل الاشتراكات والمصروفات وما تحتاج له النقابة من زينة في المناسبات أو مصروفات طريق أو غيرها، وإذا مرض أحد أفراد المصلحة نقوم بجمع التبرعات له، إما نضعهم تحت وسادته أو نؤمن له طبيب من أجل المعالجة، مع حمل هدية له مثل بيجاما وغيرها. ومن الصُنّاع من يحضرون إلى بعض الاجتماعات من أجل إيجاد حل لطلباتهم ويعرضونها على رئيس النقابة لإيجاد الحلول لها. ليس لهم اشتراكات في النقابات. ثم تطورت الأمور وتحول معظم الصناع الرابحين لتأليف نقابة اتصالاتها مع نقابتنا لحل الأمور المستعصية. لا يوجد مثقفون في النقابة.

النقابات الموجودة: نقابة الجزارين، نقابة الحلاقين، نقابة البناء، نقابة الحدادين، نقابة النجارين، نقابة الأحذية، نقابة الشعارين.

ظهر في المدينة اتحاد الصناع في المحافظة قبل أن يسمى اتحاد العمال، وقد سمعنا باتحاد العمال الموجود بدمشق.

تشكلت النقابات في المؤسسات التابعة للدولة مثل معمل التبغ، الشركة الخماسية، حلج الأصواف، معمل اسمنت حماة رقم واحد (القديم)، معامل السكاكر (متوسطة)، الميره (صوامع الحبوب–متوسطة)، المدجنة (كبيرة)، لأنها كانت جميعها تحت إشراف الدولة.

كانت التيارات ظاهرة للعيان داخل النقابات حيث كانت تُسَيّر من قبل الأحزاب، ويصوتون بأيديهم على القرارات حسب ما يُملى عليهم. إلا أنه كان مسيطراً على نقابة الأحذية الفكر الاشتراكي (جماعة أكرم الحوراني) حيث نلتزم بالقرار الموجه لنا ونعتبره قراراً سياسياً. تدور معظم الخلافات حول تشكيل (حزب الشباب العربي)، ويناوئهم تشكيل أديب الشيشكلي، حيث التكتلات ضد الفكرتين وجماعة الكتلة الوطنية برئاسة توفيق الشيشكلي وبعده رئيف الملقي. حينما نادى أكرم الحوراني بمبادئه الاشتراكية سارعت الطبقات الكادحة وجموع الشعب بالسير خلفه تهرباً من الكبت الحاصل والظلم الناتج من وراء البكوات والبرازية،[200] لذلك نجح في الانتخابات لأكثر من مرة ووصل إلى المجلس النيابي وقد قال أكرم الحوراني لأبناء الريف: "أخوتي أبناء الريف أريد النجوم على أكتافكم".

الخلاف كان ينتج عن طابع مبدئي وليس شخصي، علماً بأن هناك نقابات كنا نسمع بها لا تسمح بدخول أفرادها حيز السياسة والأفكار السياسية، مثل نقابة "إنقاذ العامل" والتي لا تسمح لأفرادها بالسياسة. وفي يوم من الأيام كان لا يجرؤ أحد أن يمر من حارة البرازية خشية على نفسه وروحه من الهلاك لوجود بلطجية يخدمون مصالح الزاوات،[201] يقتلون القتيل ويمشون في جنازته،[202] حتى أن النساء لا تتجرّأن على المرور من حي الكيلانية[203] بعد صلاة العصر في النهار، خوفاً من الاعتداء عليهن، وبالفعل حصلت عدة حوادث من هذا النوع، ولم يجرؤ أحد أن يقف في وجههم.

أول ما نشأت النقابة كان همُّنا منْصَبّاً على الأمور الخاصة بالمصلحة وإنصاف الضعيف، ثم تبلورت هذه الفكرة لإنقاذ البلاد من المستعمر الفرنسي.

إن الفكر السائد هو تأمين مصلحة العمل أولاً، وتأمين مصلحة العامل: معيشته ورفاهيته.

الأجور في الستينات كانت كالآتي:

- أجور الصناع: أصبح يحصل على 2 ل.س على الزوج الواحد.
- أجور الأجير: يحصل في الأسبوع على 10 ليرات.

---

[200] عائلات البرازية والكيلانية والعظم هي العائلات الإقطاعية ، التي ملكت معظم أراضي حماة الزراعية واستثمرت الفلاحين استثمارا رهيبا.

[201] عِلية القوم ، والمقصود بهم اقطاعيو الريف ووجهاؤه .

[202] يقتل القتيل ويمشي في جنازته: كنية عن المكر والخداع والتظاهر بعدم المسؤولية عن فعل سبب الأذية للأخرين. 0 (من وضع مح ح).

[203] الحي الذي يسكنه كار الملاك من آل الكيلاني.

- تسعيرة الأحذية: زوج الأحذية النسائية 13 ل.س، الصباط 18 ل.س، الكندرة 17 ل.س.

كنت أعزم جميع العمال والصناع والإجارة يوم العيد، وأطبخ لهم ما يشتهونه من أصناف الطعام، وأعطيهم عيدية 15 ل.س للصانع الرابح و 10 ل.س للصانع و5 ل.س للأجير. إضافة إلى أنني كنت -إكراماً لشهر رمضان- أدعوهم يسهرون عندي إلى ساعة متأخرة من الليل وأعطيهم زوج من الأحذية كعربون عيدية ليلبسه على العيد من الصناع. أستخدم معهم أسلوب التراضي والمفاهمة ومحبة كل واحد للآخر لكي ينعكس ذلك على الإنتاج. وقد نوهت في حديثي سابقاً لوجود غِيرة بين الصناع أنفسهم واستخدام السكين لوخز الحذاء لتعطيله ضد رفيقه ليحل محله.

لا وجود للطائفية والمذهبية والعرقية والعشائرية في العمل النقابي. والسبب يعود إلى الهدف السامي الذي كنا نسعى إليه وهو طرد المستعمر من بلادنا، إضافة إلى أننا أبناء محافظة واحدة وأعرافنا وتقاليدنا واحدة.

يؤخذ الرأي بالأكثرية، وذلك برفع الأيدي على أساس 5 من 9، يؤخذ بذلك القرار للتنفيذ، مثلاً الذهاب إلى دمشق لوجود ضرر بالمصلحة، واستيراد أحذية من خارج القطر. فنذهب إلى أعضاء المجلس النيابي من أجل الشكوى ليساعدونا على منع استيراد الأحذية والسماح باستيراد المواد الأولية التي نحن بحاجة إليها.

كان دورنا ضمن مصلحتنا، كان يختلط العمل السياسي مع العمل المطلبي مع الإضرابات وننفذ (نصل) إلى قائد الموقع وهو ضابط فرنسي يسكن قرب سوق جلباب ويرفع على بيته العلم الفرنسي. وأذكر بأنه مراراً قد أُنزِل العلم وأحرق أثناء الإضرابات.

أخذت النقابات في العهد الوطني البرجوازي صفة تراجعية، واحتكار أمور النقابات، وعلى أي أساس تعمل. وازداد ذهابنا وسفرنا إلى دمشق لعدة سنوات، حيث سمعنا عن تشكيل الاتحاد العام للعمال بدمشق وقد احترنا بأمرنا أي رأي نتبعه لإنقاذ موقف النقابات. وشعرنا أنّ الأمور في دمشق أيضا مجمّدة. وتُعتبر هذه الفترة فترة تراجعية لنشاط النقابات وذلك لشدة الانقلابات في فترة حسني الزعيم، وسامي الحناوي، وأديب الشيشكلي، وتآمر العراق والأردن على سوريا {أي بين عامي 1949 و 1954}.

عام الوحدة مع مصر عام 1959شعرنا في بدايتها بخطوة متقدمة على طريق العمل النقابي، ثم شعرنا بآخرها بأن من كانوا يدعموننا بالرأي قد انسحبوا من السلطة، فضِعْنا وضاعت أمور النقابات، مما حدا بنا لأن نتقوقع على أنفسنا، والالتفات إلى مصالحنا كأعضاء عاديين ومعلمين حرفيين.

في زمن الانفصال استمر الحال على ما هو عليه من تراجع، إلا أننا كنا نشعر بالحزن على خسارة الوحدة وذلك حتى مطلع عام 1963 وثورة العراق، حيث كنا نتلهف لسماع راديو بغداد، حتى سمعنا بأخبار الثورة بعد شهر في دمشق وأقصد هنا ثورة 8 آذار 1963.

أذكر أنه كلما ازداد الإضراب على زمن المفوض السامي الفرنسي نحصل على حقوقنا. وأذكر أنه ظهرت نقابات أرباب العمل والصناع سوية، وأذكر في فترة بعدها بفصل نقابات الصناع عن أرباب العمل، ولكني لا أذكر تواريخ هذه التشريعات.

نحن كنقابة الأحذية ليس لنا أي وثيقة مكتوبة سوى دفتر المصاريف والاشتراكات الشهرية، ولكن مثلما نقرر هو بمثابة قرار تنفيذي، لا وجود لنظام المكتوب لدينا سوى ما نقرره وننفذه بصدق وأمانة وصراحة لصالح المجتمع (المواطنين) والصناع والأجارة (الأجراء) والدولة والمجتمع، إلا أنني أذكر في العهد الوطني أي منذ عام 1946 أصبحنا تحت إشراف مديرية شؤون الاجتماعية والعمل وكان مديرها طه بالي.

أعيش منذ عام 1980 عالة على أبنائي لكوني لم يبق لي عمل أعمل به، ولا يوجد أي مورد لي منذ ذلك التاريخ. فأين ذهب نضالي طيلة هذه السنوات التي قضيتها في المهنة والنقابة حيث لا مورد رزق لي الآن ولا معاش تأميني يسعفني في وحدتي.

مقترحاتي:

1- إيجاد معاش تأميني لسد رمق معيشتي في آخر عمري.
2- إيجاد ضمان صحي لتأمين شيخوختي والطبابة المجانية وصرف فواتير الدواء من اتحاد العمال.

ويكون هذا العمل هو تكريم لي ولمثلي من العاجزين في آخر العمر عن العمل. هذا ما أقترحه ويقترحه غيري من المسنين إذا أردتم إنصافنا جميعاً، وهو طلب ملح أرجو دراسته بعناية والتجاوب معه وشكراً.

21- لقاء مع حرفي (لبابيدي) من حماة

مجري اللقاء الدارس:[204]

المتحدث: عبد القادر فخري من مواليد حماة 1897، ومهنته لبابيدي. تاريخ اللقاء: في 1987/5/3 في بيت الحرفي.

كان عمل الجد لبابيدي، وقبل ذلك كان له حمام في مدينة حماة يشتغل بها. في ذلك التاريخ لم يتذكر وجود نقابة.

كان عمل الوالد والأخوة جميعا صنع اللبابيد. "كان لي أخ اسمه ديب، قد عمل في صنع اللبابيد ثم عمل في التجارة، أي يبيع الحبوب والأغنام. وكان قد أسر لدى الانكليز لمدة أربع سنوات. كان يحارب في بئر السبع، وأخذوه إلى قناة السويس، وهناك كان أسره".[205]

[204] مع الأسف ضاع اسم الدارس أثناء التنضيد.

"كان لا يوجد أحزاب في ذلك الوقت. لقد تعذبنا كثيراً في هذه الحياة، وخاصة أيام السفر برلك، حيث لم نتمكن من العمل ولا تأمين الأكل إلا بصعوبة بالغة".

"لقد عملت في هذه الفترة مع أخي الكبير بتوصيل أغنام وبقر من حلب إلى دمشق ونتعذب كثيراً في التنقل. كُنّا نتنقل من حلب إلى دمشق مرافقين للغنم مشياً على الأقدام مدة 12 يوم مقابل ليرتين ذهب أجرة. وبعدما استقرت الأوضاع، عدنا إلى صنعتنا أي اللبابيد. تم التصنيع من صوف الخروف ويسمى "عك". يأتي العك (صوف الخروف) إما عن طريق الشراء من السوق نصنعه ونبيعه على حسابنا، أو يأتي الفلاح بالصوف لنصنع له لبابيد بناء على طلبه وحسب وزن الصوف الذي أتى به".

قبل التصنيع يمر الصوف بعدة مراحل: يجب أن يكون أولاً مغسولاً ونظيفاً، وبعدها يفرز يدوياً الأبيض عن الأسود والألوان الثانية، بعدها ينفش الصوف إما يدوياً أو بآلة صغيرة تسمى "نفاشة" أو بواسطة وتر عليه قوس يثبت بالحائط ويدلى منه وبشكل مائل قصبة بنهايتها قوس عليه وتر مصنوع من مصران [أمعاء] الخروف، يوضع الصوف تحت الوتر ويدق على الوتر بمطرقة خشب كبيرة فينفش الصوف، وبشكل تلقائي ينتقل الصوف إلى الجهة المقابلة ويُؤخذ من هذا الصوف كمية وتُمَدُّ على خام كبير بواسطة مشط يدوي، تلف هذه الكمية من الصوف الخام وتربط بشكل محكم وتتم دركرتها بالأرجل [تحريكها بالأقدام] لمدة خمسة ساعات بعدها يفك القالب ويخرج الصوف رقيق جداً، هذه هي المرحلة الأولى لتصنيع اللباد. يؤخذ هنا الصوف إلى البيت وتتم عليه عملية الصبغ حسب اللون المطلوب. وبعد صبغه وتنشيفه يقص بأشكال هندسية لرسم اللباد وتصنيعه. وبالمرحلة الثانية يوضع نفس الصوف ويفرش على القماش الخام عرضه مترين وطويل بحسب الطلب وحسب قياس اللباد، أي طوله ووزنه يتحكم العامل به. تفرش فوق طبقة الصوف البيضاء طبقة سوداء أو صوف ملون، وهذا ناتج عن فرز الصوف بالبداية، بهذه الطبقة توضع طبقة ثالثة فوق الصوف الملون.

فاتنا أن نتحدث: قبل بدء فرش الصوف نرسم اللباد على قماش الخام بأن نصنع بالأيدي الرسمة المطلوبة وبالألوان، بعد ذلك يفرش الصوف الذي ذكرناه، بعدها يلف اللباد (كلمة غير مقروءة) القماش، وبعدها يدس ثاني وثالث حسب الحاجة، ويتم لَفّهُم بشكل محكم بربطهم بحبل قوي، ويتم تدويسهم بالأرجل لمدة أربع ساعات، يُفك [الحبل] بعدها ليتم ثني الأطراف التي تكون رقيقة جداً، ويعاد ثانية لربطها وتدويسها لمدة ثلاث

---

[205] أي في الحرب العالمية الأولى. وكان القائد التركي جمال باشا قد أرسل حملة عسكرية لفتح مصر الخاضعة للبريطانيين عن طريق عبور قناة السويس المعروفة بالترعة. نقلت آلاف الجمال المصادرة جنود الحملة وعتادها من فلسطين إلى الضفة الشرقية لقناة السويس. وقام الخبراء الألمان بنصب جسر لعبور الجنود إلى الضفة الغربية للقناة. وكانت البوارج البريطانية بالمرصاد لهذا العبور فدمرت الجسر بقنابل البوارج ومات غرقاً من كان فوف الجسر. وأسر البريطانيون من عبروا الجسر، ومنهم أخ المتحدث. وهرب بقية الجنود باتجاه الشرق في صحراء سينا فمات بعضهم ونهب بدو سيناء الناجين، الذين وصلوا إلى جنوب فلسطين بشق الأنفس. وأجيال تلك الأيام كانت تستخدم لفظ الترعة بدلاً من قناة السويس.

ساعات، بعد هذه المرحلة يؤخذ اللباد إلى البيت وفيها حمّام خاصة، تحت البلاط يوجد لوح صفيح مغطى بالبلاط، وتشعل الحمّام بواسطة الحطب من طرف ثاني، وذلك بأن يدخل النار إلى داخل الحمّام أي تحت البلاط ليصبح ساخناً، وهذا يساعد على تصنيع اللباد بالمرحلة الثانية، يلف هناك ويداس لمدة خمسة ساعات، وفي كل ساعة يفك ويرش بالماء الساخن، بعد ذلك يتم نشر اللباد على السطح لينشف، وقد يكون على اللباد أحرف تشير إلى وزنه وطوله ومن صاحبه.

اللباد تصنيعه صعب جداً، ويجب أن يكون العامل ماهراً، وإن ندف الصوف صعب جداً، وخاصة قبل حدوث الآلات لأنه يتصاعد منه أغبرة كثيرة جداً. نصنع لبابيد كذلك لوضعها تحت جلال (سروج) الحمير. وصنعنا منذ القديم عدة مرات لبابيد، اشتركنا بها في معرض دمشق الدولي، وأخذنا جائزة على ذلك، وتمّ تصنيعه في ذلك الوقت حسب ما طلبوه.

ويتم تسويق الإنتاج كما ذكرنا إما ببيعه مباشرة أو توصاية أي المواد من صاحب الطلب. في هذه الأثناء يؤخذ أجرة على وزن اللباد، أي على كل رطل 15 ليرة، وهذا من فترة قريبة. كان لا يوجد أرباح غير المعيشة.

كُنّا في الحي قديماً عائلة واحدة، وكانت علاقاتنا مع الناس جيدة، حتى كان يتم شراء المونة لكل الحي، أي عند شراء مثلاً حنطة لعمله برغل يتم شراؤها بالاشتراك لكل الحي، ويتعاون النساء على ذلك.

كنت أقدم للعمال –وعددهم حوالي ستة عمال– بعض الهدايا في الأعياد، إما نقوداً أو قطعة قماش.

في ذلك الوقت لم يكن للنقابة ذكر، لكن نذكر جيداً أنه كان يوجد إقطاعيون، وحتى أن لديهم قرى باسمهم، ولهم بعض الشوارع والحارات القديمة في حماة، وكان الإنسان [المرء] الذي يمر من هناك، إذا لم يكن له علاقة مع أصحاب الشارع الإقطاعيين، كان يضرب ويُعنّفْ.

أريد أن أقول أن للباد فائدة كبيرة للحماية من البرد الشديد، وكنا نتباهى بمده والجلوس عليه، لكن الآن، وللأسف، الناس ابتعدت عنه، وأصبح من الآثار القديمة، حتى أنه زال تقريباً كل من يصنعه، وبقي ابني يعمل به حتى فترة قصيرة، وما زالت أدواته موجودة والمحل ولكن لن يأتي أحد ويطلب صنع لباد إلا القليل القليل".

22- لقاء مع حرفي قديم (بيطار) من قرية رباح/ محافظة حمص

مُجرية اللقاء الدارسة: نبيهة نعمة، من مواليد قرية رباح من محافظة حمص، وهي مقيمة حالياً بدمشق، وعاملة في شركة الألبسة الجاهزة بدمشق.[206]

[206] كتبت الدارسة عن نفسها الآتي: أعمل في صالة الخياطة كرئيسة خط إنتاجي إدارياً وفنياً منذ عشر سنوات، وحصلت على لقب "بطلة إنتاج" على مستوى القطر لعام 1986. الخياطة مهنة مفيدة وجيدة، تبقى مستمرة في جميع العصور، وتحتاج إلى فن وذوق وإبداع، إضافة

المتحدث: عبد الله بيطار، من مواليد قرية فاحل، ناحية تلدو من محافظة حمص، مواليد عام 1903، ويقيم حالياً في قرية رباح، ويعمل بيطاراً.

كتبت الدارسة:

قال المتحدث: "إن جدي مات قبل ولادتي، ولا أعرف عنه شيئاً سوى أنه كان يعمل بيطاراً بالوراثة. أصل أسرتي من جبل العرب، واضطرتهم الظروف إلى الهجرة بسبب الفقر والجوع والحروب فكان نصيب جدي محافظة حمص.

كان أبي وأعمامي يعملون في مهنة البيطرة، وكانت لا تكفي الجميع، فهاجر واحد إلى قرية شين، والثاني إلى قرية المشرفة، وبقي والدي وعمي في قريتنا.

والدي اسمه جرجس بيطار، ولد في قرية فاحل، وكان عمره 40 عاماً عند وفاته. كان يعمل فلاحاً بالإضافة إلى كونه يعمل في البيطرة. فقد كان عنده زوج من العجول، ويفلح أرضه وأرض الآخرين بالأجرة. كان عندي أخوة ماتوا صغاراً، واحد عمره سبع سنوات، والثاني خمس سنوات، بسبب المرض وجهل الأهل والبعد عن المدينة من أجل إحضار الطبيب والدواء.

في قريتي لا يوجد معلم، وكان يوجد في القرية المجاورة معلم اسمه أبو جميل، كان يلبس طربوشاً أحمراً، (أفندي)[207] يُعَلّم الطلاب في المدرسة التي فتَحَتّها الضيعة، ويأخذ لقاء تعليمه ليرتين ذهب لكل طالب. كتاب التعليم اسمه "المزامير"، وكان المعلم مجبراً بإنهاء الكتاب مهما طال الزمن، سنة أو أكثر، حتى الطالب يتعلّم قراءة كل الكتاب. كنت أذهب مع رفاقي وعددنا خمسة من القرية ونحن من أبناء الميسورين، نمشي كل يوم مسافة ساعة ذهاًبا وإياباً لنتعلم. كان المعلم يجلب لوحاً من الخشب، ويسميه "الطرحية"، ويعطيها إلى كل طالب، ويكتب عليها بقطعة من حوّار (الكلس) كان يكتب لكل طالب خطا في أعلى الطرحية ويكمل الطالب حتى نهاية الطرحية، فإذا لم يعجب المعلم الخط كان يشتم الطالب ويقتله[208] ويحبسه[209] حتى المساء، ويبقى معه الدرس إلى اليوم التالي.[210] لم أقرأ سوى كتاب المزامير والإنجيل والتوراة. وكان منتشراً قصة "الزير سالم" و"سيرة بني هلال"، فكان الشباب يجتمعون في أحد البيوت أو في ساحة القرية يجلسون ويستمعون إلى واحد يقرأ لهم القصائد

إلى الخبرة. وعاملة الخياطة تحتاج إلى راحة نفسية وجسدية، ولكن مع الأسف الشديد تُعامل العاملة كآلة منتجة لا حياة فيها ولا شعور، وهذا ينعكس على الإنتاج كماً ونوعاً.

[207] كل من وضع على رأسه طربوشاً أحمراً كان يُنادى باسم "أفندي". كما أُطلق لقب أفندي على ملاك الأرض الإقطاعيين في حمص وغيره.

[208] يضربه بعصا على يديه.

[209] يحجزه مسجوناً في المدرسة لساعة أو أكثر.

[210] أي عليه أن يعيد كتابة الدرس في البيت ويأتي به في اليوم التالي.

والحكايا يسمونه "الحكواتي". وبعد أن انتشرت الصحافة والمجلات أصبحت أقرأ ما يقع تحت بصري للتسلية دون أن أحكي عما اقرأ خوفاً من المشاكل. كان عمري 12 سنة عندما بدأ عمي يعلمني مهنة البيطرة بالقوة، لأن والدي كان متوفياً، فكنت أرفض وأهرب دون جدوى.

كانت البيوت في القرية تشبه بعضها، تتألف من غرفة واحدة كبيرة جداً، قسم فيها بيت الدواب ومونتهم المكونة من الحشيش والتبن، والقسم الثاني نسكن فيه، وفي أحسن الظروف تنفصل الحيوانات عن الناس الموجودة في البيت.

كان في البيت قطعة مرتفعة من التراب توضع عليها أكوام من القش (الرقيع) توضع فوقه حصيرة (أو طراحة). وفي وسط الغرفة كان في حفرة توضع فيها الأحطاب للتدفئة شتاء تسمى "النكرة". وفي الجدران يحفر حفرات على شكل نوافذ لوضع أدوات الطعام والأغراض اسمها "اليوك".

يوم زواجي جلبت صيغة للعروس: حلق، وصليب مع سنسال ذهب، وصندوق خشب وبعض الثياب. كان المهر عند الناس نوعان، نقدي: يدفع العريس 7–8 ليرات ذهب لأهل العروس إذا كانوا فقراء، أو عيني: مثل بقرة، أو قطعة ارض، أو أساس، ومنهم من لا يدفع شيئاً إذا كانت حالة أهل العروس ميسورة.

كان الطعام بشكل أساسي يعتمد على منتجات الحيوانات من لبن وبيض ولحم، ومن القمح والبرغل وبعض حشائش البرية يسمونها "سليق".

كان اللحم نشتريه بالذبيحة التي تُقسم على أربعة. كنا نأكل الزيت الأصلي، وكان قليل لأنهم يشترونه بالمال، ثمن الرطل 18 فرنك. ولم يستهلك البيت سوى نصف تنكة في السنة.

كانوا يلبسون: شراويل (خام)، قميص (شيت)، كنزة من صوف الغنم. يُغزل الصوف على المغزل اليدوي وتصنع منه النساء كنزات والحايك عباءة.

كان البيت رطباً وغير صحي. وفي كل سنة يضعون التراب مع التبن على سطحه، ويدلك ويُؤصّ بواسطة حجر يسمى "معرجلين"،[211] ولم يخلُ السطح من الأفاعي والحشرات والفئران أيضاً.

كنت خاطب من قرية مجاورة بنت واحد ميسور، وذات يوم ذهبت مع والدتي لعند الخطيبة، وفي الطريق شفت فتاة تحمل حملة حطب على ظهرها ووجهها أحمر موَرّد من التعب، فقلت لأمي: أنا لا أريد خطيبتي بل أريد هذه الفتاة. وتمّت الخطوبة وتزوجت الفتاة.

[211] كي يُصبح سقف البيت كتيماً لا تنفذ منه مياه الأمطار.

كانت زوجتي تعمل في الأرض وجمع الحطب والحشيش وتقطف العنب وتصنع منه الزبيب والملبن (عصير عنب مع طحين)، إضافة إلى غزل الصوف وحصاد القمح في السهول. وكانت أجرة اليوم 3 فرنكات. وكان والد العروس يعمل فلاحاً وحداداً. وللعروس ثلاثة أخوة ذكور، الكبير سافر إلى أمريكا ومات هناك؛ والثاني كان في خدمة الجيش الفرنسي، ولما ذهبت فرنسا عام 1945 ذهب معها غصبا {رغماً عنه} وهرب في الليل سيراً على الأقدام، ولكن بعد عودته مرض من كثرة العذاب والفقر والاستعباد الذي شاهده أثناء خدمته، وتوفي على أثر ذلك وهو في منتصف العمر، وله سبعة أولاد، منهم من يعمل في مصانع الدولة، ومنهم من يتعلم في المدارس؛ والأخ الثالث يعمل فلاحاً في الأرض، وعمره 90 سنة، ولحد الآن يذهب إلى الكرم سيراً على الأقدام، وله عدة أولاد يعملون في مهن مختلفة.

لم أتزوج أكثر من واحدة لأن الدين لا يسمح بأكثر من زوجة في الحياة، والحمد لله.

بقيت بعد الزواج أعمل في مهنتي، وعشت في البيت الذي تركه أبي بعد وفاته مع زوجتي ووالدتي وعمي وزوجته في غرفة واحدة. وليس لي أخوة، ولم أعش مستقلاً لأن الناس كانت تعيش جماعات.

أنا أعمل في مهنتي بيطاراً وكذلك في أرضي. وكانت خيول القرى المجاورة تأتي للحدوة عندي، وجميع خيول الأفندية والبيك، لأنني أعمل بشرف وإتقان، ولا يهمني سوى سمعتي. لذلك حالتي المادية كانت أفضل من أخوتي الفلاحين.

كنت أعمل طوال السنة والدفع عند الموسم. فعند الموسم كان يحضر الدائنون لدفع ما عليهم من ديون، وهي عبارة عن كميات من الزبيب والتين اليابس، وكنت أبيعها إلى المكاريه،[212] وكانوا يسمّونهم في قريتنا "الحلاونة" لأنهم يشترون مواداً من الحلو، لقد كانوا رجالاً أقوياء لا يخافون، وكثيراً ما كانوا يحكون لي على المشاكل التي تعترضهم في الطريق من الحرامية والمشلحين. وكان أغلب قُطّاع الطريق من زلم [رجال] البيك والآغا والأفندي الذين لهم عند الباشا وسلطة الحكم نفوذ، يقتلون الرجل ويأخذون ما معه دون أن يحاسبهم أحد.

أما تأمين المواد الأولية بالنسبة لمهنتي كان مصدرها من مدينة حمص. كنت أذهب على الدابة قبل طلوع الضوء ولا أعود حتى غياب الشمس. وكنت أشتري عن طريق السمسار الذي يأخذ نصف الربح بالكلام دون عمل. كان ثمن الـ 2 كغ من المسامير بعشرة فرنكات، والنضاوى[213] من الحديد أيضاً كل 3 كغ بأربعة فرنكات. كانت على نوعان، مصنّعة وغير مصنّعة. كنت أفضل غير المصنعة لأني أصنعها على ذوقي. وكُنّا نشتري قنطار القمح بـ 12 ل.س، وقنطار الشعير 6 ل.س، وقنطار الذرة الصفراء 8 ل.س. ونبيع رطل السمن العربي بـ 8 ل.س،

---

[212] هم من يقومون بنقل البضائع على الجمال أو الدواب بين المدن والمناطق.

[213] النعلة التي تُثبّت على حافر الدابة بالمسامير.

ورطل الصوف 3 ل.س، والخروف 2 ل.س، والغنمة 4 ل.س، والبقرة من 40 إلى 50 ل.س، وقنطار الزبيب 20 ل.س، وقنطار التين اليابس 15 ل.س، وكلها تباع وتشترى على التجار عن طريق الوسيط.

كان المرابون أناساً ميسورين، يذهب إليهم المحتاج للدين بالفائدة. وكانت الفائدة حوالي 300%. ويترك المدين رهينة عند المرابي، وكثيراً ما كان يأخذها مقابل الدين، ولو كانت تساوي عشرة أضعاف الدين.

كان من لديه نقود أكثر من حاجته يصرفها إلى ليرات ذهبية ويضعها في فخاره ويطمرها في الأرض تحت التراب خوفاً من السرقة لكثرة الحرامية وعدم الأمن.

كانت الحياة صعبة جداً، ولا سيما أيام احتلال تركيا. فقد كانت الحبوب قليلة، والخبز يصنع من دقيق الشعير والذرة، والبيوت[214] التي تأكل القمح قليلة جداً. أثناء الحرب العالمية الكبرى[215] ارتفعت الأسعار كثيراً. فقد أصبح رطل القمح بليرة ذهب، وتنكة ذرة صفراء ليرة ذهب. وفي ذلك الوقت ضعف سلطان الدولة التركية، وبدأ الجيش التركي يهرب. وقبل أن يصل الجيش الفرنسي إلى سوريا كانت هناك فوضى، وتشكلت عصابات من البؤساء المعدومين، وراحت تنهب القرى الضعيفة وبقيت حتى دخول الجيش الفرنسي.[216] عندما استوطنت فرنسا أصبحت تعطي للفقراء بعض المواد التموينية مثل الطحين والقمح بشكل "إعانة". إن بداية الحرب العالمية كانوا يسمون تلك الفترة "سفر برلك".

بعد أن استقرت فرنسا بدأت تُسجّل الناس بالاسم واللقب والعمر {هذا ما يُعرف بتسجيل النفوس عام 1922} وفرضت ضرائب على كل من كان دون الستين من العمر يسمونها ضريبة "بدل ضائع"، وفرض على المواشي ضريبة العْداد (أي الكوشان)[217] وكانت عشرة قروش على كل غنمة. وضريبة الشخص في البداية ليرة وربع، وارتفعت إلى تسعة ليرات. وفي ظل فرنسا كان هناك تراوح بالأسعار، فقد يرتفع قنطار الحنطة إلى 800 ل.س ويبقى على هذه الحالة سنة أو سنتين ثم ينزل إلى 200 ل.س، أي الأسعار غير مستقرة. وكان الفلاحون يدفعون إلى المختار ضريبة الـ "فرقية" عدة مرات في السنة، وكانت من 5-10 ليرات في كل مرة، والذي لا يدفع يأخذ منه المختار غنمة أو خروف أو يسلمه إلى الدرك (الشرطة). وكان الأفندي[218] أيضاً يأخذ ثلث المحصول أو ربعه في الثلاثينات. حوالي عام 1936 انهارت العملة الورقية، فقد كانت الليرة الذهبية بخمسة ونصف ليرة سورية وأصبحت بتسعة ليرات وبعد أيام بعشرة ليرات ثم بـ 18 ووصلت إلى 30 ل.س، فخاف الناس على ما معهم من

---

[214] سكان البيوت.

[215] الحرب العالمية الأولى 1914– 1918.

[216] بين انسحاب العثمانيين في تشرين الثاني 1918 ودخول الجيش الفرنسي في ربيع 1919 سادت الفوضى. وهذه الفترة يذكرها المتحدث مشوشة.

[217] الكوشان هو الوثيقة التي يقدمها جابي ضرائب الأغنان لصاحب الغنم وتبيّن مقدار الضريبة نقداً.

[218] المقصود به هنا مالك الأرض الإقطاعي.

ليرات بسيطة فأصبح يشترى بها أي شيء. في بداية الأربعينات كان هناك تشديد على الحبوب (الميرا). فقد كانت فرنسا ترسل الحبوب خارج البلاد، وكانت تضع دوريات على الطرقات تصادر كل من معه حبوب، ويأخذون منه دابته ثم يشتريها منهم، أما الحبوب التي معه فتذهب إلى الميرا، وبقيت هذه الحالة حتى خرجت فرنسا نهائياً من البلاد.[219]

إن المقارنة بين الحديث والقديم صعبة جداً. كان الإنسان قديماً يعيش مثل الحيوان، ولا يفرق [يختلف] عنه إلا الكلام والمشي على الرجلين دون الدين، لا يعلم أي شيء عن الحياة وما يدور من حوله. كان لما يأتي صندوق الفرجة [220] تسرع إليه الناس ويقولون هذه عجبة من عجائب الزمان. كانت المرأة تطبخ وتخبز وتغسل وكثيرا ما تلد في الكرم (الحقل). أما الآن فيستطيع الإنسان أن يأكل ويشرب ويلبس ويسمع ويرى كل ما يدور في العالم وهو جالس في بيته دون أن يبذل جهد اً. ولو وجد هذا التطور والإبداع قديماً لفقد الإنسان عقله، وكأن هذه قدرة إلهية، لأنه كان يفتقد الوعي والثقافة التي تمكنه من معرفة هذه الأشياء وكيف وجدت.

إن مشكلات الريف كانت بشكل عام متشابهة. الإنسان شبه معدوم اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً بالإضافة إلى الجهل، لا يسمع أخبار سياسية، ولا يجرؤ حتى على التكلم [بها] في بيته. وأثناء الكوارث الطبيعية مثل "ثلجة الأربعين"[221] كان المريض يموت دون أن يصل إلى الطبيب، لبعد القرى عن المدن وعدم وجود المواصلات إلى المدينة والنقود لإحضار الطبيب أو الدواء. وفي آخر الشتاء عندما تنتهي "المونة الشتوية" وينزل المطر والثلج، يموت الإنسان والحيوان معاً لعدم وجود الطعام الكافي.

عندي ستة أولاد، أربع بنات واثنان ذكور.

- البنت الأولى: تزوجت عامل بناء، وهي تعمل في البيت، ولها سبعة أولاد، منهم من يعمل في القطاع العام ومنهم في القطاع الخاص والباقي في المدرسة يتعلم.
- الثانية: تزوجت فلاحاً وتعمل معه في الأرض والبيت، ولها ثمانية أولاد أكثرهم يعمل في القطاع العام والباقي يتعلم.
- الثالثة: تزوجت عامل في سد الفرات، ولها سبعة أولاد في المدارس الابتدائية والإعدادية، وهي تعمل في الأرض والبيت.
- والرابعة: لم تتزوج، وتعمل في الأرض والبيت.

ولا واحدة منهن متعلمة.

---

[219] الميرا ظهرت أثناء الحرب بهدف تموين الجيوش والمدن بالحبوب.

[220] صندوق مزود بصور يتم تمريرها على لولبين اثنين لكي تتم مشاهدتها بالعين عبر ثقوب صغيرة لها بلورات على جانب الصندوق. (من وضع ح ح).

[221] استمرّ تساقط الثلوج اربعين يوما ، وهذا من الظواهر الطبيعية النادرة .

- الولد الأول: تعلم حتى أصبح معلماً، وتوفي وعمره 24 سنة، وله ولد يدرس في الجامعة.
- والولد الثاني: أنهى تعليمه وأصبح مدير مدرسة، وله سبعة أولاد في المدرسة من الابتدائية حتى الجامعة، وزوجته تعمل في البيت.

لم أعايش أي تنظيم حرفي لوجودي في القرية بعيداً عن مثل هذه التنظيمات التي تكون عادة في المدن بسبب تجمعات كبيرة يعملون في حرفة واحدة، ولكن في قريتي لم يكن أي وجود لهذه التنظيمات.

في الماضي كان الفقر والجهل والاستغلال والخوف من بطش المستعمرين، والحياة كانت قاسية وبسيطة جداً، ومع ذلك، كان الناس يحبون بعضهم، أي كان الحب موجوداً، والكرم والمحافظة على الأخلاق والقيم الجيدة.

أما الآن كل ما يحتاجه الإنسان موجود (راحة، ترفيه، استقرار) ولكن الحب شبه معدوم، والأخلاق والقيم أصبحت موضة، والفضائل والنخوة التي كانت تتحلى بها العرب قُضي عليها. الأخ لا يحب أخاه، والصغير لا يحترم الكبير، والإنسان لا قيمة له. مثلاً، توفي ولدي في الرابعة والعشرين، وأنا أسكن في قرية ودفنه كان في قريتي مسقط رأسي، أهل القرية قرروا حمله على الأيدي إلى مكان دفنه، وما سمحوا لأي واحد من أقربائه أو دينه أن يحمله معهم. فاليوم لا يحضر دفن الميت إلا القليل جداً من أقربائه، وفي أغلب الأحيان لا يحضرون، أي النخوة والشهامة قليلة جداً في هذه الأيام.

تعليق من الدارسة: كان المتحدث صادقاً في كل كلمة قالها دون مبالغة، وهو يعمل أقصى جهده حتى يتذكر كل شيء مهما كان. وكنت أشعر كأني أعيش هذا الواقع، وأتخيل كيف كانوا يتحملون هذه الحياة القاسية التي هي شبه معركة دائمة بينهم وبين المآسي الاجتماعية من جهة والمآسي الطبيعية من جهة ثانية بكل صبر وكفاح.

23- الفواخيري صانع الفخار من طرطوس الذي لا يملك من الدنيا شروى نقير

الدارسة: صباح عبدالله، حبيب من اتحاد محافظة طرطوس/ تنمية زراعية.[222]

المتحدث: الياس يوسف الفاخوري، من مواليد طرطوس 1886، مقيم في طرطوس، منطقة خراب، طريق طاحونة الهواء.

[222] استهلت لقاءها بالفواخيري بالمقدمة التالية: "لقاء ممتع و جميل. لقاء أنفاس شُتِّتْ على طريق الماضي وبُعثرتْ في غياهب الأيام، أيام الحرمان، أيام الاضطهاد، أيام كان فيها حب وفقر، وفيها ظلم وكرامة، وفيها بِطْل وحق. كان فيها عطر الأجداد وعطر المحبة، عطر النضال والكفاح. من أجلنا ومن أجل الغد الذي كان قادما بغلالة العذاب والحزن والحرمان. أنفاس من الماضي، الماضي القريب من طور لم يزل يلهث في أنفاسه الأخيرة نفحة النضال والمحبة، نفحة الإيمان بالعطاء وبقدرة الإنسان ومحبته لوطنه ولأمته. لهذا الرقم الكبير الذي ولدنا في أحشائه، ولدنا لنكون أولاده، الأبناء الطيبين المدافعين عن كرامته وعزه وكيانه. في هذا اللقاء نرتبط ونحس بحرارة هذا النفس الآتي من بعيد، ليحكي لنا قصة حياته خلال مرحلة من الزمن عاشها وتفاعل معها وقد يكون انفعل فيها أحيانا كثيرة، وقد يكون قصّر في نواحي أخرى. لا يهمنا سوى أن نلامس حرارة هذا النفس، ونبحث عن أكثر المناطق دفئاً فيه".

كتبت الدارسة صباح حبيب:

ليس لديه هاتف، ولا يملك شيئاً من متاع الدنيا. يسكن في غرفة لأقربائه والغرفة مهددة بالإزالة. هو لا يهتم بإزالتها، سيّان عنده. عزرائيل آت والتربة قريبة وهي خير سكن.

الياس الفاخوري الملقب "أبو يوسف الفواخرجي" كان يعمل فاخوري، يصنع الفخار، من جرار وخوابي، دباليس وطناجر فخارية وأدوات زينة للمنازل. وعمل في هذه المهنة منذ كان عمره ستة سنوات مع والده.

عند البيك (....) تعلم الصنعة، وكان أجير، فاعل، حتى أمسى صانعاً ماهراً وأجيراً لدى البيك وتحت رحمته. وعندما توفي والده استلم مكانه في الفاخورة برضا البيك، إكراما لوالده الذي توفي. وهو يعمل لديه بشرط أن يكون أجره أقل من أجر والده. يقول:

"كنت أعمل من الفجر إلى النجر من أجل أن أُعيل أسرتي المؤلفة من أمي وأختي وستي والدة أمي وأنا. كان عمري حينها ستة عشرة عاماً. لقد عاصرت نهاية الحكم التركي والحكم الفرنسي والحكم الوطني في سورية. كان الحكم التركي حكماً بغيضاً. كان فقراً ومرض الطاعون. الرغيف كان حلماً. رغيف الشعير والترمس رغيف البكوات والآغوات ورغيف الدوام (ثمار شجر البلوط) كان رغيف الذين من أمثالنا، هذا إذا توفر لنا.

آباؤنا وأجدادنا عاشوا أرذل من عيشتنا بكثير. الحكومة التركية كانت تأخذ الصناع الماهرين إلى العاصمة استنبول. والدي أخذوه من الجملة إلى هناك. هرب بعد أربع سنوات بثياب امرأة. لقد اشتاق لي ولأمي والوالدة والوالد (جدي) الضرير الأعمى. كنا نحلم بالمتليك (الشيليك والمجنليك والبرغوط) عملة تركية قديمة، لا أحد يوفر من المال شيئاً. من كان يملك ليرة مجيديه كان سلطان زمانه. يتزوج ويتجهّز ويعيش أحلى عيشة، ويخلف صبياناً وبنات ويعيش بالرفاه، ومن ليس معه ينتظر فرج ربه في ذلك الحين.

العواطلي والبواطلي عن الشغل في كل مكان والفقر يخيم على العالم بكابوسه الأسود. والقمل ساري علينا، لوح الصابون لا نملكه بالكاد حتى نغسل رأسنا و جسمنا. كنا نغسل ثيابنا بالحوارة (تراب أبيض) ورأسنا نغسله بالبيلون (تربة حلبية). والناس كلهم كانوا أميين، بالكاد كانوا يفكون الحرف، أي لا يعرفون القراءة ولا الكتابة. كان هناك اثنان فقط متعلمين مكرمين من الناس: الشيخ محمد مجيد السيد عند الإسلام والخوري ابراهيم حنا عند المسيحية، لأنهم يقرأون في الكتب المقدسة ويكتبون الرسائل إذا لزم الأمر، ويقرؤون الرسائل للآخرين. أذكر أن جاري –واسمه شفيق– جاء إلينا من ماردين في تركيا، وسكن في الحي عندنا. لا أدري من وين حصل على سيرة بني هلال والزير سالم أبو ليلى المهلل. أوهمنا أنه يقرأ، ووضع "قلم رصاص مبري في جيب قميصه للبرهان على ثقافته . وكان يجلس في مقهى الكهف على شط البحر، وكان الصيادون الروادية (نسبة لأهل أرواد) الذين يعيشون في الزيرة، ويفتح الكتاب ويوهمنا بأنه يقرأ الرواية بشكل لا يخطئ فيها حرف واحد، وفي النهاية طلع الأخ لا يستطيع فك الحرف، وافتضح أمره بين الصيادين. لقد كان يتكنى بالكتاب فقط ويرويها عن السمع.

لقد ربانا الوالد رحمة الله عليه أنا وأختي حنة أفضل تربية. أختي تزوجت واحداً من طرابلس في لبنان وذهب إلى الأرجنتين، ولم أسمع أخبارهما حتى هذه الساعة. لقد كان والدي مثال التقي والورع، كان يصلي ويصوم، لم يأكل حق أحد أبداً، حتى أنه كان يتنازل عن حقه، ولم يدخل الحرام إلى بيته، كان قندلفت في الكنيسة (خادم الكاهن والكنيسة). كان دائماً يوصينا أن نعمل الخير لكل الناس ويدعونا إلى المحبة والإحسان على الفقراء، وكان يحب عمله كثيراً. ودائما يقول لي: "يا ابني، هذه صنعة الأهل والأجداد، ومن خيرها عشنا وعيشناكم. حبها يا ابني واشتغل فيها بإخلاص، يقول المثل يا ابني: الإنسان بلا عمل كالزورق بلا مجداف".

توفي والدي عام 1899، ثم تبعته جدتي لأمي في عام 1902، وبقيت وحدي أواجه الحياة المليئة بالتعاسة والشقاء. كان المعلم (البيك) يبعتني إلى مدينة طرابلس من أجل أن أتعرف على الجديد في الصنعة، أصحاب الفاخورة هناك من بيت الديك، وأعود ومعي بعض النماذج لكي أصنع مثلها. وأحياناً كنت أبتكر خوابي للخمر بأشكال جميلة ومزخرفة.

أنا لم أذهب إلى المدرسة لأنني عملت باكراً في الصنعة. كان هناك حكواتي يقص لنا حكايات كثيرة جميلة وممتعة فيها بطولة وفيها كرامة وفيها الحب النوري الجميل، أمثال عن عروس البحر وعن نساء عاريات شاهدوهم في رحلاتهم في بلاد برا وفي بر الأناضول، وكنا نشعر بلذة غامرة ونحن نسمع هذه الحكايات في أنصاف الليالي المضاءة بضوء القمر على شاطئ البحر وصوت الموجة وقرقعة الأراكيل. كانت ليالي ممتعة لم أجد في حياتي أجمل منها، لا قبلها ولا بعدها، رغم عمري الذي جاوز المائة عام.

مهنة الفواخري مهنة متعبة جداً وجميلة جداً، لأن فيها إبداع، وقرشها حلال.[223]

كان يأتينا التراب المخصص للفخار من منطقة عمريت جنوب طرطوس، بواسطة متعهد، على ظهور البغال أو الطنابر. ونقوم نحن بنقعه في المساء، ونبلله بالماء، ونعجنه بأرجلنا، ثم نتركه لليوم الثاني، فنضيف له فخار خاص أسمر، ونعود ونعجنه من جديد. وبعد أن يطاوع العجين ويصبح لينانبدأ بعملية التصنيع. كلها كانت يدوية، وبطرق لا يعرفها إلا الفاخوري، وكنا نسميها (أسرار المهنة"، عن عمليات تدوير على قوالب من خشب صنعناها نحن. وبعد أن تأخذ العجينة الشكل المطلوب، هنا تظهر براعة الصنعة في الزخرفة والتمليس (الصقل)، وبعد أن تجف قليلاً ندخلها في فرن نشويها على نار هادئة، وبذلك تكون قد انتهت عملية الصنع وأصبحت صالحة للبيع. كنا نبيع الجرار والخوابي لتاجر قريب من البيك، وهو يقوم بتوزيعها إلى معتمدين في الريف والمناطق الأخرى في ذلك الوقت، في حلب والشام. وكان الأرواديون يشحنون على ظهر مراكبهم إلى مناطق بعيدة مثل لبنان ولواء اسكندرون وحيفا في فلسطين. لا أذكر بالضبط أجورنا في تلك الفترة، كل ما أذكره أن الأجر كان قليلاً جداً، وأحياناً يؤجل حتى يُباع الإنتاج. وهذا ما جعلني أبقى عازباً حتى اليوم. لقد كان العمل صعباً جداً،

[223] الحلال بعكس الحرام ، إشارة إلى أن ما يحصل عليه لا غشّ فيه ولا استثمار.

أسلوب المعيشة والحياة صعبة وفقر، هذا سببه الشروط الصعبة غير المناسبة في جو العمل الغير مؤمن لنا، لأن البيك هدفه أن نشتغل فقط حتى ولو كنا مرضى وغير قادرين، واللي ما بيشتغل كان بجوع. كان العمل منذ الصباح حتى المساء أي 12 ساعة عمل متواصل يومياً، وكان هناك يوم عطلة على حسابنا. كان التجار أصحاب الفاخورة هم أصحاب الربح فقط، وكثيراً ما كانوا يأكلوا حقوقنا، وتنشأ بيننا نزاعات وخلافات تؤدي إلى ترك العمل. ثم نعود مرغمين (لقمة العيش) شو بدنا نعمل، هكذا كانت حياتنا. أحياناً يجبروننا على وقف العمل من أجل تصريف البضاعة.

لم يكن هناك خلافات مع بعضنا، كنا نلتقي مع بعضنا، يجمعنا الفقر وظلم صاحب الفاخورة والمتعهدين والتجار وأصحاب النفوذ. كانت الخلافات بيننا كعمال وبين البيك كلها تحل على حسابنا. كنا نفلس أحياناً ولا نستطيع أن نأكل عندما يختلفون مع بعضهم، وهم: تجار الفخار، صاحب الفاخورة، متعهد الترّابة. كانت كلها تطلع براسنا، وإذا اتفقوا نعمل ولكن بأجر لا نُحسد عليه. ولذا لم أتزوج ولن أتزوج.. سأتزوج "التربة" (القبر) قريباً.

لقد كانت هناك مشاكل اجتماعية كثيرة ومتنوعة. تفرقة طبقية ظاهرة مثل عين الشمس، وآغوات وبكوات وأصحاب مصالح وأصحاب مراكب ورُياس بحر وأصحاب معاصر وطواحين وأملاك لا تأكلها النيران، (وفي الضفة المقابلة) طبقات دونية مثل: عمال، بحّارة، صُنّاع، حدادين، نجارين صغار، يجمعهم فقر واحد ومصير واحد. كانت هناك مقاهي لكل طبقة، ومقابر لكل طبقة، ويحظر الزواج للطبقة الثانية من الطبقة الأولى، ويساهم فيه هذا الحظر رجال الدين.

كُنّا نسكن في حي صغير هنا بالقرب من البحر، والبيوت قريبة من بعضها ومتلاصقة. كُنّا مجموعة حرفيين وصناع وبحارة وصيادي سمك. علاقاتنا ممتازة يسودها المحبة والتفاهم. وفي أيام العطل والأعياد ننزل إلى البحر ونصطاد السمك ونشويه ونأكله سويّة. تجمعنا الأحزان والأفراح، كانت أيام حلوة وجميلة، آه وينك يا أيام زمان... عودي!

والريف كان أشد وطأة من المدينة: فقر، طاعون، إقطاعيون واستغلال، لا طبيب ولا ممرض ولا أستخانة (مشفى). علاقة أهل الريف بالمدينة تجارية، يأتون إلى المدينة يبيعون منتجاتهم (لبن، بيض بلدي، جبنة، وسمن بلدي)، ويشترون حاجاتهم من جرار وخوابي وخيطان الخ... ويعودون إلى قراهم يحدثون أولادهم وجيرانهم عن المدينة وما شاهدوه. في الريف، كان الإقطاعي يملك أراضي كبيرة وقرى كثيرة، ويُشغّل كل الناس الفقراء بلقمة بطنهم فقط. وإذا في يوم من الأيام أراد أن يهاجر إلى بلاد بره[224] كان يرهن أرضه بكم ليرة ذهب أو تنكة ذرة لأنها كانت أغلى من القمح والشعير.

---

[224] برّه عكسها جوّا وتعني هنا البلد الخارجية أو الجنبية.

مثال عن معاملة الإقطاعي لعامة الشعب: امرأة من الساحل كانت تلد (في حالة وضع) وكان الإقطاعي من بيت عرنوق ويريد أن يُطَيِّن بيته،[225] وبعث خبراً لتلك المرأة –ولا اريد أن أذكر اسمها– حتى تعمل عنده. وكونها رفضت الذهاب، جاء إلى البيت ومعه عصا طويلة. صرخت الداية، وهي في ذلك الوقت كانت مثل الممرضة تُولَد المرأة على يدها. فتح الباب وبكل قوة وجبروت ولا ضمير ولا وجدان، دخل وكمشها بيدها والطفل كاد أن يخرج إلى الحياة وجرّها إلى الخارج، وهو يضرب جسمها كما يضرب حيواناً وليس إنساناً، وزوجها يقف أمامه كحيط لا يرى ولا يسمع. وسقط الطفل على الأرض مائتاً، وبعدها ماتت الأم. وأمثال أخرى حدثت في ذلك العصر البائد وهو عصر الإقطاع.

لم تكن هناك تنظيمات نقابية في ذلك الحين. كان هناك "أهل كار" في المدينة. لكن في طرابلس كان هناك بعض التنظيمات النقابية لم نذهب إليهم، والسبب عدم الوعي وعدم الإمكانيات. إذا صدف وأتوا إلى طرطوس كنا نطرح مشاكلنا، يحلونها أحياناً، وأحياناً كانت تبقى معلقة، وعلى حسابنا.

كان هناك شباب من عُمْرِنا يحرضون العمال على الإضراب وعدم الاستجابة لرغبة البيك وأصحاب المعامل. كان فيه معمل التلج،[226] ومعاصر الزيتون. وكانوا يعلمونهم أن يطالبوا بأجر أعلى. كان هؤلاء الشباب الزكرتية[227] يتعرضون للضرب والمطاردة من قبل رجال الشرطة ورجال البيك. كانوا يظهرون في أنصاف الليالي كأشباح البحر في مقاهي البحر (باقية حتى الآن) وكأنها بشكل أثري (قهوة الكهف). كنا ننظر إليهم كأبطال منقذين نحسد أنفسنا فيهم. أذكر واحد منهم واسمه "شحود البغل"، ولُقب بهذا الاسم لأنه قتل البغل بضربة واحدة من يديه القويتين، عندما كان يعمل طنبرجي (أي طنبر يجرهِ حمار أو بغل) عند البيك، وقد هرب على أثرها. كان يشرب ويسكر ويسب على الجندرمة (الحكومة الفرنسية) أثناء الانتداب والآغوات والبيكوات، ويتهجم عليهم ويدعونا إلى مقاطعتهم وضربهم أذا اقتضى الحال، وينعتهم بـ"العلق" ومصاصي الدماء. كان يظهر في النهار، إلى أن اختفى عن الوجود (مثل ملح وذاب).[228] قالوا أنه مات بالسل في إحدى القرى. كُنّا نحبه ونحب أمثاله، لأننا كنا نحس بأنهم كانوا قادة لنا.

والبحارة كانوا أفضل منا تنظيماً ، كان لهم لجنة (لجنة شيخ الصيادين) يرأسها ريس يأمر الصيادين والبحارة وينظم أجورهم ويحددها وكانوا يسمونه "شيخ البحر"، وهو بحّار قديم يعمل بالصيد سابقاً، قدير على التفاوض، وإذا تعثرت المفاوضة مع أصحاب المراكب يأمرهم بالإضراب. فيذهبون بالمراكب إلى عرض البحر ويربطون مراكبهم. ولا يعودون إلى العمل حتى يبعث لهم الريس الكبير بمركب يخبرهم بحل المشكلة وتقديم الشروط المطلوبة لهم.

---

[225] يكسو الدران بطينة رقيقة .

[226] معمل لتحويل الماء إلى جليد.

[227] الزكرت الشاب صاحب النخوة والشهامة ومستعد لمساعدة الضعفاء .

[228] اختفى فجأة .

وفي بداية الانتداب الفرنسي نشأت تكتلات عمالية وكانت محصورة في العاصمة والمدن الكبيرة. كُنّا نتمنى أن تكون هنا واحدة من هذه التكتلات، ولكن الجو كان غير مهيأ لمثل هذه التجمعات، ولم يحصل هذا الشيء إلا في الأربعينات، حيث سمعنا بها من رجل من بيت "الكردي" في إحدى السهرات عند جماعة نعرفهم. وتحدث الكردي عن العمال وحالتهم مع الملاكين وعن التنظيم النقابي وكيفية العمل به وفائدته للعمال وما يقدم لهم من مطالب، وتحدث عن دور العمال في التحرر من الاستعمار الفرنسي وأعوانه.

وأتذكر أن الجميع بما فيهم أنا دفعنا مبلغاً من المال، ولكن لا أذكر المبلغ، ولم يعطونا إيصال. كنا حينها نجتمع في منزل بيت جوهر، وكان بيننا شباب دون العشرين، وكنا نحن كبار في السن. وتكلموا عن أحزاب (اليسار واليمين) وعن الاستعمار والتحرر. وكنا متحمسين لجمع التبرعات للمناضلين الثوار. أذكر أننا خرجنا في أول أيار لنحتفل بعيد العمال، فمشينا بالشوارع، وهتفنا بحياة سوريا والعمال والذكرى المجيدة للجلاء . وكان نصيبي جلدة مرتبة بالخيزرانات[229] والكرباج من الجندرمة الفرنسيين، ونمت في الكركون (السجن). وفي اليوم التالي جاء معلمي وأخرجني بسند كفالة، مع بهدلة وكلام وسخ يسمّ البدن، وشتائم على العمال وعلى أول أيار، واشترط عليّ أن أعمل أسبوع بدون أجر وأن لا أعود إلى مثل هذا الموقف وإلا سيضطر إلى طردي من الشغل.

و كانت تحدث خلافات بين الشباب حول مواضيع التحرر من الاستعمار والدعوات للعقائدية، فهناك من يدعو "سوريا للسوريين" ، "العروبة والإسلام"، "دعوات لليسار والشيوعية"، "تحرر قومي اشتراكي"، أي مجموعة من الآراء والأهداف. كان يؤدي الأمر إلى الاشتباك والقتال، ومعظم هذه التيارات تصب في محور واحد وهو التحرر من الاستعمار الفرنسي.

كان هناك في الأربعينات بعض المدارس المعدودة، وكان بعض الشباب تعلموا وتثقفوا، وبعضهم تعلم عند الكتاب في الجامع، والبعض الآخر في الكنسية عند الخوري، والآخرون أخذوا شهادات متوسطة ابتدائية وإعدادية، وتساوي البكالوريا الآن والجامعة. وكانوا يدرسون في مدارس خاصة، والذي حالته المادية كويسة كان يتعلم، والفقير غير القادر لا يستطيع الدخول إلى هذه المدارس، فكانت من نصيب ابن رياض بيك وابن الضيمة وابن رفول وابن عرنوق وابن بشارة وغيرهم من الزناكيل في تلك الفترة. هذه الفئات من الشعب.

المتعلمين هم أولاد التجار والإقطاعيين (بيت السيد، بيت الحامد، بيت بشور، بيت إلياس) وهم يدخلون المدارس ويتخرجون معلمين. وأذكر حادثة (معلم منهم) ابن إقطاعي كان يُدرّس في مدرسة خاصة كان يقول للطلاب "أدخلكم كرارة وأخرجكم حميراً " .

---

[229] [جَلْدِةٌ مرتبة بالخيزرانات: التعذيب عن طريق الجلد بعصي الخيزران.]

كانت هناك فئة من العمال أقرب إلى المسالمة والمهادنة مع أرباب العمل. ومن العمال من أصبح صاحب ثروة فيما بعد وصاهر أصحاب المعامل من بناتهم العوانس ليصبحوا شركاء في المعامل. معمل الثلج ومعمل العرجون. ثم يصبحون أسلحة ضد الحركة العمالية، ويعملوا على عرقلة الحركة وإحباط همتها. لا أستطيع ذكر أسماء. وكان هناك عمال يتظاهرون بالحماس والوطنية، ولكنهم كانوا جواسيس ينقلون الكلام ويفضحون أسرار التنظيم لأصحاب العمل ثم ينكرون ذلك، وفجأة يصبحون من رجال البيك والإقطاعي.

أيام الانتخابات كان البيك رياض عبد الرزاق يرشح نفسه عن طريق شراء الأصوات والضمائر والعملاء والمروجين لتلك الوجوه، إما بالتخويف أو بدفع المال أو بعصا السلطة الحاكمة (الجندرمة الفرنسية). ومن لا ينتخب البيك مصيره أسود ويقطع رزقه في المدينة، أما إذا كان في الريف فيطرد من أرضه وتشرد عائلته. كانت أيام سوداء، تنذكر وما تعود!

أما في عهد الحكومات الوطنية التي صفقنا لها كثيراً، وتحزّبنا لها، وسررنا بمجيئها، لم تكن أحسن حالاً من حكومة الانتداب، وكثيراً ما كانت أسوأ منه بكثير. أتذكر أنه صدر تشريع في الأربعينات يسمح للعمال بالتنظيم النقابي، وقد فرحنا بهذا التشريع، ولكن كان من طرف واحد يخدم أصحاب المصالح أكثر من العمال، وإعطائهم سلطة أكبر. وعندما ذهبنا لنحتفل بعيد أول أيار أخذونا إلى السجن، فضاع التشريع وضاع من أصدره.

كنا نجتمع في بيوت النقابيين ونتكلم عن العمل وشؤونه وطريقة حل الخلافات مع أرباب العمل. أما "نقابة البحر والصيادين" فقد بقيت كما كانت من قبل، وبدون "كتاب نقابة". {يُرجّح أن معنى الكتاب هنا هو صدور قرار بترخيص النقابة}

أتسألني أين أعيش؟ كما ترىْ: ليس لي لا أب ولا أم ولا أخ ولا أخت ولا قريب. أنا مقطوع من شجرة. وأقرباء لوالدتي أسكن عندهم منذ عشرين عاماً، بعد أن توسع الكورنيش البحري وهدم بيتي. أنا لا أستطيع المشي منذ خمسة عشر عاماً بسبب الشلل. لا أحد يكلمني في شيء. أعيش من رحمة الله ورحمة أهل الإحسان والكرم يأتون لي بالطعام. هنا جيراني يحسنون عليّ، حتى بالدخان. لم أتزوج وليس لي أحد. غير مهم. فأنا على أبواب الموت، قد يكون اليوم وقد يكون غداً. حان لي أن أذهب من هذه الحياة وأجتمع بأمي وأبي وأجدادي في الآخرة، فربما يكون هناك العدل الحقيقي، العدل الذي لم أحصل عليه في هذه الدنيا.

أتمنى لكم يا أولادي الشباب كل خير، وأن تحققوا شيئاً لم نستطع نحن القدامى أن نحققه. أحبوا العمال وكرّموهم، لأنهم بناة الوطن الحقيقيين، وساعدوهم في المرض والعجز.

عصرنا صعب جداً ولم نستطع أن نقدم شيئاً والدرب أمامكم واسعاً وعليكم أن تسيروا في ركابه. واذكرونا ولو بكلمة بما هو طيب وجميل. و ترحّموا علينا. أعملوا بجد واحترام، فهذا عزاء لنا في قبورنا. وفقكم الله".

24- مهنة نسيج "الحطة والزنار" وحياة نقابيين مناضلين

منظم اللقاء الدارس: غزوان خزام.

المتحدثان: زكي النداف، مواليد 1923 في حمص؛ وإبراهيم دعبول، مواليد 1924، وهما من نقابة "الحطة والزنار". وجرى اللقاء في منزل ريمون الصبحة عامل الحطة والزنار بحي الحميدية، حمص، بتاريخ 21-1989/4/22.

كتب الدارس:

تحدث زكي النداف بعد أن قرأت الأسئلة له[230] ونُوقشت معه بقصد توضيحها فقال:

"كان جدي يعمل بندف الصوف، لذا سميت عائلتنا بالندّاف، نسبة لعمل جدي، وليس لدي معلومات عن جدي أكثر من ذلك.

ولدت في حمص، وبشارع وادي السايح بالحميدية، وما زلت أقطن في ذات المنطقة، وليس لدي هاتف.

والدي كان معلماً في إحدى المدارس التي تشرف عليها مطرانية الروم الأرثوذوكس، وقد مرت فترة كانت حالته المادية جيدة جداً. وأذكر أنني رأيت لديه ليرات ذهب. وقد اختلف مع المطران أبو فانيوس، وهو المسؤول عن المدرسة، فطرده من التعليم بحجة أنه لا يعرف اللغة الفرنسية، وكانت حجة كاذبة. غير أنه أُعيد إلى المدرسة بعد الوساطة، ليعمل ليس كمعلم وإنما كمشرف على الطلاب الدارسين بالمدرسة الداخلية لدى طائفة الروم الأرثوذوكس.

لقد تزوج والدي مرتين، وقام بتربية عشرة أبناء، منهم سبعة ذكور، وقد مررنا كما ذكرت بظروف معيشية كنا نُحسد عليها. غير أنه تغيّر الحال بعد تبديل عمل والدي في المدرسة. ونتيجة تبدل الظروف تركت المدرسة من الصف الثالث، وكان عمري 16 سنة، وعملت عاملاً في مطبعة لدى الصحافي نسيب الشاهين وزوجته ماري شقرا، والأجرة كانت رمزية جداً ولا تُذكَر. وكانت المطبعة التي عملت بها تقوم على إصدار جريدة اسمها "صدى سوريا" وهي جريدة أسبوعية كانت تصدر في أواخر الثلاثينات. وقد تركت العمل بعد سنتين، والسبب أن المطبعة لم تكن تعطل أبداً ولا يوماً واحداً في الأسبوع. وطمعاً في العطلة الأسبوعية عملت على النول اليدوي كأجير لدى اخي الأكبر مني، واستمريت في ذلك حتى قيام الحرب العالمية الثانية، حيث أنني، وبسبب الجوع والمرض اللذين وقعا خلال ايام الحرب، قمت بالتطوع بالجيش الانكليزي، وأُرسِلتُ للحرب في إيطاليا، وتميت [مكثت] هناك حتى نهاية الحرب. وعدت إلى سوريا وسُرّحت من الجيش عام 1945، مما اضطرني الى العودة للعمل في مهنة النول اليدوي.

[230] أي اسئلة الاستمارة الواردة في المقدمات والتي درّبت الدارسين على كيفية استخدامها لأخذ المعلومات ممن يلتقون بهم.

وفي عام 1947 انتسبت لنقابة "عمال الحطة والزنار" التي تأسست في ذات العام، غير أنه ولأسباب سياسية إثر الصراع حول قضية تقسيم فلسطين، تم حل النقابة عام 1949 في عهد حسني الزعيم. ثم أُعيد تشكيلها، وجرت انتخابات فيها في عهد أديب الشيشكلي، غير أنني في ذات الفترة اضطررت للهرب إلى لبنان بسبب الملاحقة السياسية.[231] وقد شغلت مركز أمين سر النقابة منذ تأسيسها ولغاية هروبي إلى لبنان، حيث بقيت فيه حتى عام 1957. عدت إلى سوريا واشتركت في انتخابات النقابة التي جرت في ذات العام، حيث نجح العمال الآتية أسماؤهم:

- إبراهيم دعبول: رئيساً للنقابة.
- تركي نعمان: أميناً للسر.
- إليان تلجة: عضواً.
- زكي النداف: عضواً.
- مصطفى حبوس: عضواً.

وكلهم على قيد الحياة حتى اليوم.

وأريد أن أبيّن بأن نقابة الحطة والزنار كانت تتبع لشيخ كار مهنة النسيج اليدوي. وكان شيخ الكار هذا يُنتخب من العاملين بالمهنة على أساس توافر مواصفات معينة، منها الخبرة بالمهنة، ورجاحة العقل، وغالباً كانت تتدخل السلطات لتفرض شخصاً معيناً. وقد انفصلت نقابة عمال الحطة والزنار بصفتها المتميزة وتأسست عام 1947 كنقابة متخصصة ومنفصلة عن أرباب العمل".[232]

- وأترك النقابي زكي النداف ليرتاح، والتفت إلى النقابي ابراهيم الدعبول طالباً التحدث في ذات الموضوع فقال:

"ليس لدي معلومات عن جدي سوى أنه كان فلاحاً من قرية صدد انتقل إلى حمص لظروف لا أعرفها، وتوفي قبل ولادتي. إنما حدثني والدي عنه بأنه كان يعمل على النول اليدوي.[233]

أما عن والدي فهو أيضاً كان يعمل على النول اليدوي (ديمابورد) وترك النول بسبب ضآلة الأجور ليعمل في التلييس (طيّان). وحياتنا المادية كانت لا بأس بها بالمقارنة مع الجوار في الحارة. وقام والدي بتربية اثنين فقط من أولاده، أنا وأخي، وذلك بسبب وفاة البقية.

---

[231] يبدو واضحاً أن زكي الندّاف كان عضواً أو صديقاً للحزب الشيوعي السوري. وبعد منع الحزب الشيوعي بسبب موقفه من تقسيم فلسطين وملاحقة أعضائه، التجأ زكي إلى لبنان. وبسبب خوفه الدفين ومعرفته أن الحكم يُكِنّ العداء للحزب الشيوعي آثر التكتم. وأمثال زكي كُثر ممن كانوا حذرين من نائبات الزمن.

[232] تمّ ذلك بعد صدور قانون العمل لعام 1946 والسماح للعمال بتأسيس نقابات مستقلة عن أرباب العمل.

[233] تقع صدد إلى الجنوب الغربي من حمص، وهي بلدة سريانية قديمة، ومعظم أهلها يعملون على النول اليدوي ويصدّرون انتاجهم من عُبيْ وغيرها إلى دمشق وحمص.

أنا لم أتقن القراءة والكتابة رغم دخولي المدرسة، ويعود ذلك إلى عدم ميلي للعلم. وقد تركت المدرسة وعمري 8 سنوات فقط، وكنت أنا الكبير بين إخوتي. وفور تركي المدرسة لجأت للعمل كأجير في مهنة النول اليدوي. وأذكر أن والدتي أوصلتني إلى الصانع الذي يعمل على النول (واسمه مطانس الحاصباني) وكان شيخ الكار آنذاك، وقالت له: هذا الولد يجب أن يتعلم الصنعة، وأنا أسلمه لك فاللحم لك والعظم لي. وكانت تقصد من ذلك أن يستخدم الشدة في تعليمي الصنعة. ومنذ ذلك الحين، أي منذ أوائل الثلاثينات أعمل بذات المهنة وتطوّرت فيها. وأذكر أنه خلال الحرب العالمية الثانية تطوعت مع زكي النداف وغيرنا بالجيش الانكليزي، وأُرسِلنا للحرب في إيطاليا، ولم نعد حتى عام 1945، حيث سُرّحت من الجيش، وعدت للعمل في ذات المهنة عام 1946.

خلال الثلاثينات ومنتصف الأربعينات كانت مطاليب الصناعية في مهنة النسيج اليدوي وأيضاً عمال الحطة والزنار باعتبارهم يتبعون لذات شيخ الكار، فإن المطاليب آنذاك كانت تنحصر بزيادة الأجور بشكل أساسي، حيث أن الأجور كانت تدفع على القطعة. ولذا فإن ساعات العمل اليومية مفتوحة ومتروكة للصانع نفسه أمر تقريرها. وكانت مطاليب الصناع تتم على النحو التالي: يقوم الصُنّاع بنقل مطاليبهم إلى شيخ الكار بدعوة الصناع إلى الإضراب، وتكليف البعض منهم بجمع الحطاوي وذلك بقصد إلزام جميع الصناع بالإضراب. وغالباً كانت تلبى المطاليب نتيجة الإضرابات. وقد استمر الحال بنا نحن الصناعية هكذا حتى عام 1947، حيث قمنا بتأسيس نقابة عمال الحطة والزنار كنقابة متميزة ومنفصلة عن نقابة عمال النسيج اليدوي. وأُجريت الانتخابات في النقابة الجديدة. وأذكر الأسماء الآتية ممن نجحوا في مكتب النقابة آنذاك:

- عبدالكريم خاتون: رئيساً، وهو متوفي حالياً.
- ذكي النداف: أميناً للسر، وهو موجود هنا.
- رفيق البواب: عضواً، وهو متوفي.
- كامل الطحان: عضواً، وهو متوفي.
- سعدو الشامي: وهو لا يزال على قيد الحياة.
- ابراهيم دعبول: مفتشاً .
- رزوق مصيافي: عضواً، وهو لا يزال على قيد الحياة، ومقيم حالياً بدمشق.

وحُلّت النقابة لأسباب سياسية في عهد حسني الزعيم، وأُعيدت الانتخابات فيها عام 1950 في عهد الشيشكلي. وقد ترأس مكتب النقابة إلياس أورفلي ومعه مصطفى حبوس، وجميل الزمار، إضافة لي ، وزكي النداف. غير أنني في ذات الفترة ولأسباب سياسية هربت إلى لبنان حيث بقيت لغاية عام 1957، حيث عدت وشاركت في انتخابات النقابة التي تحدث عنها الأخ زكي النداف سابقاً". وأضاف: "لم أقرأ كتباً لأنني لا أعرف القراءة والكتابة".

الكتب التي قرأها النقابي زكي النداف كانت خلال الخمسينات وهي: "الأم" لمكسيم غوركي، وتاريخ الحزب الشيوعي السوفييتي. والصحف التي يتذكرها هي: صوت الشعب، الأخبار اللبنانية، جريدة النور. والأحزاب التي يتذكرها: الكتلة الوطنية، عصبة العمل القومي، الحزب الشيوعي السوري اللبناني. خلال الأربعينات: الكتلة الوطنية وعصبة العمل القومي اللذان تحولا إلى الحزب الوطني، ثم حزب الشعب، الحزب الشيوعي، الإخوان المسلمين (وكانوا يسمون أنفسهم شباب محمد ثم أصبحوا إخوان المسلمين) ، الحزب القومي السوري، وفي أواخر الأربعينات ظهر حزب البعث. وكان الاتجاه الوطني هو الغالب بين صفوف العمال والأحياء العمالية.

تفاصيل عن المهنة: تحدث النقابيان فقالا: "أيام الجيل الذي سبقنا، كانت كافة العُدَة والأنوال والمواد يملكها رب العمل، والصانع يقدم فقط قوة عمله مقابل أجر يتقاضاه على القطعة، هذا ما سمعناه من أهالينا. وكان رب العمل يتصرف بالإنتاج كما يشاء. ويحكى بأن رب العمل يقوم بتأمين الدكان التي توضع فيها العدة والمواد. وكانت تقام تجمعات (دار كبيرة) لعدة دكاكين لمهنة أنوال الحطة والزنار، ويسمى التجمع آنذاك قيصرية، وقد وجدت عدة قيصريات في دمشق وحلب، أما حمص فكانت الدكاكين فيها موزعة وعدد العاملين فيها قليل".

مكان العمل: وهو الدكان. منها مُلك، ومنها بالآجار. وغالباً ما كانت الأنوال وخاصة التي عليها الصناع أنفسهم تفرز في إحدى غرف البيت الذي يسكنه الصانع ذاته.

الأدوات:

- الغروزة: وهي جمع غرز، وتحدث الغروزة إما بحفر الأرض، وفي هذه الحالة تسمى (الجورة)، وإما تبنى مساطب لحمل الغروزة وتسمى (سرير).
- المطواية: وتركب على الغروزة، ويشد إليها القماش ويلف عليها.
- القبب: وهي تحمل الدفة.
- الدفة: وهي التي يستخدمها العامل في دق القماش (الخيوط المحاكة).
- الزقازيق: ومهمتها هي تنظيم عملية تبادل الخيوط لتتم عملية الحياكة.
- الدوس: يستخدمه العامل برجله لتبديل طبقة الخيوط كي يمر بينها المكوك.
- الجحش: وهو يحمل السدي أو الحرير أو الرشق.
- المرد أو الطلبة: وهي عبارة عن أسطوانة خشبية تربط بسقف الدكان لحمل خيوط الحرير المدلاة والمعلق في نهايتها الأباليج.
- الأباليج: وهي قطع من الحجارة تربط بواسطة بيايير لشد ملف خيطان الحرير.
- الدولاب: ومهمته لف الخيطان على المواسير التي توضع في المكوك.

ومجموع هذه الأدوات تسمى العُدة أو (النول).

المواد:

يقدمها رب العمل وهي عبارة عن:

- الرشق: وهي عبارة عن خيوط الحرير أو خيوط النباتي وتسمى السدي.
- اللحمة: وهي عبارة عن خيوط حرير أو نباتي وتستخدم في الحياكة وتتداخل بشكل متعامد مع السدي.
- القصب: في حال كون الحطة أو المنسوج المطلوب يجب أن يكون منقوشاً.
- الصمغ والنشاء: وتستخدم لتقوية وتقسية الخيوط قبل حياكتها.

الأجور: كانت تدفع على القطعة، وكانت إجمالاً متدنية، وتختلف بحسب نوع الحياكة المطلوبة، الأمر الذي كان يدفع بالصناع لتأمين حياتهم بالحد الأدنى إلى زيادة ساعات العمل لتصل في معظم الأحيان إلى 15 ساعة باليوم. وبشكل عام الصُنّاع كانوا نوعين: صناع مهرة يعملون بالحطة المنقوشة بالقصب ومستوى حياتهم كان أفضل من الصناع العاديين الذين يعملون بالحطة العادية (السادة) وهؤلاء دخولهم متدنية نسبياً. ورغم تدني الأجور المدفوعة للعاملين في المهنة فإن مستوى حياة الصناع العاملين بالحطة والزنار كانت أفضل من مستوى حياة غيرهم من الصناع العاملين في مهن أخرى.

العلاقات بين الصناع وأرباب العمل:

- كان رب العمل "يقرمط" على العمال، أي لا يدفع لهم كامل أجورهم المستحقة.
- الأجور على القطعة لم تكن واحدة وتختلف من رب عمل لآخر.
- الأجور بشكل عام كانت متدنية جدا بالمقارنة مع الجهد المبذول (ساعات العمل الطويلة). وقد عرفنا كيف كانت تعالج قضية مطاليب الصناع ايام شيخ الكار، غير أنه بعد تأسيس النقابة عام 1947 بدأت العمل من أجل:
  - تحديد أجور القطعة بشكل موحد.
  - تنظيم العمل بهدف حماية الصُنّاع من المنافسة التي كانت تقع فيما بينهم.
  - تنظيم وتوحيد العمال في المهنة لرفع مستوى معيشتهم.
  - العمل من أجل إيجاد نص تشريع يحمي العمال من البطالة ويمنع رب العمل من تسريح العامل في حالات الكساد.
  - السعي لإيجاد العمل للعمال بواسطة مكتب دائم للعمل.
  - العمل لإيجاد صندوق مساعدة يهدف مساعدة العمال من حيث تأمين الغذاء والدواء والمسكن والتعويض والمكافآت وتعليم الأبناء.

وقد تضمنت الهويات التي أصدرتها النقابة عام 1947 صفحات دونت عليها هذه الأهداف.

نضالات النقابة المطلبية:

"مقابل نقابة عمال الحطة والزنار كان هناك نقابة أرباب العمل، وبدأت نقابتنا عن طريق لجنة تحديد الأسعار، التي تضم مندوب وزارة الاقتصاد ويسمى آنذاك رئيس مكتب العمل، كما تضم اللجنة ممثلاً عن نقابة أرباب العمل وممثلاً عن نقابة عمال الحطة والزنار. وكان مكتب نقابتنا يُسمّي مندوبه إلى لجنة تحديد الأسعار. ورغم كل محاولاتنا آنذاك لتحديد الأجور وبشكل موحد للأعمال الواحدة عن طريق اللجنة، فإن أرباب العمل كانوا لا يلتزمون بقرارات اللجنة ويفرقون بين الصناعية من حيث الأجور التي تدفع لهم. وكان من يساعدهم على ذلك المنافسة بين الصُنّاع أنفسهم.

لقد قامت النقابة بعدة إضرابات، وقادت الصناع للإضراب عن العمل أكثر من مرة، بهدف تحديد الأجور وزيادتها، وحققت نجاحات عديدة في هذا المضمار. كما قامت النقابة بقيادة إضراب طريف والهدف منه هو استمرار لمطلب سعى إليه شيخ الكار سابقا وهذا المطلب مضمونه كالآتي:

باعتبار أن أغلب العاملين في مهنة الحطة هم من المسيحيين، فكانوا يطالبون بأن يقوم رب العمل في يوم اثنين الراهب (وهو عيد ديني) بدعوة البرخانة (وهي مجموع العاملين لدى رب عمل واحد) ، التي تتبع له إلى سيران ليوم كامل منذ بزوغ الفجر حتى غياب الشمس، ويتكفل رب العمل خلال هذا اليوم بدفع كافة المصاريف من أجور نقل عمال البرخانة ذهاباً وإياباً إلى مكان السيران وتكاليف الفطور والغذاء والعشاء مع العرق الذي يمثل المشروب الذي يتناوله الصناع في السيران طوال اليوم ومنذ الصباح حتى المساء. وقد نجحت النقابة في تنفيذ هذا الطلب وأصبح ساري المفعول منذ ذلك التاريخ وحتى يومنا هذا. كما تمكنت النقابة من تحسين الأجور أكثر من مرة وفي كل إضراب كان العمال ينالون زيادة في الأجور. كما ناضلت النقابة من أجل إصدار نص تشريعي يضمن تثبيت العمال والتأمين على حياتهم ومستقبلهم. ولكن لم ننجح في ذلك بسبب الظروف السياسية والأجهزة الحكومية التي كانت تدافع عن مصالح أرباب العمل. وهناك سبب هام أخر ساهم في عدم نجاح نقابتنا في مسعاها هذا، ألا وهو نظرة جميع الجهات إلى عمال المهنة على أنهم مقاولين باعتبارهم يتقاضون أجرهم على القطعة ويملكون خاصة بعد الثلاثينات العدة والدكان. والواقع أن نقابتنا كانت تحارب بكافة الأشكال كون قيادتها معروفة باتجاهاتها التقدمية والسياسية".[234]

النضالات الوطنية والسياسية:

"الواقع أن نقابتنا لم تتصدّر مباشرة لقيادة أي نضال وطني او سياسي بشكل تختص به وحدها دون غيرها. لكن عمالنا شاركوا وكانوا دائماً سباقين للمشاركة في كافة التظاهرات والمسيرات التي دعت إليها نقابات أخرى

---

[234] أي أنها نقابة يقودها الشيوعيون. وقد تجنّب المتحدث ذكر الشيوعية بسبب ظروف الحكم الشمولي الطاغي.

واتحاد عمال حمص. وذلك في معرض النضال ضد الديكتاتوريات والأحلاف الاستعمارية، وفي تأييد عمال النفط في نسف أنابيب النفط أيام العدوان الثلاثي على مصر، كما شاركت في احتفالات الأول من أيار التي أقيمت عام 1954 ودعت له نقابتي عمال النجارة ونقابة عمال الأي بي سي.[235] ويلاحظ بشكل واضح أن نقابتنا لم تظهر فيها تيارات فكرية أو سياسية يمينية أو رجعية، وكانت السيطرة كاملة لحملة الفكر التقدمي منذ تأسيسها".

النشاط النقابي خلال الوحدة بين سورية ومصر عام 1958

"لم يكن هناك أي نشاط ملموس، حيث ساد جو من الضغط للحد من نشاط العمال ونقابتهم، خاصة في المجال السياسي وحيث غابت الانتخابات وساد نوع من التعيين للقيادات النقابية.

وأخيراً نقول شكراً لكل من اهتم ويهتم بتاريخ الحركة العمالية والنقابية".

25- نموذج لعامل نسيج نقابي من دمشق

مُجرية اللقاء الدارسة: هند أبو عرّاج.

المتحدث: محمد الحمد ابن أسعد، من مواليد 1920 حي الصالحية، دمشق، ومقيم في مساكن برزة. تاريخ لقاء الدارسة به في 1989/5/21 في الإدارة العامة لمعرض دمشق الدولي، في غرفة اللجنة النقابية.

كتبت الدارسة:

المهنة: لحام في البداية (صانع)، ومن ثمّ عامل نسيج يدوي، وبعدها عامل في الدولة.

كان العمر تسع سنوات عندما عمل لحّاماً عند صاحب العمل صبحي، وكانت الأجرة 11,5 قرش في اليوم عام 1937، وبدأت العمل بسبب عدم وجود مدارس كافية، ولم أستطع الانتساب للمدرسة، وكانت الأهالي تفضل تعليم أبناءها في الكتُّاب من منطلق ديني.

"انتسبت لأول مرة للنقابة –وكنت أعمل في النسيج، وكانت نقابة النسيج اليدوي– عام 1945. ما قبل هذا التاريخ كان اسم رئيس النقابة حسني المصطول، ومحمد الأشقر أمين السر. سبب ترك مهنة اللحام هو عدم الرغبة في الاستمرار.

بدأتُ العمل في مهنة النسيج عام 1937 تقريباً، وعملت في مشغل لصنع الأقمشة "صاية" و"حطة"، وكانت الألبسة تصدر إلى بعض الدول العربية مثل: مصر، العراق، فلسطين، السعودية.

---

[235] شركة نفط العراق ، التي مدّت في ثلاثينيات القرن العشرين خطا لؤنبوب النفط يبدأ من المنبع في شمال العراق ويصبّ في ميناء طرابلس الشان بلبنان .

قبل عام 1945 كان يوجد تنظيم عن الأحياء لكل تجمع عمالي والذي كان ينوب عنهم يسمى "شيخ الكار" ومهمته الدفاع عن حقوق العمال وتحقيق مطالبهم من أرباب العمل. وكنت في هذه الفترة أساعد المندوبين (شيخ الكار) بجمع الاشتراكات وتبليغ قرار المندوبين واقتراحاتهم".

س2) عن عمل الجد: حجّار ونحّات. كان يتحدث عن عملية الشدّ والعهد عندما يصبح الصانع معلم فيقوم شيخ الكار ومعلمو المهنة بشده إلى رتبة المعلم. لم يهتم بالأشياء العامة ولكن كان الاهتمام بالأمور الاقتصادية الزراعية، بالإضافة لهذا العمل كانوا يقومون بضمان بعض البساتين الزراعية.

س3) تفاصيل عن الوالد: كان خبيراً في مهنته (نحات وحجار)، ملتزماً محباً لمهنته وصادقاً مع مهنته، ويحب الخير لجميع الناس، وكان لديه ستة شباب وبنتين، وكان الجميع يعمل في مهنة الوالد إلى فترة دخول الآلة والتطور الصناعي. وكانت أعمال البنات في المنزل وعمل التطريز والخياطة وكان الوضع المادي غير جيد.

س4) كنت أحب المطالعة وكنت أقرأ الروايات الأدبية (جورج جرداق، جرجي زيدان) وسيرة عنترة والزير سالم وسيرة بني هلال وبعض المجموعات الدينية. وهوايتي المفضلة معاشرة كبار السن من أجيال جدي، وكنت أساعدهم في أعمال خيرية كالجباية لبناء جامع وجباية للأيتام، وأستمتع بأحاديثهم التاريخية".

كان يوجد جرائد ومجلات: البعث، والرأي العام، والقبس، والعلم، والأيام، والصرخة، ومجلة المضحك والمبكي.

س5) عن الأحزاب الموجودة: كان هناك "الكتلة الوطنية" بزعامة شكري القوتلي وفارس الخوري. وكان من أهم أهداف الكتلة تحرير البلاد من الاستعمار ، وهذا الهدف جعل لها شعبية قوية بين العامة. وكان يوجد أيضاً حزب الشعب، والحزب الوطني، والحزب القومي السوري، والحزب الشيوعي السوري. كان في وقت الكتلة الوطنية وحزب الإخوان المسلمين، حزب التعاون الاشتراكي بزعامة فيصل العسلي. وجدت هذه الأحزاب بعد الاستقلال باستثناء الحزب الشيوعي، والقومي السوري.

الحزب الشيوعي السوري كان له الإيجابيات الآتية:

- أولاً: كان يَنْصَبّ معظم نشاطه ضمن العمال والأحياء الشعبية بهدف محاربة الفقر والاستغلال، ويجب أن يكون عن طريق التنظيم النقابي الملتزم مع الحزب الشيوعي المنتشر في بلدان العالم، وكانوا يدعون للسلم العالمي.
- ثانياً: كانت قضية الإلحاد شائعة في أوساط الشعب، وقد استفاد حزب البعث من هذه الناحية.
- ثالثاً: يستطيع النشوء والاستمرار دون معارضة شعبية.

س6) عملت منذ عام 1937 حتى 1955 في مهنة النسيج، وتركتها بسبب ضعف المهنة وانحسارها بسبب وجود الآلة. المواد الأولية كانت القطن والحرير، وكانت تتميز المواد بالمراحل التالية:

1- المسداية، 2- الصباغ، 3- المزيك، 4- الملقي، 5- النول (نويلاتي)، 6- المنير، 7- الحايك، 8- المنكة والكوي.

وبعد ذلك يتم إرسالها إلى التجار. وبسبب تخصص كل عائلة في مرحلة من مراحل التصنيع سميت العائلة باسم المرحلة مثل عامل النول: "نويلاتي"، عامل الصباغة: "الصباغ"، عامل الحياكة: "الحايك"، و"المنير" و"الملقي".

المهنة الحالية عمل إداري في معرض دمشق الدولي.

- في عام 1955: بداية العمل في الديوان، عمل كتابي.
- وعام 1958: مدير جناح الصناعات السورية.
- عام 1964: مفرغ للعمل النقابي حتى عام 1969، وما زلت مدير جناح الصناعات اليدوية في المعرض، بالإضافة للعمل في النقابات وخبير في المؤسسة للشؤون القانونية والعمالية في فترة 1964–1973.
- مثّلت العمال في المجلس الوطني للثورة، وبعده في مجلس الشعب ممثل للعمال، وكان ممثلي العمال والفلاحين بنسبة 50%.
- وشغلت عضو مجلس بلدي في أمانة العاصمة حتى صدر قانون الإدارة المحلية عام 1972.

أما بالنسبة للحصول على المواد الأولية، مثل: الحرير والقطن المغزول ،كان يستورد من الهند ومصر حتى عام 1945. والحرير من أوربا واليابان. قطن الغزل حلَّ محله الوطني عندما أسست الشركة الخماسية عام 1945. والمغازل كان يستورد عن طريق التجار –حرير ملفوف على "كونات"[236] جاهزة ومغزول، ولها أرقام تدل على ثخانة الخيط مثل 1/150 (180)– ترسل لعند الموضب الذي يرسم رسمة القماش، ثم يأخذ المسدي من الخيطان عدد معين ويصنع منهم شلل ملفوفة على أوتاد، وبعدها ترسل إلى الصباغ وتصبغ بألوان متعددة حسب الرسمة، ومن ثم ترسل لعند المزيك، تغطس الكونات في الغرة والنشا وتلف بعدها على أوتاد، وترسل لعند الملقي لتنظيم عملية الرسمة والنقشة على القماش، وترسل إلى عامل الحياكة ويتم حياكتها، وبعد الحياكة تذهب للغسيل والكوي، وتصدر بعدها إلى السوق، وأحياناً تصدر إلى فلسطين، السعودية، العراق، مصر، الأردن. كانت العلاقة تقوم على التعاون بسبب ترابط المهنة الواحدة بعدة أشخاص، وكان العمال متوزعين ومستقلين ما عدا عمال الحياكة حيث كانوا يتجمعون في مكان واحد، وبعض العمال كانوا يتجمعون بخانات مثل خان عيسى القاري وخان الأبرش. وأن الرابطة تقوم

---

[236] كونات: مفردها "كونة"، المساروة أو الاسطوانة أو البكرة التي يُلف عليها الخيط. (من وضع ح ح).

على التعاون بسبب ترابط المهنة. وعند الإضراب يتوقف العمل في كافة فروع المهنة الواحدة. وعند صدور قانون العمل رقم 91 عام 1959 تشكّل لهم نقابة.

وكانت الأجور حسب القطعة. وكان الصانع في المهنة يتقاضى [...]. كان يحدث تنازع بين الصناع وأرباب العمل بسبب منح تعويض نهاية الخدمة لمعلمي المهنة دون الصناع. عام 1946- قانون رقم 279- وكان هناك خلاف أيضاً، حيث يعتبر بعض العمال بأن التعويض ليس من حقهم. كانت هناك تعرفة من خلال عقد بين شيخ الكار وأرباب العمل لكل قطعة منتجة لضمان حقوق العمال.

المزيك يحاسب على الوزن، الملقي يحاسب على المئة خيط، المسدي يحاسب على الوزن وعدد الخيوط، الصباغ يحاسب على الوزن، الحايك يحاسب على القطعة، وكانت الأجرة مرتبطة بالعرض والطلب. وكان يجري اتفاق بشأن التعرفة بين ممثلي العمال وممثلي أرباب العمل على تعرفة تحدد فيها أجور كل قطعة حسب أهمية القطعة. فكان رب العمل عندما يتعرض لقلة الطلب يتجاوز هذه الاتفاقية وينقص من أجور العمال، وبالمقابل كان العمال يصححون هذا التناقص في الأجرة عند زيادة الطلب على القطعة، وغالباً يتم هذا التصحيح بوسيلة الإضراب.

وخلال وجودي على رأس النقابة اتبعت أسلوب غير الإضراب، واستعملت الأسلوب القانوني، وتركت استعمال الإضراب للحاجة القصوى، لأن من وجهة نظري كان الإضراب يضر بمصالح العمال مثلما يضر بأرباب العمل. والأسلوب القانوني من خلال القانون السوري، وهو إلزام صاحب العمل بدفع فرق الأجور المحسومة المخالفة للتعرفة المتفق عليها، وقد نجحت إلى حد كبير. وكان هناك أسلوب آخر ولكنه فشل بسبب وضعه بغير وقته، وهو إنشاء جمعية تعاونية إنتاجية غايتها تشغيل العمال العاطلين عن العمل في أوقات ضعف الطلب على البضاعة، ومن ثم خلق عمل تعاوني كبير يقضي على استغلال أرباب العمل. وقد أنشأت هذه الجمعية عام 1951 قبل صدور أي قانون للتعاون في سوريا. وسارت بإرشادات الخبير التعاوني الذي كان يعمل في وزارة الزراعة واسمه علي سدليك وكان رئيس حزب الفلاحين في يوغسلافيا، وساعدني الدكتور عدنان شومان وهو حالياً مدير بفرع من فروع اليونيسكو بحلب، وسجلت تحت رقم /1/ بمديرية الاقتصاد بدمشق.

كان تصريف الإنتاج على يد التجار وأصحاب العمل، وغالباً يصدر إلى بعض الدول عن طريق عملاء في الخارج، وكانت معظم الأرباح تذهب لأرباب العمل. مثل الحرير سبع تدرع[237] بليرة سوري. كان هناك خلاف بين المعلم والصناع حول الأجور وحول الجودة في بعض الأحيان، وكان للنقابة دور أساسي لحل المشاكل والخلافات.

[237] بدلا من الوحدة المترية كان القماش يُقاس بطول ذراع الإنسان . ويلفظ في العامية الذراع دراع وجمعها أذرع أو أدرع.

وكان لأرباب العمل الصغار والكبار تنظيم موحد. وهناك كان وجود المناقشة من أجل زيادة الربح والسيطرة على السوق. ومن الغريب في هذه المهنة كان الالتزام مطلق لعمال المهنة رغم عدم تجمعهم. لقد مرت نقابتنا بمرحلتين مثل باقي النقابات، مرحلة ما قبل صدور القانون رقم 279 عام 1946، حيث النقابات الأولى المهنية تسمى هيئة الاختيارية، والنقابات الثانية تسمى هيئة المندوبين؛ أما مرحلة ما بعد صدور القانون وكان يوجد بعض التعاون بين عمال المهنة في المحافظات، مثال على ذلك: في عام 1951-1952 صار مؤتمر في حمص، واتخذت قرارات أذكر منها: نظمنا مظاهرة في دمشق -وكنت أنا رئيس النقابة لعمال النسيج اليدوي- وضمت كل العمال، وكنا مضربين، وكان لنا مطاليب خاصة تتعلق بالأجور، وكان للمهنة بصورة عامة مطالب أقرها مؤتمر حمص الذي يمثل عمال النسيج في المحافظات الموجودة فيها المهنة (حمص- حلب- دمشق) ، وبالنسبة للنقابات كلها كان اتحاد عام، ومر بعدة مراحل، حيث كان في الأربعينات كان العمل النقابي ضعيف الفعالية بسبب ظروف الحرب، وكانت تسمى "هيئة الاختيارية" والنقابات الثانية "هيئة المندوبين".

التجمعات العمالية كانت تتوضع في الصالحية والشاغور والقيمرية والميدان ومأذنة الشحم من أحياء دمشق القديمة .

في عام 1946 أصبح اسمها نقابة عمال النسيج اليدوي.

التضامن العمالي بدمشق كان يظهر في مناسبات، ويتحول من نضال طبقي إلى نضال وطني. وكانت هناك نقابات النسيج الآلي والطباعة والدباغة والكونسروة والخياطين والخبازة. وعندما تكون مصلحة مشتركة أو نوع من المؤازرة يحدث تضامن بين هذه النقابات.

في سنة 1954 أضرب عمال النسيج الآلي من أجل تصحيح تعرفة الأجور، وطال الإضراب، وأضر بمصالح العمال نتيجة عدم وجود أجور، وأصبح مثل شد الحبل بين العمال وأرباب العمل ومن يصبر أكثر، فقامت نقابة النسيج بإعطاء مساعدات خاصة من صندوق النقابة، وتضامنت بقية النقابات الأخرى معهم من خلال مساعدتهم مالياً، وكذلك مساندتهم في التضامن في الإضراب معهم، وتجهيز مسيرات عمالية، مما أدى إلى تضامن الأحزاب التقدمية مع العمال، وهذا بدوره أيضاً أدى إلى إجبار الحكومة على التدخل وحل المشكلة القائمة لصالح العمال. كما أدى ذلك إلى إنجاح عدد لابأس به من ممثلي الأحزاب التقدمية في الانتخابات البرلمانية وحصول العمال بالتالي على مكاسب عمالية جديدة منها مثلاً: إلغاء تشريع صدر في 1952/5/22 رقم /243/ الذي كان يفرض على مكاتب النقابات العمالية واتحاداتها القسم القانوني بعدم انتمائهم إلى الأحزاب السياسية، وكان نص القسم أمام مندوب الحكومة: "أقسم بالله بأني سأقوم بواجبي النقابي بشرف وأمانة وإخلاص، وأني غير منتسب الآن ولن أنتسب إلى حزب سياسي أو منظمة سياسية، ولن أقوم بأي نشاط سياسي، ولن اخضع لأي تأثير حزبي ما دمت عضواً في مكتب النقابة". واستبدل هذا القسم ينص بأنه يسمح بمزاولة العمل السياسي

بشرط ألا يستغل النقابي مركزه لصالح حزبه السياسي. وأنا شخصياً تعرضت بأن أقسم القسم السابق، ورفضت القسم، وذلك معروف من قبل زملائي النقابيين القادة، ومع ذلك أُنتُخبتُ رئيساً للنقابة.

وفي إضراب عام 1951-1952 كان التجمع في تكية السلطان سليم، وخرجنا منها بطريقة نظامية نحمل لافتات مكتوباً عليها المطاليب، أذكر منها: تعديل تعرفة الأجور بما ينسجم مع مستوى المعيشة مستندين في ذلك إلى نص في قانون العمل يقول بأن الحد الأدنى من الأجور يجب أن يكفي لسد حاجات العامل الأساسية، ومطلب ثاني عام كنا نطالب بإيجاد مكتب للقطن على غرار مكتب للحبوب، وفي هذه النقطة انسجمت مصالح العمال مع مصالح ارباب العمل. مهمة هذه المكاتب من أجل حصر بيع الحبوب حتى لا يصدر ويهرب إلى الخارج، وفي هذه المرحلة كان يوجد مزارعون للقطن ويوجد مصانع له، وهذا ينطبق بأن مصلحتنا باستمرارية العمل، وأرباب العمل مصلحتهم بالحصول على المادة الخام بسعر رخيص. وفي هذا الإضراب مشينا بمسيرة مع إعطاء تعليمات للعمال بعدم إطلاق شعارات غير متفق عليها، وفعلاً تفيد العمال. وكانت المظاهرة محاطة بالشرطة، واتجاه المسيرة من التكية إلى شارع جمال باشا ، المرجة، رئاسة الوزارة. وكانت النية أن نعلن مطالبنا أمام رئيس الوزارة –اسمه فوزي السلو–، إلا أن قبل وصولنا إلى المرجة، وعند الدرويشية، لا نعلم من تدخل وضرب حجر على الشرطة، وقد يكون من أتباع السلطة لأن العمال كانوا متقيدين بالتعليمات، وعندها هاجمت الشرطة المظاهرة، وفرقوها، واقتادوا قادة المظاهرة. فشل الإضراب، إلا أنه سويت الأمور بمفاوضات مع موظفي مديرية الشؤون الاجتماعية والعمل التابعة لوزارة الاقتصاد!

س7) لم يكن أي وجود للصراع الطائفي، بل كان التعاون سائداً بين جميع الطوائف. وكان يردد: "الكتلة الوطنية — إسلام ومسيحية".

عندما كنا نعمل في يوم من الأيام في المشغل، ودخل علينا صاحب عمل ونحن نأكل كوسا محشي، وطبعاً الكوسا المحشي تبع العمال يختلف عن الكوسا المحشي تبع التجار من حيث اللحمة والصنوبر، فقال لنا مازحاً: "إذا كنتوا أنتم تأكلون الكوسا المحشي فماذا هو الفرق بيننا؟".

كان وضع الحي فقيراً جداً، ولكن يوجد محبة وتآخي بين الجيران، وجميعهم يشاركون بعضهم الأفراح والأحزان.

المهر: تزوجت عام 1943، وكان النقد معجّل 600 ل.س مقبوضة، ومؤجلة 300 ل.س. و600 ل.س تعادل 20 ليرة ذهب. وكان المهر المتعارف عليه حوالي 10 ليرات ذهبية. وقد وفرت المهر 600 ل.س من عملي خلال فترة ستة أشهر في مهنة الحياكة. وفي عام 1947 اشترت زوجتي "الجِهاز مثل: خزانة، سجادة، طقم كنبايات، ولحاف وفرشة. وكان السكن بغرفة مع أهلي. وقد بعت الجهاز كله بعد عامين واشتريت بيت، وعشت فترة على الحصيرة وفرشة ولحاف وطراحة للأولاد.

س8) العلاقة بين الريف والمدينة: من الناحية الاقتصادية كانت المدينة تستورد من الريف كافة المواد الغذائية والحيوانية والريف يستورد الصناعات من المدينة. وكان يتصف الريف بالجهل وعدم التعلم وكانت الزراعة تسيطر.

س9) أسماء اعضاء النقابة الذين يتذكرهم وتفاصيل أعمالهم، ثقافتهم، أوضاعهم: أمين السر محمود دقماق.

ومن الناحية الثقافية كان أحسن واحد يحمل الابتدائية. وبالرغم من ذلك عضو مكتب النقابة كان مثقفاً، والسبب الداعي لتثقيفه هو المهام الملقاة على عاتقه كونه مسؤول عن لقاء وتنظيم العمال ومواجهة السلطة وأرباب العمل والدخول في مفاوضات وحفظ الأنظمة والقوانين والدساتير واتفاقيات العمل الدولية.

س10) نتيجة جهود النقابيين القدامى الذين كانوا على رأس الحركة العمالية ما قبل تاريخ 1958 وتدخل جهود الأحزاب التقدمية التي أحست بضرورة الاعتماد على العمل النقابي وأهميته والارتكاز على العمال المنظمين نقابياً، لذا كان التنظيم النقابي شاملاً لمعظم العمال في المصانع والمعامل الصغيرة والكبيرة ونشأت نقابات حديثة وكثيرة خلال المرحلة، خاصة بين عامي 1950-1958. ولم يكن التنظيم يخص الصناع وأرباب العمل، وإنما كان لأرباب العمل نقابات واتحاد نقابات منفرد، وعندما كما نجلس في لجان تحديد الأجور والمفاوضات الأخرى كنا نجلس فريقين: الأول للعمال والثاني لأرباب العمل.

وكان للطبقة العاملة دخولاً في مجالات جديدة وحيوية على المستوى القومي العربي، حيث تأسس اتحاد عمال العرب عام 1957، وعلى المستوى الدولي انتسبت إلى الاتحاد العالمي، وحصل خلال هذه الفترة خطيئة صححت سريعاً فيما بعد، وهي انتسابها لاتحاد العمال الحر، والخطيئة الأخرى حصلت خلال تلك الفترة أنه تجزأ الاتحاد العام لنقابات العمال وأصبح اتحادين، وذلك بفعل السلطة، فسمي الأول اتحاد عام لنقابات العمال والآخر الاتحاد التقدمي، وأنا شخصياً كنت غير موافق ومعارض لهذا الانقسام.

س14) كان يوجد تيارات سياسية داخل النقابات، كانت محصورة والأحزاب التقدمية فقط مثل: الحزب الشيوعي وحزب البعث. وكان الكثيرون من النقابيين الآخرين يقولون أن الحزبية مضرة وينفصلون عن الأحزاب ويعارضون اكتساب النقابة للأحزاب ويتباهون بأنهم غير حزبيين ويشكلون تياراً، علماً بأنهم عام 1954 حاولوا تأسيس حزب عمال خاص.

كان يوجد بعض الخلافات العقائدية بين العمال والقادة النقابيين السياسيين، إلا أنهم كانوا يتضامنون ويتوحدون عند الأهداف والمطاليب العمالية، وكان الخلاف محصوراً بمن سيضم أكثر من العمال إلى حزبه. وكنا كنقابيين سياسيين حذرين تماماً من أن تحتوي الأحزاب السياسية الطبقة العاملة، وإنما كان انتسابنا هو تلاحم ثوري تقدمي وطني عقائدي بعيداً عن الانتهازية والاحتواء ومن منطلق الوصول إلى السلطة من خلال الحزب لتحقيق أهدافنا القومية والطبقية.

س15) في البداية مرحلة ما قبل الخمسين لم يكن الوعي الطبقي ظاهراً بشكل واضح. وبدأ الوعي الطبقي ينمو عند تدخل الشركات الصناعية بشؤون الدولة. وكان في أوساط العمال الفكر الاشتراكي هو السائد، وأرباب العمل فكرهم بورجوازي وطني، ووجدت محاولات (شق؟) لعمال في الشركات الصناعية المحدثة في تلك الفترة وفي المعامل الآلية الكبيرة، مثلاً في الشركة الخماسية كان أرباب العمل يحاولون شراء بعض العمال، وغالباً لم ينجحوا. وكان العامل المتعاون مع أرباب العمل منبوذاً. وكان خلال الأعياد عند بعض أرباب العمل الذين يعتبرون نفسهم كرماء يوزعون الهدايا، وكانت تأخذ شكل "الحسنة" برأيي، وكنت أرفض العيدية من رب العمل الذي كنت أعمل عنده، وكان يقول لي "وتحسبهم أغنياء ومن التعفف".[238]

س16) في نقابتنا باعتبار أن العمال موزعين على مناطق في دمشق، كنا نراعي دوماً تمثيل هذه المناطق في مكتب النقابة، فكان من الضروري أن يكون عضو مكتب نقابي من كل منطقة. وكانت الانتخابات تجري بالتزكية، ويجتمع العمال جميعهم في مكان ما، وغالباً يكون في مقهى أو في مكان عام مثل مدرسة يجتمعون فيه، ويجري الترشيح حسب الأصول، ومن ثم الاقتراع فيما إذا كان هناك ضرورة، وغالباً كان كل تجمع عمالي متفقاً مسبقاً على شخص يمثله.

س17) أيام الانتداب الفرنسي أعرف من رفاقنا النقابيين أنهم كانوا يلاقون صعوبات كبيرة في العمل النقابي، وكانت السلطة تتدخل في شؤونهم، ولم يكن يوجد تجمعات عمالية كبيرة، إلا أن الطبقة العاملة بتنظيمهم سواء على شكل شيخ كار أو نقابي كانوا جزءاً لا يتجزأ من الحركة الوطنية، وكانوا يناضلون إلى جانب عملهم النقابي الذي كان يهدف إلى تحسين أوضاعهم المعيشية وحماية حقوقهم وترسيخ العمل النقابي الذي كان يتطلب جهداً كبيراً لإقناع العمال والاجتماع في البيوت وصعوبة جمع المشتركات. بنفس المستوى كانوا يهتمون بالنضال الوطني. وفي زمن الحكم الإقطاعي والبرجوازي الوطني صدر قانون 279 عام 1946، وجرى تنظيم النقابات على أساسه، وبدأت تأسيس الصناعات المحلية مما أدى إلى إحداث تجمعات عمالية جديدة. وكان الصراع بين العمال وأصحاب العمل حول اقتسام الأرباح. ولم تتحسن أوضاع العمال كثيراً، وساد شعور عند العمال بأن نضالهم ضد الفرنسيين لم يأت بالنتائج الجيدة.

س21) ما انطباعاتك عن هذا الشخص والحديث الذي أجريت الحديث معه؟ هل كان مبالغاً؟ صادقاً؟ الخ...[239]: لقد كان المتحدث نقابيا معروفا بنضاله ومن خلال حديثه تبين بأن له باع طويل في الدفاع عن حقوق

---

[238] أي أنه رغم حاجته المادية لا يطلب المعونة من الناس، ويتعفف عن سؤالهم الصدقة، فيظنه الناس من الأغنياء. وهي مقتطعة من الآية الكريمة رقم 273 من سورة البقرة في القرآن الكريم (لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ). (من وضع ح ح).

[239] سارت الدَارِسة هند وفق الاستمارة التي تدربت عليها في المعهد. وسجّلت رقم كل سؤال كما واضح من نصّها. وهنا تبدي رأيها في المقابلة.

العمال. وبما أنه كان بمركز مسؤول، فهناك أدلة تؤكد كلامه وأقواله وصدقه، واضح من خلال انتخابه من خلال الأحياء الشعبية ووصوله إلى عضو مجلس الشعب ومن خلال الجيل المثقف والواعي من أبنائه المعروفين والذين يفيدون الشعب والوطن.

26- صنَاعيِّة ومعلمو حرفة وعمال من إدلب (مجموعة دراسات من إعداد الطالب النشيط عماد الدين نعمة)

الدراسة الأولى لنعمة

مُجري اللقاء الدارس: عماد الدين نعمة.

المتحدث: يحيى دردورة، وعمه الطاعن في السن، في منزلهما بإدلب بتاريخ 1988/2/7.

كتب الدارس:

هناك صناعات ظهرت في إدلب وانقرضت قبل أن يُحْدَث لها نقابات، كصناعة حلج القطن على الدولاب (الحلج اليدوي)، وغزل الشعر والقطن يدوياً، و صناعة المراكيب الحمر (أحذية).

وقد جَلّسْتُ لأتحدث مع يحي دردورة، وعندما لم أجد لديه معلومات عن والده وجده جلست إلى عمه أيضاً (وهو مريض وعاجز وسمعه خفيف) ومن الاثنين أخذت المعلومات التالية:

الجد: سليم دردورة، تولده غير معروف، إلا أن تولده بإدلب. كان عامل بالغاب[240] يقطع القش أيام الموسم وينزله إلى الأسواق ليبيعه. وكانت زوجته وأغلب نساء العائلة تَشُدّ الحصر. وكان يعمل أيضاً شعّاراً (يغزل خيوط شعر). كانت تربيته لأولاده غير قاسية فهو لم يكن متشدداً، وتعلّم أولاده عند شيخ الكُتّاب، حيث لم يكن هناك مدارس في ذلك الوقت. توفي عام 1906 م. وأولاده: محمود، يعمل نفس المصلحة وسنأتي على ذكره؛ وأحمد، عامل بناء عادي بالأجرة سنتحدث إليه أيضاً، ولهما أخ أيضاً عامل عادي بنّاء بالأجرة.

الأب محمود ولد في إدلب. كان يعمل على دولاب حلج القطن (دولاب يحلج القطن المحبوب يُغذى باليد و يُدار بالرجل. طريقة حلج اسطوانية، أي تقص الشعرة من على البذرة قصاً) وكانت هذه المصلحة رائجة حيث كان هناك معلم لديه عدة محالج ويشغّل عنده عدة صُنّاع. والمذكور محمود كان صانعاً، والصانع يأخذ أجرته على الرطل (كل رطل 8 قروش). وأيام الصيف حيث لا يوجد موسم قطن كان يذهب إلى سهل العمق (إلى الشمل الشرقي من الغاب) يقطع القش ويبيعه، وقسم من القش تشده نساء العائلة كزوجته وغيرها. تولده غير معروف، إلا أنه ذهب عام 1904 مع الأتراك (عسكرية مغربية) لمدة سنتان، وبعد رجوعه من المغربية أخذوه للسفربرلك 1914. تزوج عام 1920، واسمه محمود دردورة، تولد إدلب الحي الشمالي.

[240] كان مستنقعاً قبل تجفيفه، وتكثر فيه نباتات المستنقعات.

المتحدث الأول: أحمد دردورة (وهو عم المتحدث يحيى)، تاريخ الولادة 1912، مكان الإقامة الخاصة إدلب الحي الشمالي. مكان أخذ الحديث منزل ابنه هاشم بالحي الشمالي.

وضعه الصحي غير جيد، فهو يمشي بصعوبة، ويسمع بصعوبة، وأثقل عليه المرض. كان يعمل على دولاب الحلاجة عندما كان عمره 15 سنة، حيث كان هنالك عدة أرباب عمل يشترون القطن ويأّمنون الدواليب في الورشة، ونقوم نحن بحلج القطن المحبوب، حيث نمسك القطن باليد وندوّر الدولاب بالرجل.

"المعلمون كان أحدهم من بيت برغل، والثاني من بيت الشوا، وواحد من بيت كراكيش، وواحد من بيت غزال. كنا نأخذ على حلج الرطل برغوتين، ونحلج باليوم 3 أرطال، عدد ساعات العمل على الكيف، حيث أن الأجرة على الرطل. والأرطال الثلاثة تتطلب عمل من أذان الصبح حتى أذان المغرب. كان رب العمل لا يجد من العمال إلا القليل، حيث كان قلة من العمال يعملون بهذه المصلحة. ولم يكن هناك مشاكل حيث كان أرباب العمل يزنون لنا الشغل (القطن المحبوب والمحلوج) بسعر جيد وعادل.

بقيت في هذه المصلحة سنتين تقريباً حتى صار عمري 17 سنة. عملت سكيفاتي (تصليح أحذية مستعملة) بدون أجر حتى تعلمت الصنعة مدة ثلاث سنوات حيث تعلمتها وصرت أعمل بها في القرى. كان عندي خرج،[241] وتنكة ماء، وعُدّة أذهب بها أيام موسم الحصاد وأُسَكّف.

الأجور كانت من برغوت صغير إلى برغوتين كبار، ثم تركت المصلحة في سن العشرين. وعملت في شركة ألمانية عند المعلم أبو شكر. وهذه الشركة كانت مهمتها التنقيب عن البترول في المنطقة، حيث حفروا بئر في الرام الشمالي وبئر في وادي حاج عيسى وبئر شرقي الرام وبئر في قرية دينية وبئر في ميدانكي شمال حلب.

الأجور كانت نصف ليرة باليوم، والعمل من طلوع الشمس حتى غيابها، وعلاقتهم مع رب العمل أبو شكر جيدة، حيث كان تعامله مع العمال جيد، وقد انتهت هذه الشركة قبيل الحرب العالمية الثانية.

أيامها لم نكن نفكر في إيجاد تنظيم نقابي لأن التعامل جيد مع أبو شكر. ثم أصبحت أعمل عامل مناول بنّاء (أناول الحجارة للمعمار) ، حيث شاركت في بناء الحمصي بإدلب عام 1940 تقريباً، ومدرسة المتنبي، والمستشفى. واستغرقت الفترة بمجملها 5 سنوات، وبنايات أخرى أيضاً. كانت أجرتي ليرتان سوريتان، والعمل من الفجر حتى المغرب، ثم تَدَرّجَت أجرتي حتى أربع ليرات باليوم عام 1963. وبعد أن عجزت عملت ناطور بنايات، حتى عجزت كلياً عن العمل.

عندما بدأت العمل في مناولة الأحجار كانت أجرتي ليرة ثم ليرتان، والمعلم كان يأخذ زيادة ليرة عن الصانع، حيث كان العمل مياومة للمعلم أيضاً. كنا نقف بالورشة بالساحة ننتظر المعلم، ثم يأتي المعلم ويختار منا عامل،

[241] الخرج مصنوع من شعر الماعز أوصوف الغنم على شكل كيسين يتدليان على جانبي الدابة ويربطهما بساط محك من المادة نفسها.

ويفاصل على الأجرة، ويذهب به إلى العمل، وهكذا (هذه الطريقة موجودة حتى الآن). لم يكن هناك من إشكالات بين العمال والمعلم ورب العمل، حيث لم يكن هنالك من رابط يربط بينهم، حيث أن العامل إن لم يعجبه العمل يذهب إلى معلم آخر ويترك الورشة، ولذا لم نفكر بإيجاد تنظيم نقابي، ولم يكن هنالك من نقابات".

ثقافته: "درست وتعلمت عند شيخ الكُتّاب، والمطالعة كانت في القصص الشعبية كالزير سالم وبني هلال والتغريبة".

عن الزواج والمهر: "تزوجت عام 1930، والمقدم كان 15 ليرة ذهب على رقبتي[242] 500 قرش عملة دارجة (حاليا 500 ق.س). أما الجهاز فكان صندوق خشب ومراية وفرشة صوف ولحافان. وبعد سنتين اشتريت صينيتين نحاس، وصحون نحاس، ومعالق نحاس، وطباخات فخار (شغل الشتورية)، ومعالق خشب وأبريق شاي (جينكو).[243] بالنسبة للتدفئة كان عندنا "دفية (يقصد الموقد) في الحائط لها وجاق[244] للسقف. كنا نلم حطب من البرية ونحزمه ونوقده في الشتاء. السهر كان على لمبات الكاز حيث لم يكن هنالك كهرباء. وقد تم وصول التيار الكهربائي حوالي عام 1940، عندما أحضر وحيد دويدري موتور كهرباء وشغّله على حسابه، وصارت العالم تشتري الكهرباء منه".

الدراسة الثانية لنعمة

المتحدث الثاني: يحي دردورة بن محمود. مكان الولادة: مبلط. مواليد: عام 1922. الإقامة حالياً: إدلب الحي الشمالي. مكان أخذ الحديث: منزله. والمهنة حالياً: عاطل، لكبر سنه.

"بدأت العمل في البناء كعامل بناء عربي 12 سنة، حفظت القرآن الكريم على يد شيخ الكُتّاب في عصر فرنسا. كان هنالك مدارس ليلية مجانية (دراسة فقط) ، درست صف أول فقط. صرت أعمل عند شيخ الصنعة أحمد جبارة (توفي من 3 سنوات) في صنعة الأحذية البلدية (المراكيب الحمر)، وبقيت صانع لمدة 13 سنة. بعدها فتحت معلم لوحدي في عام 1951 في دكاكين حاج عبد الكريم قوصرة مقابل جامع العمري. بقيت لمدة 4 سنوات ثم انتقلت إلى الصليبية أمام معصرة حاج محمود عبادي بنفس المصلحة. كنا نشتري الجلود من إدلب حيث كان يحضر تاجر تركي ومعه جلود "أنطاكلية"[245] وكانت العملة السائدة "القرش الذهب". كانت الليرة ذهب خمسة

---

[242] في ذمتي.

[243] جينكو أو تشينكو: من أنواع أباريق الشاي القديمة. ملونة، وتحتوي على رسومات أو زخارف، ومطلية بمادة خزفية مقاومة للحرارة والعوامل الأخرى. تسميتها ترجح أنها صينية الصنع (مشتقة من اسم الصين China). (من وضع ح ح).

[244] وجاق جمع وجاقات – موضع النار أي الموقد وله مدخنة تسحب الدخان إلى خارج الغرفة .والوجاق أيضا النسق من الجند.

[245] مصنّعة في أنطاكية.

ونصف ليرة سورية، وعند الاستقلال سبعة ونصف ليرة سورية. كنا نشتري الجلد بالرطل حيث كان سعر الرطل ثلاثة قروش ذهب في عام 1930 تقريباً.

قبل أن أفتح دكاني الخاص كان يأتي الجلد من أنطاكية ومن عينتاب (جلد أنطاكلي). بعد عام 1936 أصبح عندنا عدة تجار جلود (عبد العزيز شامية، أحمد سميع، مصطفى حجازي ثم محمد معتوق). عن الأدوات التي كانت تستعمل في هذه الصنعة: "البيلونة" توضع بين النعل والضبان، وكنا نصنع الضبان من جلود الحمير والحور من جلد الغنم، في الداخل على داير[246] المركوب أي الحذاء (عند فتحة دخول الرجل) يوضع أيضاً الزيك من جلد الماعز والسختيان (الوجه الأحمر) من الماعز والنعل من الجاموس والجمل.

كان عندي 6 صناع. كانت أجرة أمهر صانع: 15 ل.س في الجمعة،[247] وأنا عندما كنت صانع كنت آخد 14 ليرة في الجمعة، وعندما طلبت رفع أجرة الجمعة إلى 15 ل.س لم يوافق المعلم، فتركت، وفتحت مصلحة لوحدي. كان خسكاري {تعني هنا مقدار انتاجي} في الجمعة 50 جوز مراكيب، كنت أبيعها إلى سلقين، وحارم وحلب. كان هناك دلاّل[248] بحلب كنا نضع عنده البضاعة، ويدور هو على التجار ويأتي لنا بالسعر النهائي، حيث نذهب مع الدلال والبضاعة إلى التاجر المشتري (تاجر الجملة) ونبيعه البضاعة ونقبض ثمنها ونعطي الدلال تعبه. كانت أسعار المراكيب من 1- 4 ل.س، وأحسن جوز [249]{زوج الأحذية} بخمس ليرات عام 1955. كنا نعطي للدلال شيء معلوم[250] فمثلاً على بيع كل مئة جوز نعطيه ليرة سورية واحدة.

أما العدة المستعملة فكانت: الدزكا من خشب الجوز (قرصة جوز على 4 قوائم)، مشطة نحاس تستعمل للمدق، الكاز (قطعة حادة من البولاد للتفصيل والقص)، والمخراز للخياط، والإبر أيضاً للخياط، والقوالب الخشبية، والسريس (لاصق مع الخام) كنا نشتريه من خان استنبولي بحلب- محل العدسات. أما الخياطة فكانت يدوية. تابعت العمل في هذه المصلحة حتى عام 1958. أما عن عدد ساعات العمل فكان الصانع يعمل من الساعة السابعة صباحا حتى الرابعة بعد الظهر، والعطلة الاسبوعية يوم الجمعة بدون أجرة، والأعياد من حساب الصناع أيضاً، أي أننا نحاسب على الدوام الفعلي. أما عن التنافس بين المنتجين، فقد كنا نعاني من سرقة الصناع حيث أن المنتج عندما يسمع عند فلان صانع ماهر يدفع له جمعية أكبر ويأخذه ليعمل عنده. أما عن المشاكل بين الصانع ورب العمل فلم تكن موجودة، حيث أن الصانع الذي لا يعجبه رب العمل يتركه ليعمل عند غيره، أيضاً رب العمل الذي لا يعجبه صانع يصرفه ويستغني عنه. التاجر كان هو الذي يأكل الأرباح. فمثلاً عام 1955

---

[246] من الدائرة أي على المحيط.

[247] كانت الأجرة الأسبوعية تسمى جمعية من الجمعة نهاية الاسبوع.

[248] الدلّال : الوسيط في البيع والشراء معلنا عن البضاعة.

[249] زوج أحذية

[250] المعلوم : المبلغ المتفق عليه.

اشتريت مرة من التاجر محمد معتوق (تاجر جملة سبق ذكره) طن ونصف من النعل بسعر 45 ل.س للكيلوغرام، وخزنته عندي، فنشف، أي هبط وزنه، فعملت نتيجة لذلك سنة كاملة لحسابه حتى أوفيه قيمة البضاعة، ومع ذلك بقيت مكسور على 50 ل.س. فالأرباح كانت تذهب للرأسماليين بائعي المواد الأولية وشاري الأحذية الجاهزة".

عن سؤاله عن أرباحه، لم يستطع تقديرها، بل أجاب: "كنا عائشين والحمد الله والأمور متداخلة مع بعضها"، حيث أنه يصرف من الغلة أول بأول، ويشتري من هنا ويبيع من هناك، دون حسابات أو تقديرات للأرباح. وبالنسبة لأرباح التاجر لا يستطيع تقديرها أيضاً، حيث كان التاجر يشتري منا المراكيب ويخزنهم عنده حتى يبيعهم في المواسم، فيتحكم في سعر الشراء والبيع. و"الواقع أنه كان يعيش بمستوى معيشة عالية جداً ولا تقاس بمعيشتنا".

عن النقابات وظهورها أجاب: "في عام 1956 أو 1957 كانت هنالك نقابة في حلب عملت لنا هويات، حيث لم تسمح لنا أن نبيع منتجاتنا إلا عندما ندفع ليرة ونصف بالشهر، فكانت نقابة استغلالية. أما المشاكل بين أصحاب المصلحة الواحدة لا يوجد مشاكل بيننا، حيث كل واحد منا يعمل لوحده، أي أن هناك وفاق بيننا، حيث عندما يُعلن الاضراب ضد فرنسا نكون متضامنين في الحارة. المشاكل كانت بسبب الطائفية {عنا المتحدث بالطائفية هنا العائلة، أو العشيرة الصغيرة ولم يقصد معناها الديني أو المذهبي} والطوائف الكبيرة هي التي تفتعل المشاكل، وهذه الطوائف مشاكلها معروفة، وكانت تسيطر على عائلات الأقلية (التي تعدادها قليل) ، وكل واحد من هؤلاء الأقلية الذي يبين بين الطوائف عبارة عن مستخدم منهم ويسعى لرضاهم، ومن لا يتواضع لهم يأكل نصيبه كعقوبة (كفين – ضربة – نكشه) والأقلية الدراويش[251] لم يتمكنوا من التكتل لأن كبير الحارة يمانع وجود أي علاقات فيما بينهم ويسعى إلى تفرقتهم حتى يبقى مسيطراً.

بالنسبة للنقابات لم تكن موجودة في إدلب، وانقرضت المصلحة ولم تظهر لها نقابة، سوى النقابة التي تم التنويه عنها في حلب حيث كانت نقابة استغلالية همها أخذ الاشتراكات فقط اسمها "النقابة العمالية لصنع الأحذية الجلدية في حلب.

بالنسبة للعمل ضد الاحتلال كنا نشارك في الاضرابات العامة والمظاهرات ونغلق المحلات استجابة لكل نداء ثوري ونشارك في الاضراب.

الكتب والمجلات والمطالعة بشكل عام: الملك الظاهر (كل السيرة)، الملك سيف، حمزة البهلوان، ألف ليلة وليلة (قرأتها بنفسي دون حكواتي)، سيرة ذات الهمة، الزير سالم، سيرة بني هلال، عنتر. أما الجرائد والمجلات فلا اقرأها.

---

[251] الدرويش: الراهب المتعبد والزاهد . واللفظة فارسية ومعناها الفقير . والدرويش في المعنى الصوفي هو المتصوف صاحب الكرامات .

الأحزاب الموجودة آنذاك: جمعية البر والآخاء تطورت إلى الحزب الوطني، وحزب الشعب، والإخوان المسلمون، وحزب البعث العربي، وحزب العربي الاشتراكي، والحزب الشيوعي، والحزب القومي السوري.

بعد هذه الصنعة (حيث ظهرت وعمت الأحذية العادية المعروفة حالياً) عملت عامل زريعة في حدائق بيروت، ثم عملت في معمل نسيج أيضاً في بيروت للحاج عمر فقاس من حلب، ثم عدت إلى إدلب حيث تعيّنت في شركة إدلب للغزل حارس بموجب عقد. وعندما بلغت الخامسة والستين من عمري تمّ إنهاء عملي وجلست في البيت بدون عمل".

الدراسة الثالثة لنعمة

مجري اللقاء الدارس: عماد الدين نعمة.

المتحدث: محمد بن مصطفى نعنوع، من مواليد إدلب عام 1920. وجرى اللقاء في مكان "نجارة" المتحدث في إدلب بتاريخ 1988/2/6.

تمهيد بقلم الدارس:

عندما تمر قرب دكانه تجده منكباً على عمله بجد ونشاط رغم تقدمه بالسن. وعندما تريد خراطة فنية ممتازة فسيدلك جميع أهل البلدة عليه لأنه مشهور بإتقانه لعمله وإخلاصه فيه.

جلست لأتحدث إليه فشعرت بالفخر والاعتزاز لأني أجلس لواحد من صنعوا التاريخ بجدهم ونشاطهم وعملهم الدؤوب، فهو يعمل بهدوء وصمت وإتقان ورغم عدم حاجته المادية للعمل. فولده الأكبر مقتدر مادياً قادر على إعالته، إلا أنه يأبى أن يكون عالة حتى على ولده طالما يستطيع العمل بيده. كان يتحدث إليّ بكل تواضع وهدوء، ويتطلع إليّ بوجه كله سماحة ونور. تخفي وجنتاه الحمر ولحيته البيضاء شقاء سنين طوال مرت عليه، فطوت من عمره ما طوت، وما زال على تسامحه وصفاء نفسه وعزمه وكبريائه وقد بدأ يستعيد ذكرياته منذ أيام جده.

ما نقله الدارس عن المتحدث وجده ووالده:

الجد: محمد ديب نعنوع تولده غير معروف، حسب التقدير بين 1865–1870 في إدلب. كان عمله نجارة عربية، نجارة عود، {لعله يقصد نجارة الصمد، أو المحراث} خراطة خشب يدوية، بالإضافة إلى عمل آخر حيث كان يقوم بنقل البريد على الدواب (البغال أو غيرها) أيام الحكم التركي ما بين اللاذقية وحلب. وقد كان عمله بالبوسطة يدر عليه أرباحاً جيدة، حيث واكب أول أيام ظهور واختراع السيارات، فاشترى سيارة فورد (أبو دعسة)، ثم سيارة دوج، وذلك لتسيير أمور عمله في نقل البوسطة، حيث أصبح يقوم بتعهد نقل البوسطة. وقد استمر في عمله بنقل البوسطة أكثر من 29 سنة، ولكن الأتراك لم يتركوه ليكمل الثلاثين، لأنه لو أكملها فيتوجب

عليهم دفع تعويض له. ومن جهة أخرى فقد اضطر لترك هذا العمل اضطراراً عندما خسر في تعهدات نقل البوسطة خسارة فادحة أجبرته على بيع ممتلكاته لتوفية التعهد، مما اضطره لترك نقل البوسطة والعودة إلى المهنة الأصلية أي نجارة وخراطة أخشاب.

كان يقوم بعمل وتصنيع: مداري، قباقيب، عدة الفلاحة: صمد خشب ونير وكذلك مسّاس، خراطة قلب أركيلة (كان يعمل ستين قلب أركيلة باليوم)، ودولاب لغزل الصوف وغزل القطن، ودولاب لحلج القطن مع شوبك القطن، خراطة أرجل كراسي قش يصنعها من خشب الحور أو السنديان أو الزيتون (وكلها أشجار مزروعة محلياً) وكان يبيع منتجاته في حلب. كما كان يقوم بصنع أسنان طاحونة النار (طاحونة مع محرك).

مكان إقامته في إدلب، وقد كان مستثنى من خدمة العلم بسبب عمله لدى الأتراك بنقل البوسطة. أبناؤه شغّارين بالإضافة إلى والد المتحدث (الذي سنأتي على ذكره).

الوالد: مصطفى نعنوع. تولد إدلب عام 1895. يعمل بنفس مهنة والده، أي نجارة عربية ونجارة عود وخراطة خشب بالإضافة إلى نقل البريد. وقد كان لا يتم إعطاء شهادة سواقة سيارة بدون دورة 9 أشهر في صيانة السيارات، فاضطر لقضاء فترة 9 أشهر في تعلم صيانة السيارات وقيادتها. كان يعمل ويصنع دولاب سيارة خشب حيث أول ظهور السيارات كانت ذات دواليب خشبية تنكسر بشكل دائم، وكان لديه سيارة فورد. وقد قام بمهمة وعمل نقل البوسطة على زمان الأتراك ثم الفرنسيين، واستمر يقوم بهذه المهنة طيلة خمسة سنوات من بداية انتداب فرنسا، حيث أخذت هذه المهنة بالقوة شركة فرنسية فعاد الوالد (مصطفى) للنجارة.

وقد أخذوه إلى سفر برلك واقتادوه إلى إزمير. ثم تواسط له مدير البريد فأعاده إلى سوريا (جسر الشغور) بعد أن تعرض لشتى أنواع الجوع والعذاب.

عندما تزوج كان نقد عروسه 1400 قرش فضة. وقد تضمن جهازه صندوقاً خشبياً مطعماً بالموزاييك، سجادة، وقبقاب ارتفاعه شبر،[252] فرش صوف، صواني نحاس، صحون ومعالق نحاس، بلور صناعة وطنية صلب ويتحمل الصدمات ومنقوش، وقطارميز من الزجاج تُغَلّف بالقش حتي لا تكسر، وإبريق شاي جينكو.

أبناؤه: واحد نجار، واحد معلم (مدرس)، واحد عامل نسيج تريكو، بالإضافة للمتحدث.

المتحدث: محمد بن مصطفى نعنوع، مواليد إدلب عام 1920، من سكان إدلب–بستان غنوم. ولدت في مدينة إدلب، ولما كبرت وضعني والدي في الخوجة للتعلم، والخوجة كانت بنت النينو وتعلمت القراءة والكتابة والحساب بشكل جيد وقليلاً من اللغة الفرنسية. ثم وضعني والدي في المدرسة الحكومية، وعند دخولي للمدرسة خضعت لامتحان صعب في الحساب والقراءة والكتابة، وعندما نجحت بالامتحان وبجدارة وضعوني في الصف

[252] قبقاب جمع قباقيب حذاء من خشب ملصق به دائرة جلدية لتثبيت القبقاب في الرجل.

الأول (بعد الشعبة) ، وتابعت دراستي حتى نجحت من الصف الثالث إلى الرابع، عندها أُجْبِرت على ترك المدرسة عندما انكسر والدي وجدي في تعهد نقل البريد،[253] وجلست عند والدي في الدكان أتعلم المهنة. وعندما ظهرت صناعة الشبابيك والأبواب، واشتهر بها جمعة ملذيبي، تركت دكان والدي وعملت لدى جمعة لِتَعلّم النجارة الحديثة (المقصود الشبابيك والأبواب). وقد بقيت عنده تسعة أشهر أتعلم الصنعة الجديدة بدون أي مقابل، حتى أنه لم يعطني الحلوان (المكافأة) الذي يعطيه إياه الزبائن للصانع.

وعندما تعلمت صناعة الأبواب والشبابيك عدت للعمل في دكان والدي ، وصرت بارعاً في صناعة جميع أنواع الأخشاب بالإضافة إلى الخراطة بما فيها نجارة العود. في بداية عملي مع والدي لم أتقاض أي أجر، حيث كان يعلمني ويَسْتُرْني ويصرف عليَّ، حيث كنت أعيش عنده في البيت مع زوجتي وصار عندي أولاد. وعندما صرت أب لولدين طلب مني والدي بنفسه أن أصبح له شريكاً وبالنصف. أما عن المواد الأولية التي كنا نستعملها من أخشاب السنديان والشوح لنجارة العود وللنجارة العربية كنّا نستعمل القطران لتلزيق الخشب نستورده من تركيا، وكانت تباع ثلاث أو أربع دفات بليرة ونصف والدفة كان اسمها (ظنب). أما السنديان فكان يُقطع من سوريا وينزل إلى سوق الجسر (جسر الشغور) حيث كنا نشتريه من هؤلاء البائعين. وكانت قيمة العود من خمسة قروش إلى عشرة قروش فضة.

وفي تلك الآونة انتقلت إلى الجسر للعمل، وفتحت هناك دكان (جسر الشغور). أما الشوح فهو مستورد والدفة كانت بـ 25 قرش فضة (طول الدفة 4 أمتار، عرضها 25 سم، سماكتها 2,5 سم) وباقي المواد الأولية التي كنت أستعملها هي المسامير والغري والفصالات وكلها مستوردة. كان كيلو المسامير قيمته 2 إلى 3 قرش فضة أما الغري كان الكيلو 3 إلى 4 قروش فضة، والفصالات حسب النوع، ويتراوح سعرها بين 6-7 قروش للزوج.

كنّا نصنع العدة للمزارع (عدة الفلاحة، عدة الحصاد، عدة الدراسة) وجميع لوازم المزارع، وبعد صنعها أتردد للقرى لصيانتها بين الفينة والأخرى. وكنّا نتعهد حين صناعة العدة على عدد مرات الزيارة للأرض (للصيانة) فنتفق على ثلاث إلى خمس مرات بالسنة. وكنت أذهب أكثر من ذلك بكثير حرصاً على سمعتي والزبائن، ومقابل ذلك أي تسديد ثمن العدة كنت أتفق مع المزارع على أخذ حوالي 15 رطل قمح عند الموسم قيمة ما صنعت له من أخشاب. وأما بالنسبة للصُنّاع فكانت أجرة الصانع نصف مجيدة باليوم إذا كان ماهراً. وهناك صناع مبتدؤون جَمْعيّتهم نصف مجيدة بالأسبوع، أي تحدد أجرة الصانع حسب الانتاج (عدد القطع المنتجة) والجودة والخبرة.

أما عن الخلافات بين الصُنّاع وأرباب العمل فلم يكن هنالك من مشاكل، وعندما يحدث خلاف يترك الصانع المعلم ويذهب ليشتغل عند معلم آخر. والصُنّاع كانوا قليلين بهذه المصلحة المتوارثة أي أغلب الصُنّاع تعمل عند والدها والابن كان يحترم أباه ويطيعه.

---

[253] أفلس

ومن جهة أخرى، وبعد ضم السنجق (لواء اسكندرون) إلى تركيا، هاجر عدة معلمين من أهلنا في السنجق واستوطنوا في الجسر، وأصبحوا يقومون بتعليم أقربائهم ثم يفتحوا لهم ورشات على حسابهم.

أما بالنسبة لعلاقات أرباب العمل مع بعضهم، فقد كان هناك تنافس شريف من معلم يحدد أسعار المصنوعات أو الأجرة، حسب مهارته واسمه في السوق، ويرجع انتقاء المعلم إلى الزبون، فإن كان الزبون مقتدراً لجأ إلى المعلم الماهر ذي الأسعار المرتفعة. وإذا كان الزبون درويش [فقير] لجأ إلى المعلم العادي.

وبالنسبة للواردات من المزارعين كانت حوالي عشرين قنطار حنطة سنوياً، وكنّا نصرفها كلها أي كنّا لا نوفر منها شيئاً ولا نفكر بالأيام القادمة، أما باقي الواردات فكانت متفرقة ولا يمكن إحصاءها حيث كنّا نصرفها أول بأول. وعن الأسعار السائدة آنذاك، باع الوالد آنذاك أربع قناطير حنطة بقيمة عشرين ليرة سورية، أي الرطل بأربع قروش، المدارية كانت تكلف 10–15 قرش فضة ويبيعها بـ 25–30 قرش، النصاب تكلفته لا تذكر نبيعه بقرشين فضة، دولاب الشعر (المغزل) يكلف ليرتين نبيعه بحوالي سبع ليرات.

بالنسبة للعمل النقابي آنذاك لم يكن موجوداً، وجرت محاولات عدة باءت بالفشل. فقد اجتمع المعلمين في نفس المصلحة عدة اجتماعات وطلبوا مني عدة مرات أن أقوم بشيخ الصنعة فرفضت القيام بذلك. أما عن أسباب الرفض فهي أني كنت صغير السن وليس من اللائق أن أوجه أوامر لمن يكبرونني سناً من جهة وهم اختاروني ليس لسني بل لمهارتي، ومن جهة أخرى فأنا أحب العمل وحياة الدروشة البسيطة . ثم عرض منصب شيخ الصنعة أيضاً على معلم غيري فرفض، مما أدى إلى الإقلاع عن الفكرة بعد عرضها على أغلب المعلمين المهرة ورفضهم. وأسباب الرفض بشكل عام القناعة والدروشة وحب العمل.

عدت للعيش في إدلب مع عائلتي، ففتحت دكان ومكثت عدة أيام بدون شغل، حيث لم يكن يأتيني زبائن وشعرت بالملل، فانصرفت للعمل في حقلي حيث لدي عدة شجرات زيتون. وعندما ضاقت بي الحال لعدم وجود زبونات (زبائن) حيث لم أكن معروفاً فالعالم نسيتني خلال فترة عملي في جسر الشغور.

في تلك الأيام كان في إدلب شركة ألمانية غربية جاءت للعمل في مشروع تجفيف الغاب، وقد تم حفر خط ري في إدلب، فصرت أعمل معهم فترة وأعود لدكاني فترة. أما عن عملي معهم فكنت أقوم بكل أعمال النجارة المطلوبة لديهم، واستمريت بهذه الحالة فترة أذربع سنوات بشكل متقطع، وقد انتهت هذه الشركة من ثلاثين سنة تقريباً. بعدها انصرفت للعمل في الدكان، وكان الطلب على المصلحة قليل فعدت إلى زبائني في القرى (المزارعين الذين كنت أصنع لهم العدة) . أما عدد القرى التي كنت أذهب إليها وأصنع لها العدد وأصونها لها فهي: بشلامون، كنيسة نخلة، فريكة، عين السوداء، كسرعدى، وطبة، عبادة بيلس، بزيت، المشيرفة.

بعد ذلك استقريت في الدكان ، وتابعت عملي وصار لي زبائن ، وصرت أتخصص شيئاً فشيئاً بالخراطة، خاصة القطع الخاصة بالموبيليا وأرجل الكراسي والطاولات. ثم ظهرت آلات الخراطة الكهربائية وصرت أعمل على الآلة بنفسي، ولا زلت حتى الآن أقوم بالعمل ولوحدي بدون صنّاع.

أما عن المشاركة في النقابات أو العمل النقابي أو السياسي فلم تكن موجودة أي نقابة ولم يفكر أحد بعد فشل محاولة تعيين شيخ الصنعة بأي تنظيم نقابي. وأنا كنت ألتفت إلى عملي ولا أتابع مثل هذه الأمور أو الأمور السياسية. وكنت وما زلت حتى الآن من الدكان إلى البيت، وليس لي اهتمامات بعمل نقابي أو سياسي.

أما عن المطالعة في الصحف والمجلات فلم تكن هنالك اهتمامات. أما عن مطالعة الكتب فأغلبها قصص شعبية أو كتب دينية بسيطة، والسبب في ذلك قضاء معظم أوقاتي في الدكان والعمل ولا يوجد وقت للمطالعة والقراءة أو الخوض في المشاكل. أما بالنسبة للعلاقات في الحي فهي عادية وهادئة. أمّا عن مستوى المعيشة سابقاً وحالياً فهي مستورة والحمد لله تعالى.

27- قصة نساء جبعدين مع غزل القطن

مُجري اللقاء الدارس: علّام صالح[254]

بتاريخ 1987/6/10 التقى الدارس في جبعدين –وهي قرية تبعد عن دمشق (61 كم) وأهلها يتكلمون اللغة السريانية، وجميع نساء القرية تقريبا كنَّ يعملنَ في صناعة الغزل القطني التي كانت منتشرة في القرية بشكل كبير– مع امرأتين عملتا في هذه المهنة وهنَّ:

المتحدثة الأولى هي حليمة عموش، مواليد 1899، التقيت معها في منزل ولدها عقل الحلبي الذي يعمل مختار في القرية. وبنهاية حديثي معها –الذي سوف أرويه فيما بعد– قالت لي وبالحرف الواحد: "الله يرضى عليك أنا قرابة ستك إذا الشغلة فيها سجن دير بالك عليَّ ".[255]

المتحدثة الثانية (الاسم الأول غير مقروء) حمود نجم، مواليد 1902 جبعدين، اشتغلت بالغزل 4 سنوات مع ثلاثة من أخواتها بنفس البيت: حليمة، وعائشة، وفاطمة.

ما قالته "الجبعادينيتان" نقله الدارس حرفياً بلهجتهما مازجاً أحياناً لغته مختصراً أو موضحاً ما قالتاه:

---

[254] عرّف عن نفسه على النحو التالي: علام قاسم صالح، مواليد 1942 المولود في قرية جبعدين. أعمل في الشركة العامة للمغازل والمناسج بدمشق القابون، وانتسبت للعمل بتاريخ 1959/12/7، أعمل في قسم النسيج منذ ذلك الحين وحتى الآن. عملت على جميع آلات النسيج التي كانت موجودة آنذاك في المعمل وحتى تمت عملية التجديد منذ عام 1978 بآلات سولزر حديثة وحتى عام 1984 ثم عملية التبديل في المعمل بالكامل، وفي عام 1985 ذهبت إلى سويسرا لاتباع دورة تدريبية على تلك الأنوال الحديثة المتطورة.

[255] هذا دليل على الخوف المتجذّر في ذاكرة الناس من شدة ما لا قوة من اضطهاد وظلم.

"كان في القرية ما يقارب ثلاثمائة مغزل تعمل عليها النساء فقط، وكانت الواحدة تغزل ما يقارب أوقيتين من القطن. وكانوا يحصلون على القطن لأول مرة من التجار القادمين من دمشق لا أذكر اسماءهم. مثلاً نأخذ رطل قطن نغزله ونبادله غزل بقطن. وكان التبديل رأس غزل براسين وبراسين ونصف، وبثلاث رؤوس قطن، "على هوى السوق".[256] مرات يتم التبديل في البلد ومرات في دمشق. بالشام أحسن وأكثر. كنّا بعد ما نخلص الغزلات نجتمع سبع أو ثمان نسوان، نتفق من عشية، ونقوم قبل صلاة الفجر نحمل الغزلات حوالي 4-5 رطل، ونمشي مشي ونصل إلى الشام عند صلاة العصر، والتبديل في سوق الدراع، والنوم في خان الصعب بقرش واحد. وبعض المرات نحمّل القطن مع المكارية.[257] وكنا ناكل رغيفين الإدامة، مرة حلاوة، مرة فول، مرة تمر، بـ واحد وربع.[258] وكان يتم تبديل غزل على قماش رجالي ونسواني من كل الأشكال. وإذا ما لقينا طلبنا من اللون ناخد قماش غير مصبوغ، ونحنا نصبغو في باب السلام عند أبو عاشور باللون إللي بدنا ياه والنقشة كمان، بأجرة رخيصة، من المصاري (النقود) اللي نبيع فيها الغزل وقت اللي بيكتر القطن".

- شو تجيبوا من الشام؟

"نجيب من الشام القماشات، وراحة بصندوق، وحلاوة طحينية، وتمر، والخام الصالحاني نساويه سراويل رجالية".

- كيف كنتوا تغزلوا القطن؟

"نندف القطن قبل كل شي، ثم نبرمه فتايل بطول دراع، بعدين نجيب الدولاب ونبلّش الغزل ونحط فتيلة ورا فتيلة، والدولاب يغزل وكان بِنْدَورو بالأيدي وكل ما صار "شموط بنقيمو ونساوي غيرو.(وكان لجانب عملية الغزل في البلدة ثلاثة أنوال نسيج:

1. نول عربي يملكه علي بكر، ينسج عبي وبسط. متوفي منذ 25 سنة.
2. نول عربي يملكه عبد السلام فياض، ينسج القطاع والصوف والشعر . متوفي منذ ثلاثين عاماً. ولا يزال بعض بقايا النول حتى الآن.
3. نول عربي يملكه محمد جعفر، من عين منين، ينسج حطات رجالي من قطن وصوف وأقمشة رجالية.

---

[256] حسب العرض والطلب في السوق.

[257] المكاري وجمعها مكارية من المسؤولون عن القافلة أثناء تنقلها حاملة البضائع على ظهور الدواب أو الجمال.

[258] سعر الوجبة قرش وربع.

العملة المستعملة: مجيدي بـ 25 قرش، نصف مجيدي بـ 12,5 قرش، ربع مجيدي بـ 6,25 قرش، وقرش من فضة، "البيشلي" نوعان: أسود بـ 3 قرش، وأبيض بـ 3,25 قرش، ومصرية، ونحاسة "أم الخمسة"، ومتليك بـ 3,25 قرش، والقرش وربع يسمى أبو الخمسين، والقرشين ونص يسمى أبو المية، والليرة عصملية.[259]

الأكل: كان في خير كتير: برغل، عدس، فول، حمص، كشك، دبس، كُلّنْ شغل البلد. أما الخبز كان من القمح بنطحنو بيبرود أو بحفير، وبنخبزو على التنور أو على الصاج. أما السمن كنا نبدلو على القمح، رطلين سمن بمد قمح وكان سعر مد القمح بـ 28 قرش. وثني المعزة {كبش الماعز وعمره سنتان، عندما يكتنز لحما. وكان يُطلق على ذكر الماعز التيس وذكر الغنم الكبش. وفي العامية الثني يُلفظ تني، من اثنين أو تنين بالعامية} بستة وربع قرش، بنذبحو وبنعملو (قاورما) {اللحم المجفف والمشبع بالملح كي لا يفسد ويؤكل في الشتاء} والزيت البلدي الرطل بـ 10 قرش.

النور: سراج من تنك أو من فخار نسميه أبو شامة، كان نحط فيه زيت بلدي أو دهن.

السكن: كان من الحجر واللبن والطين، والسقف من خشب حور أو لَزّاب ومن سياج. وكان البيت من الداخل بدل الدهان بنطرشو بحوارة بيصير أبيض مثل شرش القطن وبتصير ريحة البيت طيبة (منعشة) أما بالنسبة للدواليب، للغزل، كانت من يبرود، صناعة قديمة أكثر من مئة سنة".

وذكرت حليمة عموش بأن أبوها كان اشترى لها الدولاب بـ 3 مجيديات منذ عام 1900 أو أكثر، وغزلت عليه حتى سنة عرسها، ولا يزال الدولاب عند بنتها حتى الآن. وقد أحضرت لي كبكوبة خيطان مغزولة من القطن منذ عام 1916، لا تزال حتى الآن، وهي مرفقة مع الاستمارة. وقد ذكرت بأن لها أقمشة منذ ذلك التاريخ وفرش للنوم من غزل يدها. وذكرت بأنه كان يوجد مغزل بكسم الفجلة لم تعثر عليه.

أما بالنسبة إلى تصليح الدواليب عندما يخرب السيخ اللي بيغزل كان بيصلحهم عباس علي، وردة عمشة، علوش أسعد علوش.

كانت جبعدين تنتج من غزل القطن يومياً من نوعية ممتازة ما يقارب 120 كغ.[260]

28- حياة حدّاد على الكير مع مهن أخرى في عهد الإقطاع – ريف إدلب

مُجري اللقاء الدارس: عبد الحليم خطيب، معمل اسمنت المسلمية.

---

[259] الليرة الذهبية العثمانية. وكان يتداول أيضاً بالليرة الإنكليزية والفرنسية.

[260] جاء في توضيحات الدارس الآتي: الشموط: كومة خيوط. القطاع: بقايا القطن التي لا تصلح للنسيج.

المتحدث: صبحي محمد محمود الخطيب المولود 1905 في كفر نبّل ومقيم فيها، مهنته حداد على الكير. وجرى اللقاء بتاريخ 1988/1/26 في كفر نبّل.

قال المتحدث:

"عمل جدي في الحياكة والصوف لصنع البسط، أي الحُصر الصوفية التي تُمَدُّ في البيت. ولم أسمع من أبي عن جدي إلا أنهم كانوا فقراء لا يملكون إلا الجراول التي ينامون فيها بدل الفرش حالياً وأواني المطبخ الفخارية. كانوا يأكلون خبز الشعير والدرة البيضاء، وأحياناً لا توجد عندهم هذه الحبوب فيأكلون البيرين (فضلات الزيتون بعد العصر) والسمك الذي يأتون به من مستنقع الغاب في الشوالات على البغال.

أما من ناحية الثقافة فلا يوجد عند أحد كُتُبْ إلا القرآن. وكانت أجرة من يدرّس القرآن، حتى عهد أبي رطل من الشعير (الرطل ثلاث كيلوغرامات وربع). وفي ذلك الحين تزوّج جدي من جدتي بمهر قدره ربعية من الذرة البيضاء (أي مقدار تنكة). ومن كان يملك بقرة أو عدة عنزات كان سلطان زمانه في ذلك الحين.

أما أبي لم يأخذ مهنة جدي في الحياكة، إنما أنشأ طاحونة للحبوب، وهي عبارة عن حجرتين مستديرتين فوق بعضهما، السفلية مثبتة والعلوية متحركة، في وسطها قضيب حديدي قوي يدخل في وسط العلوية التي كانت موصولة بعصا طويلة توضع على رقبة الحمار ليجرها ويدور بها لطحن الحبوب للناس الذين كانوا يطحنون الشعير والذرة البيضاء لصنع الخبز بها. أما القمح فكانت نسبته قليلة لا يملكه إلا إللي حالته كويسة (الميسور). وكنّا ناخذ أجرة إما حب أو مصاري (نقود)، أما الحب فكنّا ناخذ من العشرين كيل، كيل واحد، أي رطل، ومن لم يدفع حبوب كان يدفع نصف مجيدية.

أما تربية أبي فكانت تربية حسنة، كان يقرأ القرآن، فعلّمنا إياه. ودرسنا حتى الصف الثاني في معرة النعمان، لأنه لم يكن يوجد عندنا مدرسة. أما حالتنا فكانت ميسورة بالنسبة لباقي الناس. كنا نلبس القنباز المفتوح من الأمام، من الأعلى إلى الأسفل، والذي يلف على الجسم ويربط بالشال، ونلبس في رجلنا المداس أي (الخف) المصنوع من الجلد. كنا نعمل أنا وأخوتي مع أبي من الصباح حتى فترة الظهر ومن العصر حتى المغرب. وفي كثير من السنين لا نعمل سوى في فترة الصباح لقلة الحبوب في سنين المِحِلْ (الجفاف بسبب قلة الأمطار).

أما أنا، كما قلت لك، تعلمت القراءة والكتابة من على زمن أبي قبل وفاته بقليل، وختمت القرآن. وفي حدود الأربعينات بدأت تصل بعض الكتب عن طريق الاقطاعيين (البيكوات من المعرة) لكن لم نكن نستطيع الحصول عليها أو لا يعطونا إياها أو يسمحون لنا بالاطلاع عليها. ولكن بعد الخمسينات حصلت على بعض الكتب من المعرة أثناء ذهابي لبيع وشراء الغنم مشياً على الأقدام (وتبعد 11 كم عن الضيعة). قرأت كتاب أحمد بن تيمية ويحكي عن الوهابية في السعودية، وبعض القصص منها عنترة بن شداد وسيف بن ذي يزن. أما الجرائد فكانت جريدة الأهالي ولا أعرف من أين تصدر وكنت مشتركاً فيها.

أما الأحزاب فلم أنتسب إلا لحزب أكرم حوراني (الحزب العربي الاشتراكي)، وبعد فترة تركت. إننا لا نعرف شيئاً عن الأحزاب، و ما لي رأي فيها لأنها راحت وانتهت.

أما المهن التي تعلمتها فهي مهنة الحدادة والعمل في الطاحونة، كما عملت في عصر الزيتون، وأطول فترة عملت في الحدادة على الكير، كما عملت في مهنة الزراعة، وهذا في البداية عندما كان الإقطاع في منطقتنا (حكمت الحراكي وأخوته). كنا نعمل بالأرض التابعة للإقطاعي في الزراعة مقابل أجرة دون أن نملك الأرض. وكنا نتقاضى ثلاث أرباع المحصول والبيك يأخذ الربع مقابل امتلاك الأرض، وكان علينا البذار والعمل في الأرض وله الأرض.

بعد فترة من العمل في الأرض لم تكن تكفي المعيشة، فجمعت مع عمل الأرض مهنة الحدادة. أما الأدوات فكانت الكير لنفخ الهواء على جرن أي حوض فوقه مدخنة، يوضع فيه الفحم المشتعل ويزيد هواء الكير من اشتعال نار الفحم واستمرار حرارتها المرتفعة حيث يتحول الحديد الموضوع فوق النار إلى مادة حمراء ليّنة تُنقل بملقط طويل وتوضع على السندان لطرقها حسب الشكل أو الغرض المطلوب، وأهمها سكة الفلاحة والفؤوس. فالمواد الأولية كانت الحديد فقط بالإضافة للفحم للحرق. وكنْتُ أحصل على الحديد من المعرة بكميات قليلة سنوياً (في كل سنة عشرين رطلا أي بمعدل 15 كغ). وكنت أجلبها على دفعتين على البغل وذلك من التاجر (الأفندي). أحياناً كنا نبادل الحديد بالقمح أو التين أو الزيتون بمقدار خمسة أرطال مقابل رطل واحد من الحديد، وأحيانا ندفع مجيديات. ثمن رطل حديد واحد: مجيدية.

أما معالجة الحديد فكانت بطريقة الإحماء بالنار حتى تصبح قطعة الحديد ليّنة، ثم نخرجها من بين نار الفحم أنا وشريكي، ونضعها على السندان وأحدنا يطرقها بضربات قوية حتى تصبح رقيقة من طرف أكثر من الطرف الآخر، ونعيدها إلى النار عدة مرات حتى يصبح طرفها الرقيق حاداً. ولكن كنّا نتعذب في ثقبها لتصبح فأسا توضع في ثقبه عصاة. لكن الأصعب كان عمل السكك للصمد (صمد الفلاحة الذي يجره بغل لحراثة الأرض).

أما دور العنصر البشري فكان الكل في الكل، ما عدا الإحماء على النار. ولم يكن عندنا منتجين سوى أنا وشريكي، ولم يكن هناك أجور. كنا نبيع إنتاجنا ونقبض ثمنه نقداً لشراء المونة كالحبوب ولباس، وكذلك لشراء الحديد. أما ثمن السكة فكان خمس مجيديات. كنُّا نطرق السكك والفؤوس للفلاحين بالأجرة، السكة أجرتها نصف مجيدية، والفأس بربع مجيدية.

بالنسبة للعُطل لم يكن عندنا عطلة رسمية سوى يوم الجمعة، وأحياناً نعمل يوم الجمعة. أما وقت العمل من الصباح حتى الظهر، ومن العصر حتى العشاء.

الأرباح كنا نشتري بها الحديد، والباقي خرجية للعيلة. أما أرباح التاجر فلا أعرف عنها شيئاً. أما وضع الحي والقرية فكنا دراويش ما في عندنا مجال للترفيه مثل هالوقت. وكانت تحدث بعض الخلافات بين الناس وكانت تُحل عن طريق المختار ووجوه الحارة.

أما العلاقات في الريف فكانت تسلّط الاقطاع على الناس. ففي عام 1938 تقريباً كان بيت الحراكي بالتعاون مع الدرك يجمعون الإعاشة للإنكليز من الأهالي، وفي أحدى المرات دخلوا بيتنا وكان عندنا عنزتين وخروف. أخذ الدرك الخروف بالقوة بحجة أنهم مأمورون من قبل البيك وهو بحاجة له لإطعام البكوات. كما أخذوا قطعة أرض لي وأعطوها لجاري في الأرض لأنه كان تابعاً لهم ويخبرهم عن كل شيء يحصل في الضيعة. وهذه القطعة كانت ثمن إخبارية عني لأني خبيت الشعير ولم أخبر به حكمت الحراكي.

الإعاشة كانت بيد البيك ورجاله والدرك. كان البيك يبيعنا القمح بـ 187 ق أيام الزرع ويشتري القمح أيام الموسم بالسعر الذي يريده. وإذا أردنا أن نبيع القمح لغيره لا أحد يتجاسر على الشراء لأن الدرك والمخفر مع البيك.

لم يكن عندنا تنظيمات ولا سمعت بهذه التنظيمات ولا انضممت إلى نقابة أو جمعية.

عملت في معصرة الزيتون أيضاً. فكنّا نعمل من الصباح الباكر حتى بعد العشاء أي بمعدل شَدّة (عَصْرَة)، وإذا كثُرَ الزيتون كنا نعمل عصرتين وننام في المعصرة. وكانت أجرة العصرة الواحدة ربع مجيدي أي بمعدل ستة وربع قروش للعامل الواحد. أما صاحب المعصرة فكانت أجرته زيت عن كل 10 أكيال كيل واحد، أي العشرة للفلاح والحادي عشر له. وكان الزيتون يأتي إلى المعصرة من الضيع المجاورة لنا، ومن عندنا، ومن عند الفلاحين العاملين عند الاقطاعيين.

29- جمعية النسيج اليدوي 1952 في حماة في حديث الشعّار عبد الرزاق المصري – حياكة بيوت الشعر للبدو

اسم الدارس: عمر أحمد طماس من اتحاد عمال حماة والعامل في الشركة السورية للطرق.

المتحدث: عبدالرزاق بن سعيد المصري المولود في حماة 1931 ومهنته نسّاج عضو جمعية النسيج اليدوي. وتاريخ اللقاء صبيحة أحد الأيام من عام 1988 في مشغله الكائن في حي الكيلانية–بستان السعادة، والذي تعود ملكيته إلى غسان بن سعد الدين كيلاني.

قال:

الجد اسمه: طالب المصري، كان يعمل ضروف سمن وهي عبارة عن تجفيف الجلود ثم دباغتها ثم قصها ثم حياكتها، وكان هذا العمل يتم في المنزل. وكانت علاقته مع البدو لأنهم مصدر الجلود ومكان بيعها بعد تصنيعها حيث كانت عملية البيع تتم كما سمعت من والدي كل ضرف مقابل رطل سمنة.

الأب اسمه: سعيد بن طالب المصري، وكانت مهنته صوّاف، أي يقوم بشراء الصوف من البادية أو الريف ثم يغسله ويبيعه ثانية. وكان له محل في حي الحاضر جانب سوق الخضرة، حيث كان وضعه الاقتصادي مقبولا. وكان له ستة أولاد ذكور وثلاث بنات وقام بتعليم جميع الذكور في مدرسة دار العلم الرسمية جانب المتحف. وثلاثة من أولاده يعملون كوالدهم في مهنة صوّاف.

وأردف المتحدث عبد الرزاق المصري ومهنته نسّاج ما يلي:

تعلمت هذه المهنة وكان عمري 12 سنة، بعد أن تركت المدرسة بعد الصف الرابع. ابتدأت بصفتي أجير في محل الحاج يوسف أبو دان لمدة ثماني سنوات كنت أتقاضى خلالها أجراً قدره 10 عشرة قروش في اليوم، ثم ازدادت حتى أصبحت 25 قرش في عام 1952. ثم أصبحت صانعاً أقوم بغزل الشعر حتى عام 1953، وكنت أتقاضى أجراً قدره 25 قرش على كل رطل مغزول. ثم عملت في مشغل محمود طيار من 1953 حتى 1955 بصفة نسّاج. وكنت أتقاضى أجراً على القطعة، أي الشِقة أو المِكْرب، ليرة سورية ونصف. ومن عام 1956 حتى عام 1959 فتحت محل لبيع وإصلاح البسكليتات.(وفي عامي 1960 و1961 ذهبت إلى الغاب لأعمل بصفة مراقب على أبنية الإصلاح الزراعي. وبعدها عُدّتُ إلى حماة واستلمت هذه الدكان من عدنان كيلاني إيجاراً، 300 ليرة سورية سنوياً في البداية، والآن أجارها 1600 ألف وستمائة ليرة سورية، ولا أزال أمارس المهنة حتى الآن، كما ترى.

المواد الأولية لمهنتي هي شعر الماعز، وأحياناً يدخل فيها الخيوط القطنية. كنا نحصل على المواد الأولية من الدباغة. وللمواد الأولية مراتب وأنواع كالتالي:

- نوع قص وهو النوع الممتاز أي يقص الشعر من على الماعز وهي حية.
- نوع دباغي وهو نوع ثاني أي يقشط من على جلد الماعز بعد وضع الزرنيخ أو الكلس.

ومراحل هذه الصناعة هي:

- تأمين الشعر.
- فرز الشعر الأسود عن الشعر الملون.
- ندف الشعر و كل لون على حدة.
- غزل الشعر على الدولاب الخشبي، وتُلفُ الخيوط على دفة خشبية، وكل لفة تسمى "قادوس".
- نسج الخيوط على النول الخشبي اليدوي ويصبح لدينا مواد مصنعة إمّا "مِكْرَبْ" أو "شِقة".

المِكرَب: قطعة منسوجة عرضها 25 سم توضع في الأماكن التي تسندها الأعمدة في بيوت الشعر وتصنع من الشعر الملون وتكون مشدودة أكثر من الشِقة.

أما الشِقة: هي قطعة منسوجة عرضها 60 سم، وأطوالها تختلف حسب أنواعها: "طريجتين" وطولهما 10 أمتار، "مثولث" وطوله 12 متر، "مروبع" وطوله 18 متر، "محيَّر" وطوله 15 متر، "مخومس" وطوله 24 متر.[261]

الأجور: في عام 1940 على رطل الغزل 25 قرشاً، في عام 1950 على رطل الغزل 50 قرشاً، في عام 1960 على رطل الغزل 1،5 ليرة، في عام 1970 على رطل الغزل 3 ليرات، في عام 1975 على رطل الغزل 4 ليرات، في عام 1980 على رطل الغزل 5 ليرات على القادوس، الآن 6,5 ليرات على القادوس. والقادوس هو عبارة عن كمية من الخيوط تُلف على قطعة خشبية أي "كبكوبة"، وكل 6 قادوس تساوي رطل أي 2,5 كغ.

و كانت أجرة المكرب 1960 /3/ ليرات سورية مهما كان طوله. أما الآن فالأجور على الوزن فأجرة 1 كغ 10 ليرات سورية، ونفس الأجرة بالنسبة للشقة.

وكان العمال يقسمون إلى ثلاث فئات:

- الأجراء وهم الذين يقومون بتنظيف المحل وبندف الشعر.
- الصُنّاع وهم الذين يقومون بغزل أو نسج الشعر.
- المعلمون وهم أصحاب الأدوات والمشغل أي أرباب العمل.

كانت أجور الأجراء باليوم كما كانت أجرتي، والصناع أجورهم على القطعة 3 ليرات عام 1962 ويستطيع أن يصنع مكرب واحد وزنه 6 كغ، وكانت ساعات العمل من شروق الشمس حتى الغروب.

تصريف المنتوج والأرباح: كنا نقوم بتسليم البضاعة إلى التاجر ويسمى "طرقجي" وبالكغ أو الرطل. وكانت أرباح هذه الصنعة يأخذها الطرقجي، وذلك وفق الجدول التالي الذي يبيّن مدى ربحه:

التسلسل	النوع	الوزن	سعر شراء المواد الأولية (ليرة سورية)	سعر البيع للطرقجي (ليرة سورية)	سعر بيعها للبدو (ليرة سورية)	العام
1	مكرب	رطل	5	8	10	1940
2	مكرب	رطل	6	9	12	1950
3	مكرب	رطل	8	14	20	1960
4	مكرب	كغ	6	10	16	1970
5	مكرب	كغ	25	75	140	1987

[261] بيت الشعر المثولث يقوم على ثلاثة أعمدة، والمروبع على أربعة أعمدة، والمخومس على خمسة أعمدة. وبقدر عدد الأعمدة يتسع البيت. وأكبر بيوت الشعر اتساعاً هو المثومن، أي يقوم على ثمانية أعمدة، وهو من علامات الثراء ومخصص للأمراء وشيوخ العشائر الأقوياء.

ونفس الأرقام تقريباً بالنسبة للشِقة. هذا يعني أن الأرباح تذهب إلى التاجر أو ما يسمى بـ"الطرقجي". وكان يقوم بتصدير البضاعة إلى السعودية، ومنها إلى معظم دول شبه الجزيرة العربية.

أحياناً كانت تقع خلافات وخاصة من أجل جودة الصناعة أو من أجل زيادة الأجور. ففي عام 1953 قُمنا بمظاهرة ضد أرباب العمل من أجل زيادة الأجور، وأتى شخص ممثل عن الدولة اسمه طه بالي،[262] فقام باستدعاء أرباب العمل، وذلك بالتعاون مع النقابة، وتمّ رفع الأجور آنذاك ولكن بنسب ضئيلة جداً. أما الخلافات الأخرى فكانت تحل عن طريق صاحب أكبر مشغل وفق العرف السائد.

كانت علاقة المحبة والأخوة تسود أهل الحي سابقاً، وكانت الخلافات التي تحصل في الحي تُحَلُّ عن طريق الوجهاء ومن هم أكبر سناً في الحي.

كنت أسمع في الريف قبل الوحدة أن الفلاحين كانوا يعانون الأمرين من قبل ملاك الأراضي، وكانت العلاقة بين الريف والمدينة جيدة، حيث كان الريف يؤمن الحبوب والخضراوات والألبان للمدينة، وكانت المدينة تعطي الريف الأدوات اللازمة للزراعة، إلا أنه بعض الناس من أهل المدينة، أصحاب النفوس المريضة، كانوا يميّزون بين سكان الريف وسكان المدينة وكانوا يحتقرونهم.

كنت أسمع عن الكثير من الحرف في المدينة مثل الحدادين والنجارين والحذائين والكندرجية[263] وصُنّاع البسط. وكنت أسمع أن هناك شيخ الحدادين وشيخ النجارين، وأسمع أن الخلافات كانت تُحل عن طريقهم.

انضممت إلى النقابة، أي جمعية النسيج اليدوي، عام 1952، وكان الاشتراك الشهري هو نصف ليرة سورية. وقد علمت أن هذه الجمعية أُسست عام 1936 في حماة، وكانت الاجتماعات تتم في بيوت أعضاء الجمعية لأنه لم يكن لها بناء، وموارد هذه النقابة من الاشتراكات الشهرية ومن معونة الدولة التي كانت بحدود 350 ل.س، وتم بناء الاتحاد عام 1964.

وقد أُنتخبت عضواً في النقابة عام 1962، وكانت عملية الانتخابات تتم بالاقتراع السري، والدورة الانتخابية سنتين، وكان رئيس الجمعية المرحوم عبد الحميد العزيز. والجمعية تضم:

- عبد الحميد العزيز: نسّاج، ثم موظف في البلدية.
- عبد الرحمن رطبة: نسّاج، صاحب مشغل.

---

[262] وهو شيوعي من حمص وكان مديراً للعمل والشؤون الاجتماعية لحمص وحماة. ومن مراجعة الصحف تبيّن لي أنه يقف إلى جانب العمال. وقد تعرّفت عليه في تسعينيات القرن العشرين، وله شقيقين شيوعيين احتلا مراكز قيادية في الحزب الشيوعي، الأول كان طبيباً والثاني حائز على دكتوراه اقتصاد من ألمانيا الديموقراطية.

[263] صانعو الأحذية

– أحمد دلال: غزّال.

– أحمد عرعور: يعمل بالخام أي صناعة قماش للفرش.

– عبد القادر هنداوي: نوّال، ثم أصبح تاجر حبوب في باب البلد.

– محمد حميدي: غزّال.

– خليل حلبي: نوّال، ثم أصبح موظف في معمل الاسمنت.

وكان عدد أعضائها عشرة.

لقد تركز العمل النقابي في المؤسسات الحرفية الصغيرة والمتوسطة قبل الوحدة، لأنه كان أصحاب هذه المشاغل يتعاونون مع العمال، لأنهم بالأساس هم عمال [أيضاً]، أي معلمين يقومون بالعمل بأيديهم، ولأن أصحاب المشاغل الكبيرة ينافسونهم في هذه البضاعة.

كان يوجد تيارات سياسية داخل النقابة، فالرئيس كان ينتمي إلى حزب البعث العربي الاشتراكي، وقسم منهم إلى الحزب الوطني. وكان كل منهم يفتخر بالحزب الذي ينتمي إليه.

وكان من الشعارات والأقوال التي تردد أثناء التظاهرات "هات المجرفة والكريك لنقش الأغا والبيك".

كان هناك وعي طبقي داخل الجمعية وتجسّد ذلك من خلال رئيس الجمعية. وكان صاحب العمل أيام الأعياد يأخذنا للإفطار عنده ثم يعطينا عيدية لكل فرد ليرة سورية واحدة. ولكن غلب الفكر الحرفي أحياناً من خلال بعض الأعضاء، والذين هم أصحاب مشاغل. وقد كان للصُنّاع والأجراء مشاركة فعّالة في مقاومة الاحتلال الفرنسي، وبعدها التظاهر ضد الحكم الوطني الذي كان برجوازياً لا يهمه مصالح العمال.

قرأت قصة الزير سالم وأبو زيد الهلالي وما زلت أحب قراءتها حتى الآن. وأحب سماع أغاني محمد عبد الوهاب وأحب مشاهدة أفلام طرزان. أما الجرائد والمجلات فلا أقرأها، إلا أنني مرة قرأت جريدة الفداء.

أما الأحزاب التي سمعت بها فهي حزب البعث والحزب الوطني وحزب الشباب والحزب القومي السوري والحزب التعاوني الاشتراكي.

وإنني متزوج من امرأتين ولي 16 (ستة عشر) ولداً، 9 ذكور و 6 إناث، وهم:

– هند: تولد 1957، متزوجة، زوجها يعمل نحّاس ثم موظف في معمل الاطارات.
– فاطمة: تولد 1959، متزوجة، زوجها موظف في مديرية الكهرباء.
– فيصل: تولد 1961، متزوج، يعمل دهّان، متعلم صف ثامن.
– غادة: تولد 1963، متزوجة، زوجها يعمل دهّان.
– ميادة: تولد 1965، متزوجة، زوجها يعمل في القريشة.

- عبد الرحمن: تولد 1967، عازب، دهّان وعسكري حالياً.
- مهدي: تولد 1968، عازب، نوّال وعسكري حالياً.
- معتز: تولد 1973، عازب، صف سادس ترك المدرسة ويعمل نوّال.
- فيحاء: تولد 1974، عازبة ، صف سادس.
- محسن: تولد 1975، عازب، صف سادس.
- وعد: تولد 1977، عازبة، طالبة صف ثالث.
- ميساء: تولد 1978، عازبة، طالبة صف ثالث.
- بشار: تولد 1981، عازب، طالب صف أول.
- سامر: تولد 1984، طفل صغير.
- عامر: تولد 1987، طفل صغير.

30- نجّار عربي من حلب

اسم الدارسة ومُجرية اللقاء: فيوليت كحالة.

المتحدث: عبد القادر نجار بن محمود. من مواليد حلب 1920. مهنته نجار. من سكان محلة القصيلة في حلب. وجرى اللقاء في حلب بتاريخ 1986/5/5.

قال:

جدي لوالدي اسمه صالح، كان يعمل في بيع الأخشاب العتيقة لأنه فقير الحال، يشتريها من الاقطاعيين المتعهدين الذين يجددون مساكنهم، وكانت أرباحه ضئيلة جداً لا تكفيه للعيش، وقد تزوج وترك من بعده والدي وعمتي.

و نظراً للفقر والحاجة فقد وافق جدي على زواج عمتي من بائع خضار متجول رغم كبر سنه بدراهم معدودة تخلصاً من لقمة عيشها، أما أنا فكنت الوحيد لوالدي وكنت محروماً من أبسط مستلزمات العيش التي يحتاجها الأطفال أمثالي لقلة موارده. وما إن بلغت الخامسة من عمري وضعني عند الشيخ (في كُتّاب) لتعلم القراءة والقرآن ومبادئ علم الحساب، وبعد ثلاث سنوات تعلمت القراءة في القرآن والحساب ومبادئ الإملاء، وكنت متفوقاً بين زملائي بذكاء حاد وخاصة في حساب الذهن السريع. ونظراً لحاجتنا الماسّة للمعيشة وعدم قدرة والدي على إدخالي إحدى المدارس الابتدائية، فقد وضعني عند معلم نجار عربي (أحمد الحريري). وكنت أذهب يومياً سيراً على الأقدام من محلة القصيلة حتى محلة باب النصر حافي القدمين. أذهب في الصباح وأعود في المساء وأنا في أشد حالات التعب والإرهاق، لأن جسمي الضعيف كان لا يحتمل الأعمال الكثيرة التي كان عمال الورشة يكلفوني بها، وذلك في مساعدتهم في تناول الأخشاب وإعداد الغراء الحار وجمع المسامير حسب

أطوالها للعمل بها، وكم من مرة دخلت المسامير في أقدامي ونزفت منها الدماء وكنت أبكي بحرقة وألم، وكلما اشتكيت معاناتي إلى صاحب العمل كان ينهرني ويضربني ويقول لي: انتبه لعملك يا جحش يا حمار يا ابن الكلب. وكانت أجرتي في الأسبوع برغوتين من الفضة أعطيها كل أسبوع لوالدتي لتصرفها على الطعام والكساء.

مضت مدة طويلة على هذا الحال وأنا أعاني الفقر و الحرمان، مرض خلالها والدي، وترك العمل، وأصبح مقعداً في البيت. وفي أيام الأعياد كان يرسلني رب العمل إلى بيته لإرسال كل ما يشتريه من سكاكر وحلويات وأكل طيب لزوجته وأولاده وأنا محروم من كل ذلك، أما زوجته فكانت تدخلني أرض الديار وتكلفني بسحب الماء من الجب، ونظراً لقصر قامتي كانت تعطيني كرسي خشب لأقف عليه، وفي كل مرة لا يقل عن مئة "قادوس"[264] ماء.[265]

و لما بلغت من العمر الخامسة عشر توفي والدي ونحن في أسوا حال، وبقيت مع والدتي أعيش معها في بيت صغير عند الجيران بدار عربية قديمة كانت تسكنها سبع عائلات، كل عائلة في بيت واحد، وكانت ساحة الدار والمطبخ مشتركاً بين الجميع.

عدة مرات طلبت من رب عملي زيادة الأجرة بعد أن تعلمت المهنة وصرت من الصناع المهرة فرفض، إلا أني قلت له سوف أترك العمل لديه عندئذٍ زاد لي الأجر بمعدل خمسة براغيت في الأسبوع، وبعد ثلاثة سنوات صرت معلماً للحرفة، فطالبت بالزيادة في الأجر وأصبح يعطيني في كل أسبوع مجيدين لأنه خاف من تركي العمل لديه والعمل حراً لنفسي ومنافسته في تعهداته. وما أن بلغت العشرين من عمري اتفقت مع أحد زملائي على ترك العمل من عند رب العمل والعمل سوية أحراراً بصيغة شراكة وأصبحنا نطرق باب العمل الحر في كل ميدان من الصباح حتى منتصف الليل وعلى نور السراج سعياً وراء لقمة العيش ولتحقيق المستقبل الأفضل.

وفي عام 1922 دخلت الكهرباء ميدان الحياة في المنازل والصناعة. واستأجرت داراً عربية مؤلفة من غرفتين ومطبخ وقبو، وسكنت مع والدتي مدة من الزمن، بعدها زوجتني أمي من بنت الجيران بمهر قدره خمسة وعشرون مجيدي فضة لأنها كانت مثلي فقيرة الحال وتحسن خياطة الألبسة وإدارة المنزل، لأنها مستخدمة سابقاً في دار الإقطاعي صالح الملاح من أهالي محلة الجميلية بحلب.

بعد بضع سنوات ترك شريكي العمل ليعمل مستقلاً، وبقيت وحدي في دكان صغير إلى أن تحسنت الأحوال وأصبحت أملك ورشة فيها عدد من العمال للنجارة العربية في البيوت العربية.

---

[264] قادوس: وعاء كبير متعدد الاستخدامات والأشكال، منه شكل برميل صغير من الخشب، أو برميل جوانبه من التنك وأرضيته من الخشب، أو كله من التنك الخ.. (من وضع ح ح).

[265] أي في كل مرة يذهب لتوصيل الأغراض إلى زوجة المعلم كان عليه أن يسحب مئة قادوس من ماء البئر.

خلال هذه الفترة رزقت بستة أطفال، ثلاث من الإناث وثلاث من الذكور وفتح الله أبواب الرزق. وحين افتتاح المدارس الابتدائية عام 1930 وضعت أولادي كلهم في المدارس ليتعلموا حيث أنني كنت محروماً من التعليم وبذلك تعويضاً عن تعليمي في أولادي، وكان منهم الطبيب والحرفي، وقد تعلمت البنات كلهن في المدارس ثم تعلمْنَ الخياطة والتطريز، وزوّجْتَهنَّ لتسكن كل منهنّ في دارها في رعاية زوجها.

31- الصناعة الحرفية في يبرود[266]

اسم الدارس مُجري اللقاء: علام صالح.

المتحدث: خطاب حمود صالح. مواليد 1918 جبعدين، والمقيم فيها، ومهنته قصاب لمدة أربعين سنة في جبعدين. وجرى اللقاء به في داره بقرية جبعدين بتاريخ 1989/6/10.

تحدث عن الصناعة الحرفية في يبرود قبل 60 عاماً كما رأها أو سمعها من كبار السن، وهي كما يلي:

الزراعة: زُرعتْ البطاطا في أول بلد في منطقة يبرود بالقلمون منذ 60 عاماً، كنت آنذاك ولداً. لأول مرة اشتروا البطاطا التي لم تكن معروفة لدى أحد. وكانت تُباع بالرطل الإسطنبولي بـ 2-3 قروش، إذا كان الشاري بالمصاري. ومنهم من يشتريها بالبدل {المقايضة} بمواد زراعية مثل تين يابس أو الزبيب، الرطل برطلين. واسطة النقل: الدواب، وهي واسطة النقل الوحيدة.

الحياكة: بيوت الشعر، خيش، شلف، خراج، أكياس، بسط مشغولة من القطاع (من بقايا القطن يَلّي ما يصير غزل منشان القماش لحتّى ما نكبو) والشعر. وبوظية (بكسم العباية، أكمامها عريضة، وهي مخيّطة من فرو من جلد الخرفان)، وعُبيْ، ومناديل نسواني طويل من نوع الحرير البلدي (كزا) بـ 75 ق، وحطات حرير بلدي مُرصّعة برسومات بشكل معين بخيط مُذهُب (وتُسمى الشمالة) بـ 125 ق، وأقمشة نسوانية ورجالية بألوان كثيرة سعرها مثل البلاش، رخيصة كتير، وحطات رجالية (تسمى المسرح) من الصوف و من القطن بـ 30-50 ق.

الخياطة: وكان يوجد خياطين للنساء والرجال لخياطة: الشروال، التنورة، قمباز الخ...

صناعة جلايل[267] للدواب: بـ 300 ق. وكان كل شي محلي، بيعملهن [يصنعهم] حسن البرادعي.

وكان في يبرود طواحين على الماء لطحن القمح، واحدة منهم لإلياس كرم والثانية لمرعي خلف. وكان آجار طحن المد قرش وربع، ومنهم يدفع الآجار من الطحنة.

---

[266] سبقتها دراسة برقم 6 عنوانها: "الحرف وتطورها في يبرود"، من إعداد الدارس عبد الحكيم الغاوي.

[267] الجلايل: الأسرجة ومفردها السرج او الجلال .

وكان في حلاقين يأتون من يبرود إلى القرى بوقت متفق عليه من أول السنة. والحلاقة بالموس عالزيرو {قصّ شعر الرأس حتى الجلد، والزيرو يعني العدد صفر}، والأجرة على أيام البيدر.[268] وأتذكّر من الحلاقين حسين حجازي، أبو إبراهيم.

السكافية: بيشتغلوا بسطار بـ 110 ق، صرامي بـ 60 ق، شواريخ بـ 40 ق من جلد طري أصلي، والشغل مليح كتير. ولما إجت السيارات (الأطمبيل) صُنِعت الشواريخ من الكوتشوك المستهلك للسيارات. وكنتْ يَلّي بعرفهم من السكافية ثلاثة: جرجس النوري، محمد علي السوقي، مطانيوس جبور.

الحدادين: المعلمين: نجيب سليم، صنديد كرم، الياس مخول. ويصنعون: سكك فلاحة (سعر الواحدة: مجيدي)، قدوم، مجرفة، مطرقة، شواكيش، فاس، مناجل. كُنّا نجيب {نجلب من جلب، ويعني نشتري} من عند الحدادين كثير {في الأصل استخدم المتحدث كلمة كتير بالتاء وهي الكلمة العامية الدارجة} من الأدوات منشان (من أجل) قطع السماق.

ومن شان الفلاحة: سِكَكْ ومناجل، ونسقيهم.[269] أحياناً[270] ندفع ثمنهم مصاري[271] أو نعطي تين أخضر ويابس وزبيب وحب السماق[272] والدفع يوم البيدر.[273]

النجارين ويصنعون الأدوات التالية:

- صناديق مزخرفة للعرسان، بِيحطّوا فيهن أواعي الملبوس والصيغة والأواعي المحرزة (الغالية الثمن) وكان حق الصندوق شي 120- 150- 200 ق. حسب كبره وجودته.
- موارج خشب سميك إلي الفشكة ما بتفوت فيه،[274] منو فيه حجر صوان، ومنو فيه حجر حوران.[275] والمورج لدراس الزرع ودراس السماق.[276]

---

[268] أي تُدفع بعد تذرية القمح على البيادر، إما نقداً أو عيناً.

[269] أي يطرق الحداد الأدوات الزراعية المثلومة المهترئة من كثرة الاستعمال على النار الحامية لتصبح حادة تقطع الخشب وتشقّ الأرض بسهولة.

[270] استخدم المتحدث كلمة أواقيت.

[271] نقود.

[272] وهذه المنتجات الزراعية كانت متوفرة في قرى جبل قلمون.

[273] والبيدر تعني بشكل عام عند نضج المحصول.

[274] "إلي" تعني "الذي". والفشكة هي رصاصة البندقية التي لا تخترق خشب المورج بسبب سماكته ومتانته.

[275] "منّو" أي من الموارج. وتوضع في ثقوبه المحفورة أحجار من الصوان أو الأحجار البركانية المستجلبة من سهل حوران البركاني.

[276] كان النجار يثقب الوجه السفلي للمورج ثقوباً صغيرة تناسب أحجار الصوان المتوفر محلياً أو الحجر البركاني المنقول من حوران، وتدق الأحجار في الثقوب المحفورة وتصبح كتل صغيرة بارزة تسهّل عملية تقطيع وتفتيت الزرع لفصل الحب عن الجذوع، وذلك عندما يتكرر لمئات المرات انزلاق المورج الذي تجره دابة تسير بشكل دائري فوق الزرع.

- مدراية إلها سبع سنان طويلة ومشـدودة بجلد، في منها لحد اليوم.
- سند {صند أو صمد} للفلاحة كامل مع السكة وبعض السنود بلا سكة، إلي بالسكة كان سعره بـ 3 مجيديات. أما النير فثمنه نصف مجيدي.
- دواليب الغزل.

وهذه سوف أكتب عنها[277] في استمارة لاحقة نقلاً عن حليمة عموش من مواليد 1899

32- سمّاق جبعادين إلى دباغات مشغرة ووسائط النقل

اسم الدارس ومجري اللقاء: علام صالح[278]

المتحدث: علي مصطفى شمعة مواليد جبعدين 1903، وتزوج عام 1920 في وقت كان النقد هو مجيدي.

"كُنّا نتاجر بالسماق مع تجار من لبنان. وكنا نُحمّل السماق على البغال في كيسين إلى بلدة مشغرة وزحلة. وكانت تستحمل[279] السفرة ثلاثة أيام: اليوم الأول من جبعدين، صيدنايا، حلبون، عين الصاحب إلى الديماس، حيث تُنزّل الأحمال، والنوم يتم بالخان إلى صباح اليوم التالي. يتم التحميل من الديماس إلى عيثا الفخار ويتم النوم فيها. في صباح اليوم الثالث يتم السير من عيثا الفخار إلى مشغرة. ويتم البيع إلى الدباغين مباشرة، وهم التجار وأصحاب المدابغ. أذكر من أسمائهم: حنا كرم وحنا سلمون. وكل هذه السفرة تتم مشياً على الأقدام وراء البغال لأنه لم تكن الطنابر موجودة.

كان وزن الحمل عبارة عن 50 رطل سماق لكل دابة، وكان ثمن الحمل 250 إلى 300 قرش. وكان سعر الليرة الذهبية العثمانية 131,25 قرش، وسعر الليرة الذهبية الفرنسية 113,75 قرش، وسعر الليرة الانكليزية 140 قرش. وعندما تنتهي المهمة في مشغرة، كُنّا نُحمّل على البغال أنواع من الجلد والفخار والفحم إلى دمشق، ونعود وننام في الخانات الموجودة على الطريق لمدة ثلاثة أيام.

---

[277] علام صالح، والكلام للدارس النشيط.

[278] كتب مُعرّفاً بنفسه : علام بن قاسم صالح مواليد 1942 جبعدين، محافظة ريف دمشق. مكان العمل: الشركة العامة للمغازل والمناسج-دمشق. في 1959/12/7 دخلت العمل في الشركة المذكورة وعملت في قسم النسيج منذ ذلك الحين إلى الآن. مارست عمل النسيج في جميع أقسام الشركة، نسّاج، ميكانيكي وعندما بُدِّلت الآلات القديمة بآلات حديثة من سويسرا، بُعثت بدورة تدريبية إلى مدينة ونترتور بسويسرا، وحصلت على شهادة اختصاص على آلات سولزر العالمية الحديثة.

[279] تستغرق.

وبعد ذلك، تقريباً في عام 1927 ظهرت الطنابر،[280] واشتريت طنبر له دواليب صغيرة من خشب وملبس بالحديد، وكان ثمنه 200 قرش. وبعده اشتريت طنبر من قرية عين التينة، صناعة ألمانية، وكان من الحجم الكبير، اشتريته ب 800 قرش. وكان آنذاك أعجوبة في القرية وغيرها. وكان موجود آنذاك طنابر ذات أربع دواليب يسمى "الكميون" يجره زوج من البغال.[281]

33- شركة الصناعات الحديثة – دمشق

نبيل النحلاوي عامل التريكو في شركة الصناعات الحديثة بدمشق–المليحة لم يتقيد بالاستمارة، ودخل مباشرة في موضوعه.[282]

كتب تحت عنوان: لقاء مع عامل تريكو–ريف دمشق، الآتي:

تنتج شركة الصناعات الحديثة خيط صوف التريكو (أكريليك–صوف 100% + خيط ممزوج من الأكريليك والنايلون والفسكوز). وقماش الجوخ أي الصوفي أو الممزوج (صوف + بوليستر) أو (صوف + فسكوز) أو (قطن + بوليستر أو فسكوز). تعمل هذه الشركة في قسم النسيج بثلاث ورديات، وقسم الغزل بورديتين فقط. وسأكتب عن قسم الغزل فقط.

يوجد في قسم الغزل قسمان: قسم مؤلف من آلتين فقط، آلة اسمها آلة الكرد، وآلة اسمها آلة الغزل، وتتبع لها آلة اسمها المندفة. وهذا القسم قديم ويعمل لإنتاج خيوط للحرامات.

والمواد الأولية من عوادم الشركات التي تنتج الخيوط الصوفية، وهذا القسم يتوقف أو يعمل حسب توفّر المواد الأولية.

أما القسم الرئيسي فهو قسم الغزل لخيط التريكو، ويتألف من خمس مراحل يمر بها الخيط ليظهر بشكله النهائي. المرحلة الأولى واسمها: السحب. وهنا تأتي المواد الأولية من الدول الأوروبية (فرنسا– اليابان وغيرها)، ويكون بشكل حبل نمرته حوالي 20، أي أن كل متر منه يزن 20 غراماً تقريباً، وهنا يجرى على الخيط ثلاث عمليات واسمها: تسريح، وتمشيط، وتنظيم، أي أن كافة الشعيرات يجب أن تكون إلى الأمام ومنتظمة في كافة

---

[280] الطنابر ظهرت قبل ذلك ولكن بالنسبة لقرية جبلية كجبعدين لم تعرف الطنابر إلا في وقت متأخر بسبب صعوبة الطريق.

[281] الطنبر من أربع دواليب ويجره بغلان يسمى عرباية أو "كميون ". ومع بداية القرن العشرين كانت العرباية، إضافة إلى الجمال، من وسائل النقل الرئيسية بين دمشق وحمص، ومنها إلى حلب. ومع بناء خط القطار الحديدي الواصل بين بيروت وحلب عن طريق حمص، توقّف النقل بالعربات بين حمص وحلب. ومع ظهور السيارة في منتصف عشرينات القرن العشرين، وسُمّيت عرباية بدون دواب تجرها، أخذ النقل بالعربات أو عن طريق قوافل الجمال يتراجع إلى أن تلاشى في أوائل ثلاثينيات القرن العشرين.

[282] يبدو أنه استعان بإحدى نشرات الشركة ناقلاً عنها، مع إضافة هامة تتعلق بالمناطق، التي أتى منه العمال إلى الشركة ومعظمهم من الغوطة القريبة من المعمل.

أماكن الخيط، ينتقل هذا الحبل بعد أن يرفع إلى نمرة حوالي 5 أي يزن المتر منه 5 غرامات تقريباً يدخل إلى المرحلة الثانية واسمها البرم الأولي. وهنا يدخل الحبل إلى الآلة ليخرج خيط ثخين نمرته حوالي 2 أو 1,5 ويعطى حوالي برمة أو برمتين بالمتر فقط ليبقى متماسكاً مع بعضه بعضاً، ثم يدخل هذا الخيط إلى المرحلة الثالثة وهذه المرحلة هي المرحلة الرئيسية والهامة في قسم الغزل، وبها يتشكل الخيط بشكل إفرادي بعد أن يعطى برم عالي يصل إلى 500 برمة بالمتر ويصبح نمرة الخيط 23 إلى 44 أي كل 100 تزن من 2-4 غرامات.

أما النمر المستعملة عندنا فهي: 23، 24، 25، 33، 44، 50 نمرة مترية. أما النمرة المترية تعادل (الطول/م) ÷ (الوزن/غ). بعد أن يخرج الخيط من هذه المرحلة يكون ملفوفاً على ماسورة. نأخذ المواسير المنتجة وتدخل مرحلة جديدة اسمها التدويرات. وهنا يوجد عدة أنواع من الآلات التي عملها لف الخيوط الموجودة على المواسير على كون. وبعد أن يصبح الخيط على كون يلف على آلة كل خيطين أو كونتين مع بعض ليصبح على الماسورة الجديدة خيطين معاً. وهنا تنقل هذه المواسير إلى مرحلة أخرى اسمها الزوي. ويجرى على الكون الموجود عليه خيطين عملية برم وسط حوالي 200–400 برمة ليصبح الخيط مشكلاً من خيطين مبرومين معاً ثم يعاد إلى المرحلة السابقة ونقوم بلفه على كون مرة أخرى، ويجرى عليه عملية تبخير وذلك حتى تتماسك البرمات ويعطى شكل أجمل، ويحصل عليه بعض الانكماش، وهذا هو خيط التريكو الموجود في السوق.

أما بالنسبة للعمال، فعمال هذه الشركة حوالي 700 عاملاً لكافة الأقسام. أصل هؤلاء العمال الأكثرية من جرمانا والسويداء ثم من الغوطة الشرقية: زبدين، حران العواميد، عبادة، العتيبة. أما العمال الدمشقيون فلا يتجاوزون 5% والباقي من مناطق القطر (سلمية – قرى حلب) وفلسطينيون بنسبة لابأس بها وخاصة العاملات.

رابعاً– العمال والنقابات:

1- أنطون ووالده عاملا السكك الحديدية

مُجري اللقاء الدارس: مفيد الخضراء.

المتحدث: أنطون سمعان، من مواليد 1925، دمشق، ميدان–باب مصلى.

جد المتحدث من عشيرة بني غسان من اللجاة (بين حوران وجبله. هرب من اللجاة إلى دمشق وسكن في حي زقاق الموصلي في الميدان–باب مصلّى.[283] عمل أجير نجار عربي في ورشة نجارة، وساعده رئيس الورشة بسبب صدقه في العمل، وعلّمه المصلحة. كان يحصل على الخشب من الحاصل والمخازن، ولكن العُملة في ذلك الوقت كانت قليلة، لا يستطيع الإنسان أن يشتري هذه الأمور إلا بالتوفير الشديد والاقتصاد المضني. كان يسكن بالآجار، وعندما مارس مصلحة النجارة كمعلم، اشترى البيت الذي كان يسكنه كمستأجر، وتزوج وأنجب خمسة أولاد وبنت.

رغم الأحداث التي ذكرت عن كفاح هذا الإنسان، كانت الظروف قاسية جداً أيام الحكم التركي، فكان الفقر والجوع والمرض والحرمان، وكان الضغط التركي ممارس على الشعب وخاصة على الفقراء منهم، إلا أن هناك بعض الناس الذين كانوا يتملقون للأتراك آنذاك، ودعيوا بـ "لقاليق السلطان".[284] والشخص الذي يرضى عنه الاستعمار التركي يضعه في مكان محترم، ويوهبه أملاكاً وفيرة، والعكس صحيح. وكان عامة الشعب في حالة فقر، فكان الشخص لو وجد قشر الفول لطبخه وأكله.[285]

كان يزور هذه الأحياء الفقيرة طبقة محددة من الشعب، وهم أصحاب النفوذ ضمن المنطقة، ليكسبوا ودهم. وكانت العلاقات الاجتماعية جيدة، إضافة إلى ذلك كانت طبقة الشعب متضامنة مع بعضها ضد الظروف القاسية الممارسة ضدهم، فكانوا يتعاونون مع بعضهم بعضاً ويحبون بعضهم حباً جماً، فيفرحون لفرحهم، ويحزنون

---

[283] كان المسيحيون يسكنون في جزء من حي باب مصلى المجاور شمالاً لحي الميدان. ويُشار إلى أنّ مسيحيي باب مصلى لم يصابوا بأذى في أحداث 1860 بعكس الأحياء المسيحية في شرقي دمشق القديمة التي تعرضت للنهب والحرق وقُتِل عدد كبير من سكانها. وهذا برهان على أن الهجوم على الأحياء المسيحية جرى لأسباب سياسية واقتصادية واجتماعية استغلت فيها القوى المناهضة للإصلاح في الدولة العثمانية المشاعر الدينية لإجهاض التنظيمات الجارية في الدولة العثمانية في منتصف القرن التاسع عشر.

[284] مفردها لقلوق، وهو الشخص الذي يتملق للكبار ويخدمهم وينقل ما سمعه لهم وليس له رأي أو مبدأ. وهنا أتت كلمة "لقاليق" بمعنى "أعوان".

[285] هذه المبالغات نجدها عند أكثر من كانوا يتحدثون عن الماضي العثماني.

لحـزنهم. إضــافة إلى العــذاب والفقــر كانــت في تلـك الفــترة التفرقـة موجـودة، حـتى علـى مسـتوى الأديـان والشخصيات.[286]

والد المتحدث هو أكبر أولاد الجد، كان يتعلم في أحد المكاتب. فكانوا يعملون لكي يحصلوا على أجرة هذه المكاتب عند أحد الأغنياء بكافة الأعمال، وفي مختلف المجالات. وكان إذا أراد أن يعمل عند أحد الأغنياء، يجلب لهذا الفتى بعض الناس كواسطة لكي يرضى أن يشغل هذا العامل. وعمل الوالد بعد هذه المرحلة حداد عربي، فكـانوا يصنعون المِعْوَل والرفش في منطقة زقاق "القره شي" بالميدان، وكانت أجورهم قليلة جداً. كان أخوته يعملون أحدهم أجير خباز، والآخر أجير خضري، والثالث عند تاجر حبوب.

وعندما أصبحوا في سن الرشد تقريباً، قام الحكم التركي بسوق الشباب في هذا السن إلى العسكرية. حاول هؤلاء الشباب الهرب، ولكنهم لم يستطيعوا، فقام الحكم التركي بإلقاء القبض عليهم وربطهم بالحبال، وكان إن نظر أحدهم إلى أحد الجنود الأتراك، يضربونه أشد الضرب.

تمكّن إخوة المتحدث من الهرب من العسكرية وظنّ أهلهم أنهم في ساحات القتال،[287] وبعد أكثر من عام على سوق إخوة المتحدث إلى الحرب سمعت والدتهم أن أولادها استطاعوا الهرب والسفر إلى أمريكا. وكان الطريق الذي سلكه الأولاد أنهم هربوا إلى منطقة الفيجة، ثم ذهبوا عن طريق الجبال إلى لبنان. كانت هذه الرحلة مجازفة، لأنهم في كل الحالات أموات. عند وصولهم إلى لبنان (ميناء بيروت) وجدوا باخرة تريد الإبحار، صعدوا إليها دون مال وأي إثبات يثبت شخصيتهم، فعملوا ضمن هذه الباخرة برعاية الدواب، وبقوا على هذه الباخرة دون أن يعرفوا أين هي متجهة مدة أربعة شهور ونصف، قالوا أنهم أصبحوا في أمريكا الشمالية، فعرض عليهم المسؤول في الباخرة أن يعودوا إلى بلادهم فرفضوا، ولكن أرسلوا خبر مع هذا المسؤول إلى أهلهم أنهم رحلوا إلى أمريكا الشمالية. وبعد مدة من الزمن والأعمال الصعبة التي كانوا يعملون بها خارج نطاق المدينة، دخلوا إلى المدينة وتعلموا من بعض الناس اللغة الانكليزية، وأصبحوا يعرضون في الشوارع الحاجات مثل "البسطة". وبعد فترة عمل هؤلاء الشباب مع شخص ألماني يسكن في أمريكا ولديه معمل جلد، وبعد مدة طويلة من الزمن ترك هذا الألماني المعمل لهؤلاء الشباب لقاء أتعابهم، وأصبح المعمل ملكاً لهم، لأنهم لم يكونوا يعملون بأجر سوى أكلهم وشربهم. وبعدها تزوجوا من بنات الجاليات العربية هناك.

---

[286] تحاشى المتحدث أو الدارس ناقل الخبر الحديث عن التفرقة الدينية، وكذلك التفرقة أو الفروق بين الأغنياء والفقراء.

[287] كان الشباب يُساقون للحرب إما في اليمن أو في حروب البلقان قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى عام 1914 المعروفة بحرب السفر برلك.

بعد أكثر من سنة على سوق إخوة والد المتحدث إلى الحرب جاء دور والد المتحدث في السوق إلى العسكرية أيام السفر برلك. وسيق الشباب إلى منطقة تدعى "شنا قلعة".[288]

استطاع والد المتحدث الفرار إلى بستان يدعى "بستان الموازيني"، ويدعى حالياً المجتهد، وهرب من وجه الأتراك، لكي يعمل في هذا البستان. كان مالك هذا البستان أحد لقاليق السلطان، وكان بالقرب منه بستان آخر يعمل به يدعى "بستان الفوال". وكان أجر هذا الإنسان هو أكله وشربه وحمايته والتستر عليه، في أن لا يقبض عليه من قبل الأتراك.

أما مصير الشباب الذين لم يهربوا، فكان أغلبهم من مات من التغريب أو مات من العمل الذي أوكلوا به، وبقي والد العامل هربان عند الموازيني إلى نهاية الحرب العالمية الأولى، فأحس بالفرج. كانت تركيا حليفة ألمانيا. وهُزِمَت تركيا وألمانيا على يد فرنسا وانكلترا والثورة العربية الكبرى. في هذه الفترة أحس الإنسان بالاطمئنان. فعاد والد المتحدث على حارته في باب مصلى، وتزوج واستأجر غرفة، وأصبح يزاول عمل أجير نجار. وبعدها عطف أحد لقاليق الاستعمار الجديد [289] على هذا الإنسان، وشغّله في سكة حديد الحجاز الذي كان قد بدأ في عملها الأتراك والألمان.[290] وكان عمله وقّاد في القطار. كان السفر من الحجاز إلى درعا ومن درعا إلى سمخ[291] التي تبعد 20 كم عن الحمة السورية.[292] كان أجره حوالي سبعة عشرة مجيدي أو ثلاث ليرات ذهب شهريا، وكانت سفرات القطار مركزة على حمولة القمح والدواب والأسلحة. وفي تلك الفترة أصيب والد المتحدث، الذي أصبح مسؤولاً عن القطار، بحادث أدى إلى كسر ظهره، وأصبح عاجزاً عن العمل ضمن سكة الحديد. وكان هناك مشفى أجنبي يدعى الطلياني، فأخذوه إلى الطلياني لتلقي العلاج، وعالجه طبيب أجنبي إلى ان اصبح يستطيع أن يسير على قدميه، وأعطوه مبلغاً من المال القليل لقاء خدماته. وبهذا المبلغ قام العامل بفتح دكان صغير للبيع (بقالية). عمل فيها إلى آخر حياته.

كان عمر المتحدث أنطون عند وفاة والده تسع سنوات، وهو يتعلم في مدرسة اسمها المعارف {كانت المدارس الابتدائية التي تشرف عليها الدولة تُسمى مدارس المعارف. ووزارة التربية حالياً كان يُطلق عليها: وزارة المعارف. وتغيّر الاسم في خمسينيات القرن العشرين} وبسبب قلة المال اضطر لترك المدرسة والنزول على العمل.

---

[288] اسم مكان المعركة في الدردنيل، التي جرت عام 1915 بين العثمانيين والاسطول الإنكليزي، الذي فشل في احتلال جنا قلعة مفتاح الطريق إلى استنبول. وسقط آلاف القتلى وبقيت الذاكرة الشعبية تحتفظ باسم هذه المعركة.

[289] كان الشباب يساقون للحرب إما في اليمن أو في حروب البلقان قبل اندلا ع الحرب العالمية الأولى عام 1914 المعروفة بحرب السفر برلك

[290] سكة حديد الحجاز التي تصل دمشق بالمدينة المنوّرة تمّ بناؤها عام 1908 بأموال المسلمين والخبرة الألمانية. وبعد انهيار الدولة العثمانية عام 1918 قامت شركة فرنسية عام 1924 باستثمار الخط الحجازي من دمشق إلى درعا وكذلك الخط المتفرع عنه والواصل بين درعا وحيفا مرورا بسمخ. وعلى هذا الخط عمل والد المتحدث انطون

[291] [سمخ: قرية فلسطينية سابقاً، تقع على شاطئ بحيرة طبريا.]

[292] [الحمّة: قرية في الجولان السوري المحتل.]

كان أنطون وحيداً وله أربعة خوات وهو أصغرهم. وقد نال البنات قسطا من التعليم قبل وفاة والدهم وتزوّجن بعد وفاته. أما والدته فلا عمل لها سوى رعاية البيت.

عمل المتحدث أنطون في دمشق مقابل أجر يومي قدره ربع ليرة، كانت تكفي العائلة بأكملها. كان يعمل عند صاحب كراج سيارات للتصليح، اسمه عبد الرحمن الريحاني. كان سعر أوقية اللحمة العربي تعادل (كلمة غير مقروءة) حالياً بسعر ثلاث قروش سورية. والليرة السورية مائة قرش وكان رطل الخبز[293] بسبع قروش سورية. وكان عمله فك وتركيب الدواليب وتنظيف القطع. كان يقوم بجلب الأغراض من السوق وتأمينها لمنزل المعلم. وكان معه هناك العديدين غيره، وكان أكبرهم مغربياً يدعى "معلاش". كان إذا أخطأ أي صانع يضربه على وجهه، والعمل من الصباح وحتى المساء.

الأحزاب الموجودة: حزب الكتلة الوطنية، يعيه وهو عمره تسع سنوات. ورئيس الجمهورية الشيخ تاج موضوع من قبل فرنسا.[294]

كانت الكتلة الوطنية تعمل بالسر ضد الاستعمار الفرنسي، ولها جيش يسمى القمصان الحديدية. الجريدة الموجودة كانت "الألف باء"، جاءت بعدها جريدة القبس، كانت تُغلَق وتُفتح لأنها كانت تكتب ضد الاستعمار.

عمل حوالي 6 سنوات في الكراج، وكانت علاقته مع معلاش مباشرة، وكان المعلم يقوم بعمله بيده عندما يتطلب ذلك منه. أما معلاش فبقي صانعاً طيلة خدمة أنطون. وكان شيخ الكار أكبر تاجر في السوق، وكان يملك أكبر رأس مال.

عندما أصبح عمر المتحدث انطون 16 عاماً، ذهب برفقة والدته إلى الخط الحديدي، ودخلا إلى المدير الإداري جميل بيك قدورة، وشرحت والدة انطون وضع والده وأنه كان يعمل في الخط الحديدي، فوافق على أن يعمل ولكن بعد أن يتم تكبيره سنتين.[295] تمّ تكبيره عامين كي يصبح ابن 18 سنة ويحق له العمل.

ودخل انطون سكة الحديد "الحجاز" وعمل بلقب مساعد براد – تسوية. عمله كان مع محمود العنبري الذي أخذ الصنعة من الأتراك والألمان، عمل مساعدا له في الصالة التي تقسم إلى عدة أقسام لصيانة القطار، والأقسام هي:

---

[293] الرطل وزن يعادل اثنين ونصف كيلوغرام

[294] هو تاج الدين الحسني، الذي اصبح رئيسا للجمهورية في 21 أيلول عام 1941. ومعنى ذلك أن انطون وهو من مواليد 1925 الذي وعى الشيخ تاج كان عمره 16 سنة

[295] كانت عملية قيام المسؤول عن سجلات النفوس بتغيير عمر الشخص تصغيرا أو تكبيرا سهلة في ذلك الحين

قسم الشوديير: عبارة عن مواسير حلزونية حول القسم الحديدي وبداخله بيت النار عند اشتعال الفحم تسخن المياه ويتشكل البخار ويدور المحرك. الفحم الحجري من بلجيكا "كوك"

قسم البيبلات: هو مجموعة الحركة في القطار

قسم المكانيزم: كان العامل أنطون يعمل به. تدخل المكنة، فيفك كل حسب اختصاصه ويقوم بالتنظيف، ثم المباشرة بالصيانة، ثم التركيب. عمل أربعة أعوام فيها.

قسم البنداج "الدواليب"، كانت تستورد القطع الحديدية من ألمانيا، لأن هذه الآلات ألمانية المنشأ. استوردت فرنسا آلات من نفس النوع صنع فرنسا وسويسرا، وتعمل هذه القطارات على خط دمشق- رياق، رياق - بيروت، رياق - حلب.

كانت علاقته المباشرة مع رئيس القسم محمود العنبري إداريا وفنيا.

كان في ذلك الوقت بذور للنقابات وبدايات لها تابعة لفرنسا، وكان النقابي شفيق النحاس؟ وشخص آخر من أسرة الأرنؤوطي يعملون باسم النقابة. كان هدفهم المصلحة الشخصية، يجمعون بعض المال من أجل مساعدة بعض الأشخاص.

كان الراتب الشهري حوالي 25 ل.س في بداية الأمر، كان مصروفه حوالي 13 ل.س على أسرته، والباقي يدّخره. عمل مدة أربع سنوات، وصل راتبه إلى 90 ل.س، ولكن اختلقوا سببا لكي يترك عمله وترك العمل.

أما الحرف الموجودة فكانت: نجارة – ميكانيسيان – مخارط – بايدي الشعب، وكان الحرفي يعمل بشكل بسيط بسبب قلة المال. أما بالنسبة للخبرات، فقد أخذت من فرنسا، فكانت تعلّم كل إنسان نشيط يمكن أن تستفيد منه. وكانت ترسلهم إلى فرنسا، وكانت الحرف في المدن مثل دمشق وحلب بمواد من فرنسا، أما من سبقهم كانت المواد من الألمان والأتراك والمجر.[296]

في عام 1944 تمّ الاستقلال بشكل جزئي، بعد الحرب العالمية الثانية واحتلال ألمانيا لفرنسا، وقسمت فرنسا إلى حزبين، حزب ديغول وحزب فيشي. وحل مكان الفرنسيين العرب السوريين. وفي المستعمرات نشأ حزبان كما في فرنسا، حزب ديغول موالي للحلف الغربي، شكل فرقة وذهب إلى فلسطين ودخل ضد الحزب الفاشي إلى سوريا من درعا وانتصر عليهم ودخل إلى دمشق وبقي مع جيشه، إلى أن قامت حركة في فرنسا وهزم الفاشيون هناك، وقام الحزب الديغولي في فرنسا ضد الألمان وهزمت ألمانيا. وفي هذه الفترة بين 1944-1946 بدأ الانسحاب

---

[296] قبل 1918 كان الخط الحديدي الحجازي ملكا للوقف العثماني والآلات والخبرة من المانيا والمجر التي كانت جزءا من النمسا المتحالفة مع المانيا والدولة العثمانية.

الفرنسي، وكان رئيس الوزراء جميل مردم بيك، وكان فارس الخوري مندوب في هيئة الأمم. ساعد الانكليز الحزب الديغولي، وتم الاتفاق، على إخراج فرنسا وإحلال الانكليز مكانهم، بين انكلترا وجميل بيك، وخرجت فرنسا مساعدة الانكليز وتم احتلال الثكنات الفرنسية في دمشق لتنفيذ الاتفاق مع بين انكلترة وجميل بيك.[297]

وخلال هذه الفترة كان الأطفال يجمعون الأحجار ويقذفونها على السيارات الفرنسية. وكان لفارس الخوري موقفا آخرا في هيئة الأمم المتحدة، حيث جلس مكان المبعوث الفرنسي على الكرسي، فهجم عليه المبعوث الفرنسي، وعندما قال فارس: أنا جلست نصف دقيقة على كرسي فرنسا فلم تتحملني، أما فرنسا استعمرتنا 25 عاما وأخذت خيراتنا، فكيف نتحملها؟ عندها الجميع أيد موقف فارس وتم التصويت على الانسحاب. وكان احتفالا رائعا في دمشق يوم الجلاء، فقد كان يوما رائعا جدا، بقي الجميع ساهرا يغني ويرقص حتى الصباح. وعندها بدأ العمل والإنتاج بكل حرية.

ترك انطون العمل في الخط الحديدي عام 1946 عندما استلم إدارة الخط فؤاد بيك قاسم، الذي طلب من انطون الاستقالة وهدده بالقتل إذا لم يترك العامل أنطون عمله، مما اضطره لترك العمل وتقديم استقالته، ونال نصف استحقاقاته لأنه هو الذي قدم الاستقالة. بعدها حاول العمل بشكل حر، إلا أنه لم يفلح بذلك.

كان لفرنسا بعض المصالح (استثمارات) فعمل لدى الشركة الفرنسية في المطار لمدة عام كعامل خراطة وتسوية. وبعد تركه شركة المطار عمل في شركة " الجر والتنوير" عام 1946 حيث عمل في معمل لتوليد الديزل في دمشق لمدة ثمانية أعوام. كان المسؤول بلجيكيا تحت سيطرة فرنسية. في هذه الفترة بدأ تشكيل النقابات، وأول رئيس نقابي كان اسمه أبو صياح المهايني – بعد سنة استلم زكي الصواف. كان عمل النقابة هو حل مشاكل العمال بالترجي والمراضاة لأصحاب المراكز، وكانت الآلات فرنسية بلجيكية. كانت تشكل لجنة من قبل فرنسا لانتقاء العمال حسب خبرتهم، وتحديد أجر كل منهم حسب كفاءته. كانت أجرة العامل العادي 38 ق.س في الساعة الواحدة، الأنشط 42 ق.س في الساعة، العامل المهني يتراوح بين 55- 65 ق.س في الساعة حسب نشاطه. كان أجر العامل أنطون 65 ق.س بعد إجراء الفحص له.

ساعات العمل 9 ساعات إلا ربع، يتقاضى أجر تسع ساعات كاملة وتحسب ساعة الإضافي بساعة وربع حتى الساعة السابعة، ومن الساعة السابعة حتى الثانية عشرة الساعة بساعة ونصف، ومن الثانية عشرة حتى الرابعة، الساعة بساعتين، وكانت وجبة عشاء بعد الساعة الثامنة على حساب الشركة، وإذا استمر العمل حتى الصباح ينتهي العمل الساعة الثامنة. المهندسون العرب كانوا قلائل، كان مهندس أرمني سركيس مردروسيان، من أسرة غنية.

---

[297] هو جميل بك مردم بك كان يومها رئيسا للوزراء ورئيس الجمهورية شكري القوتلي. وكانت بريطانيا في نهاية الحرب العالمية الثانية تسعى لإزاحة النفوذ الفرنسي الضعيف والحلول محله بموافقة ضمنية من الحكم الوطني.

والأموال والأرباح من شركة الجر والتنوير تعود إلى فرنسا.

في حال حصول خلاف بين الرئيس والمرؤوس يتم حسم أيام عمل، ويؤخذ هذا الحسم لصندوق المساعدة الاجتماعية، بعد أن يتم التحقيق بشكل جدي. كانت الزيادة من الرئيس المباشر، حيث كانت إضبارة العامل، وما قام به كل يوم في هذه الإضبارة. كانت الزيادة حسب عمله ونشاطه، تقدر كل ثلاث أشهر مرة ومقدارها من 2- 5 قروش. وهناك زيادة دورية كل عام من قرشين وحتى سبعة قروش. وفي حال حصل خلاف في الزيادات، يشتكي العامل إلى النقابة وتقوم بترجي صاحب المسؤولية، فإما يتم الحصول على شئ أو لا.

كان العامل أنطون كلما قام بعمل جيد، يقبض مكافأة مباشرة، مما يدفعه للعمل بشكل أفضل وأسرع. فعلى سبيل المثال، مكنة توليد قام بإصلاحها، واستطاعتها 200 كيلوواط، طلب منه إنجازها بأسرع وقت. كان يتطلب إصلاحها ثمانية ساعات عمل، وتم إصلاحها خلال ثلاث ساعات فقط، حيث تقاضى مكافأة قدرها 130 ل.س وهي تعادل راتبه لمدة شهر كامل.

وكانت في هذه المرحلة العادات والتقاليد واحدة، لم تتغير في ذلك الحي الشعبي القديم، فكان الفرح والحزن واحد. وكانوا يسمعون عن الأرياف بأن الريف يعتمد على الزراعة، وكانوا ينزلون محاصيلهم إلى المدينة، وكانت المعاملة جيدة بين المزارعين والمدنيين وكانت الثقة كبيرة بينهم.

كان بعض الناس الميسورين في ذلك الحي القديم يقومون بطبخ المأكولات ويوزعونها على المساكين والفقراء، وكان بعضهم يساعد العائلات المستورة دون أن يعرف الآخرون عن هذه المساعدات. وكان هناك بعض الجمعيات الخيرية تساعد العائلات الفقيرة بالمال واللباس والطعام، وكل إنسان حسب عدد أفراد الأسرة الفقيرة.

ظل الفرنسيون مستلمين مؤسسة الكهرباء حتى عام 1951، واستلم بعد الفرنسيين هذه المؤسسة السوريون، واستلم إدارتها "وجيه السمان" وبعده استلم عبد الرحمن الحموي، وأقيم فيها صناديق تعاون ونقابة، وبقي النظام الفرنسي قائما حتى فترة ما بعد هذا الوضع، ولكن جرت بعض التعديلات على هذا النظام.

كان النقابيون في هذه الفترة يجتهدون أكثر، وكان هدفهم تحصيل حقوق العامل، وأصبحت حرية عامة للعمال في الحديث والقول وشرح أوضاعهم، وأصبح يستطيع العامل أن يدخل إلى مكتب المدير إذا تعرض لأي مضايقة، دون خوف أو إحراج، وكانت النقابة تساعد الكثير من العمال على جميع الأصعدة، وإنما كانت المحسوبيات لها وضع معين في هذه المرحلة.

وكانت الانتخابات النقابية يلعب فيها دورا كبيرا بعض الأشخاص عن طريق أهل منطقتهم وأصدقائهم وزملائهم، في أنه إذا صرت نقابي بدي أعمل كذا وكذا. كانوا يقطعون من راتب العمال مبلغ ليرة سورية واحدة فقط لصالح النقابة وكانت بشكل حر.

في مرحلة الوحدة بين سوريا ومصر، فرحت الناس واستبشرت بالخير، وأتت بعض الزيادات للعمال في هذه المرحلة، وبقي الوضع النقابي على حاله، وكان لكل نقابي مجموعة خاصة به من الرجال "زلمه"، وكانت هناك مصالح شخصية. وعند الانفصال كَثُرَتْ المحسوبيات كثيرا بين العمال، وأصبحت المشاكل كبيرة، إلى أن صار انقلاب واستلم نظام جديد يؤيد الاشتراكية، مع العلم أنه في المراحل الماضية كان هناك وعي بين العمال، وكانوا يتناقشون فيما بينهم ضد الإقطاع والرأسمالية وكانوا يتمنون تغيير الوضع السيء.

استطاع العامل أنطون أن يربي أطفاله وعددهم خمسة، وكانت شهاداتهم على الشكل التالي:

البنت الآولى ليسانس أدب عربي – البنت الثانية محاسبة جامعة – الثالثة مهندسة إلكترون– الولد الرابع علوم حيوية – والولد الخامس بكالوريا.

والعامل أنطون ما زال على رأس عمله وبصحة جيدة، في المخبر المركزي بعدرا.[298]

2- صانع الأحذية من دمشق وعامل في شركة نسيج

الدارس: محمد منير الأشمر من مواليد 1936 دمشق. يروي سيرة والده وسيرته[299] وهو عضو نقابة عمال الاسمنت ومواد البناء

الوالد: من مواليد 1909، وعندما وعيت على الدنيا، أعرف بأن والدي يعمل بمهنة الأحذية بصفته (صانع سكين). وقد سألته عن هذه المهنة وكيفية العمل بها تدريجيا، وكان هذا السؤال عام 1948 بحيث كنت أنا في المدرسة الابتدائية، وكان الوضع المادي وسط، بحيث لم يتوفر شيء من أجر والدي لأنه قليل.

أول عمل بهذه المهنة هو عمل الأجير، وهو عبارة عن تجليس مسامير دبوس، بحيث كانت غالية الثمن وغير متوفرة، ويعمل أيضا بنقع النعل في سطل الماء، ويجهز بعض الأحيان الخيطان من أجل خياطة النعل، ويقوم بتنظيف الورشة، وأجره اليومي 25 ق.س.

عندما يتعلم عمل الخيطان، أي ترويسة الخيط، يبدأ بتعلم الخياطة ويسمى عامل الخياطة: وهو يعمل بخياطة الدردلة بعد وضع الوجه من قبل صانع السكين على القالب، وعند انتهاء خياطة الدردلة يقوم بخياطة النعل السفلي، وبعدها يقوم بعملية الكوي إلى كنار الحذاء والكعب، وبعدها يقوم بخلع قالب الخشب من الحذاء. وكان أجر العامل بالخياطة ما يقارب 150 ق.س. ثم ينتقل إلى صانع السكين، وعمله هو وضع الوجه على القالب

---

[298] وذلك بتاريخ لقاء الدارس به بين عامي 1987 و 1988

[299] مع الأسف فُقدت الورقة الأخيرة من هذه السيرة الواقعية دون مبالغة أو تزينات. ويبدو أن الدارس عمل حذّاءً (كندرجي) ثمّ عمل في الشركة الحماسية للنسيج.

وشده بملقط اسمه "الدشلي"، وعند انتهاء الشد يحوّله إلى عامل الخياطة، وبعدها يضع النعل اللازم له ويحوله مرة ثانية إلى عامل الخياطة، ثم يقوم بعملية وضع الكعب المناسب له ويحوله مرة ثالثة لعامل الخياطة من أجل الكوي والتلميع. وأجرة صانع السكين 300 ق.س.

في عام 1949 أصبح والدي مشرفا على عمال ورشة فيها 30 عاملا، يقوم بتهييئة لوازم صناع السكين من هيارات (أي الوجوه مع النعل اللازم له). كل عامل خسكاره لوحده، يستلمه ويقوم أيضا بتسليم المنتج إلى المعلم صاحب الورشة، الذي عنده محل لبيع المنتج، وارتفعت أجرته إلى 400 ق.س.

عام 1950 أصبح والدي معلما. بدأ يشتري المواد الأولية من عند تجار الجلود، وفي ذلك الحين كان سعر القدم من الجلد ما يقارب 100 ق.س، وقياس القدم 24 سم. وعندما بدأ بالعمل بعد فترة قصيرة صاروا الماكنجية يعذبوا بخياطة الوجوه في الوقت المحدد. فاضطر إلى إنهاء دراستي في المرحلة الابتدائية بعد أخذ الشهادة، ووضعني عند معلم ماكنجي من أجل أن أتعلم وأقوم بخياطة الوجوه له. وفعلا قعدت في ورشة المطرب سابقا اسمه (سري طنبورجي)، وكان مطرب مثل وديع الصافي. وإن مهنة الماكنجي تبدأ أولا أجير، وعمله دهن سرسيون للقطع المطرشة، ويقص الجلود الزائدة مع الخيطان بعد الخياطة، وأجرتي كانت 15 ل.س في الأسبوع، ثم انتقلت إلى عمل صانع ماكنجي، وعمله تطريش قطع الجلود المراد كفها، اي ثني أطرافها، بعد دهنها بالسرسيون، ثم يطبقها ويعطيها إلى المعلم من أجل الخياطة، اي درزة الوجه، وكانت أجرتي 25 ل.س في الأسبوع. وبعد أن تعلمت، اشتريت مكنة وبدأت بعمل أجير وصانع ومعلم معا، وبدأت أشتغل لغير والدي ايضا. ولكن معاملة تجار الأحذية لمعلمي الخياطة، أي الماكنجي، سيئة من جهة دفع الأجور، بحيث كانت أجرة خياطة الجوز النسائي 50 ق.س والرجالي 75 ق.س والولادي 40 ق.س وبوط المطاط 150 ق.س وصباط مشايخي مطاط من الطرفين 100 ق.س، وكان دوام العمل 12 ساعة يومياً.

وقد حدثت نكتة من إحدى النساء، وكنت موجودا عند التاجر من أجل قبض الأجرة، وكان له لحية كبيرة، وقالت له: عمي الله يخليك، اعطيني كندرة قوية وحلوة مثل لحية الحلوة، وصارت تكررها أكثر من مرة، فقال لها: بدك كندرة مثل دقني، فقالت له: ايوه حلوة.

ومن عذاب التجار تركت الصنعة، ووضعت المكنة في البيت وصرت أدرز لوالدي فقط، وذهبت إلى الشركة الخماسية وعملت بها سنة 1954. وكان يوجد ضمن الشركة نقابة من قبل أرباب العمل. وخلال عام 1959–1960 بدأ العمال ضمن الشركة بتنظيم سري فيما بينهم، ونعمل الاجتماعات في اتحاد دمشق في شارع خالد بن الوليد. وبدأت الصدامات مع أرباب العمل، وفي حينها كان على رأسها العامل محمود خليفة بمساعدة رئيس الاتحاد خالد الحكيم، والأخ نذير نابلسي، فقاموا بمساعدتنا بحل النقابة السابقة وانتخبنا نقابة جديدة، وقد صارت صدامات كثيرة ووضعنا في السجون على أثرها.

عندها بدأ والدي يشعر بمقدار استغلال رب العمل للعمال، وعرف مقدار الربح بحيث كان الربح فردة بفردة، أي جوز الصباط النوع الأول الرجالي كان يكلف 5,50 ل.س يباع 11 ل.س، جوز النسائي يكلف 4 ل.س ويباع 8 ل.س والولادي يكلف 8 ل.س ويباع بـ 15 ل.س.

لم تقع خلافات بينهم إلا بخصوص دفع الأجر. إذ أن أغلبية التجار لم يدفعوا الأجر كامل، خوفا من أن يهرب الصانع من عندهم لعند تاجر آخر ويتم الوفاق بينهم عن طريق التجار انفسهم. وكان في ذلك الوقت لا يوجد نقابة لهذه المهنة.

. وقد قمنا في حينها بالإضراب النصفي، وهو إضراب العامل الذي يعمل على عشر أنوال، يوقف خمسة ويشغل خمسة، حتى أخذنا مطالبنا، وهو أجرة يوم الجمعة كامل. كما تَوَقّفْنا (اعتقلنا) من قبل شخص كان برتبة ملازم أول تابع لأرباب العمل، اسمه محمد الجزماتي، طعمونا (في السجن) مُجَدّرَة مالحة مع مخلل وقطعوا الماء عنا.[300]

3- الدارسة هيفاء برشة تسجّل حديثا شيّقا لعامل النسيج ومن ثمّ السكك الحديدية مع معلومات غنيّة عن حلب وريفها

مُجرية اللقاء الدارسة: هيفاء زياد برشة[301]

المتحدث: محمد الملا خلف من مواليد 1927، وهو من نقابة عمال السكك الحديدية، ومقيم في حلب – المساكن الشعبية. وجرى اللقاء به في 1988/4/5

كتبت الدارسة:

" لأنني أعرف هذا العامل المتقاعد معرفة شخصية، استقبلته في بيتي وحاولت قدر الإمكان عدم مقاطعته في كلماته. كما أنني ابتعدت عن أسلوب السؤال والجواب حتى لا يطغى على الجو الملل والرقابة، وبالتالي لا يكون لحديثي جدوى.

طرحت عليه سؤالا واحدا وهو: تكلم ما تعرفه عن الحياة السابقة (الاقتصادية، والاجتماعية والسياسية) وما مر في هذه الحياة، خاصة حياة العمال.

---

[300] انقطعت السيرة بسبب ضياع أربع صفحات

[301] وهي محاسبة في مؤسسة التجارة الخارجية للمواد النسيجية (أفتوتكس).. نقابة عمال المصارف والتجارة والتأمين.. الثقافة : بكالوريا. مقيمة في الميدان / حلب. ووضعت للقاء العنوان التالي : " لقاء مع عامل في السكك الحديدية من حلب ونبذة عن بعض أوجه الحياة ايام الإنتداب الفرنسي وما بعده "

وتركت له حرية الكلام وبدأ يتحدث عن ماضيه وحاضره ":

كان جدي وجدتي تركيا الأصل، وعندما توفيا كانا قد تركا والدي وعمره 10 سنوات وعمي وعمره 8 سنوات فقط. وقد ترك جدي لوالدي بعض الأرزاق (مال–أرض– بيت). لكن بعض الرجال لاعبوا والدي بالقمار وكان طفلا، فخسر كل الرزق الذي تركه والده. وعندما جاءت سفر برلك تحضرت القافلة لتهرب إلى حلب وقد جاء مع الإسلام جماعة أيضا من الأرمن.

فجاء والدي وعمّي بالقافلة على أساس أن يعيشوا في حلب لمدة سنة أو سنتين، حتى تنتهي الحرب، وقد كان عمر أبي 10 سنوات. وفي ذلك الوقت حضر من الدول الأجنبية طبيبان لدراسة صحة الناس. وكنا نسمّيهم "مطهرين"، فذهب والدي معهم على أساس مساعدتهم إلى فلسطين. ولكن هناك منع الأمن العام البوليس الانكليزي والدي من الدخول إلى فلسطين وأجبروه على العودة، فرجع من فلسطين إلى بيروت ومنها إلى حلب.[302] وعندما أصبح عمره 17 سنة تزوج أمي وهي أيضا تركت وهاجرت إلى حلب.

أما عمي، فقد تعلم السواقة من شوفور فرنسي وحصل على شهادة "سائق"، ثم تطوع عسكري فرنسي في الجيش الفرنسي. وبعد خروج الفرنسيين توظف في الإطفائية حتى بلغ سن التقاعد، وفي السنة الماضية توفي.

عند زواج والدي وعمي ونتيجة للفقر الذي أصابهما بعد هجرتهم من تركيا، عاشا في غرفة واحدة. وكنا نسكن في حارة اليهود، وقد حصل خلاف بين أمي وزوجة عمي، فافترقنا كل منهما في بيت.

كان والدي عاملا عاديا يعمل أعمالا مؤقتة يومية (عامل مطلق) فكان يعمل أحيانا (مزرق) وأحيانا (مكسر بحص) واحيانا حمّال أمتعة. وفي سنة 1936 وأوائل 1937 وبحثا عن الرزق، رحل بنا والدي إلى بيروت وسكنّا في ممر مقسم لأربع عائلات بالشراشف، وكانت الثياب التي نلبسها نذهب بها إلى العمل وننام بها أيضا. في بادئ الأمر وضعوني عند (سمان) يبيع خضرة وكان عمري 10 سنوات، وكان ذلك عام 1937 وكانوا يسموني (صانع سمان). أما أبي فكان يعمل في مخزن حيث يقوم ببيع الخشب ونقله من المخزن إلى السيارة. بقينا سنة في بيروت، وما لبث والدي أن أصرّ على العودة إلى حلب لأنه لم يحب بيروت لأنها حسب ادعائه (أنها بلاد الفسق والبنات فيها لا دين لهنّ). وكان والدي يعود من عمله في بيروت في الساعة الثالثة ظهرا، وباقي اليوم يقضيه مع رفاقه للأحاديث العادية والأقاصيص ولعب الورق والطاولة والتفكير بكيفية التخلص من واقعهم الفقير والمؤلم.

ورجعنا إلى حلب عام 1938 ونزلنا مبدئيا في بيت عمي، وقد طبخت لنا زوجته لحمة بالفرن حيث كان عمي يعمل موظفا بالاطفائية، وكان راتبه 60–70 ل.س، وهذا مبلغ كبير في ذلك الوقت حيث كانت الليرة الذهبية

---

[302] في تقديرنا أنّ هذا السرد لحياة المتحدث فيما يتعلق بعمله مع الطبيبين جرى في سنة 1919 عندما رافق البريطانيون الجيش العربي بقيادة الشريف فيصل بن الحسين وذلك قبل دخول الفرنسيين واحتلالهم لحلب في آب 1920 بعد موقعة ميسلون.

تساوي 5.5 ل.س. ثم انتقلنا إلى منزل نسكن فيه لوحدنا، وحطّني والدي عند النوّال العربي (النول الحياكي) وكان في الدكان الذي أعمل فيه 3 أنوال (عام 1938) وكان عملي لا يتعدى تلبية الحاجات الخاصة للصانع والمعلم (روح جيب غدا – روح لعند معلمتك شوف شو بدها – روح جيب قادوس مي من الجب). كان صاحب الدكان (محمد زنبلكجي). لقد كانت أصول الحرفة أن أعمل خادم لمدة (5-10سنوات) وكان اسمي (أجير). وعملت لمدة سنة في دكان النول ولم أعرف كيف يعملون على النول، بل لم أعرف مما تتألف. واعترضت للصانع، حيث لم يكن يسمح لي بالتكلم مع المعلم، والمعلم نكاد أن نراه، فهو يذهب إلى معلم المدينة (تاجر) ليأخذ المواد الأولية منه، وهذا يحصل على المواد إما بواسطة معلمين آخرين يسافرون إلى دول أوروبا لهذه الغاية، وأغلب هؤلاء المعلمين كانوا (مسيحية – يهود – أرمن)،

وإما بواسطة مكاتب السماسرة الذين يعرفون لغة أجنبية، فكانوا يومنون ويحصلون على البضائع عن طريق طلبها بالهاتف. حيث كان الهاتف في حلب يدوي، وكان المركز الأساسي للشرق الأوسط هو بيروت. فكان السمسار يهتف إلى بيروت وبيروت تتصل إلى الخارج لتأمين ما تم طلبه عن طريق مينائها، فكانت البضائع تستلمها الدولة والتجار. وكان التجار على مستوى جملة ومفرق. وعندما اعترضت للصانع على تفاهة عملي وأنني لا أعمل شيئا ولا أستفيد، أوعز لي الصانع بأن وقته سيذهب في تعليمي، بالإضافة إلى أنني كنت أشعر أنه يريد الصنعة لنفسه. المهم بعد إلحاح متكرر مني قال لي: "يوم الجمعة بعلمك". وأول عمل قمت به هو أنني كسرت المكوك. وكان المكوك مصنوع من خشب الجوز وكان سعره آنذاك خمس قروش. فذهب ليأتي بالحبل ليكبلني ويرقعني فلقة لأنني كسرت المكوك، وكان الضرب إحدى الوسائل المهمة لتعلم المهنة، وعندما ذهب ليحضر الحبل هربت إلى المنزل فلحق بي الصانع، فعوض والدي الخسارة للصانع. ولم أعد أرغب بالعودة إلى العمل، فوضعني والدي عند معلم آخر (عبد السلام بارودي) وكان عنده نول وحيد وكان هو يعمل عليه ويعمل لوحده دون استخدام أحد لديه – وبدأ يعلمني وقد تعلم الصنعة في الشام.

وأيضا لم يخل الأمر من تأمين حاجيات المعلم الخاصة وزوجته، وقد كنت سعيدا بعض الشيء، فقد كنت أرى زوجة المعلم وهي امرأة جميلة وكانت تتزين كثيرا. المهم أنني تعلمت من المعلم بعض الشئ، فكانت المهنة صناعة الأقمشة من الحرير. وفي إحدى المرات نزعت الحرير المركب على الآلة، فأغلقت الدكان وذهبت إلى منزل المعلم ودسست له مفتاح الدكان من أسفل الباب وذهبت إلى منزلنا. ولكن جاء المعلم وسامحني وعلمت فيما بعد، أنه سامحني ليس محبة بي، ولكن لأنني كنت نشيطا بالإضافة وهذا الأهم أن أجرتي لم تكن تتعدى الفرنكين في الجمعة، مع العلم أن رفاقي كانوا يعملون عند معلم آخر بأجرة ليرتين في الجمعة، لأن هذا المعلم كان يملك أنوالا عديدة، بالإضافة إلى أنه يمارس أعمالا أخرى غير النسيج. وعملت عند المعلم عبد السلام سنة، وتركت لأنه لم يزد لي أجرتي. وذهبت أعمل عند المعلم (أحمد الخضري) وأصبحت أجرتي ليرتين في الجمعة. وكان المعلم السابق يسال عني لأنني تركته وهو الذي علمني الصنعة. ولكن اعتراضه لم يؤثر بي أو لم يكن هناك قانون يجبرني على العودة إلى المعلم. واستمريت أعمل عند المعلم أحمد الخضري.

وعندما جاءت الحرب العالمية الثانية، جاء تجار عراقيون وأخذوا كل أقمشة الحرير والغزل والشراشف من حلب ونقلوها إلى العراق، لأنه لم يكن عندهم صناعة النسيج، حيث كانت حلب تعتبر المركز الأول لصناعة النسيج باعتبار أنها قريبة من تركية، كما أن حلب أقدم مدينة. كما أن معلمو النسيج فيها ورثوا صناعة النسيج أبا عن جد، وأيضا كان نصف سكان حلب يعملون في النول. وبعد مدة من عملي أنزلت أخي الأصغر مني معي في المعمل، وكان عمره 9 سنوات. كان لمعلمي صنعة أخرى وهي صنعة الدلالة (دلال أو سمسار) وهو ما نطلق عليه قديما (كمسيونجي). فعندما ينزل الفلاح رزقه من الضيعة إلى المدينة، فهو يحتاج إلى خان يضع فيه جماله أو بغاله أو حميره وأيضا إنتاجه، فكان معلمي هو صاحب الخان وكان معلمي يبيع الأقمشة مباشرة حيث يذهب يوميا لمدة ساعتين إلى السوق ليبيع الأقمشة. وكان المعلم لا يعمل ولكنه يشرف على العمل ويديره، وفي حال غياب معلمي كنت أحل محله، فكان يعطيني أجرة برانية (إضافية) جزاء ذلك. عملت عند المعلم أحمد الخضري ثلاثة سنوات وكان العمل في النول متعب جدا وخاصة الجلوس فى الدفة اسمها (الزيركونة) أمام النول.

في عام 1935 تأسس معمل النسيج في حلب وكان المعمل شركة مساهمة أهلية للمواطنين ويعتبر أول معمل في سوريا. كان عدد عماله 3000 عامل يعملون على ثلاثة أجواق، كل جوق 8 ساعات. كنت أذهب كل يوم سبت إلى معمل النسيج لكي أستطيع العمل به. في هذه الأثناء كنت ما أزال أعمل عند المعلم الخضري. وكان السيد هانك الألماني هو مستلم المعمل وهو المسؤول عنه، وهو الذي يختار العمال الذين يأتون ليعملون في المعمل. لقد كان المسيو هانك ينتقي العمال من خلال النظر، فكان يقف في بهو المعمل ونحن من وراء سور المعمل، نقف متزاحمين نريد الحصول على عمل، وكان عددنا في كل مرة يتزايد ليصل إلى المئات من الراغبين في الحصول على عمل. وكان المسيو هانك يختار منا خمس أو ست عمال والباقي "يكشنا". وفي خامس أو سادس سبت ذهبت به إلى المعمل اختارني للعمل، وكان عمري 13 سنة، حيث مسكني من كتفي وأقحمني داخل المعمل. كان قانون العمل أن يعمل العامل عند أول دخوله للمعمل أول أسبوع بالمجان، وثاني أسبوع تبقى الأجرة رهنية حيث لا يعطون الأجرة للعامل للتعويض عن السرقة أو الإهمال في حال ارتكابها من قبل العامل، أما الأسبوع الثالث يأخذ العامل أجرته. وقد كنا نعمل أول ثلاثة أسابيع دون أن نعرف الأجر ولم نكن نجرؤ على السؤال على قيمة الأجرة فلا يحق لنا ذلك (شحاد ومشورط). كان العمل في المعمل يتم على عدة مراحل وسير العمل كما يلي: تأتي جوزة القطن على المحلجة فتنظف من القطن عجوته (بذرته) والقشرة، ثم يبقى القطن خالصا وكانت هذه العملية أغلب عمالها من الفتيان لأن عملها بسيط. ثم يأتي العمل الصعب حيث يتم غزل الغزل وجعله خيوطا ثم صبغه ثم جعله نسيجا. لم يكن هناك قانون عمل ولا تعويض للعامل، فقد تتوفر حرية العامل في العمل أو ترك العمل. كانت الأجرة كل يوم خميس وأجرتي كانت في اليوم عشرين قرشا. أما يوم الجمعة فكان يوم استراحة غير مأجور، وكان الحضور والانصراف بالكرت، فالكرت يحدد في أية ساعة جئت وانصرفت، وكان دوام العمل من الساعة السادسة صباحا حتى الثانية بعد الظهر، ولكن غالبا كنا نأتي قبل الساعة السادسة خوفا من التأخير بالدرجة

الأولى، كما أننا لنستلم الآلة من عامل الفوج السابق كما أننا أكثر من ذلك لنسلم الآلة للعامل اللاحق. لقد كانت ساعات العمل ثمانية ساعات متواصلة خالية من أي استراحة أو ساعة طعام.

لقد كان التأخير عن العمل قاسيا كالآتي:

تأخر 5 دقائق، أي الحضور الساعة السادسة وخمس دقائق معاف في حال تأخر لمرة أو مرتين

تأخر أكثر من 5 دقائق إلى 10 دقائق، حرمان أجرة ربع يوم ويدق التأخير بالخط الأحمر لينتبه إليه المحاسب مباشرة.

تأخر ربع ساعة، حرمان أجرة نصف نهار.

لم يكن هناك قانون عمل يحمي العمال. ولم يكن حتى العمال يفكرون لسن مثل هذا القانون.

ونظرا لأن عمي كان شوفور الوالي وكان مدير الشركة (محمد خليل المدرس)، وهو والي حلب بالوكالة نظرا لمرض والي حلب الأساسي (نبيه مارديني)، والوالي يعني المحافظ، لذلك زودولي أجرتي خمسة قروش، فأصبحت أجرتي 25 قرشا في اليوم، وبذلك أصبحت مثل زملائي بالأجرة الذين سبقوني في الدخول إلى المعمل الأشهرالسابقة. كنا نذهب إلى المعمل ونعود منه سيرا على الأقدام لأنه لم يكن هناك مواصلات. وللوصول إلى المعمل كان لا بد أن تمر على منطقة كان يسكنها الأرمن. وكانوا يتعرضون لنا وهم بحماية فرنسا

فبدأنا نتحد عشرة أو عشرين عاملا، نخرج سوية إلى المعمل، ثم جاء أمر من الشرطة لمرافقة حراس المعمل مع أسلحتهم لحماية العمال من اعتداءات الأرمن. أذكر يوما جاء ولد مسلم ينظر من ثقب باب مسبح "فاروق" على الأرمن الموجودين داخل المسبح، لأنه سمع أصوات غنائهم، فرأوه ورموه بحجر كبير من السطح، فانكسر ظهره فصرخ. وكان عمال معمل النسيج مصروفين من المعمل فركضوا ورأوا الولد واقع على الأرض متألم، فنادوا بعضهم البعض حتى وصل عددهم إلى 700 عامل وضربوا الأرمن الذين كانوا في المسبح. وبعد انسحاب فرنسا، بدأنا نحن نتعرض للأرمن ونؤذيهم (كان الطابع الديني هو الغالب لارتباط العمال).

وفي عام 1939 صار غلاء وقت الحرب، وكانت الدولة الفرنسية تخبئ محصول البلد وصار الخبز بالبون (البطاقة)، يذهب كل عامل إل السرايا ليعطوه خبزا حسب عدد أفراد عائلته وكان الخبز سيئ جدا، كان يخلط فيه بطاطا وعدس وذرة وشعير. لقد كنا جوعانين في ذلك الوقت ونعيش على العتمة ليلا ونهارا، لقد كان الوضع لا يبشر بالخير، عمل قليل وأجر قليل ومواد قليلة. كانت فرنسا تصادر الراديوهات والقداحات وكنا ندفع على الراديو ضريبة 12 ل.س في السنة. كنا نختبئ من

أجل أن نسمع أخبار. ولم يكن للعمال أي رأي عن الحرب ولم يكن هناك تنظيم نقابي يرشدنا إلى الصواب.

وفي نفس العام خرج العمال ونظموا جنازة الشيخ مكوك، حيث وضعوا في التابوت مكوكا وقادوه، وكان عبارة عن إضراب لزيادة الأجور وغلاء الأسعار والتعهد بعدم العمل بالصنعة. وأثناء تشييع الجنازة كنا جائعين وبدأنا نأكل الطعام الذي نراه سواء على العربيات أو في الدكاكين (هناك البعض من العمال منا ما أن يسدوا جوعهم أثناء الإضراب حتى يعودوا إلى منازلهم دون أن يستمروا مع رفاقهم). كان كيلو الخبز بفرنك وزودوه قرشين فأصبح 7 قروش. فبدأنا نصرخ بالإضراب (يا والي يا بو بخشين — غليت الخبز قرشين) فعاد كيلو الخبز بفرنك (الشعارات التي كانت تطلق في الإضرابات لم تكن على مستوى من الجدّية. وكان العمال يرفضون تمديد المياه والكهرباء لبيوتهم حتى لا يدفعوا تعويض التمديد والآجار. ووصلنا بالجنازة إلى السفطية[303] وجاءت الشرطة فهرب البعض واستمر البعض وكنت انا من بين الأربعين. كان العمال أثناء الجنازة يفتحون الدكاكين قسرا للاستيلاء على الغذاء الذي فيها ويوزعونه على الشعب. وفي عام 1941 خفّ المازوت نتيجة الحرب ولم تعد تسد كمية المازوت المتوفرة حاجة الموتور الذي يستنير المعمل به، فخفض أصحاب المعمل أجواق العمل من ثلاثة أجواق إلى جوقين وزودوا ساعات العمل 10 ساعات كل جوق، فطالب العمال بزيادة الأجرة لأن ساعات العمل زادت بالإضافة إلى عدم تأمين قيمة الأجرة لمستلزمات حياتهم الضرورية، فأضرب العمال وكان عددهم يتجاوز الـ 2500 عامل مدة 40 يوم عن العمل، وكان المطلب الأساسي زيادة الأجرة 50 %.. وقد اتفق أغلب العمال الذين كان عمرهم فوق 20 سنة أن يشكلوا مناوبة فيما بينهم، على أن يرصدوا العمال الذين يأتون إلى العمل للاستمرار في العمل، خاصة أولئك العمال الغير موافقين على الإضراب والذين ينافقون لأرباب العمل من أجل حصولهم على مرتبة وأجرة أكثر من رفاقهم. فكان كل أربع أو خمس عمال من المضربين يقفون على طول الطريق ويرمون بالحجارة أي عامل يأتي للمعمل ويجبرونه على العودة إلى بيته. هذا الإضراب تم عندما لم يكن مدير المعمل الأساسي موجودا، فقد كان في إحدى الدول الأجنبية. المهم بإيعاز من منظمي الإضراب (لم يكن العمال يعرفون المنظم الحقيقي للإضراب، فقد كانوا عندما يسمعون بأنه يجب أن يضربوا يشتركون بالإضراب بعفوية دون أية استفسارات عن منظمه وهدفه، كما كان بشكل عفوي ارتجالي بعيدا عن كل تنظيم أو تذكير مسبق).

قمنا بمظاهرة عند عودة المدير من الخارج، فخرجنا متظاهرين من المعمل حتى بيت المدير "نُفيشه"؟ ؟ وندعو له "طيلة العمر" حتى يزود لنا الأجرة، فوافق على الزيادة وطلب منا العودة إلى العمل فعدنا. لقد عاش أغلبنا في فترة الإضراب مما كان يخزّنه في بيته (مؤونة) من غذاء، والبعض الآخر باع حاجيات بيته. وبعد العودة إلى العمل وبعد ستة أشهر وعن طريق جواسيس من العمال لطرف الإدارة، علم مجلس الإدارة بأسماء منظمي الإضراب وبدأ بتسريح العمال منظمي الإضراب، كل مرة اثنين أو ثلاثة منهم وعلى مراحل، وعلى فترة ستة أشهر كانوا قد انتهوا من جميع منظمي الإضراب.

---

[303] وبين وثائقي في دمشق لقاء مع النقابي الحلبي علي تلجبيني، الذي تحدث بدقة عن جنازة الشيخ مكوك والأهازيج التي رُفعت. كما وجدت إثباتا لهذه الجنازة في الصحف اليومية... ويبدو أنّ الجنازة التي تحدث عنها تلبجيني هي غير الجنازة المذكورة هنا.

ثم تركت العمل في المعمل، لأن أحد رفاقي أطال لسانه على مراقب الدوام، فعاقبه هذا بحرمانه أجرة نصف نهار، فعندما خرج رفيقي رأى عقوبته معلقة على جدار المعمل فخزق العقوبة، وقال لي:: أنا لم أعد أشتغل، فلحقنا به أنا وأربعة من رفاقي، فنادانا مراقب الدوام وطلب منا أن نستمر في العمل، أما رفيقنا المعاقب فسيبت بأمره مجلس الإدارة. ولكننا رفضنا العودة إلى العمل إلا إذا عاد معنا رفيقنا، فرفض المراقب فتركنا العمل. في عام 1942 أصدر قانون العمل ولكن لم يعمل به حتى عام 1945 وأهم ما جاء في هذا القانون الإجازة و الأجرة يوم الجمعة ثم تعدل هذا القانون نتيجة نضال العمال وكان العمال يهددون بعد صدور قانون العمل، إذا لم ينفذ صاحب العمل ما جاء في القانون بأنهم سيلجؤون إلى القضاء. وكانت معاملة رفع الدعوى قيمتها 7 فرنكات وكان يُبتُّ في أمر الدعوى خلال شهر من تقديمها ودون محامي.

في عام 1942 كانت الكتلة الوطنية مقرها في سوق العتمة (منطقة العوميد) حيث يجتمع زعماء حلب ضد فرنسا، وقت خروج فرنسا بقيت الكتلة الوطنية. وحصل خلاف بين أعضائها حول الأهداف والمناصب، فانشقت الكتلة إلى قسمين: جماعة راشد بن كيخيا وسميت حزب المعارضة، من ثم حزب الشعب وكانت الأغلبية معه وجماعة الجابري والكيالي والمدرس (وهم من أرذال أهل حلب) وسميت الحزب الوطني. على كل ما شفنا خير من كل الأحزاب بس مصالحهم الخاصة.

أذكر عام 1942 جاؤوا وقالوا لنا: اليوم في مقر نقابة السائقين في بستان "كليب" (كلاب) سياتي خالد بكداش ليلقي كلمته، وفي الموعد المحدد امتلأ المكان بالناس، ولكن جاء البوليس ونهى الاجتماع وهُزِمض خالد بكداش خارج الاجتماع.

أكثر من عدد الأحزاب لا يوجد ! ومع ذلك كله حبر على ورق.

حزب القومي السوري في عهد الشيشكلي وحزب الشيوعي وحزب الأخوان المسلمين وحزب البعث. جاء والدي يوما وقال لنا أن (عمال السكك الحديدية) أضربوا وناموا على جسر الشيخ طه، وكانوا حوالي 7000–8000 عامل بهدف زيادة الرواتب، فجاء البوليس الفرنسي ليقبضوا على العمال المضربين. فقام العمال وذهبوا طواعية إلى السجن. فما كان من أحد النقابيين الفرنسيين إلا أن خطب بالفرنسية لتهدئة العمال، وكان النقابي السوري يترجم ما يقول الفرنسي. ثمّ غمز المترجم السوري للعمال أن يرفضوا اقتراحات الفرنسي، كما غمز لسائق القطار ليكبس الزمور، فكبسه، فخرج شحوار (فحم) فاسودت بدلة النقابي الفرنسي وكان لونها أبيض، مما أثار منظره ضحك العمال، فكان ذلك تعبيرا عن رفضهم لهدنته وخطاباته.

في أواخر عام 1943 عملت في معمل (شبارق وحمامي). في هذه الأثناء وأصبح للمعمل (نسيج حلب) نقابة. وكان من بين أعضاء هذه النقابة عدد من أعضاء مجلس الإدارة بالإضافة إلى أعضاء انتقاهم مجلس الإدارة،

حيث كان المجلس هو المسيطر على النقابة في المعمل (كان أكثر أعضاء النقابة هم من مساندي أرباب العمل في المعمل الذي تنشأ فيه النقابة).

وكان معمل (شبارق وحمامي) للغزل والنسيج، ولقد شغّلْت الأخ الثاني لي في المعمل. وكانت أجرتي في المعمل 65 ق.س يوميا بعد أن كنت أقبض في المعمل السابق ليرة وربع يوميا. وكان العمل 12 ساعة من الساعة السادسة صباحا حتى السادسة مساء، بعد أن كان العمل السابق 8 ساعات. و 12 ساعة عمل دون أكل وهي ساعات متواصلة، وعندما اعترضت على أجرتي قال لي حمامي: أنت ابن جارتنا ولازم تعمل معنا، فنحنا أحق ببعضنا من الغريب، وقريبا سنزود لك الأجرة. فقبلت وكنت كل ما أعترض على الأجرة كانوا يزيدونها خمس قروش أسبوعيا. وبعد سنة تركت العمل وعملت في عام 1944 في شركة الكهرباء بالواسطة (بواسطة عمي) وقد عملت بصفة مؤقتة كل ثلاثة اشهر، أوقع على عقد جديد حتى نسعة أشهر. كانت وظيفتي في شركة الكهرباء هي مدهن ترومايات (حاملات)، وأثناء وظيفتي في شركة الكهرباء بدأت المشاكل والمظاهرات من عمال وطلبة (لم تكن هناك إضرابات عمالية بحتة بل سرعان ما يؤيد هذا الإضراب الطلاب والعكس صحيح) ضد فرنسا، مما أدى إلى أن امتنعت الشركة عن العمل. فكان العامل المثبت في عمله يأخذ راتبه وهو قاعد في بيته. أما نحن العمال الغير مثبتين، فلم نحصل على الراتب ولكنهم أعطونا شهادة من خلالها يمكن أن نتوظف في شركة الكهرباء من جديد عندما يعود عمل الشركة. مما جعلني أعمل في معمل (حاج وهبي الحريري) وحاليا نطلق عليه بعد تأميمه (معمل شركة الشهباء). كان هذا المعمل قد فتح حديثا، فطلب منا الحاج وهبي أن نركب الماكينات القديمة بالإضافة إلى الماكينات العتيقة التي جلبها من هنغاريا لتلهية العمال، حتى تأتي الآلات الحديثة (الماكينات) من انكلترة. لقد فتح الحاج وهبي المعمل ليس لأنه من راغبي أن يكون من أصحاب الشركات، بل كان عمله تاجرا سمسارا (هل يمكن أن تتحول البرجوازية التجارية إلى برجوازية صناعية؟) ولكنه فتح المعمل تحديا لشركة الغزل والنسيج لأنه عندما كان تاجرا اشترى منهم كمية من القماش، على أن يستلمها بعد ستة أشهر ولكن بعد هذه المدة ارتفعت الأسعار بشكل كبير فامتنعوا عن تسليمه البضاعة وطالبوا بإلغاء الصفقة، فأقام الحاج وهبي عليهم دعوى قضائية، وأثناء الدعوى قام بتأسيس معمله للمضاربة على شركة الغزل والنسيج.

وعندما ربح الدعوى أقام للعمال حفلة —كان الحاج وهبي أفضل من غيره من المعلمين، حيث كان بين حين وآخر يوزع علينا من 25– 50 كغ رز بالمجان، كما أنه فصّل لنا بدلات عمل على حسابه، وكان في شهر رمضان يُسحِّرُنا على حسابه للجوق الذي يصادف عمله في ساعة السحورَ. وأثناء عرسي تبرع لي بقيمة بدلة العرس، ولكني كنت قد فصلت البدلة سلفا، فاشتريت بدلا عنها ست أساور ذهب لعروسي، وقد طلبت من الصائغ أن يسجل على الفاتورة قيمة الأساور ليدفعها المعلم وأعطيت الفاتورة إلى عبد الكريم بوادقجي، وهو الرجل الذي يعتبر صلة الوصل بيننا كعمال وبين الحاج وهبي، وقد ألف كتابا عن صناعة الغزل والنسيج. وهو الذي شجعني أن أشتري الأساور وقد دفع الحاج وهبي قيمتها إلى الصائغ. وكان الأجر نقدي، وكان يوجد إكرامية ولكنها لا تعطى لكل العمال بل لـ 40 أو 50 عامل يكون من رؤساء الورشات أو رؤساء الصالات.

وفي عام 1946 وما بعد الجلاء عمل الحاج وهبي في مجال السياسة

(أكثر رجال السياسة آنذاك كانوا من أصحاب العمل) فأصبح عضوا في مجلس النواب في حكم حسني الزعيم وتعاون معه فأصبح وزير المالية، وهو أمم النقد السوري. وعندما قُتل حسني الزعيم هرب الحاج وهبي إلى تركيا، ونهب أقرباؤه أمواله، ولكن عندما جاء الشيشكلي عام 1954 رجع الحاج وهبي إلى سوريا وتعامل مع الشيشكلي حتى جاء التأميم. ونحن نعمل في معمل الحاج وهبي تكونت نقابة معمل الغزل والنسيج، وكان أعضاء النقابة في معمل الغزل والنسيج مأسورين (أسرى) لمجلس الإدارة. وعندما أردنا الانتساب إليها رفضوا ذلك بحجة أن كل نقابة للمعمل الخاص بها. فشكلنا لجنة وذهبنا إلى الشام لنقابل وزير الداخلية، وكان هو نفسه وزير الشؤون الاجتماعية والعمل ليمنحنا إما موافقة لتشكيل نقابة في معمل الحاج وهبي، أو أن يأمروا في انتسابنا إلى نقابة معمل شركة الغزل والنسيج. وبدأ العاملون في الوزارة "يشلفونا" من وزير إلى وزير، فقالوا لنا جماعة من الاشتراكيين: اذهبوا إلى أكرم حوراني.

فذهبنا إليه ووعدنا خيرا ولكن لم يطلع معه حل ولا جواب. وأذكر أن مجلس الإدارة في شركة الغزل والنسيج قد أهدوا شكري القوتلي من 300 إلى 400 سهم عندما زار الشركة، وقد خرجت هذه الأسهم من جيب الشعب المساهم للشركة. كانوا في نهاية كل سنة يدفعون للعمال إكرامية وجزء من الأرباح فيدعون المساهمين ويتم أمامهم التوزيع وكانت الأرباح توزع على رأي مجلس الإدارة وحسب الأسهم وطبعا كان للمساهمين الكبار منهم الحصة الأكبر (محمد خليل المدرس – أحمد مدرس– خضير – عبد الرحمن كيالي...)

لقد كنا ونحن نعمل في معمل الحاج وهبي نطالب بزيادة الأجر عندما تكون حركته نشيطة في السوق، وعندما تقف الحركة لا نطالب بالزيادة. وكان الإضراب يتم بأن يطلب المعلمون في المعمل من العمال أننا بدنا "زود" وفي الساعة الفلانية كل واحد يوقف ماكينته – نقوم بتكسير الزجاج ونسب الحاج وهبي ويسبنا ونبقى على هذه الحالة حتى يلبي زيادة الأجور.

زوجة الحاج وهبي سألته يوما: لماذا لا يعطيهم الزيادة مباشرة دون حاجة الأخذ والعطاء، طالما بالنهاية تلبي لهم الزيادة؟ فقال لها: وكيف أزيد وأري كل المعلمين الكبار أن عمال الحاج وهبي بهذا العدد وبهذه القوة ومع ذلك أستطيع السيطرة عليهم ؟

كان في هذه الفترة أي 1952 حزب الشعب من أقوى الأحزاب، وكان يسمى حزب المعارضة وكان يتألف من حزب الشعب هو أقوى الأحزاب. وإلى جانبه جماعة كيالي (الحزب الوطني). وعندما جاء الشيشكلي عام 1954 ألغى كل الأحزاب وشكل حركة التحرير وتزعمها.

في عام 1956 عملت في السكة الحديدية، وكان رئيس نقابة السكك (فؤاد الرفاعي)، وكان هو والمديرية ضد المدير (محمد العالم) وكان هذا لا يوافق على مطالب فؤاد، وفؤاد يعتبر بحق مخلصا، أما الذين جاؤوا بعده كلهم يعملون لمصالحهم الخاصة.

أذكر يوما أن فاخر صايم الدهر، وكان يعمل على أساس موظف بكالوريا، ثم حصل على شهادة هندسة بالتزوير من ألمانيا بواسطة زوجته الألمانية. عُيّن مهندسا في السكك الحديدية، ضرب فؤاد الرفاعي كفين، لأن المدير العام "دز" عليه وأعطاه صلاحية ذلك ليكسر شوكة فؤاد أمام العمال. لم يكن هناك خلاف بين أعضاء النقابة، وبعد فؤاد أصبحت النقابة "مثل قلتها"، فالنقابيون لا يسألون علينا، يجمعون الاشتراكات ليذهبوا إلى الشام بحجة تأمين مطالبينا، فيأكلون ويشربون ويعودون بخفي حنين. إن حياة النقابي نفاق و"كولكة" وعندما يصل إلى فوق ينسى عماله.

قديما كان العامل يكفيه وأسرته يوميا من ربع ليرة إلى سبع فرنكات إذا كان عدد أفراد أسرته خمس أو ست أفراد. ولكن اليوم ؟!

وأذكر بهذه المناسبة تقاطيق سلامة الأغواني، حيث كان يغني في فترة أواخر الثلاثينات ومن جملة ما كان يغني:

" بلا حسبك بلا نسبك

غير الليرات ما بتحكي"

وأيضا:

" يا ريتني نائب بعرف شو بعمل لأخرب بيت العامل"

بدأ الزحف الفلاحي على المدينة من زمن البعث وقد تسلم أهل القرى والريف المناصب العليا في الدولة ؟!

أهم الجرائد:

الشباب ويصدرها حزب الشعب

الرأي العام وتمولها دولة أوروبية

أهم المجلات:

كانت ذات طابع مصري مثل : المصوّر، آخر ساعة،الكواكب

أهم الكتب:

كانت كتب أدبية وروايات بوليسية وكتب علمية وكتب متنوعة. طبعا لم نكن نطلع على الكتب العمالية والنقابية لعدم توفرها من جهة بالإضافة إلى أن حالتنا المادية كان يرثى لها حيث كنا نعمل عملا إضافيا ولم يكن لدينا وقت فراغ لمناقشة وضع النقابة أو العمال. فكان دوامنا الصباحي من الساعة 6 صباحا وحتى 2.5 ظهرا، ومن الساعة 3 ظهرا حتى 9 مساء حيث كنت أعمل في الدهان.

أهم الحرف:

حدادة يدوية

الدق على النحاس (في سوق النحاسين)

نجارة

صناعة النسيج

الخط العربي

التجارة (في سوق العطارين) ويغلب عليها العطور والصابون والأقمشة

الخراطة

من النقابيين:

عمر محروم – زكي نعيمة – وديع فوال – عبد الرحمن أبو شعر – خالد داده

عدنان زهران (كان رئيس النقابة)

أبو علي الجاطي (رجل أمي، خرج من النقابة بسبب قرار منع الأميين من تسلم المناصب النقابية)

علي شاليش (رجل فهمان ومتعلم)

بصيل الشبارق (رجل متعلم وفهمان ومن طرف العمال)

علي تلجيني (دخيل على السكة بواسطة حزب البعث وهو أساسه عامل نسيج وكان يملك عدة أنوال ثم تسلم "رئيس نقابة"، ثم رئيس اتحاد، ثم وزير، ثم عضو مجلس الشعب. على فكرة كان يملك الأنوال بواسطة أمه، فهي اشترتها له باعتباره وحيدا لها وكانت تعمل قابلة قانونية.

وضع النقابة:

أيام فرنسا: كان قانون العمل لم يصدر بعد، وكان هدف العمال تشكيل اتحاد لهم....ناس تطلع وناس تنزل من أجل إقرار تشكيل الإتحاد.

أيام الحكم الوطني: أصبح للعمال أتحاد ونقابات، واعترف الجميع بالعمال. وكان في كل مدة يناضلون ويبدلون القوانين لصالح العمال.

أيام الوحدة: ذات النضال في أيام الحكم الوطني

أيام الانفصال: ظلموا العمال. والأحزاب جميعا مسؤولة عن فصل الوحدة وهم من قاموا بذلك. فقد قام الضباط السوريون بحركة احتجاج على الضباط المصريين، فاستغل الاقطاعيون هذه المناسبة ودعموهم بالمال فقتلوا الوحدة، وقد خرج العمال والطلاب متظاهرين ضد الانفصال وقد استشهد عدد من المواطنين في أثناء التظاهر. كان النضال الوطني هو الأقوى أثناء الاستعمار الفرنسي، وبعد عهد الجلاء والحكم الوطني أصبح العمال يناضلون اجتماعيا في سبيل تحقيق أهدافهم.

أهم الأعمال النقابية:

إجازات الأعياد جميعها. كان عيد الفطر 4 أيام وعيد الأضحى 5 أيام

ظلت ساعات العمل كما هي باستثناء الدوام الصيفي، فكان لعمال السكك الحديدية 7 ساعات، وتخفيض ساعة ونصف في رمضان لكافة العمال.

قانون العمل وبدء العمل به بعد أن كنا ناخذ حقنا إما بالإضراب أو بالعرف والتراضي

تشكيل النقابات:

جاء بعد نقابة الغزل والنسيج ، نقابة الكهرباء، السكك الحديدية، الأحذية، النجارة، الميكانيك

وكانت النقابات تشكل على مستوى ورشات كبيرة وصغيرة

الأولاد:

أنجبت 17 ولد، توفي ستة في سن الطفولة بقي :11

7 بنات أغلبهن متزوجات و ثلاثة تعملن بمهنة ممرضة، خياطة في معمل، معلمة بالوكالة.

4 ذكور: الأول سائق سيارة والسيارة ملكه لأنه سافر إلى السعودية وعمل خمس سنوات حتى استطاع تأمين بيت وسيارة في حلب.

الثاني عامل ميكانيكي في الإسكان العسكري

الثالث نجّار موظف بالإسكان

الرابع طالب

الأخوة: جميعهم متزوجون:

3 إناث متزوجات ولا يعملن وإحداهن استشهدت في حرب لبنان حيث كانت تقطن هناك مع أسرتها

4 ذكور: الأول لا يعمل عملا ثابتا، تجول ما بين لبنان وألمانيا والكويت. الثاني سائق سيارة والسيارة ملكه. الثالث موظف في الخطوط الحديدية السورية. الرابع موظف في شركة التعمير السورية

آخر كلمة لك: أنا لست راضيا على الأمة العربية ووضعها لأننا لا نسمع سوى الكلام... لم يحققوا شيئا لأنه لا يحاسب المسيء....من عهد فرنسا وحتى الآن. ونحن العمال نكافح حتى نعيش ولا أحد يسمع لنا. فلا نضال ولا نقابة ولا قانون عمل "مصوا دمنا".

في غير دولة يعترفون بحق العامل (طبابة وتقاعد)، أما هنا فلا خدمة ولا راحة للعامل، ونحن لا نقدر العامل وأذكر يوما كرموا أحد العمال المتفوقين بشعار حديدي فقال لهم: "وين بنصرف هذا؟"

نريد أن نعيش وحان الوقت كي نعيش ؟!

4- حياة النقابي المثقف المتقن للفرنسية ابراهيم الجهماني – درعا إعداد الدارس مفلح شحادة[304]

ولد النقابي ابراهيم الجهماني في مدينة درعا، مركز محافظة حوران، سنة 1916 ونشأ في وسط عمالي فلاحي هجين، حيث تعرف على المعاناة الحادّة التي كان يعيشها الفلاحون في تلك الأيام، من شظف العيش والفقر والحرمان، من خلال الظروف الحياتية القاسية التي كان يعيشها هو وأسرته والتي كانت تسوقه باعتباره الأخ الأكبر للعمل إلى جانب والدته في الأراضي الزراعية وخاصة في مواسم الزراعة والحصاد. كما أنه عايش القهر والعذاب الذي كان يحيط بالطبقة العاملة والتي أخذت طريقها بالتكون في تلك الأيام، ناشئة من أولئك الفلاحين البواطيل كما كانوا يسمونهم، ولا يجدون فرصة للعمل الشريف، إضافة إلى بعض التجمعات المتكونة من عمال السخرة في

[304] أنشأ هذه اللمحة التاريخية الرائعة عن ابراهيم الجهماني بلغة سليمة مفهومة.فله الشكر ولو بعد أكثر من ربع قرن. آملا ان التقي به عندما تستقيم الأمور، وبقينا على قيد الحياة

ورشات العمل العمومي، الذي كانت تحدثه سلطات الانتداب الفرنسي في البلاد بصورة عمل إجباري أو بأجور زهيدة لتنفيذ أعمال الطرقات والجسور وبعض الإنشاءات لخدمة مصالحها ولتنفيذ أغراضها الاستعمارية في الوطن.

لقد بادر النقابي بحكم نشأته وانتمائه الحقيقي إلى الطبقة العاملة، حيث كان عاملا في قطاع البناء والتشييد بالتحديد، عاملا يمارس صنعة التلييس والبلاط والدهان. وبحكم وعيه ومؤهلاته الشخصية والثقافية المتميزة، حيث حصل في عام 1930 على شهادة الدراسة الابتدائية، وكان متمكنا من اللغة الفرنسية قراءة وكتابة، حيث ساعده ذلك على زيادة ثقافته وإطلاعه على أحدث التطورات الجارية في صفوف الحركات العمالية في العالم. وقد تمكن من خلال تنقله بالعمل بين كل من سوريا وفلسطين والأردن واتصاله بالحركات العمالية هناك، والتي كانت شديدة الصلة بالحركة الوطنية لمقاومة الاستعمار البريطاني في كل من فلسطين والأردن والاستعمار الفرنسي في سوريا.

هذه العلاقات والإتصالات مع الحركات العمالية والوطنية في البلدان العربية المجاورة لسوريا والتي كانت تعاني ظروفا مماثلة، مكّنته ليلعب دورا متميزا في قيادة وتوجيه الحركة العمالية بما فيها العمال الزراعيين في محافظته أولا، وبالتعاون والمشاركة مع رفاقه الذين شاركوه درب النضال فيما بعد لأكثر من 40 عاما. عندما سلم هؤلاء الرواد الاوائل راية النضال السلبي ضد القهر والاستغلال والمتمثل بالرجعية بأشكالها وصورها المتعددة إلى الأيادي الأمية بعد قيام ثورة العمال والفلاحين في الثامن من آذار في سوريا عام 1963.

ظل النقابي ابراهيم الجهماني يعمل مع رفاقه في الوسط العمالي في محافظة حوران بصورة نشيطة وسرية في المرحلة السابقة للإنتداب الفرنسي، للدفاع عن حقوق ومصالح العمال بالتنسيق مع قيادة الحركة الوطنية المحلية والمركزية في العاصمة، إلى أن هيأت المرحلة الوطنية بعد الاستقلال وقيام حكم دستوري في البلاد، المناخ الملائم لبدايات حقيقية في تشكيل جمعيات منظمة للعمال وأرباب العمل. وتشكلت أول جمعية لعمال مصالح الدولة عام 1948 تقريبا، وكان أول رئيس لهذه الجمعية هو ابراهيم الجهماني. وقد شارك مجموعة من زملائه الذين قادوا النضال النقابي في مرحلة ما قبل الاستقلال ومنهم (محمد قاسم الصياصنة – أحمد المرشد المحاميد – جابر دلوع – تركي الأبازيد – باير القطيفان – شحادة الأكراد) وجل هؤلاء كانوا من مدينة درعا وقد رفدهم مجموعة كبيرة من النقابيين في ريف المحافظة وخاصة من مناطق بصرى- إزرع – نوى – الصنمين – غباغب. وكان تشكيل هذه الجمعية في البداية قد واجه مقاومة شرسة من المتعهدين الكبار ومن بعض الأجهزة المسيطرة على الأعمال والأشغال الحكومية، لأنها تعرف هذه التشكيلة من المناضلين في مواقفها التي لا تقبل المساومة على مصالح الطبقة العاملة، وقد حاولت بعض الأجهزة التدخل والضغط على السلطات المحلية لتزوير الانتخابات وإفشال إنجاح القائمة التقدمية للطبقة العاملة ولكنها فشلت فشلا ذريعا، وأعلن الشرفاء من العاملين في مديرية العمل والشؤون الاجتماعية المشرفون على الانتخابات نجاح قائمة الجهماني ورفاقه العمال بالأغلبية المطلقة.

وقد كان في طليعة الأهداف المحلية لهذه الجمعية كسب السلطات القضائية إلى جانبها في المعركة التي شنتها على المتعهدين الكبار وأرباب العمل وعلى الأنظمة الحكومية السائدة الجائرة بحقوق العمال والعمل. وكانت

المواجهة الآولى ناجحة، فكان القضاء إلى جانب الدعاوي العمالية المحقة، حيث نجحت عشرات الدعاوي بتثبيت العمال وإعطائهم بعض حقوقهم في العطلة الأسبوعية المأجورة وإعطائهم إجازات الأعياد الرسمية بالإضافة إلى التعويض العائلي ومكافأة نهاية الخدمة. ولم يكن النجاح ليتحقق في هذا الاتجاه بين ساعة وضحاها، بل كان النضال مستمرا والملاحقة مستمرة، فتعرض المناضلون من العمال إلى التهديد والوعيد والملاحقة والتسريح والسجن أحيانا.

صحيح أن السلطة الفوقية وبعض أجهزتها كانت معادية للحركة العمالية ولمطاليبها، ولكن للحقيقة فإن النقابيين في محافظة درعا وبقيادة رئيسهم الجهماني تمكنوا من خلال مبادئهم الصادقة أن يكسبوا عطف كثير من العاملين في أجهزة الدولة في أماكن متعددة، مما ساعد حركتهم على النشاط والتوسع والازدهار.

أما على الصعيد الشعبي، ولأن الحركة العمالية ذات مضمون تقدمي وقفت بصلابة ضد كل أشكال الاستغلال والقهر، فقد وجدت بوابة مفتوحة بينها و بين الحركات الثورية التقدمية الناشئة في المحافظة، ووجدت عونا وتجاوبا كبيرا، فكانت الوجه العمالي لهذه الحركات الثورية باعتبارها كانت ما تزال تنشط في أوساط المثقفين من المعلمين والطلبة. لقد كانت نقابة عمال مستخدمي مصالح الدولة وإنتماء عمال المحافظة برئاسة النقابي ابراهيم الجهماني ولفترات مستمرة وحتى الثامن من آذار عام 1963 حيث كان حائزا على ثقة الطبقة العاملة في القطاع العام والخاص. نقول أن هذه النقابات والاتحاد العام كانا على صلة حية بحزب البعث العربي الاشتراكي وكان ينسق معه في كافة الميادين ويشارك في الندوات والرأي. وكان يقف إلى جانبه في المظاهرات ضد السلطة الرجعية والمنظومة العسكرية التي تعاقبت على البلاد. وبحكم هيكلية الحركة العمالية في المحافظة وتوزع بين عشائر وقبائل المحافظة واختيار أفضل شبابها الطليعيين كان هذا الواقع سياجا ساهم في دعم وحماية نضال البعثيين عندما كانوا يواجهون تعنت وصلف الرجعية والعشائرية في المدينة، باعتبار أن الشريحة المثقفة من البعثيين والتي كانت تساهم في النضال السلبي، تتركز في معظمها في ريف المحافظة وليس بها مواقع حماية في المدينة، إلا من بعض التقدميين ومن الحركة العمالية.

وبحكم علاقة الحركة العمالية الوطيدة مع الأحزاب التقدمية، فقد فتحت أبوابها على مصراعيها لاستقبال مناضلين من هذه الأحزاب. وقد انتسب إلى هذه الحركة عمال بعثيون وشيوعيون منهم على سبيل المثال: علي الأسود وشحادة ملية وأحمد حريري ومصطفى الحاج علي ومن الشيوعيين أحمد الميمة المحاميد.

وأصبحت الحركة العمالية في محافظة حوران في طليعة الحركة العمالية بالقطر بفضل تجربتها الرائدة وتنظيمها الواعي والدقيق وانتشارها الواسع وبفضل قيادتها الغيورة على مصالحها والمتفانية في خدمتها، حيث أصبحت قيادة هذه الحركة ذات موقع قوي يحسب لها ألف حساب ويخشى من مواجهتها، حيث أصبحت تملك بعدا خارج إطار المحافظة حيث توضعت علاقاتها على القوى السياسية الوطنية والتقدمية ومع كافة الفئات والأحزاب السياسية.

وأصبح ممثلها الجهماني يكتب باسمه وباسم حركته العمالية في معظم الصحف السورية، موضحا الأدوار المخزية لبعض خصوم الحركة العمالية من القوى الرجعية بشكل جريء، ولكم تعرض إلى غطرستهم وملاحقتهم نتيجة هذه المواقف.

وكانت الحركة العمالية في محافظة درعا على صلة وطيدة مع النواب البعثيين والتقدميين والوطنيين في المجلس النيابي. وكانوا يساهمون مساهمة جدية في تسليط الأضواء على المتاعب في القوانين النافذة والتي تحول دون تحقيق حياة أفضل للطبقة العاملة حيث أن من خلال هذا الفهم تمت المساهمة في وضع اللمسات على إصدار قانون العمل وقانون العلاقات الزراعية وقانون تنظيم مهن نقابات العمال. وقد تميزت هذه القوانين المعدلة باحتوائها على مجموعة من المكاسب لصالح العمال وصغار الحرفيين والعمال الزراعيين.

نظرا للوزن المتزايد للحركة العمالية في محافظة حوران، فقد اختير الجهماني بصورة مستمرة وفي كل دورة انتخابية لمركز رئيسي في الاتحاد العام لنقابات عمال ومستخدمي مصالح الدولة في سوريا ولمنصب رئيس أو أمين سر الاتحاد العام لنقابات العمال في سوريا حيث انتقلت الحركة العمالية في المحافظة لتأخذ دورا أساسيا متميزا في قلب الحركة العمالية في القطر.

والتقى الجهماني، ممثل الحركة العمالية في محافظة حوران رفاقه من القادة النقابيين القدامى في إطار مجلس الاتحاد العام لنقابات العمال في سوريا، وليكون مع الوطنيين والتقدميين تيارا قويا يدعم موقف القوى الوطنية والتقدمية في المجلس النيابي وفي السلطة التنفيذية والقضايا لمزيد من المكاسب للطبقة العاملة، ونتيجة هذا الموقع في الاتحاد العام لنقابات العمال ساهم السيد الجهماني في المؤتمرات والندوات التي كانت تعقد على مستوى الوطن العربي، وخاصة اتحاد نقابات العمال العرب في القاهرة وكانت له مواقف مشهودة لجرأته المتناهية في تسليط الأضواء على الأخطاء والانحرافات القاتلة التي كانت ترتكبها بعض الأجهزة في عملية الإساءة على وحدة القطرين الشقيقين مصر وسوريا وإن كانت أقواله تسمع، لكن الامتعاض كان يظهر لاحقا عندما يعود للقطر لممارسة عمله النقابي.

لقد ساهم السيد الجهماني أكثر من مرة في المؤتمرات العمالية الدولية في البلدان الاشتراكية وبصورة خاصة الاتحاد السوفييتي الصديق وبلغاريا وألمانيا الديمقراطية وتشيكوسلوفاكيا، وكانت مساهمته فعالة ومتميزة وقد سجلت ارتياحا لدى قيادات الحركات العمالية في هذه الدول، وما زالت النشرات والمجلات والصحف تصله من تلك النقابات إلى سوريا حتى بعد وفاته. وقد ساهم من خلال الوفد العمالي المتشكل من الاتحاد العام لنقابات العمال قبل الوحدة بزيارة بريطانيا بناء على دعوة من حزب العمال البريطاني الذي كان يحكم بريطانيا في تلك الأيام. وسمع العمال في كل مكان ومن إذاعة لندن صوت النقابي الجهماني يقول في مجلس العموم البريطاني أن قضية فلسطين ومسؤولية طرد الشعب العربي الفلسطيني من أرضه يقع على عاتق الحكومة البريطانية وإحلال شذاذ لآفاق من دعاة العرقية والصهيونية بديلا عنهم، وسمعوه يقول ليس هناك من حل تفعلوه أنتم إلا أن تساهموا

بالتكفير عن أخطائكم بإنزال الدب عن المئذنة التي رفعتموه إليها، والمسؤولية الأولى والأهم تبقى مسؤوليتنا نحن الشعب العربي في تحرير الأرض والعودة.

لقد كان رفاق الجهماني مخلصين وطيبين وصادقين وظلوا أوفياء لبعضهم البعض وأكثرهم فارق الحياة قبله أو بعده، وبعضهم ما زال حيا، ويذكر منهم عبد الله الدراجي- علي المحاميد- محمود الحامد- ديب ابو خضور وكثيرون غيرهم، زمن رفاقه النقابيين القدامى صبحي الخطيب وسعيد السواس وعلي تلجيني وخالد الحكم وحسن صاصيلة وغيرهم.

توفي النقابي المرحوم ابراهيم الجهماني في 17 نيسان 1973 في مدينة درعا وعاش فقيرا ومات فقيرا، شيّعه رفاقه بعد أن قضى في خدمة الحركة العمالية ما ينيف عن الأربعين عاما.

5- مقدمة الدارس عماد الدين نعمة[305] حول لقائه مع ثلاثة نقابيين من إدلب

عند تكليفي بمهمة البحث عن بدايات التنظيم النقابي في إدلب من قبل الدكتور الباحث عبدالله حنا، المحاضر في معهد السادس عشر من تشرين الثاني للثقافة العمالية، رأيت أن أبدأ مع العمال النقابيين الذين لم يثروا على حساب الطبقة العاملة والعمال والنقابيين الذين صنعوا تاريخ نضال الطبقة العاملة (أو كانوا عاملا مهما في تاريخ نضالها)، دون أي رجاء في كسب مادي، العمال الذين ما زالوا يعملون بيدهم وعرق جبينهم دون كلل أو ملل، فمنهم من عجز صحيا ومنهم من ما زال يعيش حتى الآن على جهده اليدوي.

لقد بدأت الدراسة مع بدايات صناعة حلج القطن، فمن الصانع على دولاب الحلج اليدوي إلى صانع الدولاب نفسه (وهي واردة كصناعة دون وجود آثار تذكر للعمل النقابي)، إلى عامل نقابي عتال في المحالج الخاصة وغيرها، مستعرضا في نفس الوقت لمهنة ظهرت واندثرت قبل أن يحدث لها نقابة وهي صناعة المراكيب الحمر. وكانت الدراسة على شكل دراسة من خلال مقابلة بيني وبين المذكورين.

النقابي محمود طباع – نقابي وعامل في العتالة في محلج الغزل وما زال يعمل عتالا

العامل يحي دردورة — صانع المراكيب الحمر بالإضافة إلى أعمال أخرى. وحين تلمست أن عمل الجد كان على الحلاجات اليدوية ولم تكن لديه معلومات، جلست إلى عمه أحمد وأخذت منه بعض المعلومات رغم حالته الصحية السيئة (الاثنان عاجزان)

العامل محمد نعنوع – نجار عربي يعمل بيده حتى الآن.

---

[305] الدارس عماد الدين نعمة : عامل في شركة إدلب للغزل التابعة لنقابة عمال الغزل والنسيج بإدلب – اتحاد عمال محافظة إدلب

وقد حوّلت هذه المقابلة إلى موضوع متكامل قدر الإمكان. وسأحاول متابعة الدراسة عن بدايات العمل النقابي بإدلب قدر الإمكان.

إدلب 6 – 1988/2/8

6- عتّال من إدلب وعضو حزب البعث

مُجري اللقاء الدارس: عماد الدين نعمة

المتحدث: محمود طباع – مكان وتاريخ الولادة إدلب عام 1931 .. نقابة الصناعات الغذائية حاليا – عضو مكتب نقابة – عضو لجنة نقابية – عضو مؤتمر اتحاد عمال محافظة إدلب حاليا.

كتب الدارس:

جد المتحدث: محمد طباع – إدلب – عمله (مكاري) – يتاجر مع تركية – من ولاية حلب إلى سنجق اسكندرون – ثقافته أمي – كان له 12 ولد (مكارية)[306] ينقل تجارة من إدلب إلى لواء اسكندرون زيت وصابون – العملة السائدة مجيديات فضة وليرات الذهب العثمانية – توفي عام 1910.

والد المتحدث: محمد ديب طباع – مواليد 1890 – مهنته مبيع حلويات (ناطف – دبس – حلاوة – مشبك) حتى الحرب العالمية الأولى، ثم ذهب إلى سفر برلك مع الدولة العثمانية وبقي في السفر 3-4 سنوات، وبعد رجوعه عاد إلى نفس المهنة (حلونجي مشبك وحلاوة وغيرها). كان يعيش على دخله اليومي مع أسرة والده في منزل واحد (المنزل صغير وفيه دواب). كانت تربيته لنا يسيرة وتعامله معنا غير عسير، وهو أمي وأخوته كذلك. عمل أولاده (حذاء– سائق– المتحدث الذي سنأتي على ذكره– وأحدهم درس حتى الصف الرابع وعمل بعد أن تعلم الخياطة الرجالية).

عندما تزوج كان النقد 500 قرش فضة عن خمس ليرات ذهب في ذلك الوقت. جهاز الوالدة كان صندوق خشبي عادي– مناشف– ملحفة– رواب– طنجرة نحاس وصحون ومعالق نحاس– بابور كاز– وطباق قش (ولم يكن عندها أواني بلور). عاش الوالد في إدلب قرب جامع الأقرعي وتوفي عام 1956.

المتحدث: محمود طباع:

في البداية كنت أمياً، وفي عام 1949 كنت عضو في الفريق الرياضي ألعب مصارعة، والمسؤول عنا الرفيق وحيد قباني (صاحب مكتبة حاليا). انتسبت إلى حزب البعث العربي قبل الدمج عام 1949 وأعطونا هوياتنا

[306] من خلال كلام المتحدث يتبين أن بعض اولاد الجد لم يعملوا مكارية في النقل على الجمال، ومنهم والد المتحدث.

وأقسمونا اليمين. في نفس العام نسّبني للحزب الرفيق وحيد قباني ومسجل الهوية الرفيق عارف دريدري وحلفني اليمين الرفيق عدنان شكري دريدري بوجود الدكتور أديب أصفري. وفي بداية انتسابنا سألوا عن الأميين في الحزب وأخبرتهم بأني أمي. فنظموا لنا دورات للتعليم، حيث قام بتعليمنا في نفس شعبة الحزب الرفيق عارف دريدري وعوني رنة ورضا مارتيني. وعندما كثر عددنا أخذوا لنا غرفة في مدرسة الخنساء، وأعطونا كتبا ودفاتر وتعلمت القراءة والكتابة. (أوردتُ[307] هذه المعلومات لإظهار كيفية تعليمه ومستوى ثقافته وارتباط عمله الحزبي بالعمل النقابي).

المطالعة: قراءة المنشورات والمناشير التي يصدرها الحزب، حيث كنا نوزعها بالشارع سراً، ونطالع كتب المدرسة ونطالع كتب توجيهية عن محاربة الإقطاع، وكتب وطنية على قدر تمكننا من القراءة ومطالعة مطبوعات حزبية مختلفة.

الأحزاب الموجودة: في الخمسينات وبداية الستينات: حزب الشعب (علني) بزعامة رشدي الكيخيا – الحزب الوطني (علني) بزعامة عبد الرحمن كيالي- حزب الإخوان (علني) بزعامة الشيخ مصطفى سباعي- الحزب القومي السوري (علني) بزعامة أنطون سعادة – الحزب الشيوعي (علني) بزعامة خالد بكداش- حزب البعث (وأنا فيه) بزعامة ميشيل عفلق وصلاح البيطار وجلال السيد وشاكر الفحام (علني)- الحزب العربي الاشتراكي (علني) بزعامة أكرم الحوراني ومصطفى حمدون وخليل كلاس.

رأيي في الأحزاب هو أنها أحزاب برجوازية وكانت ضدنا (اي ضد حزب البعث). أما رأي الناس في الأحزاب، كان العمال والفلاحون والحرفيون متفاعلين مع حزب البعث ومتعاطفين معه وكلما طلب الحزب إضراب، يقوم الجميع مع الحزب وينفذون الإضراب تعاطفا معه. أما البرجوازيون، أصحاب الشركات والمعامل فكانوا يتعاطفون مع حزب الشعب والحزب الوطني، أما الشيوعيون فكانوا أقلية وحزبا ضعيفا (كانوا يخافون المشي في المظاهرة ضد حلف بغداد مثلا).

بدأت عملي قصّابا عند أخوالي، يعطوني في النهار ربع ليرة وأرعى لهم الغنم والماعز، وكنت أعمل عشرين ساعة وأرتاح أربع ساعات بدءا من عمري 9 سنوات واستمريت حتى عام 1948، حيث بدأت ممارسة مهنة العتالة: أحمل شلول القطن بالمحلج أيام الموسم وفي الصيف والربيع أعمل عتال في حلب في عتالة الحنطة والشعير. الأجور كانت على طن الحنطة والشعير 8 قروش كمجموعة مؤلفة من خمس عتالين. كنا نحمل مائة طن باليوم وناخد كل واحد ليرتين. في المحلج على الطن ناخد 1.25 وكل يوم عمل نتقاضى عشر ليرات. إلا أنه كان يمر علينا عدة ايام بدون عمل، فأصرف كل ما لدي وأبقى بدون طعام. وبقيت أعمل في العتالة حتى قرار التأميم عام 1965 حيث تحسنت أجورنا وأصبحنا نطالع باليوم عشرين ليرة سورية، حيث أن المدراء أصبحوا بعثيين وأصبحوا يشعرون بتعبنا وآلامنا. كنا نعمل من الساعة السادسة صباحاً حتى السادسة مساءً عند المتعهدين بحلب بنقل الحبوب

[310] تاء المتكلم تعود على الدارس عماد الدين.

وتفريغ سيارات وتحميلها عند أرباب العمل. عملي بالنسبة للمحلج من عام 1948– 1965 كان صاحبه عبدالرحمن غزال. كان المحلج تابع للشركة الخماسية بدمشق حيث كانوا يشحنون القطن، بعضه إلى الشركة الخماسية والباقي للتصدير. من عام 1965– 1968 بقيت في نفس المحلج حيث انتقلت من المحلج لمكتب الحبوب. استمريت من عام 1968 حتى عام 1984 بالحبوب ومن عام 1984– 1988 عتال طحين للمخابز.

بالنسبة للقطن كان رب العمل يتفق مع القبانجية ليسرقوا بالقبان من المزارع، حيث أن المزارع يبيع ويسلم القطن من أرضه مثلا الشل الذي وزنه 180 كغ يقبّنوه 165 كغ. فالسماسرة كانت تشتري من المزارع وصاحب القطن وتبيعه للمحلج ويأخذون سمسرة من البائع والمشتري. والسمسرة كانت بالاتفاق سرا بين السماسرة وأصحاب المحالج وبالنسبة للحبوب نفس الأسلوب. وكان يُباع طن الشعير بـ 100 ل.س النوع الجيد مع التسليم (يقبض المزارع قيمة محصوله قبل الموسم ويسلم عند الحصاد) وكان طن الحنطة بـ 150 – 160 ل.س مع التسليم بالخمسينات وأول الستينات، وأرباح التجارة كانت مجهولة.

الخلافات كانت دائمة بين رب العمل والعمال حيث كان يشغّلهم ست ساعات بالليل وست ساعات بالنهار من الساعة الثانية عشر ليلا حتى الثانية عشر ظهرا ويعطي العامل باليوم 2.5 ل.س. كان رب العمل عند وجود خلاف مع العامل يطرده من المعمل بواسطة الحواشي الذين حوله، حيث كان لديه من أربع إلى خمس مرتزقة يأخذون رواتب ويعملون زلم لصاحب المعمل. أما بالنسبة لعلاقة المنتجين فيما بينهم كانوا متفقين، فحين أوان حصاد القطن كانوا يتفقون مع بعضم على الأسعار مسبقا، الأسعار التي سيشترون بها كل رتبة من رتب القطن من المزارع وبالنسبة للعمال كانوا يقبلون بالأجر على مضض ويخافون مجابهة صاحب العمل خوفا من طردهم وحرصا على لقمة العيش.

بالنسبة للوضع بالحي: العلاقات بين الناس كانت جيدة والناس كانوا بسطاء، يسهرون عند بعضهم البعض، وفي الصيف يضمنوا الكروم فيتركوا المنزل ويعيشوا في الكروم حيث يتسلوا مع بعضهم أيضا. وفي الشتاء يتسامرون مع بعضهم، الفقير يعيش لوحده والغني يعيش لوحده.

مشاكل الريف: كان الريف يقسم إلى حلفين من أجل المخترة (منصب المختار)، وأغلب مشاكلهم من سيكون المختار. وهنالك مشاكل متعلقة بالعرض. ومشاكل متعلقة بالزراعة (دابة فلان رعت في أرض الآخر).

ما سمعته عن التنظيمات النقابية: فبداياتها كانت عام 1925 حيث لم يكن هناك مراسيم أو قوانين تنظيم نقابي. كان هناك شيخ كار بالنسبة للمهن عام،1935 رفعت مذكرات للمجلس النيابي لإصدار مرسوم تشريعي يسمح بتشكيل نقابات وتأسيسها للطبقة العاملة، وصدر أول مرسوم رقم 125 عام 1935 كان التنظيم مختلط (عمال وأرباب العمل). كانت الرؤساء والأعضاء من أرباب العمل وقليل من العمال. في عام 1938 تأسس الاتحاد العام لنقابات العمال في سورية، كان المستلمون أرباب العمل. عام 1948 ارتفعت مذكرات من العمال إلى المجلس

النيابي لفصل العمال عن أرباب العمل، بأن يصبح العمال تنظيما مستقلا عن أرباب العمل. وفعلا أصدر المرسوم رقم 279 عام 1948 حيث تشكلت الاتحادات المهنية. هذا المرسوم استمر من 1948 – 1959 حيث تمت الوحدة بين مصر وسورية عام 1959 وتشكل المجلس النيابي أيضا من العمال ورفعت توصيات لتحسين معيشة العمال وتقليص عدد ساعات العمل. ثم ألغي المرسوم 279 بالمرسوم 91 لعام 1959 الذي سمح بموجبه تشكيل لجان نقابية واستمر المرسوم من عهد الوحدة إلى عهد الانفصال حيث طالبت النقابات بإصدار تشريع لصالح الطبقة العاملة بعهد الانفصال وألغي مرسوم رقم 91 وأصدر المرسوم رقم 135 عام 1961، وخلال المناقشات في المجلس النيابي استبدل بالمرسوم 8 لعام 1961. في عام 1962 صدر المرسوم رقم 50 الذي حددت فيه المهن واستمر حتى الشهر الرابع عام 1964، حيث صدر المرسوم التشريعي رقم 31، وهو مرسوم جيد إلا أنه يوجد فيه بعض الثغرات، حيث أعطى الحق للقيادات العليا بتشكيل القيادات السفلى واستمر حتى عام 1968، حيث صدر المرسوم رقم 84، وهو مرسوم جيد بحق الطبقة العاملة في القطر.

بدأت عملي النقابي عام 1956 حيث قمت بالمشاركة بالهيئة العامة لتشكيل نقابة عمال الحمالين والعتالين بحلب بالصيف، وفي شهر حزيران عام 1956 كنت أعمل ثلاثة أشهر في الربيع و ثلاثة أشهر في الصيف بحلب. وفي أيلول فتحت المحالج فأنهيت علاقتي بحلب بعد أن شكلنا نقابة الحمالين والعتالين بحلب (أذكر في ذلك الوقت من المؤسسين معي محمد ديب فتان استلم رئيس والرفيق بكري عنجريني عضو و 7 أعضاء أيضا واحد من بيت الجزماتي وواحد من بيت كعكة) وجميعنا عتالين نعمل بالكراجات والمحالج. وفي ايلول عندما أنتهى الموسم بحلب دعوني لمكتب النقابة وطلبوا مني أن أنشط بإدلب وأسعى لتشكيل لجنة نقابية في كل من محلجي عبدالرحمن غزال التابع للشركة الخماسية ومحلج سعيد غزال التابع لرودلف سعادة من اللاذقية. وفعلا عندما فُتحت المعامل في أيلول عام 1956 بدأت أنشط في صفوف العمال وانتهزت فرصة مناسبة حيث أن العمال كانوا مجتمعين فيما بينهم (اجتماع عادي) وكنا نستعرض الأجور التي كنا نتقاضاها من أرباب العمل حيث أن الأجرة كانت بحلب حمولة الطن 1.25 ل.س بينما في إدلب 1.05 ل.س، وصرت أستثير سخطهم ثم عرضت عليهم محاسن التنظيم النقابي ودفاعه عن حقوق العمال. وأقنعتهم بأن خلاصنا الوحيد من استبداد رب العمل هو تشكيل لجنة نقابية لكل معمل وشرحت لهم بأن النقابة سترعى حقوقهم وتدافع عنهم وتتكلم باسمهم وتتفاوض مع أرباب العمل وتواجههم حتى يتم الوصول إلى الأجر العادل. وفعلا اقتنع معي العمال بضرورة تشكيل لجنة نقابية وفورا طلبت منهم صورتين وهوية شخصية وليرتين رسم انتساب واشتراك. وبعد استلام الثبوتيات المذكورة من العمال ذهبت إلى حلب وسلمتها إلى مكتب النقابة فأخذوها مني وقالوا لي ارجع يعد يومين لتأخذ الهويات للعمال، ولكي نحدد اجتماعا للعمال في إدلب ليتم إرسال لجنة من حلب لإدلب لحضور الانتخابات. وعندما رجعت لإدلب أعلمت العمال حيث اتفقنا مع بعضنا وحددنا يوم ومكان الاجتماع حيث حددنا الساعة السادسة مساء بدار الرفيق محمد أمين هلال محرك. وفعلا اجتمعنا وقبل حضور اللجنة من حلب اجتمع معنا الرفيق عبد الكريم خربطلي وشرح عن أهداف الحزب ودور العمل النقابي في المجتمع ضد البرجوازية، وكان شرحا مطولا، وحين انتهائه من

الحديث طلب من العمال أن يرشحوا أنفسهم ورشح خمس عمال من الموجودين، وبالتراضي فيما بيننا نحن العمال تم انتخاب اللجنة برئاسة محمود طباع رئيسا، وعضوية كل من الأخوة عبدالرزاق عزالدين (رئيس اتحاد عمال محافظة إدلب حاليا) وأمين هلال محرك ومحمد قداح وواحد نسيته، وهذا كان انتخاب أولي حيث عندما حضرت اللجنة من حلب عملنا اجتماعا آخر في منزلي مقابل شعبة حزب البعث الاشتراكي آنذاك، وجاء مع اللجنة رفاقنا البعثيون فرع حلب (الرفاق عبدالفتاح زلط – أديب النحوي) وقد هنؤونا بفوزنا ووزعوا الوظائف فيما بيننا بالتراضي فصرت أنا رئيس وعبدالرزاق عزالدين أمين سر والباقي أعضاء. صرنا ناخد الاشتراكات إلى حلب لمكتب النقابة الذي يقوم بدوره بالتفاوض مع أرباب العمل في إدلب وهكذا أصبحت لجنتنا نواة العمل النقابي في المحافظة. وبتاريخ 1964/5/20 سميت نقابتنا "نقابة عمال المنشآت التجارية والصناعية" في إدلب، حيث صارت عندنا الانتخابات، ونجحت أنا رئيس مكتب نقابة، وانفصلت عن حلب، حيث جلبنا من حلب المطبوعات التي يحتاجها مكتب النقابة كإيصالات الاشتراكات ودفاتر محاضر الجلسات واستمرت حتى عام 1968 بهذا الاسم ثم أصبح اسمها "نقابة عمال المصارف والتجارة والتأمين" حيث صرت عضو في المكتب، حيث تفرغ الرفيق عبدالقادر رنة كرئيس للمكتب بحلب باعتباره موظف يتقاضى راتبا من دائرته، أما أنا فتابع للقطاع الخاص، ولم تكن للنقابة امكانيات لدفع راتب التفريغ. عام 1978 انتقلت إلى نقابة عمال الصناعات الغذائية لكوني عامل عتّال في مكتب الحبوب حسب قرار الاتحاد العام وجدول تحديد المهن، واستلمت عضو مكتب وعضو لجنة من عام 1978 حتى تاريخه.

في فترة التأسيس عام 1956 كانت الاجتماعات سرية حيث كان لا يسمح بإجراء الاجتماع إلا بوجود مندوب من الأمن حيث نتهرب من الاجتماع بالنقابة ونذهب إلى الاجتماع في محلات سرية حتى ثورة الثامن من آذار 1963.

أما عن الواردات والنفقات والاشتراكات كانت كل شهر ليرة سورية واحدة للعامل. وللمصاريف كان في حلب مفرغا واحدا باعتبار دخل النقابة بحلب جيد. أما في إدلب فلم نستطع تفريغ أحد بسبب ضعف الواردات، والمصاريف كانت عبارة عن قيمة مطبوعات وآجار مقر ومياه وكهرباء. أما أذون السفر والمهمات ونفقاتها كانت على نفقاتنا الخاصة.

أما عن دور النقابة، فنحن عندما ذهبنا للعمل النقابي كنا نعرف أننا سنجابه الصعاب ونتحمل الإهانات ونواجه أرباب العمل ونتعرض للطرد ونتعرض لمواجهة الحكومة. فقد اعتقلت مرتان، مرة بسبب العمل الحزبي ومرة بسبب العمل النقابي. أما عن سبب اعتقالي بسبب العمل النقابي فقد طلبت في عهد الانفصال من عبد الرحمن غزال (صاحب المحلج) أن يخصص أجور أو مكافأة للعمال الذين يسحبون لخدمة العلم فرفض، فجابهته عدة مرات مما أدى إلى اعتقالي وبقيت في الشعبة السياسية ليلتين في حلب وقد عذبوني بشدة وهددوني وأذلوني بمختلف الأساليب الوحشية وقد ساعدني كمال حمادة بإخلاء سبيلي آنذاك وأخلوا سبيلي.

وبالنسبة للتفاعل مع العمل النقابي كنت أنا والرفيق عبد الرزاق عز الدين نتلقى الأوامر من حلب وننفذها بحذافيرها وبشكل سري، حيث كان عملنا ميدانيا بين صفوف العمال. كنت أنا أعمل في قسم العتالة، وعبد الرزاق عز الدين بقسم الحلج، وأمين هلال محرك بقسم الشودير (البخار)، ومحمد قداح كان بقسم الصيانة للحلاجات، وكنا نتعاون في العمل النقابي ونلتقي مع بعض يوميا وبشكل سري. وبالنسبة لرفاقي في العمل النقابي بشكل عام النقابيون أغلبهم جيدون إلا أن رب العمل أصبح يتسلل إلى أصحاب النفوس الضعيفة ويسّخرهم لصالحه، إلا أنهم كانوا قليلين جدا، فقد كان يقربهم إليه ويعرض عليهم مختلف أنواع المساعدات حتى لا ينشطوا ضده، فيوفر لهم عملا مريحا ويرفع لهم الأجرة. منذ قدومنا للعمل النقابي كنا نعرف بأننا سنناضل وسنتلقى الصعوبات ونجابهها وكنا على أتم الاستعداد وحتى الآن نحن جاهزون لتلقي وتنفيذ الأوامر من القيادات بحذافيرها.

أنا وبإسم رفاقي النقابيين والعمال القدامى الأحياء والأموات، نشكر الرفيق القائد حافظ الأسد لرعايته الطبقة العاملة وإعطائه المكاسب المتسارعة للطبقة العاملة منذ بداية الحركة التصحيحة المباركة. نحن معه مدى الحياة، فهو الراعي الأكبر للطبقة العاملة ونحن معه على الطريق مستمرين معه بالنضال حتى آخر قطرة من دمائنا فداءً للوطن، ولي رجاء من قيادة الاتحاد العام أن يكونوا عند حسن ظن رفاقهم وأخوتهم العمال، فالآمال كبيرة بهم ونحن معهم ولا نتخلى عنهم وعن العمل النقابي ونحن مع المسيرة من المهد وحتى اللحد، وأرجو منهم ألا ينسوا رفاقهم القدامى الذين فرشوا لهم الطرقات الوعرة المليئة بالشوك، فرشوها لهم بالورود والزهور، رفاقهم الذين عانوا وناضلوا طول فترة حياتهم بدون أي مقابل أو دونما أي طمع في مكسب مادي، وفي طليعتهم الرفيق عز الدين ناصر (أبو أديب).[308]

في محافظة إدلب لم تسبقنا أي نقابة، فلجنتنا كانت الوحيدة والسباقة وكانت نواة العمل النقابي في محافظة إدلب واستمرت حتى قيام ثورة الثامن من أذار المجيدة، حيث تم تشكيل عدة نقابات وكنت أنا عضو مكتب العمال الفرعي بالفرع، وقد تعاونا من خلال توجيهات قيادة الفرع في تأسيس الحركة النقابية في محافظة إدلب.

بالنسبة للتيارات والخلافات داخل العمل النقابي: في الخمسينات نادرا ما كان يوجد نقابيون شيوعيون والغالب بعثيون، ويوجد حياديون ويوجد مقربون من أرباب العمل وهم أقلية. لم يكن هنالك من خلاف فيما بين الأعضاء وكان حزب البعث يتابع الحركة النقابية ويقودها ويوجهها آنذاك سرا (مثلا عندما يكلف واحد منا بمهمة ويعتقل فيتوجه الحزب لجمع التبرعات ويرعى عائلته.

[308] كلام العتّال سابقا،الذي تسنّم منصبا نقابيا مريحا ومربحا، لم يكن وحيدا في كيل المديح للسلطة ومن يسير في ركابها. وكاتب هذه الأسطر حضر العديد من المؤتمرات النقابية على مختلف المستويات وكان كيل المديح للسلطة والقيادة النقابية شبيه بكلام هذا " العتّال "، الذي قادته الظروف ليصبح " نقابيا ". ولمن يريد المزيد يُرجى الرجوع إلى ما كتبته في المقدمات.

أما بالنسبة للوعي الطبقي: كان هناك الواعون والمتخلفون وكانت الأفكار متوجهة لخدمة الحزب، وكان الحزب يسيطر على الشارع وهو سيد الموقف. فكنا نوجه الأفكار لخدمة مبادئ وأهداف الحزب. كان أرباب العمل لا يقدمون أية هدايا أو عيديات إلا للحواشي أم بقية العمال فلا يقدمون لهم شيئا، إلا أن رب العمل كان يعطي عيديات أو بإسم هدية أو زكاة لمن يعرف أنه يمكن شراءه بهذه الأساليب,

كان رب العمل يحاول شق صفوف العمال بسياسة فرق تسد! وكان يستعمل لهذه الغاية الحواشي. أما بالنسبة للانتخابات فقد كانت علنية حيث يحضر مندوب عن وزارة العدل وعن الشؤون الاجتماعية والعمل، حيث كانت صلاحية النقابة بيد وزير الشؤون الاجتماعية والعمل. وكان يوجد بعض الاقليمية في الانتخابات وقد وجدت بعض الطائفية وكان الحزب يحاربها من خلال أعضائه و جهازه.

أما عن مراحل العمل النقابي: قبل الانتداب الفرنسي وخلال الانتداب كان التنظيم مختلط بين العمال وأرباب العمل وكانت السيطرة لأرباب العمل مالكي رؤوس الأموال. خلال الحكم الوطني كان العمل النقابي صعبا جدا، وقليلون الذين يستمرون فيه حيث كان لا يوجد للعمال أي ذكر أو صوت مرفوع، فالحكم للبرلمان فهو يحرك العمال كما يريد ولا يمكن لأحد أن يعترض.

خلال الوحدة كان العمل النقابي عملا نضاليا، فصراعنا مستمر. كنا نجابه أرباب العمل فلم يتغير من أسلوبنا أو من أسلوبهم، لم يفرق معنا مهد الوحدة مع ما قبل خاصة بعد انحلال الحزب حيث صرنا نجابه كل واحد حسب طاقته وحسب إمكانياته، وكان البعثيون لا يهابون شيئا ويجابهون كل شئ.

في عهد الانفصال كانت الحكومة تخشى مجابهة العمال وإضراباتهم، وكنا نجابهها ونطالب بمطالب العمال. كنت أناضل نضالين، نضال في الحزب (نضال سياسي)، ونضال في النقابة وكنت أنفذ وأوفق بين النضالين بكل عقيدة وتفاني (جميع الوثائق الموجودة لديه بعد الثامن من آذار عام 1963 ولديه وثائق كاملة عن جميع مراحل النضال لما بعد الثورة وذلك فيما يخص بالعمل النقابي).[309]

عن الوضع المادي حاليا: يسكن في بيت عادي وفرش بسيط جدا): وضعي ضعيف ماديا، فأنا معيل لثمانية وعندما أعمل بالعتالة آكل وعندما لا أعمل لا أجد لدي دخلا. والعمل حسب حالتي الصحية وحسب ما أقوى عليه. وأتمنى من رفاقي في الاتحاد العام مساعدتي إن أمكن، فليس لي موردا آخرا سوى عملي بالعتالة، والعتالة تتطلب الصحة والقوة والشباب وأنا الآن عمري 60 سنة، ولا أستطيع العتالة كالسابق. وأملي في رفاقي أن يشعروا بآلامي وشقائي ولو بأي لفتة. ورجائي أيضا من قيادة الاتحاد العام تكريم النقابيين القدامى ولو بشكل رمزي، للمناضلين الذين مروا بالعهد السلبي. أخيرا كل هذا النضال واجب من الواجبات القومية الملقاة على عاتقنا، نحن

---

[309] الجملة الأخيرة بين معترضتين هي من وضع الدارس.

الذين قلنا بأننا الشعلة المضيئة التي تحترق في سبيل إنارة الطريق للآخرين وليس لنا أي فضل مع هذا الوطن المعطاء ونحن مستمرون في النضال حتى نزولنا إلى القبر.

7- بعثي يرتقي في السلّم النقابي البيروقراطي

ناقل اللقاء: الدارس خالد سلام[310]

المتحدث: محمود الحاج أحمد المولود في حفرجه 1921 التابعة لمحافظة إدلب، ويقيم في ادلب. مكان أخذ الحديث: فرع حزب البعث العربي الاشتراكي بإدلب بتاريخ 1988/2/3. مهنة المتحدث الحالية: عضو مجلس شعب – أول نقابي في ادلب ومؤسس لنقابة عمال الدولة والبلديات. وكان رئيس الاتحاد المهني لعمال الخدمات العامة بالقطر 1964.

كتب المتحدث:

" جدي رحمه الله إمام وخطيب – فلاح اقتصر عمله بالأرض والصراع مع الإقطاعيين.

---

[310] لم يكن للدارس أي دور في اللقاء سوى نقل الورقة التي كتبها " معلمه " محمود الحاج أحمد

استهلّ الدارس خالد سلام مهمته بما يلي : و لنا كلمة في الحقيقة أنه لدينا عزم أكيد ورغبة وافرة في تقديم كل مساهمة ممكنة من أجل تدوين تاريخ الحركة العمالية في هذا القطر. هذه الحركة التي لنا فخر الانتماء إليها. ورغم ضيق الوقت وهموم الحياة قمت بسبر وتقصي مواطن ينابيع النضال النقابي في محافظة إدلب. هذه المحافظة التي اندمج تاريخها بتاريخ محافظة حلب، إذ لم يطلق عليها محافظة إلا في عام 1961 بعد أن أصدرت رئاسة مجلس الوزراء البلاغ رقم 12/ب/15/34 تاريخ 1961/4/5 حيث تقرر فيه وفق القانون رقم 468/تاريخ 1957/11/18 المتضمن إحداث محافظة في أقضية حلب الغربية (إدلب–جسرالشغور–حارم- سلقين- أريحا–عرة) تسمى محافظة إدلب مركزها مدينة إدلب موضع التنفيذ اعتبارا من بداية عام 1961 وذلك بتخصيص ميزانية خاصة لها اعتبارا من ذلك التاريخ.

لذلك كان يطلق على هذه المحافظة اسم أقضية حلب الغربية طيلة فترة ما قبل عام 1961، حيث كانت العلاقات السائدة هي العلاقات الإقطاعية.

إذ حتى عام 1958 لا يوجد فيها أي معمل أو مؤسسة أو شركة أو أي تجمع عمالي سوى معمل لحلج الأقطان يعمل في موسم القطن فقط ومالكه الحاج أحمد غزال ومحلج آخر لا يزيد عدد العمال في كليهما عن ثلاثين عامل. وقد كان نضال الفلاحين في هذه المنطقة متميزا حيث قدموا أول شهيد في القطر في النضال ضد الإقطاع وهذا الشهيد هو الفلاح محمد ديب قريع الذي سقط في سهول حارم عام 1930.

ومع ذلك التقيت برفيقين نقابيين، الأول هو أول مؤسس ورئيس نقابة عمال الدولة والبلديات بإدلب والثاني هو أول مؤسس ورئيس لنقابة حرف البناء وأول رئيس لاتحاد عمال إدلب. وهاتان النقابتان هما أول نقابتين في التنظيم النقابي يحدث في إدلب، في عهد الانفصال.

هذا ونطمح بتقديم مساهمات أكثر فائدة وفعالة مستقبلا.

شكرا والخلود لنضالنا العمالي !

وأبي أيضا كان فلاحا بنفس مهنة جدي، وجدي وأبي عاصرا عهد الإقطاع والعثمانيين بأبشع صوره. في مطلع شبابي وضعني والدي بالمدرسة الابتدائية، وكانت إدلب آنذاك تتبع لحلب. وتقدمت لفحص الشهادة الابتدائية بحلب ونجحت 1937، وعدت لقريتي لكي أعمل مع والدي وأساعده.

في بداية الأربعينات بدأت التجمعات الطبقية عندنا في إدلب ما بين الفلاحين الفقراء والإقطاعيين. وفي بداية 1945 تعيّنت في مديرية الزراعة رئيسا لقسم أملاك الدولة.

سمعنا أن هناك نقابة لعمال الدولة بحلب يرأسها الرفيق محمد خانجي أبو عبدو، فذهبت لعنده واستفسرت عن هذا التنظيم، وعدنا فشكلنا لجنة نقابية في إدلب بنهاية عام 1959. قام رفيقي النقابي خالد عصفور بإحداث نقابة حرف البناء بعد أن جلب معلومات من الرفيق علي الشوك، رئيس نقابة حرف البناء بحلب، وهاتان النقابتان هما أول نقابتين أُحدثتا بإدلب.

وفي عام 1964 تمّ إحداث اتحاد مهني لعمال الخدمات العامة بالقطر وكنت أنا رئيسه. كما أحدثت أتحاد عمال محافظة إدلب حيث أخذت قطعة ارض وشيدنا عليها اتحاد عمال محافظة إدلب الحالي.

والنقابات الموجودة آنذاك كانت:

نقابة عمال الدولة ويتبع لها كل عمال ومستخدمي دوائر الدولة بإدلب مثل كهرباء إلخ...

نقابة حرف البناء

نقابة عمال النجارين

نقابة عمال الأفران

جميع هذه النقابات أحدثت وفق المرسوم 1963/31

أما في إدلب لم تستطع التنظيمات العادية آنذاك من دخول تنظيمنا النقابي، لأن كل قادة ومؤسسي هذا التنظيم بإدلب هم رفاق بعثيون.

كما أنه لم يكن للمشاعر العائلية والقبلية وغيرها أي دور في العمل النقابي آنذاك. وفي بداية شبابي سمعت بجريدة الحوادث والرأي العام في كل من حلب ودمشق،وبمجلة الرابطة الإسلامية التي تصدر في دير الزور، إضافة لقصص أبو زيد الهلالي.

بعد ثورة آذار (1963) وتقديرا من الثورة لنضالي الحزبي والنقابي في المراحل السلبية كُلفت بعدة مهام نقابية وسياسية. وحاليا جُدد انتخابي لدورتين متتاليتين عضوا في مجلس الشعب.

والخلود لنضالنا العمالي !

عضو مجلس الشعب– محمود الحاج أحمد (أبو شاهر)[311]

8- نموذج لعامل ارتقى إلى نقابي مسؤول في عهد البعث – إدلب

ناقل اللقاء: خالد سلام

المتحدث: خالد بن محمد عصفورالمولود في إدلب 1933

مكان أخذ الحديث وزمانه: مكتب الرفيق خالد عصفور باتحاد عمال محافظة ادلب بتاريخ 1988/5/4. مهنته: عضو مكتب تنفيذي (أمين الشؤون التنظيمية – نائب رئيس اتحاد عمال إدلب). أول مؤسس ورئيس نقابة حرف البناء بإدلب.

كتب عصفور:[312]

جدي ووالدي وأنا وكل عائلتنا يعملون بمهنة البناء وعانينا الأمرين من ظلم أرباب العمل.

جدي كان يعمل من مطلع الشمس حتى غيابها بنصف مجيدي، وكان هناك أناس يجلبون الحجارة على ظهور الدواب من الجبل بأجر بخس جدا. عندما نعمل نأكل وعندما نتعطل نستدين من الآخرين. كنا أميين لا نعرف القراءة والكتابة لعدم وجود المدار س.

والدي يعمل في مهنة الحجارة، وتأتي المواد الأولية عن طريق عمال قطّاعي الأحجار في الجبل وتورد على الدواب. كنا نشتري الأحجار حسب تسميتها ونوعها:

اللبن الصغير، سعر الواحدة 10 قروش

السلب للتنحيت، سعر الواحدة 50 قرش

القطران، سعر الواحدة 75 قرش

حجر التختيم والزوايا وغيرها من أسماء أخرى كالقلاب بين تختيم النوافذ.

---

[311] أبو شاهر هذا نموذج للقيادة البيوقراطية النقابية، وهي كما كتبنا في المقدمات ذيل وخدم للبورجوازية البيروقراطية والطفيلية وإحدى أذرع الدولة الأمنية.

[312] لم يكن الدارس خالد سلام سوى ساعي بريد لنقل ما كتبه خالد عصفور من القيادة النقابية في إدلب في ثمانينيات القرن العشرين

نعمل من طلعة الشمس حتى غيابها بأجر 3 ليرات عند متعهد، علما بأننا ننتج خمسة أضعاف ما نأخذه من الأجرة اليومية. نعمل تحت المراقبة الشديدة من رب العمل. وعند تقصير أي عامل ولأتفه سبب يُفصل هذا العامل ولا يجد من يشغّله من أرباب العمل الآخرين، فإذا ما طرد عامل لا يشغله أي رب عمل آخر وذلك لإحكام السيطرة على العمال.

كان عامل الزرتيا يأخذ باليوم ليرة سورية واحدة – ومناول الأحجار التي يحملها على ظهره ويصعد السلم ليناولها للبناء بثلاثة أرباع الليرة، أما البنّاء يأخذ باليوم أجرا قدره 3 ليرات سورية. عامل جبل الطين (تراب وكلس) يعمل طيلة النهار اي 12 ساعة بمبلغ 120 ق.س.

العُطَل على حساب العامل عندما يعطّل سواء كان لقلة المواد أو من الطبيعة، فهي على حسابه. وعندما يُصاب العامل فلا يكترث به أحد ويعالج نفسه بنفسه.

وإذا احتاج رب العمل أن ينقل الحجارة من مكان إلى آخر قريب /50– 100/ متر فننقلها على ظهرنا. وعندما يعطّل العامل على حسابه، يأخذه رب العمل ليشغله في حقله أو يحفر له بئرا أو أي عمل آخر بدون أجر ويسميها رب العمل (مساعدة). ويستمر بتشغيله ولو استمرت هذه العطلة عشرين يوما حيث يعتبرعبد، وهو مجبر ليذهب معه إلى المساعدة شاء أم أبى. { لا نعلم ماهي الحدود الفاصلة بين الحقيقة، وما وصفه المتحدث، الذي كما ارى يبالغ فيما يقوله}

كانت أرباح رب العمل طائلة حيث يحصل على ربح يقدر بعشرة أضعاف أجور العمال الذين عنده، وفي مدة لا تتجاوز العامين نجد أن رب العمل أصبح رأسماليا كبيرا.

إذا أراد العامل أن يستريح لسبب صحي وكان غياب هذا العامل بحسب دوره في الورشة تتأثر به إنتاجية الورشة يجلبه رب العمل من بيته مرغما للعمل.

كنا نقطن في حي شعبي قديم بناؤه من الحجر والطين. في الصيف يهر من سقف البيت التراب والنمل، وفي الشتاء يزرب السقف من الماء فوق الأطفال وحصيرة القش. كان أهالي الحي يسهرون مع بعض، نستمع لقصص بني هلال وأحيانا يغنون ويلعبون.

كنا نفتقر للماء والكهرباء، فيُجلب الماء على رؤوس النسوة أو على الدواب من آبار خارج المدينة، كما يحضّرون (الجباب) لجمع مياه الشتاء ولغسيل الأواني.

وفي الأسبوع كان بازاران

الأول بازار (الحافر) الدواب ويتعهد البازار شخص يأخذ على كل رأس يباع فيه ليرتين أو ثلاثة، ويتم هذا البازار في كل يوم ثلاثاء من كل أسبوع.

الثاني بازار السلع والحاجيات وكان يتم يوم الأربعاء من كل أسبوع فيأتي أهل الريف ومعهم اللبن والجبن ويبيعونه باسعار زهيدة، ويشترون مختلف الحاجات من مأكل وملبس.

هذه هي الأحوال الأوضاع المعيشية التي كانت سائدة ما قبل الوحدة 1958 في مدينة إدلب. لقد كان يوجد في مدينتنا إدلب لكل مهنة شيخ الكار لها ويكون عميلا للإقطاع ويتصرف بمعرفتهم وإرشاداتهم من أجل الحصول على الإنتاج بسعر رخيص ويبيعه من قبل الإقطاع والرأسماليين بأعلى الأسعار كي لا يتمكن الحرفي من تطوير حياته، ليبقى بحاجة ماسة لشيخ الكار وأعوانه. وإذا خالف الحرفي رأي شيخ الكار بأمر ما (لأنه الآمر والناهي) كانت تهضم حقوقه وتهمل شكاويه.

ولكوني كنت طالبا في المدرسة وبعد حصولي على الشهادة الابتدائية، لم أتمكن من متابعة الدراسة لفقر والدي لذلك علمني مهنة النحت. ونظرا لما عانيته من رب العمل، سمعت أن في حلب تنظيم نقابي للعمال فابتهجنا بهذا النبأ فذهبت إلى حلب وقابلت الحاج علي الشوك، رئيس نقابة عمال البناء بحلب آنذاك. واطّلعت على نظام النقابة ومهامها وأهدافها، فأُعجبت بهذا التنظيم، الذي وُجِد لإنصاف العمال. فأسرعت إلى مدينتي واجتمعت بعدد كبير من عمال مهنة البناء وأطلعتهم على ما جلبت معي من حلب ففرحوا كثيرا، وكان ذلك هو أول يوم تدخل فيه التعاليم النقابية لمدينة إدلب. كان يومها في إدلب (شعبة شؤون اجتماعية وعمل) يرأسها الأستاذ عبد الكريم الجاسم، فساعد كثيرا لما لمس مني من تحمس واندفاع لقضايا العمال.

في أواخر عام 1962 أحدثت نقابة حيث استأجرنا دار وحيد الشيخ فتوح بمبلغ 25 ل.س شهريا، واشترينا حصير من القش وفرشناه في هذه الدار للجلوس عليها للإجتماعات التي نعقدها شبه يوميا من فرحتنا بهذا التنظيم النقابي الجديد وكانت اجتماعاتنا شبه سرية. وكان مكتب النقابة يومها مؤلف من 7 أعضاء هم:

خالد عصفور، رئيسا للنقابة

عبد الرحمن حمصي، نائبا لرئيس النقابة

مصطفى غرير، أمين تنظيم

محمد عبد الرؤوف عصفور، أمين سر

عثمان حمصي، أمين اقتصاد

عمرو حنين، امين صندوق

أحمد غرير، أمين خدمات

وبعد حوالي سبعة أشهر وَعِيَتْ بقية المهن فتعلموا منا كيفية إحداث نقابة وأحدثوا نقابات مماثلة وهي:

نقابة العتالة ورئيسها محمود طباع

نقابة عمال الغزل رئيسها أحمد ربوع

نقابة عمال الأفران رئيسها يوسف مرعياتي

في عام 1964 أحدث اتحاد عمال محافظة إدلب وانتخب الرفيق خالد عصفور رئيسا لهذا الاتحاد. لا يوجد مؤسسات أو شركات ومعامل في محافظة إدلب سوى محلج أقطان للحاج أحمد غزال، ومعمل سعادة لحلج الأقطان، وكان مجموع العمال في كلا المعملين لا يتجاوز ثلاثين عاملا في موسم القطن فقط.

وكان هناك ثلاث قرى في منطقة جسر الشغور هي القنية – اليعقوبية – الجديدة – وجد فيها أنوال سجاد لدى أرباب عمل ويعمل في هذه الأنوال النسوة.

ولكوننا كنا نقابيين في تلك الفترة، سمعنا عن ممارسات جشعة من قبل أرباب العمل لدى هذه الأنوال للعاملات في السجاد، فتوجهنا إلى هناك ووجدنا ما سمعناه صحيحا فرفعنا مذكرة تفصيلية بمعاناة النسوة للسيد محافظ إدلب واقترحنا في هذه المذكرة مصادرة هذه الأنوال من رب العمل وجعل ملكيتها لمن يعمل بها، وهن النسوة الكادحات. فكان حدثا نضاليا تاريخيا في تلك المنطقة، وفي تلك الاونة حيث قمنا بإحداث لجنة نقابة للعاملات تابعة لنقابة عمال الغزل والنسيج بإدلب. هذا وقد شغلت المهام القيادية الآتية في التنظيم النقابي بإدلب.

كنت أول مؤسس ورئيس لنقابة عمال حرف البناء بإدلب

كنت أول رئيس لاتحاد عمال محافظة إدلب عند إحداثه

انتخبت أمينا للسر للاتحاد المهني لعمال حرف البناء في القطر العربي السوري عام 1966

انتخبت عضوا في لجنة تسريح العمال في مديرية الشؤون الاجتماعية والعمل وعضوا في لجنة تحديد الأجورلمدينة إدلب

انتخبت عضوا في المجلس البلدي لمدة 8 سنوات

انتخبت عضوا في اللجنة التحكيمية العليا في الاتحاد العام لنقابات العمال بإدلب

كل هذا والمهام النقابية التي قمت بها وأنا عامل بناء لدى القطاع الخاص. حيث عُيّنت بعدها في بلدية إدلب عام 1968 بصفة مناظر رئيسي أول وبعدها اصبحت من قطاع عمل نقابة عمال الدولة والبلديات، حيث انتخبت رئيسا لنقابة عمال الدولة والبلديات لدورتين انتخابيتين متتاليتين.

كما انتخبت عضوا في المكتب التنفيذي لاتحاد عمال محافظة إدلب وما زالت حتى الآن أشغل مهمة عضو مكتب تنفيذي وأمين الشؤون التنظيمية ونائب رئيس اتحاد عمال إدلب.

حقا أنه منذ وعيت نفسي عشقت العمل النقابي والنضال من أجل قضايا أخوتي العمال، وأن هذا النضال ممزوجا بدمي وعروقي وأنا مصر على متابعة النضال النقابي حتى آخر قطرة من دمي وتحقيق أهداف الطبقة العاملة وجماهير الأمة في الوحدة والحرية والاشتراكية.

إدلب في 1988/2/7

النقابي خالد بن محمد عصفور، نائب رئيس اتحاد عمال إدلب

9- من عامل مطعم في حلب إلى " قيادي نقابي " في القمة – مطلع حكم البعث والعودة إلى " البطالة المأجورة "

مُجري اللقاء الدارس: عمر جيني

المتحدث: محمد خليل جاويش من مواليد: صوران اعزاز – 1932

مكان وتاريخ أخذ الحديث: بلدية حلب – الاثنين في 27 آذار 1989

كتب جيني نقلا عن جاويش:

النقابة التي انتسب إليها: نقابة عمال الجزارين (عام 1956-1957) و نقابة عمال المواد الغذائية (1958-1959) ونقابة عمال الدولة والبلديات (1963). وتدرجت من رئيس نقابة إلى رئيس اتحاد عمال حلب (عام 1963-1967). وفي عام 1967 نُقلت بدورة انتخابية إلى أمين سر الإتحاد العام لنقابات العمال في سوريا. ثم استلمت بعدها أمين العلاقات الخارجية في الاتحاد العام عضو مكتب تنفيذي، ثم أمين مالي بالاتحاد حتى عام 1970. انتُخبت في مؤتمر الاتحاد الدولي للعمال العرب أمينا عاما مساعدا للاتحاد وبقيت في القاهرة مفرغا لمدة ستة شهور، وحضرت مؤتمر الاتحاد الدولي للعمال العرب الذي عقد في بودابست المجر عام 1968-1969.

عمل الجد ومهنته وما سمعه النقابي عن جده وأقرانه مما له علاقة بالأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية أيام الجد، أي في أواخر القرن التاسع عشر و مستهل القرن العشرين: جدي كان فلاحا بالقرية ويملك قطعة أرض

صغيرة لا تكفيه وكان عاملا زراعيا يعمل بالأجرة. وكان العمل يأخذ شبه اكتفاء ذاتي للحصول على الطعام والشراب البسيط والذي كان لا يتعدى الخبز والبرغل والعدس وبعض الحاجيات البسيطة. إن جدي وأقرانه يعملون كأجراء في الفلاحة على الفدان والحصاد بالمنجل والرجاد ويعني جمع الحصاد ونقله إلى بيادر القرية على الدواب بسلم يسمى الشاحر أو العربات الخشبية التي كانت تجرها الخيول، ثم كانت الناس تعيش على كفاف يدها. وكانت العلاقة الاجتماعية علاقة إقطاعية. كان الإقطاعي وأزلامه ووكلاؤه يعيشون والناس الآخرين يعيشون عيشة الأموات، لا بين الحياة ولا بين الموت. بالنسبة للحياة الاقتصادية كان لا يوجد ناس يملكون سوى القلة وعندهم ليرات ذهب ، والأكثرية لا يملكون سوى جهدهم بالعمل. وكان بعضهم يتبع طريق التشليح والبلص والسرقة. لا توجد مدارس ولا يوجد علم ولا يوجد طريق عام يربط المدينة بالبلد ولا كهرباء ولا فكر، سوى بعض الكتاتيب لتعليم القرآن الكريم، والحساب كان عبارة عن تعلّم جدول الضرب والتقسيم والجمع والطرح، وكان الجهل يخيم على البلد. وكانت تربية الأولاد تقوم على الرسميات بين الأب والابن. وكان الإبن يُربى على الولاء للعائلة المنتمي إليها ضد العائلة الثانية الخصم بالقرية. وكانت مهنة الولد مثل أبيه، يُعَلّمه الأب الفلاحة والزراعة والحصاد ووضع اللبن الطيني لعمارة المنازل للسكن.

وعمل الوالد كان نفس عمل الجد والظروف ما زالت كما هي

كنت أقرأ الكتب النقابية وكل شيء يتعلق بالحركة النقابية. أما الجرائد والمجلات التي سمعت بها في مطلع شبابي هي: جرائد الاتحاد العالمي – مجلة الاتحاد الدولي للعمال العرب – جريدة الإشتراكي جريدة النذير – جريدة برق الشمال.

الأحزاب السياسية التي عشتها منذ بداية الحركة النقابية وحتى الآن: في عام 1954 انتظمت في صفوف حزب البعث العربي الاشتراكي. كان موجودا في الساحة في مدينة حلب كل من حزب الشعب – الحزب الوطني – حزب الاخوان المسلمين – الحزب الشيوعي السوري. وفي رأيي أن حزب الشعب والكتلة الوطنية والاخوان المسلمين مع الإقطاع ورأس المال والبرجوازيين والتجار الكبار وهم تبع للأجانب مع الاستعمار الفرنسي والانكليزي. أما الحزب الشيوعي السوري كنا مختلفين معه لأنه كان أمميا يكره ويعادي القومية العربية والوحدة العربية. ثم كان الشعب يكره الحزب الشيوعي السوري آنذاك لنظرته إلى الدين الإسلامي ولكفره به، ولعدم إيمان الحزب الشيوعي بالأديان السماوية. والوضع الثقافي لم يكن يسمح لهذا الحزب بالتوسع والانتشار. وحزب البعث ظهر بين صفوف المثقفين ثم بين الطلاب وانتشر بين العمال والفلاحين وأصبح له رصيد شعبي كبير وخاصة بعد تأسيسه وتبنيه الفكر القومي الاشتراكي العربي النابع من أصالة الأمة العربية بقالب علمي ثوري تقدمي.

وأجاب حول المهن التي تعلمها: تدرجت في عدة مهن بعد نزولي من قرية سوران إلى حلب، لأنني لم أتعلم شيئا سوى الفلاحة والزراعة والرعي. فتّشت بحلب عن عمل فلم أجد سوى وظيفة عامل عادي في مطعم، ثم عامل عادي في صب بيتون، ثم تعينت بعدها في بلدية حلب مراقب ورشة، ولم أستطع تعلم أي مهنة، ولم يعلّمني

أحد مهنة. وكان أصحاب المهن يعلمون أولادهم وأقرباءهم. ولم يوجد وقتها أمامي غير العمل الخدمي، أي العمل الذي لا يقدم عليه أحد إلا الجوعان أو الإنسان المعوز الذي لا يوجد عنده شيء، فيضطر للعمل بأي شيء ليسد رمقه ويعيش.

حول الوضع في الحي أو الحارة أو القرية التي قطنها، ووضع السكان وحياتهم وعلاقاتهم مع بعض، أجاب: كان الوضع بمدينة حلب وكل أحيائها الشعبية يتعلق بالوضع العشائري، حيث كان يوجد زعماء أحياء مثل جبرة قطوش في الجابرية، يتزعم الطائفة المسيحية وكلمته لا تصير كلمتين في فترة حكم فرنسا وحتى عام 1954. وكان هذا الرجل يتبع لفرنسا وكان يفرض ما يريد في المنطقة، والعلاقة مشابهة في الأحياء الإسلامية، ففي حي الكلاسة الشعبي عام 1950 كان بكور جاموس زعيما بهذا الحي وكان من أتباع الكتلة الوطنية وحزب الشعب. وفيصل خلوف في حي قاضي عسكر – وأبو سعيد بري في باب النيرب، إضافة إلى وجود عشائر لا أعرف زعماءها أمثال عشيرة السخانة – البكارة – والعساسفة. وكانت الأحزاب المذكورة تدعم هذه الشخصيات لتفعل ما تريد وكانت علاقة الناس ببعضهم غالب ومغلوب، ظالم ومظلوم، غني غناء فاحش وفقير لا يوجد عنده شيء. والسلطة التامة تكاد تكون بيد هؤلاء الناس.

حول معرفته عن الريف ومشكلاته قبل 1958 وكيف كانت العلاقة بين الريف والمدينة، أجاب: كان الريف متخلفا متأخرا عن المدينة بسبب وجود الإقطاعيين المسؤولين عن الريف والأراضي. وفي منطقة سوران كان شخص تركي الأصل اسمه محمود أفندي، يسيطر على معظم الأراضي. وكان العمل بدائيا يعتمد الأساليب القديمة في الزراعة ولا توجد مدارس ولا طرقات عامة ولا كهرباء ولا سيارات، مما أدى إلى تأخر الريف، مما جعل أهل المدينة يحتقرون الفلاح في شكله ولباسه وعاداته وحياته وثقافته. وكان كل شيء سيء يوصمون به الفلاح. وكان الفلاح إذا دخل سوقا بالمدينة ونظر إلى شيء أو ساومه ليشتريه أجبره أهل السوق على شرائه بالسعر الذي يريدون، وإذا دخل سوق خضرة ليشتري شيئا أشبعوه ضربا بالبندورة المهترئة أو يحاولون ضرب الحطة والعقال الذي يرتديه. هذه صور من العلاقة بين الريف والمدينة.

في مطلع شبابي عملت كأجير وصانع ثم معلم في مطعم.

بعد انتسابي لحزب البعث الاشتراكي عام 1955 أُلزمت على الدخول بالنقابة. كانت الاجتماعات بمكتب النقابة للقيادة النقابية فقط لتداول الأمور النقابية واللقاء مع العمال حين البدء بتنفيذ إضرابات ضد أصحاب المعامل، أو إجراء انتخابات أو المطالبة ببعض الحقوق المهضومة للعمال.

اشتراكات النقابة: إن أجرة مكتب النقابة – ثمن القرطاسية بعض المراسلات كانت تدفع من الاشتراكات، بالاشتراك مع النقابات الأخرى لتوفير الرصيد المالي. كما كُنّا نأخذ 25 ق.س من كل عامل منتسب شهريا كي تدخل في صندوق المساعدات الاجتماعية ونصرف منها قيمة بعض الأدوية للعمال المحتاجين صحيا. كانت

النقابة ونحن جزء منها نقف ضد أرباب العمل مع العمال في كل المواقف. وكان من بيننا النقابيون القلة يتأثرون بأرباب العمل ويقفون ضد مصالح العمال. وكان عدد المنتسبين من أصل 1000 عامل 200 عاملا وكان عدد أعضاء مكتب النقابة سبعة، أذكر منهم

الأخ النقابي محمد مير حاليا جزار في حي المشارقة

الأخ النقابي عمر قبلاوي حاليا عضو مجلس مدينة حلب، من الاشتراكيين العرب. يعمل جزار

يحي السريان بحلب – يقطن في كوم الجبل

زكريا قاووق، متوفي

محمد الصالح، لا اعرف عنه شيئا منذ ترك العمل النقابي.

النقابات الأخرى الموجودة: نقابة عمال النسيج- الغزل- نقابة المحركات الانفجارية- نقابة المخابز- نقابة عمال الخياطة – نقابة عمال الأخوان – نقابة عمال الطباعة- نقابة عمال الكهرباء- نقابة عمال السكك الحديدية- نقابة عمال النقل البري. معظم هذه النقابات ممثلة بقيادتها. كان جزء منها يقف مع الحزب [313] بكل مواقفه، والأكثرية كانت تقف مع حزب الشعب وحزب الكتلة الوطنية[314] والبعض الآخر مع الحزب الشيوعي السوري. وكانت مهمة النقابيين البعثيين أولا تبعيث النقابات والطبقة العاملة والمهمة الثانية نطالب ونؤيد المطاليب الكبيرة لصالح العمال لتعجيز البرجوازية الرجعية وأرباب العمل لإسقاطهم واستلام السلطة من قبل الحزب. اتحاد عمال المحافظة كان بعثيا وكان رئيسه الرفيق علي تلجيني ونشاطه قوي في الخمسينات لصالح الطبقة العاملة، ويستطيع تحريكها وقيادتها بشكل قوي. الاتحاد العام الموجود بدمشق، شارع خالد بن الوليد، وكان رئيسه طلعت تغلبي، وهو دمشقي، ناصري، وهو لاجئ سياسي في القاهرة.[315]

أقطن في حي الكواكبي في منزل طابق ارضي تحت الأرض بعشرين درجة، وإذا لم تصدقوا فأهلا بكم في بيتي. أعيل اسرة تعدادها 13 ولد[316] وأمهم والراتب الحالي 2000 ل.س بعد خدمة ثلاثين سنة وأعمل حاليا ببلدية حلب كأمين فرفة مفرّغ[317]ومعي وسام أسرة درجة أولى – أكبر الأولاد مواليد 1956 وأصغرهم 8 سنوات.

---

[313] في فترة هيمنة النظام الشمولي المتخذ من البعث ستارا كانت كلمة الحزب مجردة تعني حزب البعث الحاكم شكلا. والسلطة الفعلية في يد الأجهزة الأمنية.

[314] الواقع هو الحزب الوطني وريث الكتلة الوطنية التي تلاشت في منتصف الأربعينيات

يبدو واضحا جهل هذا النقابي، الذي اوصلته مصادفة الحراك الإجتماي وحاجة الحكم العسكري إلى واجهة نقابية غير خطرة إلى مركز نقابي مرموق، وهو يخلط " عباس بدرباس. واضطررت آسفا لحذف مقاطع من إجاباته غير الصحية وليست ذاات مختوى [315]

[316]ما انجزه هذا النقابي الذي أوصله " القدر " إلى منصب رفيع هو " تفريخ " الأولاد وكثرتهم أحد أسباب التحلف والأزمات، التي حلّت بالبلد

رأيي في العمل النقابي أن يكون صاحبه متفائلا يطرد اليأس والملل والكسل وأحب أن تكون مراكز العمل النقابي وقياداته كخلية نحل، الكل يعمل دون هوادة ويجب أن يكون العمل طبقيا مرتبطا بالعمال، وعلينا جميعا أن نحب بعضنا لأننا نريد القفز والتقدم للأمام والنهوض بالعمال نحو الأفضل ونحو شاطئ الرفاهية والخير وبناء مجتمع التقدم والاشتراكية، مجتمع لا يوجد فيه استغلال ولا اضطهاد. ولهؤلاء الكادحين الذين تعبوا وقدموا ويقدمون بدون حدود– وأؤكد على وجود العناصر الشابة الفتية ودعمها بالمتابعة شريطة أن لا تهمل الحركة النقابية القادة النقابيين السابقين، والاستفادة من خبرتهم والرجوع إليهم عند كل مناسبة وتكريمهم...

أحب وأُسر عندما أرى العمال الآن ممثلون بدءا من اللجنة النقابية وانتهاء بالقيادة القطرية ومجلس التخطيط الأعلى ومجلس الشعب والجبهة الوطنية التقدمية، وإلى الأمام ايها المكافحون !

10- العمل النقابي في مهنتَيْ النسيج اليدوي والنسيج الآلي - حلب

مُجري اللقاء الدارس: زهير شومان

المتحدث: نديم بن بشير توتونجي، من مواليد حلب 1923، ومكان أخذ الحديث في منزله يوم الأحد **.**1989/1/29

كتب الدارس:

كان يعمل المذكور في مهنة النسيج اليدوي منذ عام 1936 وحتى عام 1947، حيث انتقل إلى مهنة النسيج الآلي التي تتبع إلى نقابة النسيج اليدوي وكان يترأسها المتوفي عبد الرحمن جبولية.

أما جده فكان يعمل بائع ملبوسات وأقمشة مقصّبة فلاحية في سوق الجاج.

أما والده فكان يعمل بصفة عامل مطحنة، يذهب صباحا ولا يعود حتى المساء، ولا يوجد تحديد لساعات العمل إلا عندما يصرفه المعلم، وأقل دوام كان في حينه 12 ساعة تقريبا، ولا يوجد فترات راحة ولا عطل أسبوعية ولا استراحات مرضية ولا عطل رسمية، باستثناء عيد الفطر وعيد الأضحى. وكان والده فقيرا لا يملك سوى أجره اليومي، ولا حتى سكنا يأوي فيه، وكانت تربيته لولده الوحيد الذي هو النقابي المذكور تهدف إلى تعليمه منذ الصغر وهو في الرابعة من عمره، وكان يعمل على إرساله إلى (الخوجة) للتعليم.

[317] أي مفرّغ للعمل الحزبي، حزب البعث الحاكم، وهو عمليا لا يعمل شيئ في البلدية ويتقاضى هذا الراتب لإعالة هذا " " الجيش "، الذي انجبه...

ومن ناحية الكتب التي كان يرغب بقراءتها فهي من نوع الكتب الخيالية مثال الزير سالم – عنتر بن شداد – حمزة البهلوان – سيف بي زيزن – ألف ليلة وليلة –كركوظ عواظ -. وكان يرتاد المقهى للاستماع للحكواتي الذي كان له الفضل بالتأثير به لقراءة مثل هذه الكتب. وقد درس حتى حصل على الابتدائية في عام 1936.

كان يقرأ جريدة الشباب التي كانت موالية للحزب الوطني وكان يشرف عليها عبد الرحمن كيالي وسعدالله جابري. وكانت سياسة الجريدة تعمل وفق إرادة وتوجيهات الحزب الوطني، كما كان يقرأ جريدة النذير الموالية لحزب الشعب وبإشراف يحي منير ورشدي كيخيا ووفق توجيهات وسياسة حزب الشعب.

أما في المرحلة الثانية من عمره فقد كان مواظبا على قراءة كتب رواية الهلال المصرية التي كانت تتحدث عن النضال الوطني والثورات الشعبية في مصر، مما أثر فيه وأشعل جذوة الحماس والنضال وخاصة بعد قيام ثورة عرابي وفشلها بسبب هجوم بريطانيا على الاسكندرية من البحر. هناك أيضا جريدة النداء التي كانت تتكلم عن النضال وتشعل الحماس في نفوس قرائها، وهي أكثر مرونة من جريدة النذير والشباب وكان خطها وطنيا أكثر من غيرها.

حزب الكتلة الوطنية هو الحزب الوحيد الذي كان في تلك المرحلة وكان يقوده الشباب الوطنيون ومنهم: سعدالله الجابري، ابراهيم هنانو، فخري البارودي، شكري القوتلي، سعدالله الجابري وعبدالرحمن كيالي. وبعد وفاة هنانو تم انشقاق الكتلة الوطنية إلى حزبين، هما حزب الشعب والحزب الوطني، وكانت كل الأحياء في مدينة حلب منساقة وراء هذين الحزبين فقط، بسبب سيطرة رؤساء الأحياء على أحيائهم كل فيما يخص الحي الذي يقطنه. وظلت الأمور على هذه الحالة حتى فترة الأربعينات وظهور حزب البعث والحزب العربي الاشتراكي. وبفضل وعي بعض الشباب الوطنيين تم كسر الطوق والخروج عن المألوف وترك الحزبين القديمين والاتجاه والتعاون مع الحزبين الجديدين. وبفضل النشاط الذي مارسه هؤلاء الشباب ووعيهم، تم خروج عدد كبير عن طاعة رؤساء أحيائهم سراً وعن التعاون مع الحزبين القديمين، لأنه لو علم كبير الحي بذلك، فإنه سيبعث إليهم ببعض الأشخاص لاغتيالهم وقتلهم سرا.

لقد كان عمله منذ بداية نزوله إلى ميدان العمل في مهنة النسيج اليدوي والآلي، وفي عام 1976 انتقل إلى وظيفة محاسب في نفس المهنة. تأمين المواد الأولية كان يقع على عاتق رب العمل فقط، وكان يعمل عنده بالأجر ويحاسب عن الوحدة التي ينتجها. ومن لا يعمل لا يتقاضى أي أجر حتى ولو كان السبب عدم قيام رب العمل بتأمين العمل له، فإنه سوف يقعد ولا يتقاضى أجره حتى يقوم رب العمل بتأمين المواد، ليقوم هو بالتالي بتصنيعها. وقد كان لرب العمل الحق وحده في تسويق الإنتاج وفي الربح وكل شيء في حين إقتصرت مهمة العامل الإنتاج فقط.

لقد كانت توجد خلافات كثيرة بين المعلّم والصانع وكان يتدخل فوراً شيخ الكار أو ريس الصنعة ويقوم بحلها. كما كانت هناك خلافات أيضا بين المعلمين تدور حول أسعار المنتجات وحول قيمة الأجر التي تعطى

للعامل المنتج. وكان هناك تنافس فيما بينهم للحيازة على الصانع المنتج الجيد. وكان في ذلك الوقت لا يستطيع الصانع الانتقال من مكان عمل إلى آخر، إلا إذا كان يحمل شهادة عامل جديد، لأن العادة أنه لن يستقبله أي رب عمل إذا لم يكن حائزا على هذه البطاقة التي تشهد بأمانته وأخلاقه وإخلاصه في العمل.

من ناحية ثانية كان يأتي رب العمل في بعض الأحيان ويرى بضاعته ومنتجاته ممزقة ومشروطة. وكان العمال يتفقون فيما بينهم على الصمت النهائي وعدم إعطاء أي تفصيل عن الموضوع وكأنهم لا يعرفون شيئا، وكثيرون من المعلمين يخافون تصرفات بعض الصناع في الإنتاج، مثال ما ذكر آنفا. وعندما كان يقع أي خلاف بين رب العمل والصانع حول الأجرة التي تخالف العادة والعرف السائد المتفق عليه في الصنعة، كان يتدخل ريس الصنعة ويقوم بحل الخلاف حسب العرف السائد.

هناك أيضا توجد طبقات لأرباب العمل، فهناك الطبقة الغنية والمتوسطة والفقيرة. ومن أرباب العمل الكبار يوجد حج سامي صائم الدهر وعبد القادر صائم الدهر. وكانت الخلافات تحصل بين أرباب العمل الكبار والوسط من نفس المهنة حول مبدأ تشغيل العمال وقيمة الأجر الذي يعطى للصانع. فقد كانت الطبقة الكبيرة لا تريد من الطبقة الأدنى أن تقوم بتشغيل العمال بغية استغلالها لنفسها فقط، وتتحكم بالأجر الذي تريد إعطاءه للعامل. وظلت الأمور على هذه الحالة حتى إقامة نقابة لأرباب العمل، التي اصبحت تحل الخلافات بين أرباب العمل. وكان الأمر الوحيد الذي اتفق عليه أرباب العمل فيما بينهم أنه في حال تسريح العامل من عمله، فيجب على أرباب العمل الآخرين عدم تشغيله حتى لا يشتد أو يقوى عوده وعندها يطالب بحقوقه، ومتى طالب بحقوقه أصبح في هذه الحالة "مشاغبا" ولن يستقبله أي رب عمل نظرا لإطلاق هذه الصفة عليه، ويخبرون بعضهم بعضا بأن هذا العامل مشاغب ويقطع رزقه في هذه الحالة.

من ناحية الحي الذي كان يسكنه النقابي فقد كانت العلاقة بين السكان علاقات جوار جيدة، وكان الجميع متقاربين إلى زعيم الحي سياسيا واجتماعيا، فهو الذي يقوم بحل خلافاتهم جميعا. وكان يساهم في تركيز زعيم الحي الأحزاب التي أشرنا إليها في السابق، لأن زعيم الحي سيبقى ضامنا للسكان في أي موقف يتضامن ويتعاون مع هذه الأحزاب وهي حزب الوطني وحزب الشعب.

أما من ناحية واقع الريف، فقد كان النقابي يسمع كثيرا عن الحالة التي تسوده والعلاقة بين الإقطاع والفلاحين الذين لا يستطيعون التفوه بأي كلمة، كما أن هناك تنسيق كامل ودائم بين الدرك والإقطاعي المدعوم دائما من قبل الحامية الفرنسية، وهذا يؤكد ارتباط مصالحه بوجود الانتداب الفرنسي، وفي هذه الحالة لا يستطيع أي فلاح التكلم مع الإقطاعي.

وابتداء من عام 1937 بدأت هجرة الريف إلى المدينة نظرا لظهور المصانع الكبيرة مثال الشركة السورية للغزل، والشهباء للإسمنت والأهلية للإسمنت أيضا، هذه الشركات التي بدأت تعتمد في تشغيل مصانعها على اليد العاملة

الريفية لأنها أرخص من اليد العاملة في المدينة. كما أن هناك شركة حج سامي صائم الدهر وشركة شبارق وأبناؤه ومعمل التبغ وشركة الكهرباء وشركة السكك الحديدة ودائرة البلدية. أصحاب هذه المؤسسات كانوا يشغلون لديهم أصحاب الواسطة الكبيرة المتنفذين والمستفيدين من قبل الفرنسيين.

بالنسبة لشيخ الكار، فكان يتمتع بسمعة جيدة ونفوذ قوي، وخاصة أثناء حلّه لبعض الخلافات كما أنه يتمتع بخبرة جيدة في مهنته.

لقد انضم النقابي نديم توتونجي إلى نقابة النسيج اليدوي في عام 1947 بسبب ظهور الوعي لديه وقناعته بأنها تنظم عمال المهنة الواحدة وتدافع عن حقوقهم. وكانت النقابة تخضع وتسير بتوجيهات الحزب الذي ينتمي إليه رئيس النقابة، أو أنها تخضع لأكثرية الأعضاء في مكتب النقابة الذين ينتمون إلى حزب واحد. وكانت تُدفع الاشتراكات شهريا دون أن تقدم النقابة أية خدمات اجتماعية للعمال. وهذه الإشتراكات كانت تُصرف على مقر النقابة وكرواتب للمتفرغين. وهؤلاء المتفرغون كان ارتباطهم في الغالب سياسيا بالأحزاب التي ينتمون إليها. وقد تألفت قيادة النقابة من الصناع اي العمال، والمثقف منهم هو الذي يُلِمّ بالقراءة والكتابة فقط. ووقفت هذه النقابة بشكل دائم بمواجهة نقابة أرباب العمل. ومن النقابيين الذين يعرفهم المتحث (التوتنجي فهم: عبد الرحمن جبولية وأحمد ماضي وعلي زيتوني من نقابة النسيج اليدوي. أما نقابة النسيج لآلي التي كان يتراسها أحمد نحاس فضمت في عضويتها عبد الرزاق قضم وجميل عيار ومصطفى بارود الذين كانوا أقطاب المهنة بالنسبة للنسيج الآلي وكانوا يلمون بالقراءة والكتابة.

وبالنسبة لباقي النقابات فقد كانت توجد في تلك المرحلة: نقابة الغزل – نقابة الحجارين – نقابة المحركات الانفجارية – نقابة النجارين – نقابة المطاحن – نقابة البلاستيك – نقابة الريجي – نقابة السكك – نقابة عمال الدولة والبلديات. وكانت نقابة الغزل من أنشط النقابات الرئيسية في النضال ضد أرباب العمل وضد الرأسمالية، وكانت تعمل على تنظيم الإضرابات والمظاهرات المطالبة بالشكل الظاهري بمطالب اقتصادية، لكنها في المضمون ذات مغزى سياسي، ومعظم هذه المظاهرات تنظم بتوجيهات من الأحزاب التي ينتمي إليها رئيس النقابة أو الأعضاء الأكثر عددا. وقد حدث ذات مرة أن استمر الإضراب عن العمل في نقابة الغزل، حتى تم إسقاط الوزارة لعدم قدرتها على حل مطالب العمال. وكان رئيس اتحاد عمال حلب العامل مصطفى جلب، وهو عامل قندرجي، وكان يعمل بتوجيهات الحزب الوطني. وقد كانت نقابة الغزل هي النقابة الوحيدة التي تمد وتقوي الاتحاد نظرا لتمتعها بضخامة عدد عمالها، وكانت تعتبر أكبر تجمع عمالي وأكثر وعيا من بقية عمال النقابات الأخرى. لقد تركز العمل النقابي قبل عهد الوحدة في المؤسسات الكبيرة كالنسيج الآلي – السورية والشهباء للغزل – شركة سامي صائم الدهر – شركة الحمامي – شركة شبارق للغزل ايضا، ونظرا لضخامة عدد عمال هذه التجمعات استمدت النقابات قوتها واستمراريتها، وبالتالي تم تقوية اتحاد عمال المحافظة أيضا. لقد ظهر تياران داخل النقابات

في عهد الوحدة، الاتحاد القومي من جهة وحزب الشعب والكتلة الوطنية من جهة اخرى، واللذين أُلغِيَ عملهما ونشاطهما ولم يعد لهما وجود علني، إلا بعد حكم الانفصال الذي ساهم وسمح لهما بإعادة نشاطهما فيما بعد.

لقد كانت النقابة تتمتع بوعي طبقي عالي يسوده الاتجاه الاشتراكي، باستثناء 20%، حيث كان أصحاب هذه النسبة مؤيدين للأفكار الرأسمالية البرجوازية وهم من الفئة المتنفذة المستفيدة من أرباب العمل.

ولم يكن رب العمل يعطي أي أجر إضافي إلا أجر الإنتاج الذي يقدمه العامل، حيث أنه كان يقطع عنهم أجر أيام عيد الفطر وعيد الأضحى. وكان في بعض الأحيان يعطيهم عيدية فقط للبعض منهم، كما أنه كان يساهم بإثارة الشقاق والخلاف بين صفوف العمال، حتى لا يكون هناك أي عامل يساهم في توحيد صفوفهم. ومن أساليبه المتبعة كان يعمل على إعطاء بعض العمال بعض المزايا، من الذين يتعاملون معه ويتجسسون على رفاقهم وينقلون أخبارهم إلى رب العمل، الذي يعتبر مثل هؤلاء العمال جماعة مشاغبين وفوضويين.

في نقابات المدينة لم تُثار المشاعر القبلية والطائفية، وكانت تجري الانتخابات بشكل سري، لكنه كانت تحصل بعض الضغوطات من قبل القيادات النقابية بتوجيهات من أحزابهم. وظهرت التكتلات في الانتخابات، وكانت تنتهي لمصلحة الحزب الأقوى والذي يصرف أموالا أكثر. وفي عام 1945 وفي ظل الانتداب الفرنسي، كان العمل النقابي خاضعا لتوجيهات أرباب العمل سواء مادية أو معنوية، أما أيام الحكم الوطني فكانت النقابات تخضع للأحزاب التي كان ينتمي إليها القادة النقابيون ويتم تسييرها سياسيا حسب أهدافها، وبما يخدم مصلحة هذه الأحزاب. أما في عهد الوحدة فقد تم تسيير النقابات حسب توجيهات الاتحاد القومي والدوائر السياسية في حينه. لكن كل ذلك تغيّر في عهد الانفصال وانقلبت النقابات على عقب لصالح الرأسمالية والإقطاع، فقد أصدر حكم الانفصال مرسوما بحل النقابات وتقسيمها من 20 نقابة إلى 50 نقابة ليتم تشتيتها وتحجيمها، لكي تسهل السيطرة عليها من قبل السلطة الانفصالية الحاكمة. وقد تم في هذه المرحلة اعتقال أكثر القادة النقابيين وتم زجهم في السجون، حيث أن تهمتهم كانت جاهزة سلفا وهي إما اتهامهم بالبعثيين أو الناصريين أو الشيوعيين، تلك الفئات التي كانت حكومة الانفصال تخشاهم بشكل كبير.

وحاليا يعيش هذا النقابي باستقرار ونضال ذاتي ينبع من وجدانه وضميره ويعمل حاليا بمشفى الشهيد عبد الجبار شيحان العمالي بحلب بصفة محاسب طعام ومحاسب تأمينات.

وملاحظاته تتلخص بأن النقابات حاليا تقوم بعمل وظيفي فقط. أما في السابق فقد كانت مقرات النقابات تغصّ بالعمال بشكل دائم، وذلك لطرح بعض الأمور والمشاكل، أو بلقاءات متكررة بين اللجان النقابية والنقابة والعمال.

وإنني[318] أعتبر هذا النقابي إنسانا جيدا ن و لديه معلومات واسعة ونشاط نضالي متميز، حيث تم سجنه عدة مرات بسبب نضالاته.[319]

11- عبد الكريم مخلوف النقابي المُتَنَوّر سياسيا جاء من مهنة تركيب البلاط – حمص

مُجري اللقاء الدارس: غزوان حزام

اسم النقابي وكنيته: عبد الكريم معلوف، مواليد حمص عام 1922 في حي باب السباع،والإقامة الحالية: باب السباع، ومكان أخذ الحديث: في منزل النقابي. المهنة: صب البلاط – النقابة: نقابة عمال البناء

عمل الجد: لم أعرف جدي كما أنني لم اعرف عنه شيئا. أما والدي فقد كان يعمل في النسيج اليدوي وأوضاعنا المالية كانت لابأس (مستورة) نوكانت تربيته لي ولإخوتي جيدة جدا. وكان أخوتي يعملون نحاتين أي في نحت الحجارة للبناء، وتعلموا إلى صفوف متدنية أي الثالث والرابع الابتدائي ولم يحصلوا على أي شهادة. كنت أعمل مع والدي بالنسيج اليدوي، لذا فلدي بعض المعلومات عن هذه المهنة.

كان أبناء الحي ممن يعملون في مهنة واحدة ينتخبون شيخ الكار، وكانوا يختارونه ممن يتقنون الصنعة وذوي السيرة الحسنة.

وكان الناس آنذاك ممن حولي يعرفون بأن هناك مهنة النسيج أو مهنة البناء، فمن يرغب بالعمل فعليه إما تعلم مهنة النسيج أو العمل بالفاعل وتَعَلُّم إحدى مهن البناء.

لقد تركت المدرسة من الصف الثالث الابتدائي وكان عمري 13 سنة، وقبل أن أترك المدرسة وبعد تركي لها بفترة قصيرة كنت أساعد والدي في مهنة النسيج، وكان يملك العدة وأدوات العمل التي كان يشغل بها إحدى غرف البيت. وكان رب العمل يقدم لوالدي (الرشق) أي المواد من خيطان ومواد أخرى.

شيخ الكار لعمال النسيج اليدوي كان ينتخب من صناعية النسيج في الحميدية وبستان الديوان وباب السباع كونها أحياء متجاورة، ومعظم صناعية النسيج اليدوي موجودين في هذه الأحياء من حمص. وكانت مطاليب عمال النسيج اليدوي تنحصر آنذاك بزيادة الأجور على القطعة بشكل أساسي، حيث أن ساعات العمل كانت حرة ومتروكة لكل صانع حيث أنهم يتقاضون أجرتهم على القطعة. وكانت المطالبة بزيادة الأجور تمر بالمراحل التالية أو على الشكل التالي:

---

[318] الياء تعود على مجري اللقاء زهير شومان.

[319]بذا لو ذكر الدارس شومان تفصيل عن سجنه وانتمائه السياسي. ويبدو ان النقابي توتنجي وهو يعمل محاسبا في مؤسسة تابعة لقيادة نقابية تكمّ أفواه من يتحدث بصراحة وحرية، آثر السلامة.

يقوم العمال بنقل مطاليبهم إلى شيخ الكار ويقوم هذا بدوره بمطالبة رب العمل، وعندما لا يوافق رب العمل على تلبية المطالب، يدعو شيخ الكار العمال إلى الإضراب ويُكَلّف البعض بلم (أي جمع) المطاوي (وهي أداة أساسية يستخدمها النوّالة في عملهم) وذلك بقصد إلزام جميع الصناعية بالإضراب. ونتيجة الإضرابات كانت تُلبى المطالب.

وقد استمر هذا الحال بعمال النسيج حتى عام 1947 على ما أذكر، حيث تشكلت نقابة لعمال النسيج بعد أن صدر قانون رقم 279 في عام 1946.

لم أستمر طويلا بالعمل مع والدي حيث أن والدي ولأسباب تتعلق بضرورة تأمين دخل إضافي لسد مصاريفنا المتزايدة، طلب مني أن أترك العمل بالنسيج وأذهب لتعلم مهنة أخرى وقد اختار لي مهنة صب البلاط آنذاك.

جرى ذلك عام 1936 وكان عمري عندها 14 سنة. وأذكر أيامها أن النضال ضد الاحتلال الفرنسي كان على أشده. وكنت على حداثتي أشارك بالمقاومة مع رفاقي الشباب الصغار، حيث كُنّا نقوم بضرب الفرنسيين، الذين يلاحقون المتظاهرين بحمص، بالحجارة بواسطة المِقلاع التي كنا نصنعه بأيدينا، وكثيرا ما اضطررنا يومها للدخول إلى بيوت لا نعرف أصحابها ونختبئ فيها من الفرنسيين الذين يلاحقونا.

وبدأت العمل في مهنة صب البلاط كعامل صانع عام 1936، وبقيت صانعا خمس سنوات. كان المعلم صاحب العمل مسلم خزام (أبو عارف). وبعد خمس سنوات صرت معلما في مهنة صب البلاط.

قدرتي على القراءة والكتابة لابأس بها، غير أنني لا أحمل شهادات سوى شهادة من المعهد النقابي، حيث التحقت بدورة من 1– 4 ولغاية 1967/4/9 ونجحت بدرجة جيد. وكنت أقرأ الجرائد والمجلات وأذكر منها: النداء اللبنانية،السوري،الفجر، النور، الفيحاء ونضال الشعب، إضافة إلى جريدة الأخبار اللبنانية ومجلة روز اليوسف المصرية.

أما الأحزاب السياسية فكنت أسمع بحزب الكتلة الوطنية، حزب العصبة، الحزب الشيوعي السوري، حزب القوميين السوريين، وفيما بعد حزب البعث.

أما عن هوية هذه الأحزاب فكان المعروف أن الكتلة والعصبة حزبين رأسماليين يرأسهما المتنفذون بالحكم، أما الحزب الشيوعي وحزب البعث فهما حزبان وطنيان تقدميان، أما الحزب القومي السوري فهو حزب برجوازي محافظ وقومي متعصب لسوريا الكبرى.

أعود إلى مهنتي التي تعلمتها في مطلع عمري وهي مهنة صب البلاط الموزاييك، وتركت المدرسة لأن العلم كان لأولاد الأغنياء فقط، وبقيت في هذه المهنة طوال عمري الذي مضى، حيث لم أتعلم غيرها.

أما المواد التي نستعملها في صناعة البلاط فكانت بالدرجة الأولى الاسمنت، وكان يستورد من الخارج بنوعيه الأبيض والأسود مع بعض المواد الأخرى كالصباغ. و هناك مواد كانت تؤمن محليا من البحص بأنواعه، وهذه تصنع وتحول بيد عاملة محلية مع استخدام آلات بدائية، وتعتمد على العنصر البشري أكثر من الآلي. وكانت عملية تصنيع البلاط تحتاج إلى خبرة خاصة في عمليات النقش والتلوين.

أما ساعات العمل فقد كانت قبل عام 1954 تستمر من بزوغ الفجر حتى غياب الشمس، وظروف العمل كانت سيئة جدا والعمل بحد ذاته مرهق للغاية حيث يبقى العامل يحضر وينقل البلاط وينزله بالماء ويخرجه منه طوال النهار وكثيرا ما كان الدم يسيل من أصابع أيدينا المنتفخة من الماء والمغطاة بالدم.

تصريف الإنتاج: كان يتم عن طريق رب العمل ولا علاقة لنا بالأمر لا من قريب أو بعيد. لذلك فإن الأرباح تعود إليه وليس لنا نحن العمال سوى أجورنا المتفق عليها. ولم تكن هناك قوانين تحمي العمال، وكثيرا ما يحصل خلاف بين أرباب العمل الكبار مع الصغار حيث أن الكبار كانوا ظالمين أكثر من الصغار وطمّاعين جدا. إضافة إلى خلافات كانت تنشأ بين العمال وأرباب العمل بسبب قسوة العمل وظروفه وضآلة الأجور، حيث كان العامل الفني أي الصانع الماهر جدا يتقاضى 4 ليرات والعامل العادي ليرتين فقط وذلك خلال الفترة بين 1944–1946.

وفي عام 1947 تأسست نقابة سُمِّيت نقابة عمال صب البلاط وكنت من مؤسسيها ورقمي 1 فيها، ولا يزال رقمي المتسلسل هذا موجود في سجل النقابة وفي اتحاد عمال حمص. وبعد تأسيس النقابة جرت الانتخابات ونجحت في رئاسة النقابة وكان هناك 32 نقابة بما فيها نقابتنا ومن هذه النقابات: الغزل والنسيج – الكهرباء – النسيج اليدوي – البناء – البلاط – النجارة العربي – نجارة الموبيليا – الخياطة – المطاعم والمقاهي – عمال الدولة والبلديات – شركة الأي بي سي – الفرّانة والخبازة – التلييس والتطيين– الحدادة الافرنجية – المطابع – النسيج الآلي – الحطة والزنار.

تأسس اتحاد عمال حمص وترأسه شفيق الشيخ فتوح من نقابة النسيج الآلي، ولما جرى انتخاب ممثل العمال في لجنة تحديد الأجور بين شفيق الشيخ فتوح وجميل عثمان[320] نجح الشيخ فتوح الذي كانت البرجوازية وأرباب العمل يدعمونه. غير أن الأمور لم تبق على حالها، وتطور الوعي بين العمال والنقابات خاصة في الخمسينات، حيث جرى في عام 1956 انتخابات لاتحاد حمص وكان الشيخ فتوح يرأس نقابة عمال النسيج الآلي، وجرى الاتصال بعمال المهنة أمثال وهيب الحراكي وطه المصري وسعيد الشيخ فارس وآخرون من العمال الوطنيين والتقدميين وتم إسقاط شفيق الشيخ فتوح في نقابته في اجتماع الهيئة العامة، وبعدها جرى تعاون بين التقدميين وانتخب عبد الواحد غليون رئيسا للاتحاد وهو من نقابة النفط. وأمام هذا الواقع الجديد قام الشيخ فتوح وبدعم من صبحي الخطيب رئيس الاتحاد العام بإقامة اتحاد جديد في حمص أسموه الاتحاد التقدمي ويضم نقابة الفرانة

[320] كان شيوعيا وشارك في إحدى المؤتمرات النقابية العالمية.

والتلبيس والفواخرجية والنسيج اليدوي وغيرها وكان مجموعهم 7 نقابات من أصل 32 نقابة. وقد شارك الشيخ فتوح في الاتحاد التقدمي آنذاك بالمكتب التنفيذي: عبدالهادي السيد – صبري حصرية – عبد الحسيب فواخرجي وغيرهم لا أذكرهم.

وفي عام 1957 ومنذ بدايته جرى تعاون بين القوى التقدمية[321] وتم إسقاط صبحي الخطيب من الاتحاد العام وهو الذي كان يدعم الاتحاد التقدمي في حمص ودمشق الذي كان يرأسه طلعت تغلبي. وبذلك تم حلّ الاتحاد التقدمي وعادت النقابات جميعها إلى اتحاد عمال حمص في عام 1957 واستمرت هكذا.

أهم نضالات نقابتنا المطلبية: منذ تأسيس نقابتنا كان لي شرف النضال مع رفاقي لإثبات وجودنا كتنظيم نقابي يدافع عن مصالح العمال وكانت مطالبنا آنذاك بشكل رئيسي:

تحديد يوم العمل بثمان ساعات

عطلة اسبوعية مأجورة للعمال

إجازة سنوية مأجورة للعمال

زيادة الأجور

ومارس أرباب العمل الذين تضامنوا ضد نقابتنا الضغط علينا للإقلاع عن مطالبنا، ونظرا لعدم رضوخنا لضغوط أرباب العمل سُرّحت من العمل في عام 1948، أنا ورفاقي ابراهيم شيحة (نائب رئيس النقابة)، حسين شيحة (أمين سر النقابة). ولم يقبل أحد من أرباب العمل بتشغيلنا بعد تسريحنا، مما اضطرّ رفاقي للسفر إلى حلب للعمل هناك، وحلُوا النقابة. فذهبت للعمل مع إخوتي في نحت الحجارة. وفي عهد حسني الزعيم عام 1949 أرسل ورائي رب عمل، واسمه عبد القادر عبد المولى وعملت عنده ستة أشهر، وانتقلت بعدها للعمل عند رب عمل آخر هو جبران شاهين. وعندها قمت بالدعوة لإعادة تشكيل نقابة ونجحت في ذلك، وفي الانتخابات نجحت رئيسا للنقابة. وكان معي في مكتب النقابة بديع البواب وعبدو الناشط وصلاح بلاسم وغيرهم، واستمرينا في مطالبنا ونجحنا عام 1954 في تحديد يوم العمل بثمان ساعات، وفي عام 1956 حققنا يوم العطلة الأسبوعية المأجور، ورشحت إلى لجنة تحديد الأجور كممثل عن العمال، ونجحنا في تحديد الأجور لعمال البلاط ودعينا بقية النقابات للعمل على تحديد الأجور لعمالهم، وقد تم تحديد الأجور لعدد من النقابات آنذاك.

وفي عام 1957 انتُخِبْتُ عضوا في المكتب التنفيذي للاتحاد العام للعمال وكان مركزه دمشق وبقيت فيه عامين وكان المكتب التنفيذي ممن أذكرهم:

---

[324] أي الحزبان الشيوعي والبعث.

مصطفى البوشي رئيسا للنقابة وهو من عمال الكهرباء بدمشق

علي تلجيني أمينا للسر وهو من عمال حلب

حبران حلال عضوا من دمشق – نقابة البناء

حسن صاصيلا من دمشق – نقابة البناء

جوزيف مارديني من دمشق – نقابة النفط

ابراهيم جهماني من حوران

عمر قشاش من حلب – نقابة عمال الطباعة

جميل ثابت من حلب

صلاح زنزول من حماة

عمر السباعي من حمص – عمال النفط

عبدالكريم معلوف من حمص – عمال صب البلاط

والبقية لا أذكرهم حيث كان المكتب التنفيذي مؤلفا من 16 عضوا على ما أذكر.

وأذكر أن رئيس مجلس الوزراء صبري العسلي قد دعانا في ذلك الحين بعد نجاحنا إلى بيته لتناول الشرابات، مباركا لنا بالنجاح.

وفي أيلول 1957 وجهت الدعوة لنا للمشاركة في المؤتمر الرابع لاتحاد العمال العالمي، وكانت أول مرة نشارك فيها في مثل هذه المؤتمرات باسم الاتحاد العام لنقابات العمال في سوريا. والدعوة وجهت لنا عن طريق بعض الدول الصديقة مثل تشيكوسلوفاكيا وألمانيا الديموقراطية وجرى ذلك بعلم من الحكومة السورية آنذاك.

لقد عقد المؤتمر بمدينة لايبزيغ الألمانية الديموقراطية، وقد دعانا اتحاد العمال البلغاري لقضاء ثلاثة ايام في بلغاريا قبل سفرنا إلى لايبزيغ، حيث بقينا 15 يوما في ألمانيا. وبعد المؤتمر قضينا 15 يوما في تشيكوسلوفاكيا بدعوة من اتحاد العمال فيها.

لقد شارك في وفد سوريا إلى المؤتمر الرابع لاتحاد العمال العالمي كل من:

عبدالكريم معلوف

عمر السباعي

جبران حلال

عمر قشاش

ابراهيم بكري بصفة مراقب

حسن البيك بصفة مترجم

ميشيل ابو طارة بصفة مترجم

نجاح الساعاتي ممثلة عن نقابة الصيادلة

وشارك يومها في اللجنة التحضيرية للمؤتمر

من سوريا: نجاح الساعاتي و عبدالكريم معلوف

من لبنان: فهد زهور

لقد شارك في المؤتمر آنذاك ممثلون عن مئة تنظيم نقابي في العالم ومن مختلف البلدان. والشيء الذي كان مميزا للمؤتمر، هو أن أول قمر صناعي سوفييتي أرسل تحية مباشرة من الفضاء إلى المؤتمر المنعقد في لايبزيغ.

لقد ترأس المؤتمر النقابي الإيطالي ديفتريو، وتولى أمانة السر النقابي الفرنسي لويس سيان. وبعد عودتي من المؤتمر جرت انتخابات المكتب التنفيذي لاتحاد عمال حمص، ونجحت في هذه الانتخابات وبقيت حتى عام 1959.

وفي عام 1959 اعتُقِلْتُ وأودعت السجن لمدة عشرة شهور بسبب نشاطاتي النقابية.[322] وفي عام 1963 عدت للعمل النقابي وانتخبت مجددا رئيسا لنقابة عمال البلاط، وأصبحت بعد الدمج نقابة عمال البناء والأخشاب، ثم أعيد انتخابي إلى المكتب التنفيذي لاتحاد عمال حمص وعضوا في المكتب التنفيذي للاتحاد العام واستمريت رئيسا لنقابة عمال البناء والأخشاب حتى عام 1972.

---

[322] الواقع أن الإعتقال جرى بسبب كونه عضوا في الحزب الشيوعي السوري، حيث قامت المخابرات السلطانية أيام الجمهورية العربية المتحدة بإعتقال الآلاف من الشيوعيين وأصدقائهم وإيداعهم السجون مددا مختلفة دون محاكمة ولا من يحزنون. وكان يُطلق سراح كل من يعلن تبرّؤه من الحزب الشيوعي وكيل التهم له. والمتحدث معلوف تجنب الحديث عن هذه الواقعة بسبب استمرار سيطرة المباحث السلطانية، التي ظهرت أيام الوحدة بين سورية ومصر واستمرت هي الحاكم الفعلي إلى يومنا هذا : تشرين الثاني 2015.

وفي عام 1971 تم إيفادي إلى معهد برناو بألمانيا الديموقراطية وهو يسمى معهد النقابات العليا وحصلت على شهادة المعهد.

في عام 1972 تركت النقابة والاتحاد،لأتفرغ للعمل في مجلس إدارة الجمعية التعاونية السكنية للحرفيين التي بقيت فيها حتى الآن. وبعد تركي العمل النقابي انتدبني اتحاد عمال حمص لأشرف على إكمال مبنى الاتحاد بحمص حيث كان على الهيكل.

كُرّمت أكثر من مرة من نقابتي واتحاد عمال حمص، وآخرها كان تكريمي في مؤتمر اتحاد عمال حمص، الذي جرى مؤخراً بحضور قيادة فرع الحزب بحمص وميشيل ريشة نائب رئيس الاتحاد العام.[323]

أهم القضايا المطلبية التي تحققت خلال الفترة ما بين 1947– 1958

تحديد الأجور وتصنيفها

زيادة الأجور باستمرار

تحديد ساعات العمل بثمان ساعات

العطلة الأسبوعية المأجورة

الإجازة السنوية المأجورة لمدة شهر استنادا إلى القانون 279 لعام 1946 وقد أنقصت إلى 14 يوم بموجب القانون 91 لعام 1959

إقامة صندوق تعاوني للعمال للمساعدة الاجتماعية في حالات المرض والمداواة والولادة والزواج والوفاة

متابعة قضايا العمال لدى مديرية الشؤون الاجتماعية والعمل منذ عام 1946 وحلها بمختلف الأساليب الممكنة

قبل عام 1958 كان العمل النقابي يتركز بالدرجة الأولى في:

شركة السكك الحديدية

شركة الأي بي سي

---

[323] يقصد بالحزب حزب البعث العربي الإشتراكي. ويبدو أنّ عبد الكريم المعلوف مثل كثيرين آثر السلامة مع تقدم العمر وإرهاب المخابرات السلطانية والبحث عن لقمة العيش... وهذا الظاهرة ظاهرة السكوت أو الخضوع أو توخي اللامة بحاجة إلى دراسة خاصة لا يتسع المجال لها هنا لمعرفة كيف كانت المباحث السلطانية " تخصي " البشر. و" الخصي " على انواع لا يعلمه إلا من اكتوى بنار الإرهاب الشمولي السلطاني...

الكهرباء

النسيج اليدوي – النسيج الآلي – الحطة والزنار

معامل البلاط

نجارة الميكانيك – النجارة العربية – نجارة الموبيليا

نقابة عمال الميكانيك

مهن البناء بشكل عام

كان الصراع داخل النقابات سياسي وطبقي ووطني، حيث كانت الرجعية تسعى للسيطرة على النقابات بهدف صرفها عن خطها المعادي للاستعمار، وتَمنعُها من الاحتفال بأول ايار، وتحافظ على مصالح أرباب العمل. ولا زلت أذكر أننا كنا نحتفل بأول أيار بشكل غير علني، وشاركت نقابتنا في الاحتفال الذي جرى عام 1954 في مقهى المنظر الجميل، وكان أول احتفال مرخص به من قبل السلطات بناءً على طلب النقابات، كما أذكر التضامن العمالي الكبير بين جميع النقابات مع نقابة عمال النفط في إضرابهم الكبير عام 1956 بعد أن نسفوا خطوط التابيلاين تضامناً مع شعب مصر ضد العدوان الثلاثي.

كان هناك وعي طبقي وكانت الأفكار الاشتراكية هي الغالبة، وكانت تدفع بالنقابات بالاتجاه الوطني المعادي للاستعمار والأحلاف الاستعمارية، وأوردت سابقا أمثلة على ذلك وما الصراع مع شفيق الشيخ فتوح وصبحي الخطيب والاتحاد التقدمي إلا تعبير عن ذلك.

خلال الفترة من عام 1947 وحتى عام 1958 لم يكن هناك في النقابات أي مظهر من مظاهر العشائرية أو العائلية أو القبلية، وإن الصراع كان يجري كما بيّنتُ سابقا بين ما هو وطني وتقدمي وبين من هم أعداء لذلك. والانتخابات كانت تجري بشكل سري وديموقراطي، ولا شك كانت تجري في معظم الأحيان تطبيقات داخل النقابات كما فعل الشيخ فتوح عام 1956، إلا أنه كان يجري في مواجهة ذلك تحالفات وتعاون بين القوى الوطنية والتقدمية.

خلال فترة الوحدة وحتى عام 1963 لم يكن هناك نشاط محسوس أو ملموس للنقابات، حيث ساد جو من الضغط على النقابات ونوع من التعيين لقيادات التنظيمات النقابية.

وأخيرا أرجو أن تكون إجابتي قد وفت بشيء من الغرض المطلوب، وأتوجه بالتحية والشكر إلى المهتمين بالحركة العمالية والنقابية وبتاريخ هذه الحركة.

ملاحظة الدارس:

يوجد لدى النقابي عبد الكريم معلوف بعض الصور التذكارية لأعضاء النقابة والمكتب التنفيذي لاتحاد عمال المحافظة والاتحاد العام، وأيضا صور للمشاركين في المؤتمر الرابع لاتحاد العمال العالمي، وبعض الرسائل الموجهة من لايبزيغ إلى اتحاد عمال سوريا مكتوبة بالألماني، ولا يوجد لديه أية وثائق، حيث صرح بأنها قد تتوفر في أرشيف الاتحاد.[324]

12- محمد الجاجة عامل نجارة الميكانيك – حمص، وصل للصف الثالث الإبتدائي بحمص.. انتسب للنقابة 1949 قرأ رواية الأم لكسيم غوركي وقصة انتسابه للحزب الشيوعي وخطيبا في احتفالات أول أيار 1954 مع حياة زاخرة بالعمل المهني والنقابي والملاحقة والسجون

مُجري اللقاء الدارس: غزوان حزام

المتحدث: محمد الجاجة ، من مواليد حمص – جورة الشياح – عام 1927. مكان أخذ الحديث: حمص في منزل النقابي . جرى اللقاء به بتاريخ: 1989/3/6

كتب الدارس نقلا عن المتحدث:

المهنة: نجارة الميكانيك،أي على آلات النجارة وليس في النجارة. وهذه الآلات هي: المنشرة، رابوخ، منقرة، فارة، فريزة....

انتسبت إلى نقابة عمال النجارة في أواخر عام 1949، على أثر انهيار حكم حسني الزعيم. وعُقد أول مؤتمر للنقابة في ذات العام حيث تم فصل نقابة العمال بالمهنة عن أرباب العمل. وفي هذا المؤتمر انتُخب مكتب للنقابة من تسعة أعضاء، غالبيتهم من العمال الذين يعملون بأجر على آلات النجارة ولا يملكون سوى قوة عملهم. وكان عدد هؤلاء العمال الذين يعملون على الآلات أي نجاري الميكانيك بحدود أربعين عاملا من أصل 100 عامل إجمالي عدد العمال النجارين في تلك الفترة.

عمل الجد: جدي كان يسكن في مدينة حماة ويعمل اسكافيا، وكان أولاده ومنهم والدي وهو ثاني أولاد جدي البالغ عددهم ثلاثة ذكور، جميعهم يعملون في ذات المهنة، ويعملون لدى جدي الذي كان يملك دكانا في سوق الطويل بحماة. ونظرا لكون جدتي من أصل حمصي، تزوج والدي من أقرباء جدتي، ونقل سكنه إلى حمص في عام 1922. وعمل والدي في صرافة العملة في باب السوق تحت قصر رغدان. حيث كان يقف أمام صندوق

[324] والإتحاد لا يملك أرشيفا. وقد سعى كاتب هذه الأسطر للحصول على هذا الأرشيف أو بعض معالمه فلم يجد له اثرا...

في الساحة تحت قصر رغدان ويقوم بعملية الصرافة وتبديل العملة البالية. وفي عام 1936 تشارك مع أحد الأشخاص وفتح مقهى على ضفاف العاصي في منطقة الميماس، واستمر في عمله بالصرافة حتى توفي عام 1959.

ويقول النقابي: أفضل أن أتحدث لك عن سيرة حياتي بالتفصيل ولك أن تأخذ ما تشاء، فوافقت وسجلت أقواله التالية:

أنا واحد من أصل أسرة تعداد الذكور فيها خمسة وترتيبي بينهم الثالث. الأكبر عمل مع والده بالصرافة واستقل عنه عندما بلغ السادسة عشرة من عمره، ليعمل في الصرافة أيضا إنما لحسابه الخاص ولم يحصل من العلم سوى الصف الثاني الابتدائي. الأخ الثاني درس لغاية الصف الثالث حيث ترك المدرسة ليسهل لي طريق الدخول إليها وعمل آنذاك في مهنة نجارة الميكانيك.

أنا الثالث درست أيضا لغاية الصف الثالث وتركت المدرسة بعدها، وكان ذلك عام 1939، لأسهّل أيضا على إخوتي الأصغر مني دخول المدرسة وكان عمري آنذاك سبعة عشة عاما. وخرجت للعمل في مهنة نجارة الميكانيك، وقد حاولت تغيير هذه المهنة ووضعني والدي عند أحد أرباب العمل ممن يصنعون المرايا. ولكنّ رب العمل اشترط آنذاك كي يعلمني المهنة وأسرارها مقابل أن أدفع له ثلاثمائة ليرة سورية، وأن أعمل لديه ثلاث سنوات بدون أجر. وبالطبع رفض والدي هذه الشروط، مما اضطرني للعمل لدى أحد متعهدي نقل الحجارة، من منطقة الوعر إلى سكة الحديد التي يقوم على إنشائها الانكليز. وكان عملي هو تحميل الحجارة بالسيارة ومرافقتها لتفريغ حمولتها في منطقة العمل بالسكة الحديدية. وكنت أتقاضى أجرا يوميا مقداره خمسون قرشا سوريا فقط وذلك بسبب حداثة سني، في حين أن العمال الكبار كانوا يتقاضون ليرة سورية كاملة باليوم. غير أن المبلغ الذي كنت أتقاضاه يعتبر كبيرا جدا باالنسبة لما كنت أتقاضاه في مهنة النجارة، التي لم أتقاض لقاء عملي فيها أكثر من عشرة قروش في الأسبوع. وكنت أساعد عائلتي بخمسة قروش، وأتصرف بخمسة القروش الأخرى. أما عندما أصبحت أتقاضى خمسين قرشا باليوم من عملي في نقل الحجارة، أصبحت أدفع لوالدي أربعين قرشا وأتصرف أنا بعشرة قروش. وبقيت أعمل بنقل الحجارة مدة ستة أشهر تركت بعدها بسبب انتهاء العمل، وعدت لأعمل في نجارة الميكانيك لدى رب عمل جديد مقابل ليرتين سوريتين كنت أتقاضاهما في الأسبوع.

وفي عام 1944 انتقلت من حمص إلى طرابلس، حيث عملت في نجارة الميكانيك، وأتقاضى ثلاث ليرات سورية باليوم، بينما أخي الأكبر الذي كان معي يتقاضى في ذات العمل خمس ليرات في اليوم، وذلك كونه معلما وأنا مساعدا. واستمريت في هذا العمل حتى انتهاء الحرب العالمية الثانية عام 1945، وعدت بعدها إلى حمص لأعمل من جديد في ذات المهنة ولدى رب عمل جديد، مقابل خمسة عشر ليرة سورية بالأسبوع. وفي عام 1948 طلبت شركة نفط العراق الأي بي سي عددا كبيرا من عمال النجارة فدخلت بالشركة بصفة معلم كريد ثلاثة (درجة ثالثة)، مقابل أجر قدره ست ليرات سورية باليوم. وفي عام 1949 انتهى العمل، وسُرّحنا وقبضت تعويضا مقداره مائة ليرة سورية. وعدت من جديد للعمل في القطاع الخاص لقاء أجر مقداره خمس وعشرون ليرة سورية في

الأسبوع، واستمريت في عملي هذا حتى أيام الوحدة بين سوريا ومصرعام 1959، حيث تركت العمل بسبب الملاحقة السياسية والتجأت إلى لبنان.[325] وكنت أتقاضى آنذاك 35 ليرة سورية بالأسبوع وهو أكبر أجر يتقاضاه عامل نجارة ميكانيك في ذلك الحين.

في 29 أيلول عام 1961 عدت إلى سوريا من لبنان واعتقلت في طريق العودة وبقيت في المعتقل مدة ستة أشهر. وبعد أن طلع أمر إطلاق سراحي عدت للعمل في ذات المهنة وبأجر أسبوعي مقداره اربعون ليرة سورية. وبعد 8 آذار 1963 تركت العمل مرة أخرى بسبب الملاحقة السياسية. ولم أعد للعمل بالمهنة إلا في عام 1970 استمريت بها حتى عام 1972، حيث أصبت بحادث عمل قطعت بنتيجته يدي اليمنى، الأمر الذي منعني نهائيا عن العمل.

الكتب التي قرأتها وسمعت بها: كتاب "الأم" لمكسيم غوركي وتأثرت جدا بكتاب مؤلفه من عائلة مسوح واسم الكتاب "الكتاب الأول" وأذكر منه الجملة التالية: من يسرق في السعودية رغيف خبز لإطعام أولاده تقطع يده، ومن يسرق الذهب والفضة يسمى صاحب جلالة. وكانت قراءتي للكتاب المذكور في عام 1948 وهذا لعب دورا كبيرا في تحول أفكاري الطبقية السياسية.

وكنت أقرا الصحف والمجلات المصرية مثل: المصوّر – الاثنين – الأخبار

أما التجمعات السياسية التي كنت أسمع بها في مقتبل عمري هي: الكتلة الوطنية، وعصبة العمل القومي. وكنت أشعر أن الكتلة الوطنية هي ضد فرنسا ولذلك كنت أتعاطف معها.

المواد الأولية المستخدمة في المهنة: كانت هي الأخشاب بأنواعها ويأتي بها إلى رب العمل النجارون، الذين يأتون إلى المنشرة مع أخشابهم ويصنعونها هناك. وكُنّا نحن نقوم بأعمال التفصيل والنشر والتهيئة على الآلات. وكان النجارون يأخذونها بعد التصنيع لتركيبها في البيوت. وكانوا يدفعون لرب العمل أجرا مقابل العمل المنَفّذ.

نشاطاتي النقابية: بعد زوال ديكتاتورية حسني الزعيم وفي عام 1950، تنادينا نحن العمال لإحياء النقابة التي كانت مجمّدة، وقمنا بتوجيه دعوة للعمال فقط بدون أرباب العمل، وانتخبنا أول مكتب للنقابة. كما كانت هذه أول مرة فصلنا فيها تنظيم العمال النقابي عن أرباب العمل. علما بأن أول تنظيم نقابي لهذه الحرفة تمّ على أثر قانون العمل رقم 279 الصادر عام 1946 وكان يضم العمال وأرباب العمل.

[325] في اليوم الأول من عام 1959 شنّت المخابرات السلطانية في الجمهورية العربية المتحدة حملة إعتقالات شملت آلاف الشيوعيين وأصدقائهم وألقتهم في غياهب السجون دون محاكمة سوى التعذيب والطلب منهم كيل الإتهامات للحزب الشيوعي. ولهذا التجأ محمد الجاجة إلى لبنان. وهنا في المانيا وأنا أحضّر هذه الأوراق النقابية إتصلت هاتفيا بأحد الحماصنة الهاربين إلى بيروت ومنها إلى أمانيا الديموقراطية حيث درس الطب واستقرّ به المقام فيها. سألته عن محمد الجاجة فأثنى عليه ثناء عطرا وقال أنه عاش معه ومجموعة من الهاربين من حمص إلى بيروت في غرفة واحدة، وكان في منتهى التهذيب والتواضع ويذهب يوميا للعمل في بيروت ويعود مساءإلى الغرفة للمبيت.

وكان تصنيف العمال آنذاك يتمثل في التالي:

رب العمل وهو صاحب المنشرة

المعلمين وهم الذين يتقنون الصنعة ويقومون بتنفيذ الأعمال في البيوت

الصناع والأجراء

ولم يكن هناك فارق كبير بين دخول المعلمين والصناع، رغم أن الصناع كانوا يتقاضون أجرا أسبوعيا، بينما المعلمين، أي النجارين، يتقاضون أجرا مقطوعا من أصحاب البيوت. وعدم الفرق هذا ناجم عن المبالغ الكبيرة التي يأخذها أصحاب المناشر (أرباب العمل).

ونتيجة فصل تنظيم العمال النقابي قام أرباب العمل (أصحاب المناشر و المعلمون) بتشكيل نقابة مستقلة سميت نقابة أرباب العمل وترأسها في تلك الفترة مطانيوس عواد، بينما ترأست أنا مكتب نقابة العمال، وكان ذلك عام 1950 في عهد أديب الشيشكلي. وأهم مطاليب نقابة العمال في تلك الفترة تركزت في التالي:

تحديد يوم العمل بثمان ساعات

عطلة أسبوعية مأجورة

وكانت نقابتنا تقوم بجولات على المناشر والورش في البيوت بواسطة العربيات السود، التي كنا نستأجرها ونخالف أرباب العمل الذين يشغلون عمالهم أكثر من ثمان ساعات باليوم أو يشغلونهم يوم الجمعة (يوم العطلة الأسبوعية). وقد استندنا في ذلك إلى قرار لجنة تحديد الأجور المشكّلة في حمص والتي كان يمثل فيها:

مندوب عن العمال

مندوب عن أرباب العمل

مندوب عن وزارة الاقتصاد

وكان ممثلو نقابات العمال وأرباب العمل ينتخبون من نقاباتهم لمدة عام ثم تجدد ويصدر بها قرار من وزير الاقتصاد. وقرارات هذه اللجنة كانت تعتبر بمثابة حكم قضائي. في تلك الفترة وفي عهد الشيشكلي ورغم الحكم الديكتاتوري، فقد شهدت الحركة النقابية نشاطا ملحوظا ومارست عملية الانتخاب بحرية كاملة رغم حضور مندوب الأمن العام. ولكن كانت توجد مادة في قانون العمل رقم 48 تنص على أن يكون عضو النقابة حسن السيرة والسلوك، وهذا مما أدى إلى فصل كل عامل لا يرضى عنه الأمن العام. وكثيرا ما كان يجري الشطب على المرشحين الناجحين بالانتخابات بحجة هذه المادة، أو يطلب إلى مكاتب النقابات إعادة انتخاب البديل عنهم.

فمثلا وجه كتاب بطلب فصلي أنا وعبد الجليل جداع في عام 1953، وطُلب إلى مكتب النقابة دعوة الهيئة العامة وانتخاب بديلا عنا وفعلا دعيت الهيئة العامة، غير أنها أعادت انتخابنا نحن الاثنين مرة ثانية، وأصرت وزارة الاقتصاد والأمن العام على فصلنا، واجتمعت الهيئة العامة مرة أخرى وانتخبنا للمرة الثالثة. وتقدم مكتب النقابة بمذكرة إلى وزير الاقتصاد مباشرة تتضمن الاحتجاج على قرار دائرة الاقتصاد بحمص. وتحت ضغط العمال وتضامن النقابات الأخرى اضطر وزير الاقتصاد الموافقة على نتائج الانتخابات.

ونظراً لتكرار مثل هذه الواقعة في العديد من النقابات، جرت مظاهرات في حلب مما اضطر مجلس النواب إلى إلغاء هذه المادة في عام 1955.

كان عدد النقابات والعمال المنتسبين إليها يتزايد باستمرار، حتى وصل عدد النقابات بحمص في عام 1958 إلى 42 نقابة في المؤسسات الكبيرة والقطاع الحرفي الصغير، وذلك مقابل 18 نقابة كانت عام 1950.

إن زيادة عدد النقابات والمنتسبين إليها خلال تلك الفترة يعود لعدة أسباب أهمها:

زيادة وعي الطبقة العاملة ونشاط الأحزاب التقدمية المشجع للعمل النقابي

المنافسة مع الرجعية المحلية وأحزابها، التي كانت تسعى للهيمنة على الحركة النقابية خوفا من نشاطها المتزايد وتأثيرها في المستقبل

سعي الرجعية للإبقاء على ممثليها في قيادات العمال، وخاصة مكتب اتحاد عمال حمص، وفي الحالات التي كانت تشعر بها الرجعية بعدم إمكانية نجاحها كانت تلجأ إلى:

الاعتماد على القانون 48 لإبعاد النقابيين الطليعيين

ب – خلق نقابات وهمية

ج – فصل بعض النقابات عن الاتحاد تحت حجج مختلفة، ومنها عدم تسديدها للاشتراكات إلى اتحاد المحافظة. ومثال على ذلك فصل أربع نقابات عن الاتحاد وهي: نقابة عمال النجارة، الخياطة، البناء، ونقابة عمال الحطة والزنار.

وعند فصل النقابات الأربعة الآنفة الذكر تضافرت النقابات الأخرى معها، وجرى تحالف بقيادة نقابة عمال النفط، مما أجبر الاتحاد على إلغاء هذا الفصل. وبعد ذلك رسم التحالف خطة لإبعاد الرجعيين عن قيادة الاتحاد وعلى راسهم شفيق الشيخ فتوح، رئيس الاتحاد آنذاك، وهو من أزلام حزب الشعب ومرتبط برئيس الاتحاد العام في سوريا صبحي الخطيب. وقد جرت مساومات كثيرة لشق هذا التحالف بإعطاء الشيوعيين ثلاث مراكز بالاتحاد، وذلك بهدف خلق خلافات بين النقابات أساسها نزاع بين الأحزاب السياسية التقدمية الناشطة ضمن

النقابات آنذاك. وقد رفض هذا العرض من قبل الشيوعيين وعقد اجتماع لممثلي النقابات، وتمّ التمكّن من خلال معركة انتخابية من شغل مقعدين في مكتب الاتحاد، شغلهما أكرم دحدوح وعبد الكريم معلوف، وبذلك تمت المحافظة على التحالف رغم بقاء شفيق الشيخ فتوح على راس الاتحاد. ولم تنته المعركة هنا بل استمر التحالف التقدمي بالعمل على اجتثاث وجود الشيخ فتوح من الاتحاد نهائيا عن طريق القاعدة الانتخابية في نقابة النسيج الآلي، وبالفعل تم إسقاطه في انتخابات نقابته عام 1956. وجرى الاجتماع يومها في مقهى المنظر الجميل. وعلى أثر ذلك تضامن عدد من النقابات المتعاطفة مع الشيخ فتوح وانسحبوا من الاتحاد وشكلوا بدعم من صبحي الخطيب اتحادا مستقلا أسموه الاتحاد التقدمي، ووظفوا شفيق الشيخ فتوح بوظيفة إدارية بالاتحاد المذكور. غير أن التحالف بين القوى التقدمية استمر بالعمل مع النقابات التي أنجزت لتشكيل الاتحاد التقدمي من أجل إعادتها إلى اتحاد حمص، وتم النجاح في ذلك عام 1957، بعد أن تم إسقاط صبحي الخطيب في انتخابات الاتحاد العام ونجاح قائمة التحالف بين القوى الوطنية والتقدمية

دور النقابات الوطني الطبقي في تلك المرحلة:

في الشركات الكبرى جرت عدة إضرابات قام بها العمال مثل نقابات: الأي بي سي، السكر، الكهرباء، المصابغ، وذلك من أجل زيادة الأجور. وكان الإضراب آنذاك ممنوع شريطة أن تأخذ النقابات حكما قضائيا من هيئة تحديد الأجور في المحافظة، وعندما يرفض أرباب العمل تنفيذ الحكم يحق للنقابات أن تعلن الإضراب، غير أن معظم النقابات في ذلك الحين كانت تلجأ إلى الإضراب دون انتظار راي لجنة تحديد الأجور، وذلك بهدف الإسراع بإصدار الحكم لصالح العمال. ومثال على ذلك الإضراب الذي دعت له نقابة عمال المصابغ:

كان محددا للجنة تحديد الأجور أن تجتمع في الساعة السادسة مساءً في دار الحكومة لإصدار الحكم. ونتيجة لورود أخبار تفيد بأن لجنة تحديد الأجور لن تصدر قرارا لصالح العمال، فقد قامت نقابة عمال المصابغ بالدعوة إلى مسيرة مشت من شركة المصابغ إلى دار الحكومة حيث تجتمع اللجنة وهي تهتف بمطالبها، وبذلك أُرغمت اللجنة على إصدار القرار المناسب للعمال.

وقد ساهمت أنا شخصيا بإنجاح بعض الإضرابات. في عام 1956 أضرب عمال الآي بي سي إضرابهم المشهور من أجل تحسين ظروف عملهم ورفع أجورهم، وكان الرأي العام العمالي والسياسي الوطني والتقدمي متعاطفا مع عمال الأي بي سي. غير أنه وفي ذات الفترة أضرب عمال السكر من أجل مطالب محقة إلا أن الإضراب كان بتحريض من قبل الرجعية والمحامي إحسان مسوح الذي كان له ارتباطات مشبوهة، الأمر الذي كاد أن يؤثر على نتائج إضراب عمال الأي بي سي وتجزئة الرأي العام المتعاطف معهم. وقد تمّ تدارس الوضع بين مجموعة من قيادات النقابات، وتقرر التوجه إلى نقابة عمال السكر والعمال المضربين وشرح الموضوع والطلب إليهم تأجيل إضرابهم نُصرةً لعمال الأي بي سي وحتى يتم نجاح مطالبهم، وبعد جهد كبير ونتيجة الاجتماع الذي عقد في فندق بسمان وحضره عدد من القادة النقابيين ونقابة عمال معمل السكر، فقد تم النجاح في تأجيل الإضراب.

ومن هنا قامت الرجعية بنشاط محموم استهدفت منه النيل من سمعة القادة النقابيين التقدميين الذين ساهموا في إنجاح إضراب عمال الآي بي سي وتأجيل إضراب عمال السكر، واتهامهم بالعداء لعمال السكر.

مثال آخر: في ذات الفترة تقريبا أضرب عمال الكهرباء من أجل تحسين ظروف عملهم وزيادة أجورهم، وهددوا بقطع الكهرباء عن المدينة. كان عدد من القادة النقابيين مع الإضراب، ولكن ليس مع شعار قطع التيار الكهربائي، حيث أن تجربة إضراب عمال الأي بي سي بيّنت ضرورة كسب الرأي العام، ونظرا لكون قطع التيار سيؤثر على الرأي العام ضد مصلحة عمال الكهرباء، فقد بُذلت مساعي كبيرة لإلغاء قرار عمال الكهرباء بقطع التيار الكهربائي. وتمّ النجاح في ذلك، كما نجح إضراب عمال الكهرباء، وتحققت مطالبهم نتيجة تضامن بقية النقابات معهم، رغم اعتقال عدد كبير من القادة النقابيين آنذاك وزجهم في السجون.

وأذكر أنه تضامنا مع المعتقلين وإضراب عمال الكهرباء، وجرت الدعوة من قبل القيادات النقابية للتجمع في اتحاد عمال حمص، وبعد التجمع ساروا إلى دار الحكومة وطالبوا بإطلاق سراح المعتقلين. وأمام الضغط العمالي قرر المحافظ الإفراج عن المعتقلين ودعوتهم إلى دار الحكومة للانضمام إلى رفاقهم النقابيين المتجمهرين هناك. إن هذه الأمثلة تُبيّن درجة وعي الطبقة العاملة آنذاك لأهمية تضامنها ووحدة نضالها.

أما على صعيد النضال الوطني فأذكر الأمثلة التالية:

في عام 1954 أو 1955 تم خطف أحمد بن بيلا من قبل السلطات الفرنسية في الجزائر، وعلى أثرها تداعى النقابيون إلى اجتماع في دار الاتحاد بحمص وقرروا الخروج بمظاهرة كبرى استنكارا لخطف أحمد بن بيلا والمطالبة بالإفراج عنه، وبالفعل تمت المظاهرة وكان لها صدى كبيرا ليس على نطاق حمص فقط، وإنما على صعيد سوريا كلها، وتناولها الإعلام السوري والعربي والعالمي.

مثال آخر: وهو مثال معروف، وهو حادث نسف انابيب النفط الذي نفذه عمال الآي بي سي بحمص عام 1956 تضامنا مع شعبنا العربي في مصر ضد العدوان الثلاثي آنذاك. ولدى وصول نبأ نسف انابيب النفط إلى النقابات الأخرى العاملة في حمص، خرجت جماهير العمال الواسعة بمظاهرات كبيرة تأييدا لعمال النفط بموقفهم الرائع والمشرف.

حادثة تستحق الذكر: على أثر نسف أنابيب النفط تعطل عمل المتعهد أحمد الشرباتي الذي يعمل لديه أعداد كبيرة من العمال (المذكور كان وزيرا للدفاع في سوريا عام 1948). وإثر ذلك قام بتسريح العمال الذين يعملون لديه في التعهد، الذي ينفذه لصالح شركة نفط العراق. أمام هذا الأمر وقفت نقابة عمال الآي بي سي وتضامنت معها النقابات الأخرى ضد تسريح هؤلاء العمال، وأجبرت شركة نفط العراق على إعادتهم للعمل في المشاريع التي ينفذها أحمد الشرباتي واعتبارهم ضمن ملاك شركة نفط العراق.

الاحتفال بأول أيار عام 1954:

دُعيت لاحتفال مركزي عقد في دمشق في أحد المقاهي الصيفية (لا أذكر إسمه)[326]، وألقيت فيه كلمة باسم عمال حمص، وكان هذا على ما أعتقد أول احتفال علني بأول أيار في سوريا. وقمت بعدها مباشرة وباسم نقابة عمال النجارة وشاركني عبد الكريم معلوف باسم نقابة عمال البلاط بالتقدم إلى المحافظ بطلب الموافقة على إقامة مهرجان خطابي في مقهى المنظر الجميل بحمص، احتفالا بذكرى الاول من ايار، وتسلمت الموافقة من المحافظ وكان نصها على الشكل التالي: " مع الموافقة شريطة ألا يتضمن الاحتفال أي تظاهرة أو تجمع أو خطابة ". ولما طلبت من المحافظ التفسير، أجابني بأن أحتفل بقلبي. فقمنا بإرسال نص الموافقة تلك إلى جريدة النور، ونشرت يومها في الصفحة الأولى تحت عنوان: سؤال واستفهام. وقمنا نحن ممثلي النقابتين المذكورتين وبدعم من بعض المحامين التقدميين[327] بالضغط على المحافظ، فوافق ولكن بالشروط التالية:

أن يغلق باب مقهى المنظر الجميل

أن لا تستخدم مكبرات الصوت على الساحة العامة بحمص

أن تخضع الكلمات لمراقبة ومشاهدة الأمن العام

وافقنا على ذلك وأقمنا المهرجان. وتحدث فيه آنذاك إضافة لكلمتي كل من: راتب جبنة – المحامي خالد كالو [328] والشاعر قصي أتاسي، وذلك بوجود عبد الهادي الساعاتي، ممثل الأمن العام. ورغم تشطيب أجزاء كبيرة من الكلمات من قبل الأمن العام، ورغم وجود ممثلهم في المهرجان، فقد تحدثنا بما نشاء ولم نتقيد بالشروط. وكان هذا المهرجان أول مهرجان علني يعقد في حمص احتفالا بالأول من أيار.

في عام 1962

معلوم أنه خلال فترة الوحدة السورية المصرية، تمّ تقييد العمل النقابي والتشديد على كافة النشاطات النقابية. وفي عام 1962 ونتيجة لصدور المرسوم 50 تم دمج نقابتي عمال النجارة والموبيليا في نقابة واحدة. وجرت انتخابات تأسيسية للنقابة الجديدة، وقد نجح التحالف الرجعي الناصري آنذاك. وكان عدم وصولي إلى مكتب النقابة بفارق صوت واحد.

---

[326] كاتب هذه السطور كان حاضرا في احتفال أول أيار المذكور. والمقهى يقع بين محطة الحجاز غربا وبناية الهاتف الآلي شرقا. وأذكرك من بين الخطباء ابن بلدتنا ديرعطية محمد الجاموس وهو من نقابة عمال البناء بدمشق.

[327] هم محامون شيوعيون تحاشى الجاحة أو الدارس ذكر كلمة الشيوعية في وقت كانت هيمنة المخابرات السلطانية باسم حزب البعث تكم الأفواه وتمجد النظام الشمولي.

[328] جبنة وكالو كانا شيوعيان معروفان بحمص. الأول أصبح فيما بعد المسؤل الأول للتنظيم الشيوعي القوي في حمص. والثاني خالد كالو كان محاميا شيوعيا معروفا بدفاعه عن قضايا العمال والفلاحين.

لقد شهدت الحركة النقابية خلال فترَتَيْ الوحدة والانفصال، حالة انحسار كبير نتيجة الظروف السياسية التي قيّدت الحركة النقابية والعمالية بشكل عام.

حادثة طريفة أدت بي إلى الانتساب إلى الحزب الشيوعي السوري:

خلال عهد أديب الشيشكلي وبعد انتخابي في نقابة عمال النجارة، حضرت مؤتمر نقابة عمال البناء. ويومها نجحت القائمة التي رشحها مؤتمر العمال السوريين[329]

وعلى اثر انتخابات نقابة عمال البناء التي جرت بمنتهى الحرية والديموقراطية واستنادا لأحكام المادة 48 من القانون 279 أصدرت السلطات قرارا بإلغاء الانتخابات. فقمت بتقديم كتاب باسم نقابة عمال النجارة أحتج بها على هذا الإلغاء ومطالبا بتثبيت نتائج الانتخابات التي جرت في نقابة عمال البناء. فما كان من كمال الخوري الذي كان آنذاك رئيسا لدائرة الاقتصاد بحمص إلا أن استدعاني وبلغني بأن القائمة التي نجحت هي شيوعية، وطلب منّي أن أسحب كتابي الذي تقدمت به وأُخبِر الأمن العام بأن لا علم لي بأن المرشحين شيوعيون. فخرجت على الفور من عنده، وبدلا من أن أذهب إلى الأمن العام، توجهت إلى شخص أعرفه وطلبت منه أن يصلني بالحزب الشيوعي، وكان لي ما أردت.[330]

وأخيرا ارجو أن أكون قد قدّمت شيئا أفيد به من يتتبع تاريخ الحركة العمالية والنقابية في سوريا، ولهؤلاء مني التحية والشكر.. النقابي: محمد الجاجة[331]

13- حياة العامل في دباغة الجلود ومعمل البلور في دمشق تحسين نظام " المغمّسة بالدم"

مُجرية اللقاء الدارسة: نوال عفيف ضاهر

المتحدث: تحسين نظام من دمشق. مسجّل في الهوية من مواليد 1923، وفي الحقيقة هو من مواليد 1904. جرى لقاء الدارسة به في 10 - 2 - 1989

كتبت الدارسة:

---

[329] وهو تنظيم نقابي نصف سري كان يوجهه الحزب الشيوعي السوري آنذاك للعمل في النقابات ولم يعمر طويلا.

[330] هنا لم يشأ الجاجة أو لم يتجاسر الدارس على متابعة ما أراد محمد الجاجة وهو الإنتساب للحزب الشيوعي وما لاقاه من إضطهاد من المباحث السلطانية.

[331] يستحق محمد الجاجة الإنسان المخلص المتواضع أرفع وسام. وهو من أؤلئك الجنود المجهولون الذين يغشون الوغوى و يعفون عند المكرم. ولا اعلم ماذا حلّ بالعامل النقابي الجاجة، وهل لا يزال في هذه الدنيا ؟ وإذا كان الأمر كذلك فسأسعى لدى ذهابي إلى سورية في ربيع 2016 أن التقي به، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

في 1989/2/1 التقيت صدفة مع العم تحسين نظام البالغ من العمر الأربع وثمانين، وطلبت منه أن يقصّ عليّ سيرة حياته ونضاله في العمل النقابي، إذا كان له إلمام بذلك. فأجاب: نعم يا عمو. واستجاب بكل سرور إلى رغبتي،وأتى معي إلى البيت وجلس من الساعة الحادية عشر حتى السابعة عشر. وهو في غاية الشوق للحديث أكثر وأكثر عن حياته مع الشعور بالحزن والأسى تارة وبالفرح والعز تارة أخرى.

بدأ حديثه قائلا: تزوجت ثلاث مرات. الأولى كان عمري 48 سنة والثانية 54 سنة والثالثة 61 سنة، ولا تزال الثالثة موجودة عندي وصار لها معي 23 سنة.

اسم أمي رسمية. وأنا الذي سجّلت حالي (في دوائر النفوس).[332] ولدت في دمشق– القيمرية، وبقيت فيها 30 سنة، ومن ثمّ انتقلنا إلى ناح (جهة وهي حي) الشاغور– المزّاز وسكنّا ما يقارب 12 سنة، ومن ثم انتقلنا إلى الجلاء في بناية الحمصي باتجاه المزرعة. وسكنت في قبو بجانب مستشفى الفرنسي وكنت متزوجا وكان لي ولدان من الأولى (صبي وبنت) قرب جامع الفردوس وراء بيت فارس الخوري وبالأجرة وكان آجار البيت 60 ل.س وكنت آخذ راتب 115 ل.س، ومن ثم سكنت في أول شارع حلب. والسكن مشترك مع أصحال البيت في طابق أول أرضي، وكان لي غرفتين أجرتاهما 40 ل.س. وكان الراتب نفسه ولكن الأولاد كِثْروا وأصبح العدد 4 والخامس على الطريق. البنات أربعة وصبي واحد. طلّقت الأولى لأنها من بغداد وكان على السوريين عدم دخول العراق، ولذلك اضطرت إلى الطلاق من أجل الذهاب إلى أخيها الوحيد وتعود إلى جنسيتها.

وطلّقت الثانية لأنها لم تقعد عندي. تقعد يوم وتغيب 25 يوم عند أهلها والله ما في زعل بيني وبينها وكانت حامل. وفي ثاني يوم الطلاق ولدت بنت أخذتها معها. ورفعت عليّ دعوى وطلبت مني 1000 ل.س في الشهر. 250 ل.س حضانة و750 ل.س خرجية. أوقفتني بالمحاكم وخذي على جلسات[333] فطلبت منها الرجوع، فلم تقبل. وكانت هي صغيرة في العمر وتزوجتني من أجل أن تنجب صبي ولكنها جابت بنت. وعلى شو بدي أحواها.[334] في هداك الوقت كان راتب الوزير 650 ل.س. وكانت مدّعِية أني أملك أراضي كبيرة وبيوت وغيره... فطلبت مني المحاكم ورقة بيان براتبي فجلبت لهم بيان بالراتب وسألوني عن عدد الأولاد فقلت عندي ولدين من الأولى وأمي وأختي، فقسم الراتب على الجميع وأنني انا المعيل الوحيد فكانت حصتها 5 ل.س حضانة و13 ل.س خرجية. فصارت بدّها تحبسني ووكلت محامي وأنا ما معي مصاري فدافعت عن نفسي والمحامي كان اسمه كمال أنيس الحلبي. وَرْجَوني الموت،[335] والله يا عمو، فدفعت لهم كامل المبلغ المقدر بـ ألفين ليرة تدينتهم من العالم.[336]

[332] كان قبل 1923 مكتوما مثل عشرات الآلاف، الذين لم يسجلوا نفوسهم في دوائر الأحوال المدنية المعروفة بدوائر النفوس، والتي أُنشئت مع حركة التنظيمات في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر. وجرى عام 1922 تسجيل جديد للنفوس، وعلى أثرها سجّل تحسين إسمه.

[333] أي تعددت الجلسات وطالت مدة المحاكمة.

[334] مقابل أي شيء عليّ أن أحتويها أي تبقى في عصمتي.

[335] أي ذقت الأمرين من كثرة الذهاب على المحاكم للمرافعة.

كان أول عمل لي، يا عمو، عندما كان عمري ثلاثة عشر عاما. اشتغلت في دباغة الجلود.وكانت الدباغة بحي باب السلام[337] في موقف السادات، ويوجد طريق على اليد الشمال قرب مسجد الأقصاب وكنا نسميه مزْالقصب وتغير على هذا المسجد عدة أسماء.

جدي أنا ما بعرفه، كانوا يقولون عنه أن حالته كانت مليحة وخلّف بيوت ودكاكين. أنا بعرف إنه أبي يقعد بدكان وعمي بدكان وكانوا يجيبوا فردات يوجد فيها الدخان والتنباك مع سمانة. باعوا في آخر أيامهم زيت كاز وزيت حلو. كانت العالم تشتري زيت الكاز بالأوقية و بنصف الأوقية، وزيت الحلو شرحو بالميزان، ولكن ما كان الكيلو، كان يوجد رطل.

ولكن والدي من حظه السيء "كل ما ضَرَبْها يمين تجي شمال"[338] حتى وصل إلى البيت الذي يسكنه، باعه واشترته أمي، وقالت له: لازم تموت في هذا البيت لأنه بيت ابوك. وأمي جابت التركة من أهلها من لبنان وتَدَيّنت { اقترضت مالا } واشترت البيت. قعدت تشتغل بالإبرة أي في صناعة المناديل ذات الطرر. وكانت أجرة المنديل قرش واحد، تشتغل منديلين باليوم حتى توفي حق البيت. ولما توفي والدي وهي امرأة وصارت كبيرة باعت البيت. وصرت أنا أدوْر في البلاد وقيم وحط وصرت أتشرد شوية. بتعرفي الشاب يا عمو إذا ضاقت بيده الدنيا.

لما اشتغلت بالدباغة صرت آخذ أبو الخمسين (أي نصف قرش) وصار يُدَوّر عليه في جيبه يود أن يفرجيني إياه وكان من الفضة. وكان يوجد المجيدي ونصف المجيدي ولما طلعوا الأتراك[339] 1918 بَطَلَتْ النحاسة والمتليك، وبَقيَ أبو الخمسين وأبو المية وربع المجيدي والمجيدي. كان أبو المية بيشتري نصف رطل خبز. وكنت آخد أبو الخمسين كل يوم ولكن ما صحّلي شغل بَرّه[340] يا عمو. لو تعرفي شو شغل الدباغة يا عمو، في الصيف حلوة وفي الشتاء موت أحمر. فكنُّا ننزل في الزميتا[341] إلى صدورنا من أجل أن ننقع الجلود في الماء، وننقله إلى السقط. بتعرفي شو هادي السقط، أي زبل الكلاب. وصار يبكي، وقال يا عمو الله يعطيكي العافية أنتي رجعتيني إلى الماضي المليء بالشقاء والعذاب. فحزنت جدا عليه، وقلت له: إذا بدك تبكي بطّلنا نكتب. ولكنه أجابني: لا يا عمو انت فرحتيني ، وأنأ لم أستطع الكتابة وأتمنى أن أحصل على نسخة من هذا الكلام. وَيَعِزُّ على بالي كثيرا أن أكتب ما حدث لي في أيامي منذ الولادة حتى الآن.

---

[336] استدنتهم من الناس.

[337] أحد أبواب سور دمشق شمالا.

[338] أي لم يحالفه الحظ ودائما يخسر.

[339] انسحب الأتراك العثمانيين من سورية عام.

[340] أي خارج مهنة الدبّاغة.

[341] الزميتا تعني عندما يكون سطح الماء متجمدا بطبقة رقيقة من شدة البرد والأعشاب قاسية وتغطيها طبقة رقيقة جدا من الجليد.

وتابع كلامه: من بعد زبل الكلاب تمدّنا شوية ونقلنا إلى زبل الدجاج. (سألت لماذا ينقع في الوسخ؟) فقال: نأتي بالكلس المطفّأ ويوضع فيه الجلد من أجل ترويح الشعر عنه أي عن (جلد البقر أو الماعز أو الجمل). ومن بعد الشعر { زوال الشعر عن الجلد } يجب ترويح الكلس والوسخ هو الذي يروح الكلس لأن الكلس يحرق الجلد. بعدها ننقع الجلود في التيغار (وأضاف موضحا) التيغار يعني حفرة في الأرض مثل البركة تُصْنع [342]من الطين أي من التراب والزريقة والحجر) فننقع الجلود مع قشر الرمان والعفص، وهكذا يطلع الجلد مدبوغ ولكن ليس بشكل جيّد. وكنا نصنع من هذه الجلود الصرماية الحمراء والسوداء. فهذا كان من الجلد الأول. ومن ثم تطورت الصناعة إلى (اليوكس)[343]ونصنع الصبابيط والصنادل من أجل الفرنسيين. والدباغ كان عربي ليس افرنجي.

وكان التجار يأتون بالجلد الأجنبي فتعلمنا وصرنا نطوّر الجلد، حتى أتت سنة الأربعينات أي من عام 1938 وطالع صرنا نتطور شوي شوي على دباغ الكروم أي الأجنبي أي [344]وفي ورق السماق وقبله بقِشِر الرمان والعفص (العفص من شجر السرو). وقت خرى الكلاب كان قشر الرمان نضيفه كصباغ مثل القماش وليس مثل البويا.

أما عمي كانت حالته جيدة وصار عنده أملاك، ولكن لم يعترف علينا. وكُنّا ما نشوف بعض إلا قليل وفي المناسبات. والدي جار عليه الزمان وكذلك أنا. فكنت أشتغل لحالي ودرت في البلاد واشتغلت في فلسطين ومصر وتونس والمغرب على أيام حسن الأول جده لحسن الحالي. آخر سفرة لي كانت إلى العراق وعلّمنا العراقيين الصنعة، ولم أجلب معي سوى دينار ونصف. صرفت الدينار من أجل البيك آب[345]. كنت أشتغل في أمانة العاصمة وعندما يبطلونا من العمل كنت أذهب وأجمع العمال وأشغلهم معي. فيكون عملي دائما "مراقب" لأنني أدور على عمل الورشة كاملة. وكانت أجرة العامل 2 ل.س أما أنا كنت آخد 4 ليرات. إذا جمعنا ايام عملي كلها فتطلع حوالي 43 سنة.

في الستينات تعينت مناظر بالمياومة بأمانة العاصمة. وكُنّا نطلع من العمل كلما انتهى العمل. وإذا جاء رئيس الدائرة ورأى عاملا في فمه لقمة أكلْ وفي يده الكراك [346] كان يقَلّعه من العمل، أو يحسم عليه الأجرة.

ثم انتسبت إلى نقابة عمال الدولة والبلديات. وكان رئيس النقابة وحدوي، ومن ثم أتى محمد سعيد حمد إلى النقابة ودخل بالانتخابات وكان حسين مكية ورياض عبد الواحد وفايز كشكول. وفي السبعينات تعين محمد سعيد حمد في المجلس التأسيسي لمدة سنتين.

وياما نمنا في المغاير بالتربة.[347]

---

[342] أي تبنى حوافيها من الطين والزريقة والحجر فتصبح جدران التيغار كتيمة لا ينفذ منها الماء.

[343] هكذا وردت بخط الدارسة نوال، ولم نستطع فهم الكلمة.

[344] كلمة غير مفهوة وورت بخط الدارسة التي تنقل عن العامل المتقدم في السن كما يلي : ياالأكسر.

[345] لعله يقصد سيارة اليك أب، التي كان يستأجرها كما نخمّن.

[346] لعله يقصد الكريك وهو ألة لحفر ونقل التراب.

مطالعة الكتب كان بدها مصاري. والأحزاب تلعب دورا كبيرا. وفي سنة 1965 طلبنا من مؤسسة الإسكان أن تعطينا محاضر للبناء فأعطتنا بحدود 300 محضر. ولكن العمال لم ترض أن نأخذ محاضر لعدم الوعي (فكل واحد منهم إذا أراد أن يأخذ محضرا كان بإمكانه ولكنهم رفضوا). فأسسنا جمعية سكنية للعمال وأخذنا محضرا ورجّعنا البقية إلى مؤسسة الإسكان ورئيس الجمعية كان محمد سعيد حمد.

أيام سفر برلك على ايام الأتراك. عندما وقعت الحرب، اتفق الألمان والأتراك في حرب واحدة ضد أوروبا وانكلترة.

عسكر أبو لبادة كان يحمل حبلة ليربطوا الشعب ويسوقوهم على القتلة، وعندما تعلم الأهالي بمن راح مع أبو لبادة فيقولون الله يرحمه.[348]

وكُنّا نعمل من ميعاد الضو حتى تعتم الدنيا، كان استبداد شديد. وكان الإنتاج ياخدوه (الكرستاجية) الشكارة كانت 70 جلد أو 120 جلد وهكذا. كان لا يحق للعامل أن ينقطع عن العمل ودائما يحق لصاحب العمل الرفض وأحيانا يشغلنا يومين أو ثلاثة أو أربعة أيام في الأسبوع حسب طلب السوق. وكان للجلد مواسم، ففي أيام الشتاء من أجل الصرماية السوداء يدفع التاجر رعبون ويربط الإنتاج به بهذا الشكل. وكانت العملة الذهب (تتداول) بين التجار والمعلمين ولكن ليس مع العمال. كان العمل قليلا فنجتمع ساعات ونجلس بالشمس ونخلع ثيابنا ونفقي القمل.

وكان يوجد خلاف بين العمال والمنافسة جارية بينهم، لأن كل واحد صاحب عائلة والجوع كافر. فكان الواحد يذهب عند المعلم ويغريه أن يشتغل قَدْ { بقدر} عاملين وحتى يشتغل في الليل على ضوء السراج، مما يدعو صاحب العمل إلى صرف العمال ويستغل العمال المهرة.

ولكن مع الفقر الموجود كان أهل الحي يتعاونون مع بعضهم في المصائب. وكان الأغنياء يوزعون على الفقراء البعض من مالهم. فكان يوجد في كل حي تقريبا بحدود 7 عائلات حالتهم جيدة. وكانوا قبلا في الشتاء يوزعون الفحم، كل واحد على حسب عائلته. وكان التشعيل فحمتين وثلاثة يضمونهم في الكانونة (التي تصنع من الطين)، وهي على شكل قدر نشعل فيها النار وتوضع تحت لحاف يغطي جميع أفراد العائلة،لأنه كان يصير برد قارس جدا، لكن البيوت العربية كانت دافئة.

---

[347] كثيرا ما نمنا في مغائر المقابر.

[348] عسكر ابو لبادة هم العسكر العثماني. وكان الدرك يحثون على المطلوبين إلى العسكرية ويربطوهم بحبلة حتى يصلوا إلى ثكنة جمع العسكر.

قال: يا عمو، إن الإنسان من التراب، لذلك يُدفأ من التراب. ولا يحن على العود غير قشره. و نحن بني آدم من التراب ويحن التراب علينا.

أما مياه الشرب فكانت من الأنهر تأتي إلى البيوت بسواقي مصنوعة من الآجر. تأتي من الطالع إلى السواقي ومن ثم إلى الشاوي ن وهو يقسمها على البيوت، كل بيت حسب ما اشترى من الماء. وكانت طريقة الشاوي في تحصيل ثمن الماء، أنه كان يضع الزبل أي بعر الغنم أو الجمال في السواقي فتصل إلى بركة البيت فعندها يشاهدونها أهل البيت ويتذكرون الدفع.

لم يكن الإصلاح الزراعي قد سمعنا فيه إلا أيام الوحدة ولكننا لم نعرفه.

أهل الريف يأتون إلى المدينة ليتبضعوا فيها وأهل المدينة كانوا يذهبون إلى القرى، حتى البيض يجلبونه من القرى. مع العلم أن أهل دمشق كانوا يربون الدجاج ولكن ليس في كل مكان.

كان يوجد شيخ الكار من بيت الأسود وكانوا ينادوه باسم عمي حمدي. فسألته: ما علاقته مع العمال ؟ هزّ رأسه وقال: علاقته مع المعلمين وليس مع العمال وأنه كان يُمَشّي أشغال المعلمين، أما العامل فيلعن أمه وأبوه.[349]

كان يوجد جمعيات للصناع، وهي سهرة للعمال تقام كل يوم خميس مساءً من أجل الضحك والتسلية واللعب مثل لعبة الخرسانة، وهذه اللعبة: جمعية للصناعية، وللمعلمين جمعية خاصة. يجب على الجميع عدم الكلام ويأتي واحد وهو أكبر الموجودين وشو ما عمل نحن نعمل ويللي بيحكي توقع عليه. وهذه عليه تعني أن يعمل عزيمة مع العلم أنه طفران، أو بياكل مقرعة (أي الضرب بالسلو) أو على طقة. والطقة هي العوامة أو المشبك أو الهيلطية أو الزليبة و بعدها طلعت الهريسة. وكل ما كنت أعطل عن العمل أذهب إلى المحافظة للعمل فيها.

وفي عام 1948 تأسس معمل البلور بدو عمال، وأنا كنت عاطل عن العمل فركضت. آه يا عمو، ما بقدر أحكي (أنا إسمي الناقد ومو بس الناقد الناقد اللاذع). كان مؤسس المعمل من كبار التجار وفيه من الجملة بيت عم لنا من بيت نظام الفقراء بالدين وغنيين في المال، فرحت لهم وطلبت العمل فرفضوا. فحملت دربي ورحت ووقفت على باب المعمل في القدم وعلى السيارة نمرة 11. فقالوا: جاء المدير واسمه (محمد بيضون) من لبنان، فناديت محمد بيك محمد بيك ! فقال للسائق: وقِّف! وطلبت العمل. فسألني عن اسمي فأجبته تحسين نظام، وقال الحقني! فسمع الحارس فقال الحقه ! فلحقت به فطلب مني الشهادة، فقلت: لا شيء، فسأل من بيت مين؟ فقلت من بين نظام الله وكيلك، أنا دارس في شيخ الكتاب أيام سفربرلك. فطلب تسجيلي مع العمال. فأخذني واحد وسلمني عرباية بدولاب واحد، على زق البلور المكسر. وأنا عندي ذكاء، فصرت الحق بالمهندسين. كانوا اثنين أمريكان، هلّي اشتروا منهم المعمل.

---

[349] والمقصود بالعمال هنا الصنّاع، والمعلمون هم معلموا الحرفة ومالكي أدوات الإنتاج.

واحد اسمه كيلي من واشنطن والثاني اسمه فاي من فرجينيا. كيلي على الكاسات والقوارير وفاي على الزجاج السادة. كيلي عم يمشي حاله في الشغل وفاي ما بدو الشغل يمشي فيخربط بالمواد الأولية أي في الخلط، المواد الأولية من أوروبا والرمل من لبنان. وكان المعمل من أفضل المعامل في ذلك الوقت، وكان يحوي ثلاثة أفران. وكانت أجرتي 1,5 ل.س وكانت هذه الأجرة تكفي إذا عمل العامل طيلة الوقت.

ظلّ (بقيَ) التعامل بالذهب حتى عام 1936، إلى أن صار الحكم ذاتي وطني. بعد إضراب 1936 صارت الحديدية (تعني الجيش الوطني وكانوا يحملون عصي مثل الكشاف ويلبسون لون رصاصي ولى رأسهم خوذة فيصلية عليها ريشة، لأن الملك فيصل دخل إلى بلدنا قبل الانكليز وبعد دخوله نحن عيناه ملك ومن ثم دخلوا الانكليز بعد اسبوع أو أقل.

وكان يوجد خبراء للفرن الثالث من بلجيكا للبلور المحجّر، وكنت أود أن أحسن الأوضاع من نفسي، وتركت نقل الرمل وذهبت إلى ورشة القص، فصرت أعمل بقص الزجاج في المحجر، وألف على فرن كيلي مع شغلي، ومن ثم استقريت على المحجر لأنه يمشي أكثر من غيره. والبلجيكيون حبوني وصرت رئيس ورشة على أولاد العرب لمدة ثلاثة أشهر. وأصبح الخلط أسمر وصار الزجاج يتكسر فيزعلوا البلجيك، لأن فاي كان يعمل الخلط. فاتفقت أنا والرئيس البلجيكي على تعلم الخلط لمدة ثلاثة أشهر وكل يوم برنامج خلط جديد. وفي يوم سمعت المدراء يتكلمون أن المازوت سوف ينتهي وأفران الزجاج لا يجوز أن تتوقف بسرعة، وفجأة تحمست وركضت وراءهم وقلت أنا أمشي الفرن. فصرخ سليمان ابو شعر، وهو شريك في المعمل وقال: هالحمير تمشي الفرن وعندنا خبراء أجانب لا يستطيعون. وبعد فترة أرسل محمد بيك بيضون ورائي وطلب مني رأيي. فزعلت في البدء فطيب خاطري واشترطت عليه أن يعمل برأيي مع العلم أن الزجاج كان يتكسر من مدة سنة ونصف تقريبا وكانت الخسارة فادحة وقلت له أني على استعداد أن أستخرج الزجاج غير مكسر ولكن بعد 18 يوم. فقال:- لماذا هذا الوقت كله ؟ فقلت: حتى ينظف الفرن من الخلطات السابقة. وفاي لم يرسل لي ولا خلطة ولا أمشي على خلطاته. فوافق وقال: لا نستطع إبعاده نهائيا، ولكن لا تدعه يعلم ماذا تعمل، لأنه من اصحاب المعمل.

فَرُحْتُ أطبق بعض خلطات كيلي. فأبعدّت اليوركس ووضعت فحم بدلا عنه ونقيته من الحجارة. وخلال 14 يوما فقط صارت الألواح تظهر كاملة، فأرسلت وراء المدير وقلت له: تعال واستلم الزجاج كاملا على عدة أمتار، سالمة غير مكسرة. وبعد ذلك أصبح تحسين هو الأول والأخير. وتكلم محمد بيضون مع حنين صحناوي وجلب المازوت من شركة "شل" على حساب حنين صحناوي الخاص (أي الفيول).

ثمّ جاء وقت تعطيل العمال[350] فجاؤوا عليّ (إليّ) وقالوا: يا سيد تحسين، بدنا نبطل العمال، فأجبت: لا، إن العمال أصبحوا فهمانين، وإذا جئتم بعمال ليس لهم دراية بالعمل فماذا يصير؟ فأجابوني: لا تتدخل في (شؤون) العمال، فلم أوافق أبدا. كان عدد العمال تقريبا ما يعادل 250 عاملا على ثلاث ورديات ويعملون 8 ساعات عمل. فذهبت إلى العمال وصرت أوَعّيهم وأقول لهم أنهم سوف يبطلونكم عن العمل. فتجمعنا ونبهت العمال أن لا يتحركوا بشيء إلا عندما يبلغوننا وقت التعطيل، وقلت لهم سوف نؤلف نقابة. كان يوجد نقابة صغيرة في الشاغور لعمال الزجاج، مثل الأباريق، ولكنهم لم يرضوا بالانضمام إليهم. فجمعنا من جيوبنا ودفعت أنا من جيبي 280 ل.س[351] واستأجرت بيت في شارع الباكستان واستأجرنا كراسي وتقدمنا بطلب اتحاد العمال الذي كان رئيسه في ذلك الوقت صبحي الخطيب. وكان أمين السر من بيت (كلمة غير مقرؤة) وعرضنا الموضوع عليهم، وعملنا اجتماع عندهم في القنوات فوق النهر[352] حيث مركز الاتحاد، وقلنا لهم: نحن مضطرين إلى تأسيس نقابة لأنهم سوف يسرحوننا من العمل، ولكنهم أجلوا الموضوع إلى انعقاد اجتماع ثاني، وتسرّح بعض العمال في اليوم الثاني. فجمعت ثلثي العمال وذهبنا إلى الاتحاد مرة ثانية. وعلمت الشركة بالموضوع، فعجلوا بالتسريح وسرحوا قسما من العمال. فعملنا إضراب وعملنا حراسة على الماكينات، فطلعت الدرك وقائد الفصيل، وأرسلوا ورائي وقال لي قائد الفصيل: لماذا تحرّض العمال على الإضراب وتخريب الماكينات، ومن المسؤول؟ فكان جوابي: نحن نحرس الماكينات وحريصين على المعمل. فقال أحد أصحاب المعمل لقائد فصيل الدرك: إن تحسين هو المخرب. عندها وضعوني الدرك في سيارة وأخذوني، فصرخوا العمال ولحقوا بي وتكلموا مع وزارة العمل، فجاء الجواب أن اتركوه واستمرينا بالإضراب مرة ثانية وثالثة وفي المرة الرابعة رفضونا جميعا وقلّعونا خارج المعمل.

فذهبنا وربطنا لوردية العمال الثالثة، التي تعمل بعدورديتنا، وأخذناها معنا. وجبنا لعمال الوردية الثالثة خبز وعُلب حلاوة وبيض وأطعمناهم وهكذا منعنا الوردية الثالثة أن تصل إلى المعمل. جن جنونهم[353] وتدخّل صبحي الخطيب رئيس الاتحاد بالذات وقال: شو عم يصير؟.. فقلنا له: لم تعطونا القرار بتأسيس نقابة وهم يسرحوننا، وأبو حسن النجار رئيس ورشة النجارة كان يعطيهم أخبار عن تحركات العمال إلى أصحاب المعمل.

---

[350] التعطيل من العطالة، والعامل عن العمل. وقصده تسريح العمال والمجئ بعمال جدد، والغاية منع العمال القدماء من المطالبة بالتعويض في حال التسريح.

[351] هذا المبلغ غير معقول في تلك الأيام والليرة السورية كان لها قيمة شرائية وازنة. وحسب معرفتي عن الاجور في ذلك الوقت، فإن أجرة المكتب تقارب 25 ل س. وثمة التباس او خطأ من الدارسة في نقل الرقم، اومبالغة من متحدث يستعيد ذكريات ممزوجة بالخيال. يضاف إلى ذلك أن العامل وحسب اقواله كان فقيرا، ولكنه كان يطمح في الوصول إلى موقع نقابي عن طريق ترؤسه لنقابة في معمل لمالكيه اليد الطولى في الدولة ولن يسمحوا بتأسيس نقابة في معملهم.

[352] كان البيت متسعا وتتوسطه باحة وسيعة في منطقة مرتفعة نسبيا عن أحد فروع نهر بردى واسمه قنزات. ولا تعني فوق هنا أن البناء مبني فوق النهر. وبقي بيت القنوات مركزا للنقابات حتى بناء بناية حديثة غربي ابو رمنة في أوائل سبعينيات القرن العشرين ز وتحّولت دار القنوات إلى مركز طبي تابع للنقابات.

[353] أي أصحاب معمل الزجاج.

وبعد مفاوضات اصطلحنا على أساس أنهم لن يسرحوننا. وعاد العمال إلى المعمل، كل واحد إلى عمله. وكانت دوريات العمل مقسمة على النحو التالي: من الساعة السابعة صباحا حتى الثالثة، ومن الساعة الثالثة حتى الحادية عشر، ومن الساعة الحادية عشر إلى السابعة صباحا و بدون فرصة أثناء عمل الدورية.

في اليوم الثاني ذهبت إلى المعمل مثل العادة، ولكنهم قالوا لي: أنت مأذون وممنوع أن تدخل إلى المعمل لمدة 15 يوم. فراجعت صبحي الخطيب فقال لي: اليوم عندنا اجتماع في وزارة العمل فاذهب إلى المعمل. ولكن مندوب المعمل اعترض على وجودي بحجة أنني مأذون ووضعوا بدلا عني أبو حسين النجار لأنه متعاون معهم. ولما خلصت (إنتهت) إجازتي، ذهبت إلى المعمل فمنعوني من الدخول، وقالوا: إذهب واقبض مكافأتك من الإدارة العامة. وكان المبلغ 200 ل.س، وسُرِّحت من العمل.

وبعدها سافرت إلى بغداد وعملت فيها مدة من الزمن.

وعندما عُدْتُ ذهبت إلى المحافظة (بلدية دمشق) وتابعت في نقابة عمال الدولة والبلديات (وكان محمد سعيد حمد أي أبو أسعد) رئيسا لمكتب النقابة عمال الدول والبلديات. وأثناء عملي أخذت فكرة واضحة عن عمل النقابات.

سألته عن الوعي الطبقي لدى العمال، فأجاب: في ذلك الوقت لا يوجد وعي طبقي ولا غير طبقي. الوعي الموجود كان أنا بدي صير وأخي يلعن أمه وأبوه ! { في رأيه أن الأنانية كانت هي السائدة. ويبدو أن هذا الحكم نابع من معاناته في طفولته ومن مواقف عمه وأقربائه من في عدم مد يد المساعدة له رغم قدرتهم المالية }. وأضاف: ولكن كان يوجد حياة اجتماعية أكثر من الآن.

لم يعط رب العمل هدايا أو إعانات للعامل، بل كان لو يطلع بإيدو (بيده) يرمي رقبته فلن يقصر. بل كان يتدلل على العمال لأن اليد العاملة كثيرة والعمل قليل. و أقص عليك حكاية وقال:

في يوم من الأيام قال لي الخبير البلجيكي: يا سيد تحسين، بدنا نقدم لك هدية من عملنا فشال على راس العصا عقصة من الزجاج وصنع لي كلبا منها فأعجبني كثيرا. فقلت له: إنني أرغب بواحد ثاني فصنعه لي، فأخذتهما وذهبت إلى الإدارة، وقلت لهم: إن الخبير صنع لي هذين التمثالين وأود أن أحتفظ بهما ببيتي فكم ثمنهما، فأجابوني: 9 ليرات. فقلت لهم: ماذا كلفتكم ؟ فقالوا ثمن الزجاج وثمن الخبرة والخبير صنعهما بنفسه. مع العلم أن الخبير أراد أن يقدم عمله هدية. فخضعت للأمر ودفعت ثمنهم 9 ليرات سورية في ذلك الوقت.

وحول سؤال: هل وُجدت انتخابات نقابية في ذلك الوقت ؟ فأجاب: الإنتخابات تزوير بتزوير.

وبعد أن نقلت الدارسة كلام المتحدث بعاميته، أضافت:

الآن يعمل هذا العامل النقابي المعذّب في حياته والبالغ من العمر 84 سنة في كشك في الكراجات، ويتعرض كل يوم إلى إهانات ويرى الكثير والكثير من الأخطار والسرقات والمشاكل، ما يكفي لقتل شاب في ريعان شبابه. وقد قصّ عليَّ عددا كبيرا من هذه المشاكل، و لكن مع التحفظ، خيفة من التعرض إلى إساءات أكبر. وهو ما زال مسؤولا عن أسرة وهو المعيل الوحيد ولا يزال لديه الولد الأكبر في الصف التاسع الإعدادي والأصغر في الصف الرابع الابتدائي. ومع هذا لا يزال يتمتع بالشخصية القوية المليئة بالعز والعنفوان والكرامة.

مع العلم أن مثل هذا الشخص الكريم الذي عاش حياته كلها في الخدمة والشقاء والعذاب، لا يزال متمسكا بعروبته ومن حقه أن يحصل على ما يعيله في هذا السن المتقدم وإعالة أسرته القاصرة. لكنه للأسف لم يحصل، بعد على هذه الخدمة التي لا تقل عن 43 سنة ولا يزال يعمل، إلا على معاش تقاعدي لا يبلغ سوى 528,85 ل.س من الشؤون الاجتماعية والعمل، وبرأيي أنه صادق كل الصدق فيما قاله أو تذكره عما آساه في حياته.

ولكم الرأي وشكراً

* * *

بعد هذا اللقاء الشيّق المنشور اعلاه، الذي أجرته الدارسة نوال عفيف ضاهر مع العامل تحسين نظام، الذي جاوز الثمانين من العمر، في بيتها بتاريخ 10 – 2 – 1989، وجدّتُ بعد أوراقها ورقتين مكتوبتين بخط يدي، لهما علاقة بما كتبته الدارسة نوال. ومع الأسف وأنا الآن في المانيا وأعدُّ للنشر ما جمعه طلابي في المعهد النقابي المركزي، لا أذكر كيف ومتى كتبت هاتين الصفحتين. وبالتأكيد لم التق مع العامل تحسين نظام، ولا أذكر أنني جلست مع الدارسة نوال مستفهما عمّا كتبته في لقائها مع تحسين. والصفحتان التاليتان المكتوبتان بخط يدي،هما جزء من لقاء نوال مع العامل تحسين، ومتمم لما نقلته عن العامل تحسين. وسأنقل فيما يلي ما كتبْتُه في هاتين الصفحتين، ويبدو انهما تلخيصُ، لما كنت اعتزم القيام به في الكتابة عن الحركتين العمالية والنقابية، في ظروف قاسية كانت سهام عديدة موجهة لنشاطي الفكري، ومن هذه السهام: المخابرات السلطانية، التي تحصي على الناس كلَّ شاردة وواردة، وكاتب هذه الأسطر في عين عاصفتها.. القيادة النقابية خادمة السلطة والمستفيدة منها، لم يكن يهمها أمر العمال ولا من يكتب عنهم.. مدير المعهد النقابي شبه الأمي وحامل دكتوراه من يوغسلافيا جرى تعينه بسبب قرابته من أحد أعضاء المكتب التنفيذي لاتحاد النقابات، وهو " لا يعرف شيئا عن الدنيا ".وفي التعبير العامي: " مثل المضوّع جحشت خاله "...

سأنقل الصفحتين كما وردتا بخط يدي معلقا في الحواشي على الغامض من هذه الجُمَل غير المترابطة ولكنها من صميم اللقاء، الذي أجرته الدارسة نوال. وفيما يلي ما جاء في الصفحتين:

قلت [354] لصبحي الخطيب: أنت مرتشي من الشرطة.. فأجاب: لا يا نظام لا.

اشتغلت بالدباغات بسبب العوز. بدأت أيام الخريف. أساس الدباغة: الكلس، خرى الكلاب، قشر الرمان. (يلعن الدباغة المحتاجة لخرى الكلاب) كانوا يأتون به من البساتين وكانت الكلاب كثيرة ويعبّونه بكياس ومن يجمعه يأخذ ثمنه. يُنقع الجلد في الماء ثم يدهن بالكلس. مدة النقع في الصيف 24 ساعة وفي الشتاء من 3-4 أيام حتى يسهل قلع الشعر أو الصوف بوسائل الشلح للغنم والماعز أو القشر للبقر والجمل.. بعد شلح أو قشر الشعر أو الصوف، يوضع الجلد أو الجلود في التيغار وفيه ماء وخرى الكلاب. ثم ينزل الصانع في التيغار لنقع الجلود، يرفع كل جلد ويحركه في الماء الممزوج بخرى الكلاب حتى يتشبع الجلد وبعدها يلفه الصانع ويخرج به من التيغار، ويبدا بأقدامه الحافية يعصر الجلد الملفوف، ثمّ يُقحط الجلد لإزالة خرى الكلاب. هذا العمل موت أحمر. بعدها نَزُتْ الجلد في المنقع في الماء نعمل منه بقجة، ثم نأتي بعفص (أصفر على خضار للنعل) أو قشر رمان (لون بني فاتح للوجه) حسب ما هو مخطط للجلد،

جلب الجلود من اللحام حسب العرض و الطلب

في كل صنعة معلم ونصف معلم وعامل

تصريف الإنتاج حسب العرض والطلب ويقوم به الصريماتي. [355]كان فيه تجار للتخزين وتجار تأخذ شي قليل وتبيع.

دخل تحسين نظام للعمل في الدباغات آخر أيام الأتراك أواخرعام 1918. كُنّا نشوف الأتراك يهربون بالبوط أو البنطلون.[356]

كان الأجير يأخذ أبو الخمسين [357] يعني أقل من ربع مجيدي، أحسن صانع ياخد ثلاثة أبو الخمسين، أي أبو المية وأبو الخمسين. وأحيانا يعمل ببلاش [358] ليتعلم صنعة. ناس اشتغلوا سنتين حتى أخدوا أبو الخمسين.[359]

---

[354] الضمير يعود لتحسين نظام. وصبحي الخطيب كان يرقص على حبال العمال وأرباب العمل والسلطة محاولا إرضاء الجميع حسب " الشطارة الشامية ".

[355]الصرماية تعني الحذاء. ومنها أُشتقت كلمة الصريماتي المتعامل بتجارة الصرامي.

[356] عندما انهارت الجبهة التركية أمام الجبهة البريطانية في شمال فلسطين في خريف 1918 انسحب الجنود الأتراك بدون نظام. وهنا أخذ سكان الأرياف في جنوب سورية ينهبون ما يملكه الجنود وكثيرا ما اخذوا ثيابهم، وهذا هو المقصود بتعبير تحسين يهربون بالبوط او البنطلون

[360] وهي أصغر عملة عثمانية وصفها تحسين في مقابلته مع الدارسة.

[361] بدون أجر، بدون مقابل.

[359] نظام تدرج المهن الحرفية يبدأ بالأجير، الذي لا يتقاضى أجرا حتى يتعلم الصعة فيصبح صانعا مبتدئا بأجر زهيد. وفي الدباغات كان يتقاضى ابو الخمسين.

لم تكن توجد انتخابات لشيخ الكار. كان الزكرتي أكثر شي يتسلط على المشيخة. الزكرتي يُعَلِّمْ على الآخرين بسكينتين ثلاثة [360] من أجل أن يتحاشوه فُيوضَع شيخ الكار [361] ويُشترط أن يكون شيخ الكار غني، بدون غنى يبقى ثرثري ويأخد "خاوة" أي البلص. [362] الزكرتي المعدّل بقوته، معه مصاري ويسيطر على الكار.

الزكرتي أشكال: شيخ الكار يتسلط على الصُنّاع، وبخاصة المهرة، ويتسلط على بيوتهم ويتدخل بشؤون النساء بين الصانع وزوجته.

أنا ما تزوجت حتى صار عمري 48 سنة من أجل (بسبب) هذه الشوفات.

بعد أن ترك مهنة الدباغة عمل في معمل الزجاج إلى الجنوب من دمشق. ثمّ ذهب إلى بغداد وعمل في مهنة الدباغة.

اشتغل في بيروت عند سليمان رشيد على النهر.

جميل مردم لعب في عقل ثلاثة من زلمه وأخذوا فتوى من شيخ لقتل الشهبندر.الشيخ بيفتي ولو على مرتو إذا فيه مصاري.[363]

اشتغل في معمل الزجاج سنة 1948. جرى الإضراب في معمل الزجاج على ايام سامي الحناوي في أوائل الخمسينات.[364]

صبحي الخطيب مثل شيخ الكار وين بيصحّلوا سهرة نظيفة بيسهرها، وين صحّلوا قبضة قبضها[365]

بعد تسريحه من المعمل غادر إلى بغداد

---

[360] أي يضرب بسكينه أو خنجره ضربتين أو ثلاثة خفيفتين تُعّلِم، أي يظهر أثر ضرب السكين على الجلد دون أن يسيل دم المضروب. وهذا دليل على خفته وقوته للسيطرة النفسية على الناس.

[361] هذا الكلام فيه مبالغة وتجني على الحقيقة فانتخاب شيخ الكار له شروطه وتقاليده المعروفة، وقد اوردناها في كتابنا تحركات العامة الدمشقية الصادر في بيروت 1985. ولكن هذا لا يمنع من وجود بعض شيوخ الكار حسب الوصف المبالغ فيه من قبل تحسين نظام المصاب،كما يبدوبعُقد نفسية وإحباطات جعلته يمزج بين الحقيقة والواقع.

[362] والخاوة هي الخوّة التي كانت العشائر القوية تأخذها من العشائر الضعيفة ومن الفلاحين المسالمين.

[363] قصة عبد الرحمن الشهبندر واغتياله بفتوى من الشيخ مكي الكتاني وبتحريك من أحد زعماء الكتلة الوطنية جميل مردم بك تجد تفصيلها في كتابي : " غبد الرحمن الشهبندر علم نهضوي ورجل الوطنية والتحررالفكري ".دمشق 1989.

[364] وكان ارباب العمل يسرحون العمال بعد 11 شهرا من عملهم، كي لا يطالبن بتثبيتهم بعد انقضاء سنة على عملهم، بموجب قانون العمل الصادر 1946.

[365] هذا الوصف لرئيس نقابات العمال صبحي الخطيب ليس مبالغا به بل هو يلامس الحقيقة. وهذا ماتبين لنا لدى البحث في الحركة النقابية السورية، وأدرجناه في عدد من الدراسات.

نقابة لعمال الزجاج في معامل النفخ في الشاغور خافوا مننا ورفضوا

الزكرتي له نظرة إنسانية وله صنعة. الزعران ليس لهم نظرة إنسانية ولا أخلاق، ومثلهم المنافيخ. وكان الزعران المنافيخ يتشاجرون فيما بينهم، ولا ذمّة لهم. والزعران والمنافيخ كانت شغلتهم تدخين الحشيش والسكر والنسوان. كانوا يزرعون الحشيش و القنب في بستان القوتلي في الشاغور. الزعران في حيي مئذنة الشحم والشاغور المجاورتين لحارة اليهود كانوا يأخذون خاوة من اليهود. وكان المنافيخ يعلّمون على الأغنياء من اليهود ليخيفوهم ويجبروهم على دفع الخوّة.[366]

وصل إلى: كابول وعمل في الدباغة. من إيران لكابول ثلاثة أشهر ونصف. نام في الخان. الدباغات فيها مكان لصنع الأكل يأتي واحد يعمل قهوة وشاي وأكل.[367]

14- لقاء مع وقّاد أفران من نقابة الاسمنت و الأترنيت – حلب

مُجري اللقاء الدارس: عبد الحكيم خطيب من معمل اسمنت المسلمية في 1988/1/27

المتحدث: عمر بن أوسو مرستاوي من مواليد حلب 1931 ، مكان أخذ الحديث: نقابة الاسمنت والأترنيت ومواد البناء بحلب في 1988/1/27.

ومهنته: عامل مراجل بخارية (شوديرات) ، ومنتسب لنقابة الاسمنت قديما وحديثا

كتب الدارس:

عمل جد عمر مزارعاً في الأرض طوال حياته، ومع الزراعة مكافحة الإقطاع بالريف طيلة حياته، وقد أوصى الجيل الذي يليه أمانة القضاء على الإقطاع.

أما الحالة الاجتماعية فكانت تسودها العلاقات الأسرية الجيدة والمترابطة. أما الحالة الاقتصادية فكانت الحالة مستورة (فقط). وكان من يعرف القراءة والكتابة كان يطلق عليه اسم الأفندي وعليه القيمة.

الوالد كذلك كان مزارعا بالحقل الذي ورثه عن والده. أما الوضع الاقتصادي فكان كما كان عند جدي وعلاقته بالآخرين جيدة. ربى أولاده بفقر وشقاء وكلهم عمال توفوا ولم يبق سوى أنا.[368]

[366] جرت هذه الظواهر في العهد العثماني، واستمرت في بداية عهد الإنتداب إلى استقرار الأمن عام 1930، ونمو الوعي الوطني، الذي اسهم في القضاء على هذه الظاهرة.

[367] انتهى نصُّ الصفحتين المكتولتين بخط يدي والمستقيتان، أو بالأصح المنقولتان من كلام تحسين نظام.

[368] أي المتحدث عمر.

ما كنت أقرأ الجرائد إلا فيما. وكنت مع صفوف المناضلين ومنتسب لحزب البعث مع المرحوم أدهم مصطفى، كنّا نقاوم الحزب الوطني المتمثل بأكثر الإقطاعيين المستغلين، وحزب الشعب، وحزب الإخوان المسلمين، وفي بداية الـ 54 الحزب القومي السوري.

مهنتي عامل وقّاد أفران (حرّاق) فترة 20 سنة، وتركيب أفران مدة سنتين، وعملت في المراجل البخارية 13 سنة حتى الآن، وحاليا مراجل بخارية مع التصنيع.

المواد الأولية: ليست بالمواد الأولية التجارية، إنما هي حرق المازوت لتشغيل المولدات وتوليد بخار حار من الشوديرات لتغذية الأفران وتمييع الفيول الداخل إلى الغرف المحرقة، بالإضافة لتوفير مياه الحمامات. وخلال عملي في الشركة اتضح لي ان عمل الشودييرغير طبيعي وهو من موديل 1954. وبعد حضوري الدورة 1981 في عدرا، استطعت تصنيع بخاخات وتعديل رأس المراجل من ألماني قديم إلى هيكل إيطالي، والتصنيع كان من قبلي، بهدف التخفيف من مادة المازوت من 90 إلى 30 طن، وإلغاء مرجل خاص لتمييع الفيول، وقام المرجل القديم بتسديد الحاجيات العلمية.

أما تصريف الإنتاج ما كنّا نستطيع الاطلاع عليه زمن شبارق.[369]

من ناحية الصراع فكان مُستّرا [370] بين رب العمل والإقطاعي المتسلط على رقاب العمال ولا يعترف إلا على العمال من أصحابه ومعارفه وأقربائه ومن دخل بواسطة لديه. كان الصراع بين العمال ورب العمل ومنهم (أحمد قنبر – عبد القادر شبارق وزمرته) شبارق يمثل الحزب الوطني وقنبر حزب الشعب وكلاهما متفق مع الآخر للقضاء على الطبقة العاملة وجعلها سلعة تستثمر في كل حين من أجل مص دمائهم وجعلها دائمة لهم.

أما النقابة كانت في ذلك الحين لا تستطيع حل شيء ولا تستطيع أن تظهر على الوجود وبالشكل العلني، وكنا لا نستطيع أن نحل أي خلاف.

كان الوضع في الأحياء الشعبية يعتمد على العشائرية وأزلام الحزب الوطني وحزب الشعب، يعملون ما يشاؤون من تنكيل وتشهير. وما كان يوجد أي محاسبة لهم من السلطات الأعلى على أعمالهم هذه. أما علاقاتهم مع بعض فكانت كما قلت يسودها الخلاف الدائم منه السياسي ومنه القبلي.

أما في الريف فكان مثلا في كفرنايا التي حكمها جودت بيك قطر قاسي وجميل بيك قطرقاسي كانا يعملان على تكتيل العشائر ضد بعضها ويرمون الفتن بينها والمشاجرات، ينتج عنها أحيانا إصابات وقتلى، بالإضافة إلى

[369] شركة مشهورة في حلب باسم كنية صاحبها شبارق.

[370] مغطّى بستار، أي سرّي.

أن أحدهم وهو أسعد بيك قطرقاسي كان رئيس محكمة في حلب فكان كلما وقع دم أو خلاف شديد بينهم (أي الفلاحين) كان يسحبهم إلى السجن ويستولي على أراضيهم.

وكان الريفي غير محترم في المدينة ويسيء ابن المدينة له بالمعاملة ويقولون له (يا حمار يا ابن الجلّة)[371].

انضممت إلى نقابة البلاط عام 1956 وبعدها نقابة الاسمنت عام 1958 وكنت من مؤسسي النقابة. وكان هدفنا القضاء على الرأسماليين والاستغلاليين وأعوانهم.

قمنا بتأسيس نقابة عام 1951، وحين تأسست وبرزت للوجود وقبل أن تفتح مكتبها، فوجئنا يوم العيد بكبسة من الدرك وعلى رأسهم شبارق وأعوانه وانقضوا علينا وعلى العمال المؤيدين لنا قتلا وتنكيلا ودهس بعضهم بالسيارات وقد قال شبارق وقتذاك: إن كان هناك رجال اشتراكيون ويؤمنون بكذب النقابات كما تدعون أضربوا عن العمل وإن كنتم نساءً طأطئوا رؤوسكم وادخلوا إلى العمل، وبعدها سرّح منا 24 عاملا وبقيت أنا الوحيد لصغر سني، حيث واصلت النضال. وفي عام 1956 أخذنا زمام الأمور وأصبح العمال يدا واحدة قلبا وقالبا، وفي حال توقيف أي عامل عن العمل نضرب جميعا ونتوقف عن العمل، ونُوقِف المعمل. وفي عام 1958 كنت نقابيا واستقلت بتاريخ 1959/9/29، بسبب حلّ الاتحاد الذي كان يرأسه (علي تلجبيني)، [372] واستلمت عناصر بمشيئة أحمد قنبز وشبارق. لكن نحن واصلنا العمل النقابي السري لغاية عام 1961 حتى كان الانفصال. وفي 28 أيلول اندمجنا مع جميع التنظيمات الوحدوية والبعثية والتقدمية وأسسنا حركة الوحدويين الاشتراكيين آنذاك لغاية عام 1963 وأسقطت عناصر الانفصال وإلى الأبد وبقيت العناصر أعوان رأس المال. وفي عام 1965 كان اول انتخاب نقابي في 14 شباط للعام المذكور، وبقيت لغاية 1976 ممثل جبهوي وحدوي اشتراكي.[373]

أما الاجتماعات فكانت تتم سريا وحسب الظروف وحسب الحضور. أما الاشتراكات كان يقبضها الأمين العام وعن طريق التسلسل، وكانت تدفع للمصابين، العاطل عن العمل، المطرود، المسرّح، أما الاشتراكات كانت ربع ليرة في الخمسينات ونصف ليرة، غير محددة حسب الاستطاعة،وما كانت مقروضة على كل عامل، إنما من كان يحب أن يدفع وغير شهرية وحسب الظروف وحسب حاجة أحد العمال ومنهم من يدفع أكثر، ليرة سورية واحدة. أما دور النقابة فكان لصالح العمال حتما دون رب العمل. وقفت النقابة في عام 1962 مع تيار الانفصال، ولكن لا يخلو الهيكل من عناصر أقلية جيدة ضد الانفصال، لكن العمل كان سريا ولم يكن لها هدفا

---

[371] روث الحيوانات الاهلية كالبقر والحمير وغيرهما

[372] لكاتب هذه الأسطر عدة لقاءات مع علي تلجبيني في دمشق. وزودني بعدد من الوثائق وأهمها موقف النقابيين البعثيين من حكم عبد الناصر عندما ساءت الأمور بينهما. وما دوّنته من لقاءات مع تلبجيني محفوظ مع وثائقي في دمشق.

[373] جبهوي يقصد الجبهة الوطنية التقدمية والمتحدث كان ممثلا للوحدويين الإشتراكيين

واضحا وكانوا يرفضون أن يكونوا مسيرين من قبل الرجعية في ذلك الحين. وظلت هذه النقابة لغاية 1963 وأيدت الانفصال، ثم أُسقِطت ولم يبق منها أحد.

عدد أعضاء أول نقابة كان 18 عضوا في عام 1958. كان منهم الملتزم ومنهم غير الملتزم، وذلك بحسب انتمائه السياسي كان التزامه. وكانوا عمالا عاديين مثقفين نوعا ما ومنهم رئيس قسم، وأذكر الأسماء التالية: جمال صابوني رئيس قسم الكهرباء- أحمد خضرو- عبد الرحمن مشنوق رئيس معمل ورئيس قسم المخبر. أما الأول متعلم والثاني كفاءة. لا أستطيع أن أسمي لك غيرهم من الأسماء فقط اعذرني.

كنت أعرف علي تلجبيني بصفته رئيس نقابة النسيج الآلي عام 1958 بالإضافة إلى أنه جاري، كان متحمسا ضد رأس المال. وكان يقود مظاهرات عديدة ونحن معه. وقد ردد في أحد المظاهرات: " يا حكومة راعي الحق والإقطاعي بدو دق.. يا حكومة راعينا والبطالة دبّتْ فينا ". وكان معه عمال حلب المطالبين بالاشتراكية. وكان رئيس اتحاد العمال السواس.[374]

تركز العمل النقابي في المؤسسات الكبيرة وهي نقابة الطباعة، لأن تجمع العمال فيها كبير نسبيا وكان يسود التكتل.

وجد تيارات من حزب الشعب والوطني، واستقالت العناصر الجيدة ولم يبق إلا الموالين. أما الخلاف بين النقابة ورب العمل فكان مبدئي وفي داخل النقابة مبدئي وكان طبقي وسياسي كذلك.

كان رب العمل يقدم إغراءات على سبيل المثال أنا في عام 1965 قدم لي أعوان رأس المال خدمة على حد زعمهم أن أذهب إلى اللاذقية (برج اسلام) وأقيم في حوش عند جورجيت مستأجر خصيصا لي، مع منح الإضافي لي في العمل وعلى نفقتهم، لتغيير مواقفي والعمل لصالحهم والسير مع ركب أعوانهم.

كانت التيارات الاشتراكية والتيارات المستغِلة في الانتخابات. ففي عام 1965 انتخاب علني إذ لم يكن قبلها انتخاب بل كان التشكيل والتعيين.

لم يكن عمل نقابي بالشكل الصحيح إنما كان على شكل جمعيات سرية. وأول قانون عمل كان عام 1956 تحت رقم 279 وكان للمحافل الدولية فقط ولا يستفيد منه العمال وكان التسريح بيد رب العمل.

---

[374] هو سعيد السواس وله باع طويل في الحركة النقابية وكان في مطلع شبابه منتسبا للحزب الشيوعي ثمّ أصبح ناصريا. وقد أجريت معه عدة لقاءات سواء في بيتي بدمشق أو في بيته بحلب. انظر ما كتبته عن سعيد السواس في مؤلفي : " الحركة الشيةعية السورية الصعود والهبوط. دمشق 2008، ص 127 – 132. وكذلك ما ورد في الملحق عنه.

وعلى زمن فرنسا جمعوا رؤساء العشائر عند مجحم وأعطوه كمية من الذهب وسيارة وسلاح ضد الموالي فقال مجحم للعرب (أي الزعامات الذين تجمعوا عنده) نريد فرنسي واللي يعارض بحد السيف نقتله. وجَمَعَ كل من كان قاطع طريق ووضعه (مليس) أي درك وعملوا على الفتك والظلم بين الناس.[375]

لا أعرف سوى تشريعات الأجور وقيمتها موجودة في الهوية النقابية.

أما الأعراف السائدة فهي أعراف العمل، إذ كنا نعمل 16 ساعة مستمرة والأجرة 250 قرش سوري. ونمشي من المعمل إلى البيت على الأقدام مع العلم أنه لا يوجد ايامها طبيب خاص لنا. وكان يوجد عند رب العمل 12 عاملا من زلمه والباقي عمال مشتغلين لديه.

15- حديث شيّق وشامل لنجار بيتون عن دير الزور وريفها

مُجري اللقاء الدارس: أحمد طالب

المتحدث: محسن خلوف الطلب الناصر من مواليد 1933 في دير الزور، ومهنته معلم نجار بيطون ومنتسب إلى نقابة عمال البناء والأخشاب. جرى أخذ الحديث بمكتب النقابة مساءً يوم السبت الواقع في 1989/4/15

كتب الدارس نقلا عن المتحدث:

جدي كان يسكن في أرك – هي قرية قريبة من تدمر. وما يقارب من قبل مئة عام أتى إلى دير الزور. سابقا كان يعيش على الزراعة وتربية الأغنام في قريته، وبسبب الجفاف نزل إلى دير الزور واشتغل حجاراً، وكان يحمل الحجارة على الجحيش والبغال. سمعت عن جدي أنه كان يعمل قطاعا للطرق أحيانا، وكان يغزو القرى القريبة التي كانت تعادي قريتهم. هذا العمل كان خارج عن نطاق عمله الأساسي. وأيضا سمعت عنه أنه كان يحصل على الغنائم هو وجماعته من الغزوات ويوزعونها على الفقراء والمساكين المحتاجين. وأسمع عنه أنه كان رجلا بكل معنى الكلمة. فكان ذا شيمة ورجولة وأنا لا أبالغ بهذا الكلام، فإذا أردتم أن تسالوا عنه فاسألوا.

---

[375] مجحم بن مهيد شيخ مشايخ عشائر الفدعان وكان على صلة وثيقة بسلطات الإنتداب الفرنسي. والموالي عشيرة كبيرة استقرت إلى الجنوب الشرقي من حلب ولم تكن على وفاق مع عشائر الفدعان البدوية المترحلة. والمتحدث يبدو أنّ لديه معلومات عن عشائر البدو والعشائر المستقرة واختصر معارفه في هذه الفقرة المدونة. وفيما كتبناه عن المسألة الزراعية والفلاحون تفاصيل وافية عن العلاقة بين البادية والمعمورة في العهد العثماني وعهد الإنتداب الفرنسي وما بعد الإستقلال. ونشير أيضا إلى أنّ مجحم تقدم عام 1921 الحملة الفرنسية الزاحفة من حلب لإحتلال وادي الفرات، واصطدم مع عشائر العقيدات إلى الشق من دير الزور، الذين لم ينظروا بعين الرضى لحملة مجحم وخلفيتها الصراع بين الشوايا من الفلاحين المستقرين والبدو الرحل، الذين كانوا يذيقون أهل الخض الأمرين.

وكانوا أيضا يعملون بالأرض ويفلحونها على الأبقار والبغال والحمير لأنه لا يوجد معدات وأدوات هندسية لعدم تطور الحياة بهذاك الوقت. وبسبب تدهور الوضع الاقتصادي كانت الأقوال المتداولة بينهم: (العشا بعشا والغدا بغدا)

أما من الناحية الاجتماعية فكانت الحالة سيئة للغاية بسبب كثرة الأولاد وأحيانا يتراوحون أكثر من خمسة عشرة نفرا (أي ولدا) من الزوج والزوجة ومن رجل واحد وامرأة واحدة. كانوا جميعا ينامون بغرفة واحدة، حتى الدواب تنام معهم بنفس الحوش أو بالياخور، مما ينتج عن ذلك تدهور الحالة الصحية وكثرة الوفيات لعدم اهتمامهم بالأمور الصحية، لأنهم كانوا يعيشون على السليقة

(بعد الحديث عن الجد وجّه الدارس السؤال) نعود ونتابع الحديث عن مهنتك التالية: كما قلت لك أنني أعمل معلم نجار بيتون الآن، أما سابقا فكنت عاملا عاديا أشتغل حجّارا، وعملت أكثر شيء بمقلع الإسفلت "بالبشري" (أي جبل البشري إلى الجنوب الغربي من دير الزور) لما كان عمري 15 سنة. وكنّا هناك نحفرالزفت بالقزمة لما تكون درجة الحرارة عالية جدا، وفي الشتاء نحفر الزفت بالمسامير المسطحة. وكما نستعمل العدد والأدوات التالية:

القزمة والبسمار والمهدّة. وبالنسبة للتعبئة:المذاري والمخماشة، ونحصل عليها من الحداد يصنعها لنا صنعا محليا على النار، والتبريد بماء السقاية، وبعدها تطور عمل الاسفلت، والمواد الأولية له كانت البارود وهي صنع محلي، وأيضا كان المفر صنع محلي لكي نفر به اللغم.

كيفية معالجة هذه المواد الأولية وتحويلها إلى مواد مصنعة: نصنع البارود من المواد التالية: فحم خشبي + كبريت + فوسفات + ملح الفوسفات. وكان دورنا أن نصنع البارود محليا عند الحداد العربي وكل هذه الشغلات صنع يدوي على النار. وأيضا نصنع الجرن الذي ندق به البارود بعد تنقيعه بالماء لكي ينخرج ويصبح بارود، ونستعمله للألغام عن طريق المفر اليدوي. وكُنّا وقتها نأخذه و نبيعه للمتعهد بالقنطار،أي 200 كغ، ويحمل على الجمال وأيضا على سيارة تعمل على زرد وتُحَمّل ثلاثة طن. وبعض الأحيان عندما لا توجد سيارة، نُحمّل على جمل يحمل قنطارا، أي عدلين، عدل على اليمين وعدل على اليسار.

والأجور كان العمره 15 سنة له نصف زلمة أي نصف حصة.{الزلمة الرجل المكتمل البنية. ومن عمره 15 سنة يعتبر نصف زلمة ويتقاضى نصف الأجر} وساعات العمل كانت ليلا ونهارا، بالليل نجهز البارود وبالنهار نشتغل. وأجورنا كانت على الإنتاج الذي ننتجه، وكل لقنطار ننتجه أجرته ليرتين سوري، والليرة السورية كان إلها فعل وقول. والعُطَل كانت عندما ينتهي العمل.

ومن جهة تسويق الإنتاج حسب طلب الدولة وبواسطة رئيس الورشة، وكانت الورشة مؤلفة من 20 زلمة وكان رئيسها حمد محمد الناصر وتقسم الأرباح حسب الأعمار، الزغير يأخذ نص زلمة والكبير يأخذ حصة زلمة. نحن كنا عمالا منتجين نعمل بخبز بطنا.

أما بالنسبة للحي بالحارة كانوا كلهم عائلة واحدة. أصلا بزمان أول، كُنّا إذا لقينا الباب مفتوحا لأي واحد من الجيران نسكر الباب ونديرِ وجهنا للوراء لأنه نسوان الحارة كانوا كلهم مثل خواتنا، والعلاقات بين بعضنا كانت عائلية. نسهر عالباب للساعة اثنين أو ثلاثة وجه الصبح، وأكثر السهرات كنّا نقضيها بالبيوت بالدواوين. كنت أذهب مع والدي على بعض الدواوين ويوجد بها القهوة المرة والأراكيل وكل واحد منّا يجلب معه أركيلة، أما التنباك والفحم فكان على حساب صاحب الديوان.

بذاك الوقت كنت أسمع عن الغزوات بالبادية. فالبدو سابقا كانوا يغزون العنزة، والعنزة يغزون الفدعان، وينهبون جمالهم وحلالهم وخرفانهم وحتى البيوت ويعتبرونها غنائم لهم وهذه المشاكل تجري عدة مرات بالجزيرة والشامية على زمان فرنسا. وكان الغزاية (ناس تغزي ناس). وأيضا قبيلة شمر الخرصة كانوا يغزون العكيدات وينهبون حلالهم والعكس أيضا، بس بِيْهِمْ شغلة زينة كانوا يحترمون العرض.[376]

أما من الناحية الثقافية::كان الأولاد يروحون إلى الخوجة (الملّا) لتعلّم القرآن، ولم يكن في تلك الأيام لا شهادات ولا غيرها وأكثر شي كانوا يعلمون الحروف الأبجدية.

وبالنسبة للسابقين كانوا يعلمون أولادهم (العصاية يعني واحد – والخمسة كعكة – والخمستين كعكتين – حرف اللام باكور) طبعا هذا الكلام كنت أسمعه من جدي.

وروى لي والدي على لسان جدي أن أحد الأعمام راح إلى الخوجة ليتعلم، فقال له الملا: قول ألف قال له أعرف، فقال له: قول باء فقال له أعرف، فقال له جيم فقال له اعرف. وكل ما يقول له قول يقول له أعرف، فرد عليه الخوجة: يا جحش ابن الجحش إذا تعرف عليش جي تتعلم، قوم انقلع.

أما من جهة والدي فكان يعمل حجّار، فهي مهنة جدي وجد جدي ووالدي ومهنتي، وأتمنى أن تكون مهنة أولادي. أي كان يعمل من الساعة الخامسة صباحا وحتى المساء، كان يقوم بحمل الأحجار بواسطة الحمير ونقلها إلى أماكن البناء. وعندما اشتغل والدي في مشروع الجسر المعلق بالدير كان المقلع يبعد عن الجسر حوالي 15 كم عن مكان العمل. وكان والدي يكسر زوج من من الحجر البازلتي لنقلها عن طريق النهر إلى مكان العمل.

---

[376] هذه صفة حميدة تُسجّل للبدو بعدم الإعتداء على اعراض النساء المغزوات. وخلال جولاتي الميدانية تواتر خبر عدم إعتداء البدو عاى من يغزهم. وبعكس ذلك كان المحاربون ممن يحملون التراث العثماني المملوكي، الذين كان أول ما يشغل بالهم بعد قتل الرجال ونهب البيوت الإعتداء على النساء، وهي جزء من " إيديولوجية السبايا " الراسخة الأقدام في تاريخ الغنائم.

أما من ناحية الوضع الاقتصادي فهو أقل من الوسط، بس كنا مبسوطين ومكيفين. وكان لوالدي أربعة أولاد بما فيهم أنا. وبالنسبة لي درست إلى المرحلة الابتدائية وكنت أكبر واحد سنا في العائلة. أما الأصغر مني سنا فقد تخرج من كلية الحقوق والذي يليه وصل إلى مرحلة الابتدائي فقط والذي يليه عسكري برتبة عقيد حاليا.

أما الكتب التي يقرؤونها هي كتب فتوحات الشام وعنترة بن شداد والزير سالم وأبو زيد الهلالي، وكانت تروى هذه القصص في الدواوين التي تتألف من مجموعة من الحضور ضمن الحي.

كانت هناك عدة أحزاب منها الحزب الوطني وحزب الكتلة الوطنية ولم يكن منتميا لأي حزب منها. وكان همه الوحيد العمل من أجل المعيشة، ولم يتعلم سوى مهنة الحجّار وبقيت مهنته متوارثة إلى جيلنا هذا.

أما من جهة أرباح التاجر أو المتعهد فكانت تقريبا نسبة 25 % وكان يوجد خلاف بين المعلم والصانع، لأن الصانع كان يشتغل ليلا نهارا ولا يحصل إلا على قوت بطنه ويأخد ساعات استراحة فقط على الفطور والغداء والعشاء. وكان العامل ينام ساعات قليلة من الليل بسبب التحميل بالسيارة أو على الجمال أو منشان صنع المواد.

ومن جهة أخرى كان الخلاف بين العامل ورب العمل بسبب المشاكل المستمرة حول استثمار أو استغلال جهد أرباب العمل للعمال وسرقة قوت عملهم المعيشي، مما أدى هذا الخلاف إلى منافسة كبيرة وإضراب عن العمل لعدة فترات متلاحقة، وكان هذا الأمر ينعكس حصرا على الطبقة العاملة وعلى لقمة عيشهم لأن رب العمل كان يشكل الطبقة البرجوازية وكنا نسميهم "مصاصي الدماء".

كان الصراع الاجتماعي واضحا من خلال ما ذكرنا وهو استغلال الإنسان لأخيه الإنسان بحجة الوساطة، أي عندما كان رب العمل يقعد مثل الأفندي ويتَأمّرْ علينا واحد واحد ن وما في ساعات محدودة ويسمي هذا العمل عمل إنتاجي ولا يوجد عدالة بين عامل وآخر.

أما معرفتي عن الريف ومشكلاته فكان الاقطاعي يعطي الفلاح بعدما يخلص الموسم حسب مزاجه، أي هناك مثل عام يقول (هذا الصفا يا مصطفى) أي خود واسكوت، والفلاح لازم يقبل وإذا ما قبل يبعث له الدرك بحجة أنه متقاعس عن سقاية الزرع ويضربونه بقنادرهم. وأذكر أيضا أن الإقطاعي لا يعمل طريق فوق الساقية فيقول للفلاح سوف نعملك طريق للدرك لكي يمشون عليه اي طريق للعبور لهم.

وأذكر حادثة كان شيوخ العشائر (الجبور) في منطقة عجاجة يجيبون عمال بنات لزرع القطن من الضفة الأخرى بالخابور على ظهر سفينة من براميل ويأتي ابن واحد من الشيوخ ويضرب كبل الطرادة أي السفينة بالمسدس وينقطع الكبل وتهوي السفينة على سكر الدواليب وتطمر السفينة بالوحل وماتوا بوقتها خمسة عشر بنية من هذاك الوقت، ويدعون الشيوخ أنه قد انقطع الكبل وذهب ضحيتهم خمسة عشر بنية قضاءً وقدرا حسب ادعائهم.

وكنت أيضا أركّب لأحمد بيك الشرباتي، أحد إقطاعيي البلد في دمشق، محركات ديزل في معمل المسامير في الغوطة. وجاء زلمة أحمد الشرباتي على إحدى البنات العاملات اللاتي يجمعن المسامير من الأرض وقتها لأن تذهب معه إلى غرفة المعلم. وقد تصديت له لأنها دخلت عليّ دخالة عرض، واعترفت لي بأن زلمة أحمد الشرباتي كان يريد الافتعال بها.

وأذكر أيضا أن بيت دهموش بدير الزور كانوا يأخذون القروض الزراعية بواسطة اقاربهم المسؤولين في المصرف الزراعي. ويديّنون بالفائدة للفلاح والعامل. وكثير من أمثلة الاضطهاد والعبودية التي كان يعاني منها أهل هذه المنطقة.

وأيضا أذكر بيت هنيدي كانوا يستعملون نفس الأساليب. وبيت عاني وبيت السبع كانوا يعطون العامل والفلاح بالفائدة، وأيضا بيت جمعة اليوسف. وكان البرازية يأتون من مدينة حماة ليضمنون أراضي زراعية لأجل فلاحة القطن ويجلبون الفلاحين بالقوة ويقتلونهم ويشغلونهم ليلا نهارا ولا يعطونهم إلا قوت بطنهم.

العلاقة بين المدينة والريف، كان ابن الريف ينزل من المدينة ويضطهدونه زلم الإقطاعيين والرأسماليين ويسمونه شاوي أي متخلّف، علما أن ابن الريف له عدة خواص منها الكرم والأخلاق والجودة وعفّة النفس والسماح والدفاع عن الشرف والعرض.

أما التنظيمات الحرفية التي عشتها فكانت نقابة عمال مهن البناء، وكنت عضوا بالهيئة العامة. وهذه النقابة تضم أرباب العمل وهم الحرفيين والعمال بنقابة واحدة، بحيث أنه كان العامل ما له اي كلمة لأن الحرفي رب العمل كان هو القائد النقابي بذاك الوقت، وكان العامل لا حول له ولا قوة. و كنت أسمع سابقا عن شيخ الكار لما يصير خلاف بين عامل ورب العمل وكان شيخ الكار هو الذي يحل الخلاف أي يذهبون ليتشارعوا عنده و نوعا ما من الشرع... الذي كان يقتضيه شيخ الكار فهو لا ينحاز لأحد.

لقد انضممت إلى النقابة في عام 1954 لأنني كنت عامل ومن حقي الانضمام إليها أفضل من غيري، وحينذاك تأسست النقابة في عام 1947 وكان اسمها "نقابة البنائين"، وبعدها في عام 1954 صار اسمها "نقابة عمال المهن والبناء". وكانت الإشتراكات أثناءها ربع ليرة سورية والمصاريف كانت خاصة بمكتب النقابة. وكان دور النقابة شبه معدوم، لأنهم كانوا يشكلون طبقة مستغِلة ويعتبرون أنفسهم هم القادة. وكانت أغلبية أعضاء النقابة تقف مع الحزب لأنهم كانوا ينادون بالوحدة العربية ورفع سوية الفلاح والعامل. عدد أعضائها كان من خمسة إلى تسع أعضاء.

كان ارتباطهم بالنقابة أحيانا إيجابي عندما تخدم مصالحهم، وأحيانا سلبي عندما لا تخدم مصالحهم، وقيادة النقابة تألفت من معلمين و أرباب عمل وكانت ثقافتهم محدودة جدا. والأسماء التي أذكرها: علي الحسن، معلم بناء (رئيس النقابة)- وحسن الطه، والاسطة حسين الاسماعيل (معلم ميكانيك) ويوسف المهية (معلم تلييس)

وعبدالله الحسن الجاسم (معلم بناء) وتركي الطلاع (معلم بناء) و حسن العيد (معلم ميكانيك). وكانت ثقافتهم محدودة ووضعهم المادي جيد. أما من ناحية عناوينهم فهم معروفين بدير الزور وكلهم متوفين.[377]

أما حسن العيد فهو معلم ميكانيك وهو حي، ويسكن الآن في دير الزور في منطقة حي القصور وتوجد لديه معلومات كافية ووافية عن العمال وعن العمل بذاك الوقت وقبله.

وأعرف ايضا عن النقابات: نقابة عمال النفط – نقابة عمال الحمل والعتالة – نقابة عمال الدولة والبلديات – نقابة النقل البري – نقابة عمال الكيماوية – نقابة عمال الغزل والنسيج – نقابة عمال المحركات الانفجارية التي أحدثت بدلا عنها نقابة عمال السكك الحديدية، ونقابة عمال الأفران.

وأيضا تأسست نقابة عمال صب الاسمنت المسلح في عام 1959، إلا أنها لم يكتب لها النجاح والبقاء حيث أجهضت وهي في المهد، بسبب دور الجهات الأمنية آنذاك في عهد الوحدة، وبسبب إرغام النقابيين لدعوة أجهزة الأمن على حضور اجتماعاتهم، مما أدى إلى فشل هذه النقابة. وكنت أعرف عن اتحاد النقابات في المدينة أنه ضم إليه جميع هذه النقابات، والاتحاد العام أعرف أنه تأسس في عام 1938 وكان دوره يقضي بأنه جاهد لمصلحة العمال قلبا وقالبا.

أما العمل النقابي فقد تركز في المؤسسات الكبيرة أي في قطاعات الدولة مثل شركة نفط النقل الخام وقطاعات الدولة الأخرى لأنه عندما يكون عدد العمال أكثر، فهم لا يجبرون على الانتساب للنقابة.

وأقول إن العمل النقاب تركز على مؤسسة النفط، لأن نقابة النفط هي المشروع الكبير الوحيد في المحافظة، والذي يعمل به أكبر عدد ممكن من العمال واعتقاد العامل بها أنها كانت تدافع عن العمال وعن حقوقهم. والعامل كان في ذاك الوقت مضطهدا ولا يوجد من يدافع عنه غير النقابة لأن أصحاب المؤسسة كانوا أجانب انكليز وتعود جميع امتيازات المؤسسة لصالحهم.

أما بالنسبة للوعي الطبقي داخل النقابة فكان يوجد وعي طبقي، أما درجة الوعي فكانت محدودة والأفكار والمفاهيم غالبا ما كان سائدا فيها الفكر الحرفي.

بالنسبة للأجور كانت حسب النشاطات التي يبذلها العامل، لأن رب العمل كان عنده زلم، وزلمه كانوا يأخذون حصص غيرهم. وكان رب العمل يعطي عيدية ويضحك على العمال ويقول لهم: هاي من جيبي

[377] تضمنت الإستمارة التي درّبت عليه الدارسين بندا بكتابة عناوين من يلتقون بهم وهواتفهم. وكان هدفي أن أتصل بهؤلاء فيما لو تحقق مشروع الكتابة عن الحركتين النقابية والعمالية، ذلك المشروع،الذي أجهضت القيادة النقابية برئاسة عز الدين ناصر، ذي الصلة الوثيقة بالأجهزة الأمنية.

الخاص. وطبعا مو لكل العمال، بس للعمال الواقفين بصفه والذين يدافعون عنه ويعتبرهم زلمه. وكان رب العمل يعمل انشقاق بين العمال عن طريق العرصات تبعه.

أما بالنسبة للمشاعر العائلية والقبلية والطائفية والعشائرية بالعمل النقابي فقد أثرت تأثيرا بالغ الأهمية وللأسف الشديد أنها تؤثر حتى في وقتنا الحاضر.

والانتخابات كانت علنية ويختارون القيادات النقابية بالسر.

بالنسبة للعمل النقابي ايام الانتداب الفرنسي: صحيح كانوا يرهبوننا كأنهم أشباح، وبس صدّقني: إحنا أبطال وجبابرة وماناهاب لا الفرنسيين ولا الأكبش[378] منهم. وخَرَيْنا بلحية أبوهم لأننا جميعا نعرف أن الاستعمار مهما حاول من أساليب فهو استعمار. وكنا نتصدى له بكل قوانا لأنه في ذاك الوقت لم يأخذ العمل النقابي حريته، لأن ربعنا الكلاب ولاد الكلب كانوا يفسدون علينا، وهم الذين كانوا يتبرطلون {يرتشون} من العرصات الفرنسيين. بِسْ إحنا بالأخير صرنا نعتبر ربعنا هم العرصات،لأنهم من لحمنا ودمنا (خيو شكون أريد أحشيلك تره فوّرت دمي).[379]

من جهة الإقطاعيين كانوا ذيول الفرنسيين وكانوا يمسحون جوخ وبعدها ما تنفسنا إلا بدور الوحدة، الله يرحم هذيك الأيام لأنها أيام عز، وكان في علاقة ترابط قوية بين النضالين الوطني القومي والاجتماعي الطبقي.

أما عن التشريعات، أعرف القانون 279 الصادر عام 1946 والقانون رقم 91 وهو قانون العمل الذي صدر أيام الوحدة مع مصر وقد حظر على النقابات بالعمل السياسي.

أما بالنسبة للنظام فلا أذكر أني قد اطلعت على أي نظام للنقابة، سوى الأعراف التي سبق وذكرتها سابقا. وعلى كل إذا في نسخة من النظام فسأجلبها لك في الإجازة القادمة ولا بد من الحصول عليها.

بالنسبة لعيشتنا والله عايشين أحلى عيشة والحمد الله وشكون ناقصنا مو ناقصنا إلا شغلة واحدة وهي انه لازم نفهم كلنا أنه: يوجد عدو واحد كل العرب تعرفه وهي اسرائيل.

---

[378] الأكبش من الكبش ذكر الغنم المعروف بفحولته. وعندما يقول المتحدث نحن أكبش منهم أي أكثر فحولة وقوة.

[379] يبدو واضحا أن نجار البيتون محسن الناصر، كان مضطلاع على كثير من خيوط الحركتين الوطنية والنقابية، وعلى معرفة جيّدة بمدينته دير الزور وأريافها. والملفت للنظر وصفه لعدد من زعماء دير الزور وطريقة سيرهم في ركاب االإنتداب الفرنسي، وبعد وصولهم إلى السلطة المحلية في أعقاب الإستقلال 1946 أصبحوا أكثر تعسفا وضراوة من الاستعمار. استخدم نجار الباطون تعابير ديرية نقلها بأمانة الدارس في المعهد النقابي ومُجري اللقاء أحمد طالب، الذي لا يسعنا إلا شكره ولو بعد عقود من الزمن. أما الكلمات النابية التي تفوّه بها محسن فهي من صميم تعابير أهل دير الزور ولهجتهم، التي كنت استمتع بها أثناء الجولات الميدانية.

وإلي ملاحظة أريد أقولها: لازم قيادتنا الحكيمة تُكرّم النقابيين القدماء على طول، علشان يشعروئم أنهم ما زالوا يمارسون عملهم في النقابات والعمل النقابي. وأنا اشكر لفسح هالمجال إلكم [380] لأنه فعلا النقابيين القدماء هم التراث الحقيقي.

16- صناعة الإسمنت في حلب، وكيف يرى أحد الموالين " للنظام " الحركة النقابية

الموضوع: دراسة عن الحركة العمالية والنقابية في قطاع صناعة الاسمنت

إعداد الرفيق الدارس: محمد زهير شومان [381]

غدت في الآونة الأخيرة صناعة الاسمنت إحدى الركائز الاقتصادية الأساسية الهامة التي يعتمد عليها الدخل القومي في القطر العربي السوري، ولذلك رفعت حركتنا النقابية شعار: (تطوير صناعة الاسمنت والأترنيت واجب ملقى على عاتقنا فلنعزز اقتصاد وطننا ونطوّر صناعتنا).

وأحب أن أشير إلى بعض المجالات التي تساهم في تنفيذها حركتنا النقابية ومنها في المجال التنظيمي: إن التنظيم أساس لبناء المجتمع لذا كان من الملِحّ دائما وجوب التعايش اليومي مع القيادات الأدنى والقواعد العريضة لتعليمها والتعلّم منها، وتحقيق التفاعل القادر على وضع عجلة التنظيم النقابي إلى الأمام من أجل: التخطيط والتنفيذ والمراقبة والمحاسبة في مجالات الإنتاج المختلفة لدفع عملية التنمية نحو المجتمع الأمثل، من خلال تعزيز دور حزب البعث العربي الاشتراكي في قيادة الدولة والمجتمع، وتنفيذ توجيهات الرفيق القائد حافظ الأسد لبناء مجتمع التقدم والاشتراكية.

إن نقابة عمال الاسمنت والأترنيت بحلب تضم الشركات التالية:

شركة الشهباء للإسمنت ويبلغ عدد عمالها 1664 عاملا

الشركة العربية لصناعة الاسمنت ويبلغ عدد عمالها 1048 عاملا

شركة الاسمنت الأميانتي ويبلغ عدد عمالها 396 عاملا

الورشة المركزية لتصنيع القطع ويبلغ عدد عمالها 70 عاملا

ويبلغ مجموع تعداد عمال الشركات 3178 عاملا منهم 2989 ذكورا و99 إناثا وجميعهم منتسبين للنقابة باستثناء 90 عاملا فهم منتفعين.

---

[380] أي فسح المجال للكتابة عن تاريخ الحركة النقابية

[381] هكذا جاءت الورقة بعنوانها وتعريف صاحبها لنفسه بالرفيق الدارس. وهي تعكس الوجه الرسمي للحركة النقابية...

في المجال الثقافي: إن الوعي الطبقي العمالي لا يمكن أن يُحَصّن دون أن تطلع الطبقة العاملة على مجالات المعرفة وميادين الثقافة والفكر لتستطيع على أساسها فهم واقعها وأسبابه، والعمل على تغييره لمصلحتها ومصلحة الوطن والمجتمع بأسره. وعلى عاتق التنظيم النقابي تقع مهمة تهيئة الظروف المناسبة لرفع المستوى الثقافي للطبقة العاملة، وانطلاقا من ذلك كله يتم تطوير عمل النادي الثقافي لعمالنا بشكل دائم ورفده بالكتب الثقافية والاجتماعية والسياسية الحديثة، كما يتم أيضا فتح دورات لمحو الأمية، وترشيح العمال لاتباع دورات إعدادية للمعهد النقابي، إضافة للدورات المركزية بدمشق، وإضافة إلى ترشيح العمال لبعض الدورات التخصصية الأخرى، كما تقوم الحركة النقابية بتدعيم الإذاعات في المعامل بالأشرطة الوطنية والقومية وتنظيم اللافتات والشعارات أثناء الاحتفالات بالمهرجانات الوطنية والقومية، كما يتم متابعة ودعم الفرق الرياضية لكرة القدم والشطرنج وكرة المضرب ومشاركتها الدائمة في الدوري العمالي، ويتم حاليا تأهيل بعض العمال الهواة لسباق الدراجات، وتم إنشاء ملعب كرة قدم في الشركة العربية للإسمنت وآخر في شركة الشهباء للإسمنت.

في مجال الخدمات الاجتماعية: بما أن الخدمات الاجتماعية هي ضرورة ملحة، لما لها من أهمية بالغة شأنها خدمة الإنسان لأخيه الإنسان مضمونها شامل، ولكونها أعمال إنسانية بحتة، فإن قيادة الحركة العمالية تقوم دائما بزيارة المرضى في المشافي وتقديم الهدايا لهم وزيارة عائلات العمال المتوفين —كما يتم متابعة إجراء الفحوص الدورية للعمال.

وهناك تعاون كامل بين أعضاء فريق العمل الواحد بين الشركات ومجلس إدارة الجمعية التعاونية الاستهلاكية، التي تسعى دائما لتأمين حاجيات العمال الضرورية، كما يتم توزيع فوائد الأسهم وعائدات المشتريات على الأخوة المساهمين. إضافة لذلك فقد تمّ في الفترة الأخيرة تعديل بعض فقرات النظام الداخلي لصندوق المساعدة الاجتماعية، فأصبحت إعانة الزواج 1000 ل.س بدلا من 500 ل.س ومنح 1% من أجور العمال للعضو المنتهية مهمته لبلوغه سن الشيخوخة، أو للعضو المستقيل بعد خدمة عشرين عاما، أو للعضو الذي أصيب بإصابة عمل وحصل على عجز صحي كامل أدى إلى فصله عن العمل. ويتم أيضا متابعة عمل الندوات التي تعمل بالتسيير الذاتي بعد أن ألغت دور المتعهدين، وذلك لما يعود بالفائدة على العمال، وكما يقوم مكتب النقابة بتنظيم دوام المستوصف العائد للنقابة بما يخدم الطبقة العاملة ويحقق خدمات أكبر. إضافة لذلك كله وتجسيدا لمقولة الرفيق المناضل حافظ الأسد (الشهداء أكرم من في الدنيا وأنبل بني البشر) فكان مكتب النقابة يُكرّم أسر الشهداء وسيتم تكريمهم في المستقبل بشكل دائم.

في مجال العمل والتشريعات: من خلال الجهود المبذولة والمكثفة المتضافرة من قبل حركتنا النقابية، والإدارات مع الاتحاد المهني للبناء والأخشاب، تم الحصول على موافقات الوزارات المختصة لتطبيق الحدود الدنيا للأجور التي عادت بالفائدة الكبيرة على جزء كبير من عمالنا، كما تم منح درجة استثنائية لمن بلغت خدماتهم في الدولة خمسة عشر عاما، ثم تطبيق نظام الحوافز الإنتاجية على كافة شركات الاسمنت كما كان له الأثر الايجابي الواضح في

العملية الانتاجية، كما تم أيضا متابعة تنفيذ الأحكام القضائية وخاصة المرسوم رقم 10 لعام 1962. ويتم تشكيل لجان لاحتساب الفروقات وإصدار القرارات اللازمة بهذا الخصوص، وقد تم أيضا من خلال التعاون بين فريق العمل الواحد تطبيق قرارات رئاسة مجلس الوزراء الخاصة بتخفيض ساعات الدوام إلى سبع ساعات بحيث شملت العدد الكبير من عمالنا. وتم رفع المذكرات اللازمة لشمول باقي العمال المتواجدين في المعامل، كما تمت أيضا المشاركة بإعداد مشروع قانون طبيعة العمل لعمال صناعة الاسمنت والأترنيت تنفيذا للمادة 100 من القانون الأساسي للعاملين في الدولة. هذا وقد تم إبرام عدة عقود اتفاق بين النقابة والشركات الأخرى من أجل تصنيع المعدات والآلات لشركات القطاع العام تحقيقا لشعار الاعتماد على الذات ودون الاعتماد على خبرات أجنبية، وبالتالي توزيع الأرباح على العمال.

في مجال تنمية المبادرات والإبداع: تنفيذا لقرارات مؤتمري الاتحاد العام لنقابات العمال الحادي والعشرين ومؤتمر الإبداع الوطني، فقد عمد فريق العمل الواحد في أسرة الاسمنت إلى دعم المبادرات الفردية والجماعية التي قامت من خلال تصنيع المعدات والآلات لشركات الاسمنت وشركات القطاع العام، وهنا أورد البعض منها مثل:

فراطات الذرة

خطوط إنتاج كاملة لتصنيع الطحينة من فستق العبيد

آلة تعبئة البازلاء

تصنيع خطوط لعصر رب البندورة لمعمل الكونسروة

آلة كوي الجلد لمعمل دباغة دمشق

تصنيع ناقل للعبوات لمياه بقين

تصنيع محمصة الشعير لشركة الشرق للمنتجات الغذائية

آلة تنشيف قماش لمعمل الألبسة الداخلية

تصنيع مضخة هيدروليك تستعمل في مطاحن الاسمنت في جميع شركات الاسمنت بالقطر

10- تصنيع قسم كامل للتحضير في شركة الاسمنت الأميانتي

وهناك العديد من القطع التبديلية والميكانيكية الأخرى.

يضاف إلى ذلك تم الاستغناء عن كافة الخبرات الأجنبية مهما كان نوعها بفضل خبرة عمالنا الجيدة، وفي الواقع حققت مثل هذه المبادرات والمواقف القومية أرقاما قياسية عالية جدا من ناحية توفير العملة الصعبة التي

كانت تصرف في مثل هذه الأمور، ونتيجة النشاط المتواصل من قبل العمال وفريق العمل الواحد فقد تم تكريم العمال المبدعين من قبل القيادات النقابية بالمكافآت المادية والمعنوية وترشيحهم كأبطال إنتاج على مستوى القطر.

في مجال الصحة والسلامة المهنية: تقام بين فترة وأخرى دورات في الصحة والسلامة المهنية في معامل الاسمنت بمبادرة من المعهد النقابي الإعدادي ومؤسسة التأمينات الاجتماعية بحلب. يتم توجيه الأخوة العمال عن طريق اللجان المختصة واللجان النقابية لتطبيق قواعد الصحة والسلامة المهنية بارتداء الألبسة وأجهزة الوقاية الفردية.

كما تم التعاون بين مكتب النقابة وإدارات الشركات ولجان الصحة والسلامة المهنية المتواجدة فيها بمنح عمال الشركات أحزمة طبية وأحذية مطاطية نظراً لصعوبة طبيعة العمل وتعرض العمال للعوامل الطبيعية، يضاف إلى ذلك فهناك بعض المزايا العينية الأخرى كالبيض والحليب والمنظفات والألبسة والأحذية توزّع للعمال بشكل دائم.

في مجال دور الراحة والاستجمام: نتيجة استملاك شركة الشهباء للإسمنت لقطعة من الأرض في منطقة اسمنت برج اسلام، فقد تم من قبل فنيي الشركة بناء المنتجعات العمالية والشاليهات الخاصة بعمالنا على الساحل السوري وزيادة عددها بما يتلاءم مع عدد العاملين في قطاع الاسمنت بحلب، بما يعود بالفائدة والرفاهية على جميع الأخوة العمال، كما تقام بعض الرحلات والغرض منها خدمة اجتماعية اطلاعيه على محافظات القطر والمناطق الأثرية والمشاريع الاقتصادية، مثال: بصرى الشام – تدمر – أوغاريت – راس شمرا وغير ذلك.

في مجال نشاطات لجان المرأة العاملة: مشاركتها بحضور المؤتمر الأول للمرأة العاملة في دمشق، مشاركة المرأة العاملة في أيام أسابيع الإنتاج وأيام العمل الطوعي، وتقديم الحلويات للعمال، مشاركتها أيضا في زيارة أسر الشهداء وتقديم الهدايا لهم، قيامها بالرحلات المتعددة للاطلاع على النهضة الاقتصادية في القطر والتعرف على المناطق الأثرية، الإشراف بشكل دائم على دور الحضانة في المعامل التي تضم أطفال العمال والاطلاع على واقعهم والاطمئنان على حسن سير العمل فيها، سواءً من الناحية الصحية أو تقديم الوجبات الغذائية. كما تشارك المرأة العاملة زيارة العمال المحالين على مشفى الشهيد عبد الجبار شيحان لإجراء بعض العمليات الجراحية وتقديم الهدايا الرمزية لهم. كما توزع الهدايا الرمزية في عيد الأم.

نشاطات عامة: تم إنشاء ما يقارب عشرة بيوت بلاستيكية لإنتاج الخضار ضمن المعامل. وقد تم استثمارها وتطويرها بشكل جيد. وبدأ بيع إنتاج هذه البيوت من الخضار إلى العمال بسعر التكلفة فقط. كما يتم السعي لإنشاء بيوت جديدة لتخديم العمال بشكل أفضل وتحقق لهم الوفر المادي في ظل الظروف الاقتصادية الحالية.

كما تقوم اللجان النقابية بتأمين المواد الغذائية الضرورية عن طريق القطاع العام مثل الخبز والفروج والزبدة والدخان والغاز واللحوم المجففة وذلك حسب الإمكانيات المتاحة، وذلك بغية تأمين الراحة النفسية للعمال بتأمين حاجاتهم إلى داخل المعامل، مما ينعكس بالتالي على العملية الإنتاجية بمردود إيجابي.

تنفيذا لتوجيهات القيادة الأعلى فقد تم البدء في إنشاء جمعية سكنية للعاملين في الاسمنت والأترنيت بحلب، وتم إشهارها بشكل فعلي وفتح باب الانتساب إليها وأصبح عدد أعضائها 375 عضوا وباشرت عملها. وسوف تتابع الحركة العمالية نضالاتها باستمرار وصولا إلى الهدف الأسمى، وهو مجتمع الطبقة الواحدة مجتمع التقدم والاشتراكية.

17- النسيج الآلي ونقابته في حلب، حديث شيّق لعبد الرزاق قنبص

اسم الدارس ومُجري اللقاء: عبد الغني حمادة ، من اتحاد عمال محافظة مدينة حلب / نقابة الاسمنت و الأترنيت

المتحدث: عبد الرزاق محمد قنبض من مواليد حلب 1923. وجرى اللقاء به في قريته كفر حمره، في دكان له لبيع الخردوات بتاريخ 26 + 1989/1/27. وهو عامل نسيج – نقابة النسيج الآلي في حلب

كان الجد مزارعاً ، وكان يملك أراضٍ متوسطة المساحات (لم يذكر المساحة) وكان لديه فلاحين يزرعون له الأرض و يحصدون....الخ. تُزرع الأراضي حبوب (قمح –عدس – شعير – بطيخ...) أراضيه تقع في الجهة الشرقية من حلب (قريبة من المدينة). حالته الاقتصادية جيدة نسبياً –كان لجده زوجة واحدة وله خمسة أولاد. لا يجيد القراءة والكتابة .

محمد (والد المتحدث) كان يعمل في مهنة تسمى (قاطرجي) أي مراسلاً يحمل بريد الدولة من حلب إلى بغداد وبلاد العجم، أي أن ينقل بريد الدولة بأجرة من الدولة (على شكل نقود أو ضمان)... وكان عندما يذهب بالبريد إلى بغداد أو بلاد العجم يجلب معه (قطن– ألماس– إلخ...) من أجل التجارة لحسابه الخاص. ويبقى في كل سفر شهر أو اثنين أو أربعة أشهر. كان واحداً من الأثرياء. وقد أرسل ابنه الكبير لدراسة الطب في ألمانيا في نهاية الثلاثينات.

الوالد تزوج اثنتين: الأولى (والدة المتحدث) للأعمال المنزلية..والثانية " للبطر والكيف" وهذا حال أمثاله من الأثرياء. له أربعة أولاد وخمسة بنات :

- الأول درس الطب في ألمانيا
- الثاني حمّال، واشترك في جيش الانقاذ في فلسطين عام 1948 حيث تطوع مع فوزي القاوقجي في الثورة
- الثالث سمّان
- الرابع هو أنا (المتحدث عبد الرزاق قنبص)

كان الوالد يحرص كثيراً على تربية أولاده ويطبق عليهم الشدة في الحياة والتربية.

عندما بلغ المتحدث عبد الرزاق /13 سنة/ أي في عام 1936، بدأ العمل في معمل الحج عمر سالم (جانب مقبرة هنانو) في الجهة الغربية من المشارقة حالياً. ودافعه للعمل كان هو تشجيع والده الثري له بأن يتعلم الصنعة ثم يشتري له أنوالا ليعمل عليها على حسابه الخاص فالدافع هو " سرقة المهنة ". بدأ العمل بصفة عامل عادي كالتالي: عامل لفافة لمدة 3 أشهر.. عامل كبّابة لمدة 3 أشهر.. عامل سدّاية لمدة شهرين.. عامل مُلقي لمدة شهر واحد.. صانع ماكينة (عامل نسيج) لمدة سته سنوات.. ريس ميكانيك... أي أنه مسؤول على الماكينات، وبَقِيَ حتى أواخر عام 1945. (وسبب هذا التدرج نحو الأعلى كان بسبب نشاطه و فهمه لعمله بشكل جيد)

آلات المعمل فرنسية وكانت من أحدث طراز موجود في سورية

يوجد في المعمل كاتب (وكيل) وهو الذي يدير شؤون المعمل بدل صاحب المعمل (حج عمر سالم)

توقف المعمل بشكل نهائي في عام 1962 في ظروف شبه غامضة... {هكذا وردت في النص. ونرى أن معمل الحج سالم أُمم قبل ذلك في إجراءت التأميم.}

بقي في النقابة (رئيس نقابة من عام 1946 حتى عام 1957)

سافر إلى ألمانيا الاتحادية للعمل هناك وسيأتي ذكر ذلك

المواد الأولية: كانت الخيوط أغلبها تستورد من اليابان {لعدم وجود الخيوط الوطنية بشكل كبير آنذاك} ويحصل عليها بالاستيراد المباشر لوجود الاقتصاد الحر آنذاك. {هكذا أسمى الاقتصاد}.

أسعار الخيوط المستوردة: 1 كغ = 2 ل.س بين أعوام 1936 – 1039

أما أثناء الحرب العالمية الثانية أي بين عامي 1939 – 1945 فارتفعت الأسعار بشكل جنوني حيث أصبحت 1 كغ = 100 ل.س (حسب ما قال)

وكان صاحب المعمل يستورد الخيوط الانكليزية (الحرير والصوف) ومن الصين أيضاً

إنتاجه اليومي 100 ثوب قماش، كل 1 ثوب = 40 متر

كامل الإنتاج اليومي = 4000 متر قماش. الأسعار 1 متر = 80 غ = 2 ل.س قبل الحرب أما بعد الحرب أصبحت الأسعار 1 متر = 15 ل.س

عدد العمال 200 عامل (يعتبر من المعامل الكبيرة في ذلك الوقت)

في المعمل 40 ماكينة، وكل ماكينة عليها عامل واحد يسمى (صانع). أي كان في المعمل 40 صانعا. أما حاليا فالعامل الواحد يراقب 4 ماكينات، نظراً لاختلاف المكوك القديم عن الحديث.

المعمل كان يعتبر من المعامل الحديثة آنذاك و يسمى بمعمل النسيج الآلي. ومع كل هذا فالاعتماد على العنصر البشري كان هوالأهم لأن تقسيم العمل لم يكن معروفاً كما هو الآن.

كان في حلب حوالي 350 معملا أليا (النول الآلي)،عدا المعامل ذات الأنوال اليدوية موزعة كما يلي:250 معمل في العرقوب، 03 معمل في الكلاسة - 20 معمل في الميدان - 30 معمل متفرقات ومنهم المعمل المذكور أعلاه (معمل النسيج الآلي)

وعن العلاقة بين المنتجين فقال: هي علاقة حذر من جانب كل منتج تجاه الآخر. ويسود التنافس والمضاربة في الأسواق فيما بينهم وكان أحدهم يرضى بربح قليل (فالمهم تصريف البضاعة) والسعر يحدده صاحب المعمل، ولا علاقة للدولة بأسعار منتجاته

الأسواق التي كان يُصدّر لها فهي: مصر— الاردن— الخليج العربي بشكل عام — السودان — العراق.

في ذلك الوقت كان أحمد ططري هو رئيس ارباب العمل (1948-1058).

الأجور كما يلي في معمل النسيج المذكور أعلاه:

عامل لفافة	2 ليرة أسبوعيا	
عامل كبابة	2,5 ليرة "	
عامل سداية	3 ليرة	"
عامل ملقي	3 ليرة	"
صانع ماكينة	5 ليرة	"
رئيس ميكانيك	10 ليرة "	

عدد ساعات العمل 10 ساعات تبدأ من الساعة (6 – 5) = 11 ساعة يتخللها ساعة غداء على حساب العامل فيبقى 10 ساعات عمل كلي

أيام اللزوم والحاجة يتم العمل بورديتين....

العطل فقط يوم الجمعة أما بعد إصدار قانون العمل {صدر قانون العمل عام 1946، وقد} فأخذنا عطلة عيد الفطر 3 أيام وعيد الأضحى 4 أيام.

أذكر أن أول إضراب حصل أيام الرئيس شكري القوتلي... {حكم القوتلي بين عامي د943 و 1948} ومجرياته كانت كالتالي

بسبب الغلاء الفاحش بعد الحرب العالمية الثانية الذي شمل معظم الأغذية والمواد التموينية

والسبب الثاني هو أن كل رب عمل كان يفصل العامل بدون إنذار مسبق

فقام العمال (كل عمال حلب) بإضراب شامل ومظاهرات يطالبون بزيادة الأجور فاستمر الإضراب لمدة 40 يوما. وأذكر أن الإضراب كان في فصل الصيف، وكانت الشرطة تمنعنا من القيام بالمظاهرات و تحاول تفريقنا، وأيامها كان رئيس الوزارة (خالد العظم) وزير العدلية (أحمد الرفاعي) وزير الصحة والداخلية (سامي كبارة)وزير الاقتصاد (معروف الدواليبي).

فبسبب هذه المظاهرات وهذا الإضراب الشامل الذي نفذه عمال حلب وخاصة عمال النسيج فقد كلّف رئيس الوزارة وزير الداخلية والصحة (سامي كبارة) بزيارة إلى حلب لحل المشكلة القائمة وفك هذا الإضراب والمظاهرات. كان المحافظ آنذاك (فؤاد الحلبي) وأذكر أن الوزير نزل في فندق بارون في شارع بارون، فاجتمع الوزير مع المحافظ وقال: " أكبر راس من أرباب العمل نكسره...وقال يجب أن يأخذ العمال حقهم خلال يومين ".

وبالفعل اجتمع المحافظ مع أرباب العمل وطلب منهم زيادة أجور العمال وعودتهم إلى عملهم...فاستجابوا للطلب وتمت زيادة الأجور بنسبة 20% وكانت هذه الزيادة بدون مرسوم وتم التنفيذ من قبل أرباب العمل.

ما أريد قوله أن العمال سابقا كان محتما عليهم أن يكونوا يداً واحدة وذلك ضمن المصلحة العامة وكانوا لا يتدخلون في الأمور السياسية. أما الآن فيختلف الوضع فأنتم تأخذون حقوقكم على أكمل وجه.

بالنسبة للتسويق فيتم بواسطة المنتج في أغلب الأحيان وأيامها كان يوجد نوعان من التسويق:

مباشر ونقدي وبالعملة السورية ويتم بين التاجر الحقيقي والمنتج (صاحب العمل)

أو عن طريق السمسار (أغلبهم من المدينة أي سوق حلب).

لم نكن نستطيع ولا من حقنا أن نسأل عن أرباح المنتج والأسعار التي يبيع بها.

في عام 1946 صدر قانون العمل... وفيه أُعطي العمال 3 أيام عطلة عيد الفطر و 4 أيام عيد الأضحى . وإذا سُرّح العامل دون إنذار يعطى راتب شهر.وإذا مرض العامل 15 يوما يُعطى كامل الأجر أما إذا زادت أيام المرض عن ذلك فلا يعطى أجراً عن ذلك

في الخمسينات وقبل الوحدة بقليل كانت شركة الغزل والنسيج في عين التل (لبيت المدرّس) تعطي أرباحاً 25% للعمال من إجمالي أرباح الشركة

أذكر أننا كنا نأخذ أجور الثوب الواحد = 40 متر بـ 30 ل.س (قبل أن أصبح رئيسا للنقابة عام 1946) فاستطاع صاحب العمل تأمين عمال بأجور أقل وهي 10 ل.س للثوب الواحد. فأتانا بحجة أنه سيوقف العمل. وبالفعل أوقف العمل وسرّح العمال وأنا واحد منهم وكنت أنا رئيس ميكانيك..وذهبنا إلى بيوتنا.

في ذلك الوقت كان مفتي حلب محمد الحكيم وكان صديقاً لصاحب المعمل فاستطاع رب العمل (الحج عمر سالم) وبوسيلة ما أن يُسَخّره ليحكي معنا بأن التعويض الذي سنأخذه من رب العمل حرام، وما لازم نحصل عليه فيتم الصلح على أساس ربع التعويض للعامل وثلاث أرباع لصاحب العمل.

أما أنا فقد حاول المفتي إقناعي بذلك دون جدوى. فقال لي: حرام. فقلت له حرفياً : " سآخذ التعويض وأذهب به إلى الكرخانة وأسكر فيه...هذا حقي ولا أتنازل عنه". المهم لم أتنازل عن حقي وأخذت كامل التعويض وهو راتب شهر من كل سنة خدمة.

في هذه الأثناء (أي بعد تركي معمل النسيج) انتهت فترة النقابة السابقة للنسيج الآلي (مدة النقابة 3 سنوات)...فكان عدد المرشحين /20/ يتم بموجبها انتخاب 9 أعضاء للنقابة بما فيهم الرئيس. ونظراً لمواقفي الجيدة فقد نجحت في الانتخابات..وانتخبنا نحن من بيننا رئيساً للنقابة وكنت أنا الفائز، فأصبحت رئيس نقابة عمال النسيج الآلي في حلب. وكان ترتيبي ثالث رئيس نقابة عمال النسيج الآلي بعد كل من أحمد نحاس ومحمد شمعون وكلاهما متوفيان.

بعد فوزي برئاسة النقابة جاءني زملائي العمال في معمل الحج عمر سالم وقالوا بأنهم يريدون العمل. فقلت لهم: غدا صباحا اربطوا للكاتب (الوكيل) محمد شهدي واضربوه قبل أن يصل إلى المعمل. وبالفعل ذهب العمال في اليوم التالي فرآهم الكاتب ولكنهم خافوا أن يضربوه....فأخبر الكاتب صاحب المعمل...وصاحب المعمل أخبر المحافظ ورئيس الشرطة (حسني برازي) فقامت الشرطة بدوريات لمسك العمال والتحقيق معهم وتأديبهم...فاعتصم هؤلاء العمال في مكتب النقابة في جادة الخندق فجمعت العمال وذهبت بهم إلى مدير الشرطة في العزيزية (حاليا محل السجل العدلي).وصلت إلى مدير الشرطة (حسني برازي) وقلت له: إذا أمسكت واحداً من العمال سأرسل /1000 عامل/ فاتصل رئيس الشرطة بالمحافظ (هاني الريس)...وبالتالي اتصل المحافظ

بصاحب المعمل واتفقوا على بعض التدابير الخاصة التي لم أعرفها....أخذت العمال وقلت لهم لاتخافوا وروحوا لبيوتكم وستعودون لعملكم.

في اليوم التالي استدعاني صاحب المعمل بدعوة رسمية إلى بيته فذهبت إلى بيته وكان هناك وجهاء الحي وفي الوسط وليمة كبيرة ومن جملتهم والدي الذي قال لي: يا ابني هذا جارنا (وكان من أهل حارتنا) وكان والدي من الوجهاء أيضاً (باعتباره من الأثرياء) هذا جارنا ومحتمي فينا....فقلت له: إن الموضوع موضوع فقراء، عمال، لا يجب أن يموتوا من الجوع وأنتم تأكلون الولائم. وقلت له: إما أن يغلق المعمل أو يعود العمال إلى عملهم....وبالفعل فقد أعطاني الحج عمر سالم صاحب المعمل المفاتيح وقال هذا مَعْمَلُكم...

أخبرت العمال في نفس الليلة بأن يعودوا إلى عملهم صباحاً و بالفعل ذهبت مع العمال إلى المعمل و صرفت العمال الجدد و عاد زملائي العمال إلى أعمالهم.[382]

6)[383] باعتباري كنت أعيش في حي شعبي وقديم جداً فالناس يعرفون بعضهم جيداً والعلاقات التي تسود بينهم هي علاقات جيدة (حي المشارقة) والنفوس خيّرة ومحبة للعمل والوطن....والحياة فيها بساطة الحي الشعبي والعلاقات إنسانية والمادة لا تحدد العلاقات فيما بين السكان يسودها التعاون والمحبة

)كانت الملاحظة التي أبداها حول الريف وهي: المرأة في الريف تعمل في الحقل والمنزل وتربية المواشي والدواجن بالإضافة إلى تربية الأولاد، أما الرجال فلا يعملون...[384]

وعن العلاقة بين الريف والمدينة فهي جيدة إلى حد ما وذلك بسبب التعاون و التعامل الاقتصادي بين الريف والمدينة. (فالفلاح يأخذ إنتاجه من المزروعات ويبيعه بالأسعار التي يحددها التاجر، أي أن العلاقة كانت علاقة استغلال بين تاجر المدينة ومنتج الأرض أي الفلاح.

وبشكل عام فإن الريف كان شبه محروم من الخدمات قبل الوحدة 1958 بكافة أشكالها ا لاقتصـــــادية والاجتماعية والوعي السياسي معدوم. ونظرة ابن المدينة إلى الفلاح كانت عادية [385]

9) إن نقابة عمال النسيج الآلي في حلب هي أول نقابة أُسست في حلب ، بل قال وفي سوريا أيضاً.

---

[382] تعليق الدارس: مما تقدم تبين أن المشكلة لم تُحل، لأنه صرف عمالا آخرين إلى بيوتهم بحاجة إلى عمل.

[383] الرقم 6 وما يليه من أرقام هي ارقام الأسئلة الموجودة في اُستمارة نقلها الدارس توخيا للدقة.

[384] تعليق الدارس: هذا الكلام غير صحيح 100% المرأة تعمل والرجل أيضاً يعمل أما إذا قيست المرأة الريفية بالمرأة في المدينة فنستطيع القول أن المرأة في الريف تعمل أما في المدينة فإنها لا تعمل.

[385] تعليق الدارس : هذا الكلام غير صحيح 100%....غالباً ما كانت العائلات الكبيرة في الريف لها علاقة اقتصادية مع العائلات الكبيرة في المدينة والتي كانت قائمة على الاستغلال.

أما أهم التنظيمات الحرفية آنذاك فهي: نقابة الأحذية ونقابة الحجارين والنجارين وقد أسسوا بتشجيع ودافع من نقابة عمال النسيج الآلي.

8) يقول عن شيخ الكار: إذا حدث خلاف بين العمال وأرباب العمل الحكم الأول قبل النقابات هو شيخ الكار. شيخ الكار هو خبير ومخضرم ويعرف العرف والعادات والتقاليد التي تخضع لها المصلحة) يذكر من النقابيين مصطفى جلب، الذي انضم إلى النقابة عام 1939 بطلب و تشجيع من أعضاء النقابة كانوا يدورون على المعامل ويشرحون للعمال ما هي النقابة وحسناتها وخدماتها فانضم إلى النقابة. الاجتماعات كانت أسبوعية في مكتب النقابة... و يضم الاجتماع كافة أعضاء النقابة التسعة. و يتم تدارس أوضاع العمال ومشاكلهم الاقتصادية والاجتماعية فقط.

وقال: لم نكن نتطرق للسياسة باعتبار أن العمال لا تهمهم السياسة...فالمهم هو العمل والمعيشة وتطوير الانتاج نحو الأفضل وبالتالي تطوير الاقتصاد الوطني.

الاشتراكات: ليرة سورية واحدة شهريا على كل عامل منتسب للنقابة

المصاريف: قرطاسية للنقابة – مواصلات – مساعدة العمال المرضى بمبلغ معين أما إذا فصل أحد العمال فنساعده بمبلغ ما. بالإضافة إلى رواتب أعضاء النقابة وهي كما يلي:

رئيس النقابة: 300 ل.س شهريا

أمين السر: 200 ل.س شهريا

الجابي وباقي الأعضاء: 150 ل.س شهريا زائد أجور الكدعان (سيشرح من هم الكدعان)

) أما عن دور النقابة فحكى لي الحادثة التالية: كنت رئيس النقابة بعد عام 1946. وكان هناك محلاً للسيد حسني عبد المسيح وهو من عائلة غنية في حلب. افتتح محلا للنسيج في العرقوب..فقد اعتمد صاحب المعمل هذا بابا للاحتيال على العمال وهو أن يوقع العامل عقداً يسميه عقد تجريب لمدة ثلاثة أشهر ومن ثم أي بعد مرور ثلاثة اشهر يوقع عقداً تجريبياً أخراً، وهكذا...كي لا يأخذ العامل تعويضاً إذا فصل...فيأتي في أحد الأيام عامل أرمني عمره 18 سنة إلى النقابة وقال لي: عملت تسعة أشهر عند حسني عبد الميح وصرفني نهائياً وأنا الآن عاطل عن العمل ولم يعطني تعويضاً عن التسعة أشهر التي عملت فيها عنده.

أيامنا كان في نقابتنا 4-5 رجال نسميهم (كدعان) نستخدمهم كأداة قسوة وضرب لكل رب عمل يستغل العمال..وكنا نعطيهم أجرة عن كل حادثة.

وفي ذلك اليوم الذي جاء فيه العامل ليشتكي كان الكدع محمد سمكو من/ بنقوسية حلب/ في النقابة فأمرت الجابي (قره بيت) أن يأخذ السيارة و يأخذ معه العامل ليدله على المعمل ويأخذ معه الكدع محمد سمكو لتأديب رب العمل وقلت له: اطلب من (عبد المسيح) أن يعيد العامل إلى عمله وإلا فعليك يا سمكو أن تؤدي واجبك...فأخذ سكيناً وانطلقوا. أبى صاحب المعمل أن يعيد العامل (فضرب بالسكين و... إلخ.) {في تقديري أن الكدع علّم عليه، أي جرحه جرحا بسيطا في جلده فيسيل الدم ولا تصل السكين إلى اللحم. وكان هؤلاء الكدعان من الرشاقة والخفة بع ا، تدربوا على هذا النوع من ضرب السكين، فيما يُعرف علّم عليه}وعاد الثلاثة وأعطيت سمكو أجرته وهي 50 ليرة سورية عن ذلك اليوم.

فاشتكى صاحب المعمل للشرطة (مخفر العرقوب) فطلبني رئيس الشرطة فذهبت وقلت له أنا الذي أرسلت سمكو والنقابة مسؤولة أولاً وأخيراً عما حدث وقلت له أيضاً: إما أن يعود العامل إلى عمله أو يأخذ تعويضه (إنذار) ويسحب صاحب المعمل شكواه...وإما أن يغلق المعمل بالقوة.

فما كان من رب العمل إلا أن وافق على طلباتي فأخذ العامل تعويضه وعاد إلى عمله، وسحب صاحب العمل شكواه. أذكر أن المشكلة حُلت في زمن قصير جداً أي يوم واحد فقط.

عدد أعضاء النقابة هم تسعة بما فيهم رئيس النقابة وهؤلاء الأعضاء أغلبهم من الصناع المتعلمين (القراءة والكتابة).[386]

11) أذكر من أسماء أعضاء النقابة:

الرئيس (أنا): عبد الرزاق محمد قنبض

أمين السر: مصطفى بارود (من معمل النسيج لصاحبه الحربلي في العرقوب)

قره بيت : الجابي أو ما يسمى اليوم بأمين الصندوق (من أحد معامل الميدان). أما الآخرين فلا أذكرهم ولا أعرف إذا كانوا أحياء أم لا...

سافرت في عام 1962 إلى المانيا الغربية للعمل هناك عند أخي، وكان طبيباً جراحاً معروفاً على مستوى الدول العربية. وكان الملك السعودي يتداوى عنده وكذلك الرئيس السوري. فذهبت إلى ألمانيا و عملت هناك في طب (تربية الدواجن) حيث حصلت على شهادة طب دواجن بعد دراسة وعمل في وقت واحد. ومن ثمّ عملت في معمل بلاستيك...ومعمل صوف (برتبة ميكانيكي).

---

[386] تعليق الدارس : مما سبق في هذا السؤال والحادثة يتبين أن النقابة كانت تعمل بإخلاص مطلق ويلزمها القوة والعنف والبطش...فبمقدار ما تستعمل هذه الأساليب تكون ناجحة وإلا...فلا.

بتشجيع من نقابتنا تألفت عدة نقابات أمثال: نقابة الحجارين – نقابة النجارين – نقابة الأحذية

تمركز العمل النقابي في المؤسسات الحرفية الكبيرة نظرا لعدد العمال الكبير

وباعتبار أن العلاقة التي تربط العمال فيما بينهم هي علاقة عمل أي الانتماء هو وطني والدافع واحد هو تطوير الإنتاج والصناعة وبالتالي تطوير ودعم الاقتصاد الوطني ورفع سوية الوطن.[387]

حادثة رواها المتحدث: أمين السر مصطفى بارود عندما شعر بأني أصبحت مهماً و ذا موقع مرموق أخذ يحسدني وحاول الوشاية بي وبدأ بالدعايات ضدي حيث صرح بأنه افضل مني، فأخبرني أصحابي العمال، فجمعت الأعضاء في غيابه وقررت الاستقالة في اليوم التالي. وبالفعل قدمت استقالتي ورشح أمين السر نفسه لرئاسة المكتب وتم التصويت وأصبح رئيسا وعدت عضوا عاديا في النقابة. في ذلك الوقت كان لنا قضايا في (دائرة العمل بدمشق) تحتاج لبعض المتابعات وأهمها مرسوم استطعت الحصول عليه هو مرسوم من وزير الاقتصاد ويقضي بعدم تسريح العمال بشكل تعسفي تسريحا نهائياً. فذهب رئيس النقابة الجديد (مصطفى بارود) لحل ومتابعة القضايا في دمشق..وعلى اعتبار أنني كنت معروفا بدمشق بشكل جيد فلم يستقبلوه في دمشق . أنا كنت معروفا من البرقيات التي كنت أرسلها باسم العمال والنقابة، برقيات تأييد للحكومة آنذاك. فعندما عاد من دمشق أخبرنا أنه لم يُستقبل هناك. فقلت في الاجتماع: إن رئاسة النقابة يلزمها رجال لا يبيعون العمال ولا يرتشون..وضربته بالكف. قدّم استقالته وعدت رئيسا للنقابة. فشكّلت وفدا من النقابة وذهبنا إلى دمشق وهناك اتصلت بالسيد رشدي بك كيخيا، رئيس المجلس النيابي، الذي اتصل بالوزارة من أجل إعطائي نسخة من المرسوم فأخذت النسخة وعدت إلى حلب.

هذا السؤال صاغه الدارس بقلمه كما يلي: من خلال الحديث تبين لي أنه لا يوجد وعي طبقي داخل النقابة. فكانت المفاهيم لديه هي حصول العمال على حقهم ولا يعادون أرباب العمل ما دام هذا يعطيهم أجورهم فقط...

...كانوا يسمعون بالاشتراكية من الأحزاب الشيوعية والبعثية، وكانوا لا يحبذون هذه الأفكار الاشتراكية.

في الأعياد يقدم رب العمل عيدية لأغلب العمال في عيدي الفطر والأضحى وهي عبارة عن مبلغ رمزي

وقد شكلت لجنة خاصة لمعاقبة العمال المفسدين والفوضويين والذين يثيرون الدعايات المعادية لرب العمل أو للوطن، فكان لا يهمنا سوى تحسين الانتاج ورفع الاقتصاد الوطني

---

[387] تعليق الدارس : الواضح من كلامه أنه لا توجد تيارات داخل النقابة أما الخلافات فموجودة وكانت لأسباب شخصية وحب التسلط (الكرسي).

لم تؤثر المشاعر الطائفية أو القبلية أو العشائرية في العمل النقابي. وكانت الانتخابات سرية جدا والعامل حر ينتخب من يراه مناسبا أو من يسمع عنه بأنه يحب العمال ويدافع عنهم

لقد سردت ما فيه الكفاية إلا أنه تبين أن العمل النقابي قبل 1945 كان محصورا على نطاق ضيق جدا في بداياته أي أن النقابة الوحيدة هي عمال النسيج الآلي في حلب كما قال. أما بعد ذلك فقد ازداد عدد النقابات بتشجيع ودعم من هذه النقابة فتأسست نقابة الأحذية والحجارين والنجارين.

تركت العمل النقابي عام 1957

... الأعراف بين أرباب العمل والعمال – الطاعة العمياء لرب العمل – الأجور تحدد من قبل رب العمل – الدوام 10 ساعات عمل فعلية – العطلة غير مأجورة (نقدا عطلة أسبوعية وعيد الفطر والأضحى)

لم يكن يوجد نظام مكتوب للنقابة لكن حسب العرف في قيادة النقابات وقال: يجب أن يكون رئيس النقابة نشيطا – شجاعا لا يخاف – بعيدا عن الأحزاب والانتماءات السياسية. ويفضل أن يكون متعلما بشكل معقول أو ملما بالقراءة والكتابة وكذلك أمين سره والمحاسب (الجابي) عليه أن يعرف الأمور المحاسبية.

بعد أن عاد من ألمانيا الغربية افتتح محلا للخردوات (أدوات صحية –كهربائية إلخ....) ويعيش حاليا في قرية قريبة جدا من شمالي مدينة حلب على طريق عفرين تبعد حوالي 10 كم اسمها (كفر حمرة) ويقول لي في ختام حديثه: على النقابي وكل عامل أن يكون شجاعا يحب التضحية، وعلى النقابات بشكل عام أن تبتعد عن السياسة والاهتمام بالعمال فقط من الناحية الثقافية والاجتماعية والاقتصادية.

لمحة عن الحياة السياسية التي عاشها المتحدث:

قبل عام 1956 كان بعيدا عن الأحزاب السياسية وقد تمت محاولة ضمه إلى صفوف الحزب العربي الاشتراكي بعد ضم حزبي(العبي الاشتراكي و البعث العربي) فلم يوافق...

أما في عام 1956 وأيام العدوان الثلاثي على مصر فقد أصدر رئيس الجمهورية شكري القوتلي قرارا بتسليح الشعب كله ضد أمريكا (خوفا من أن تهجم على سوريا) فباعتباره كان معروفا من قبل العمال كقائد نقابي مشهور فقد تم تسليمه رئاسة المنطقة الدفاعية الأولى عن مدينة حلب ومركزها في (مدرسة الأيتام) وتضم 1700 مسلحا حيث كان يتم يوميا تدريبهم على السلاح.....قسمت مدينة حلب إلى عدة مناطق دفاعية . وهو كان مسؤولا عن المنطقة الأولى والتي تضم كلا من المشارقة - الكلاسة - السبع بحرات - الجلوم - الجديدة) ويتذكر من زعماء الحارات أو الأحياء :

الكلاسة: محمد قباني- بكور جاموس-علي جاموس– حمادة صهريج

الجلوم: محمد نقاش – عبدو مصري

باب النيرب: كنجو حمادة – حسين عواد

بنقوسة: عبد الوهاب جراب – محمد حجار

المشارقة: هو نفسه عبد الرزاق قنبض

أيام الوحدة تم تسليم الأسلحة وعادت الأمور لمجاريها.

وأسس المجلس التأسيسي لمدينة حلب و يضم 21 أي إحدى وعشرون ممثلا من حلب ومهمة هذا المجلس دراسة خدمات البلد – تأمين مطالب الشعب – الكهرباء . وقال: ولكن لعدم تأمين الخدمات بشكل جيد فقد تقدمت باستقالتي...

ويتذكر أيام الوحدة بأنه تم تسريح عدد من العمال السوريين ووضع بدلا عنهم مصريين، بالإضافة إلى تسريح الضباط (وأيامها كان قائد المنطقة الشمالية عمر تمرخان).

الأسئلة الثقافية:

لم يكن يهتم بالقراءة

اهم الأحزاب (الحزب الشيوعي السوري – حزب البعث العربي – حزب العربي الاشتراكي.

رأيه ورأي محيطه بأنه لا فائدة من هذه الأحزاب....فعلى العامل أو المواطن الابتعاد عن السياسة للسياسة سياسيون أخصائيون...وكما ورد سابقا فإن الأحزاب التي نادت بالاشتراكية كانت غير مرغوبة من قبل الشعب، والذي كان يعاني من عدم الوعي أو انعدامه تقريبا.

كلمة أخيرة: أرحب بزيارة الدكتور عبد الله حنا و أهلا و سهلا و شكرا.

*****

ملاحظة من معدّ هذه المرويات

انتهت مرويات الدارسين.. وأحب أن أشير إلى أن كثيرا من المرويات يتصدر بعض أسطرها أرقاما تعود إلى أرقام الإستمارة، التي اعتمد عليها الدارسون. أي أن الرقم في أول السطر يشير إلى رقم السؤال في الإستمارة الموجودة في المقدمة ورقمها إثنين (2).

